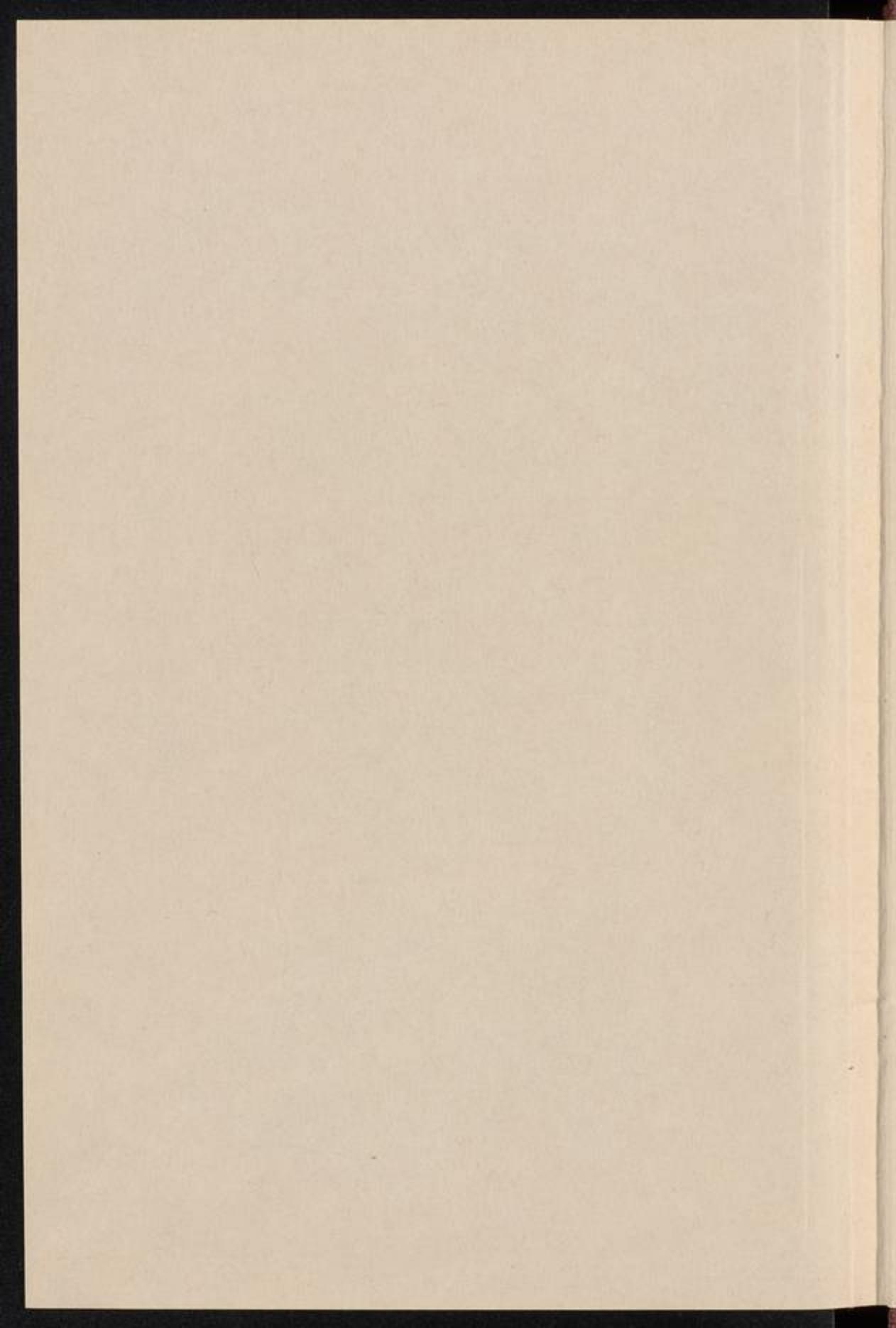
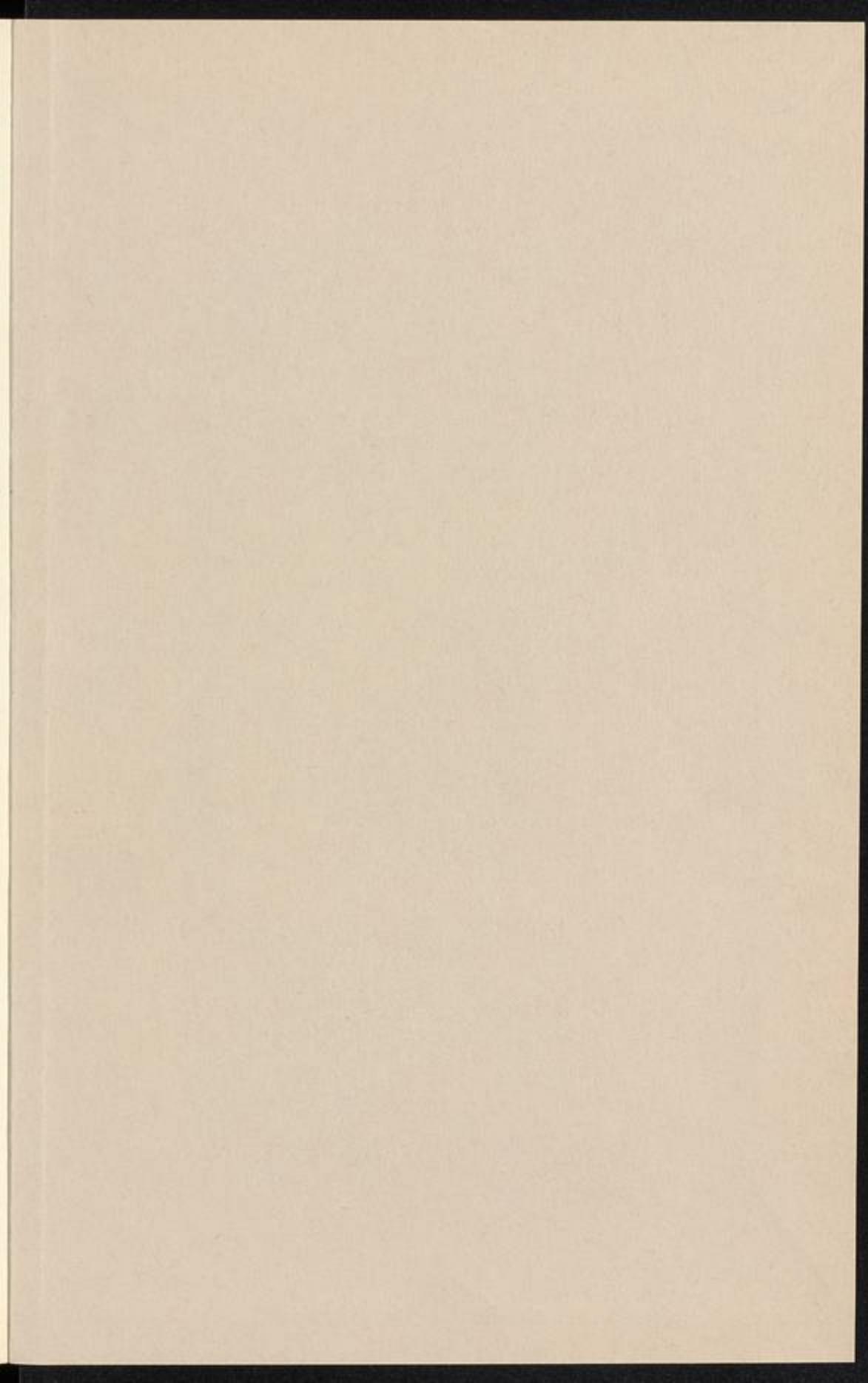


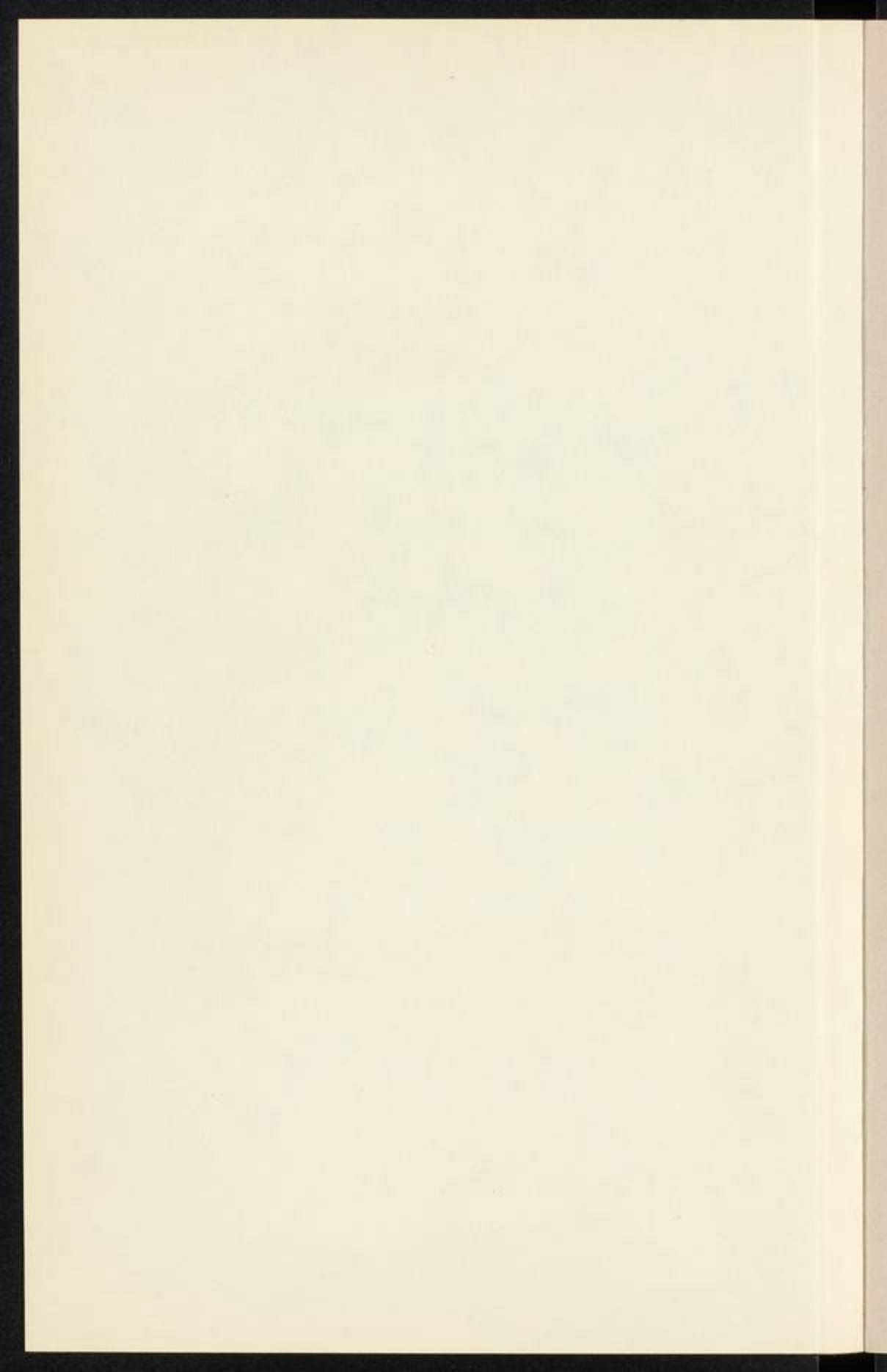
THE LIBRARIES

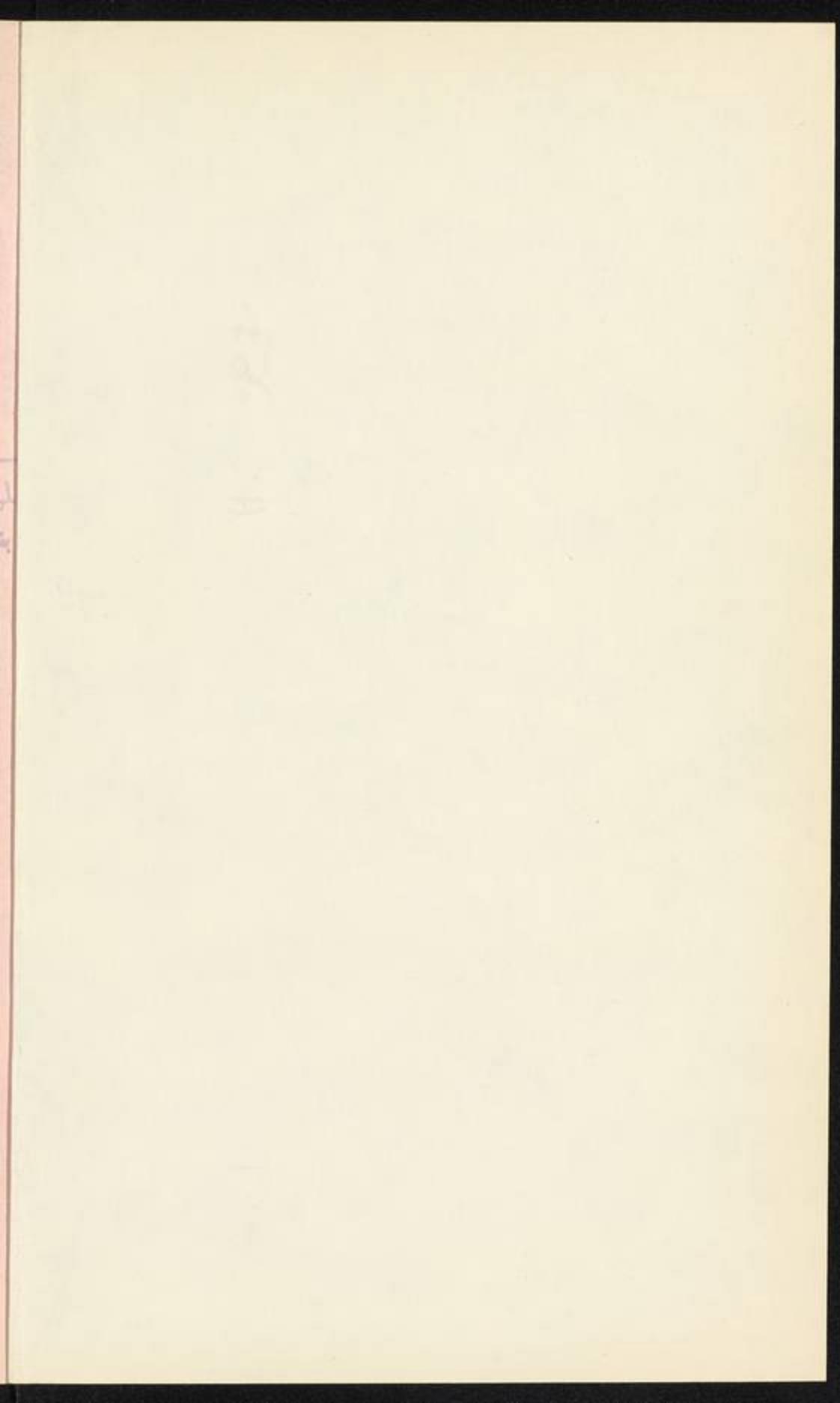
COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY









Front

صادرت جامعة بغداد على طبعه

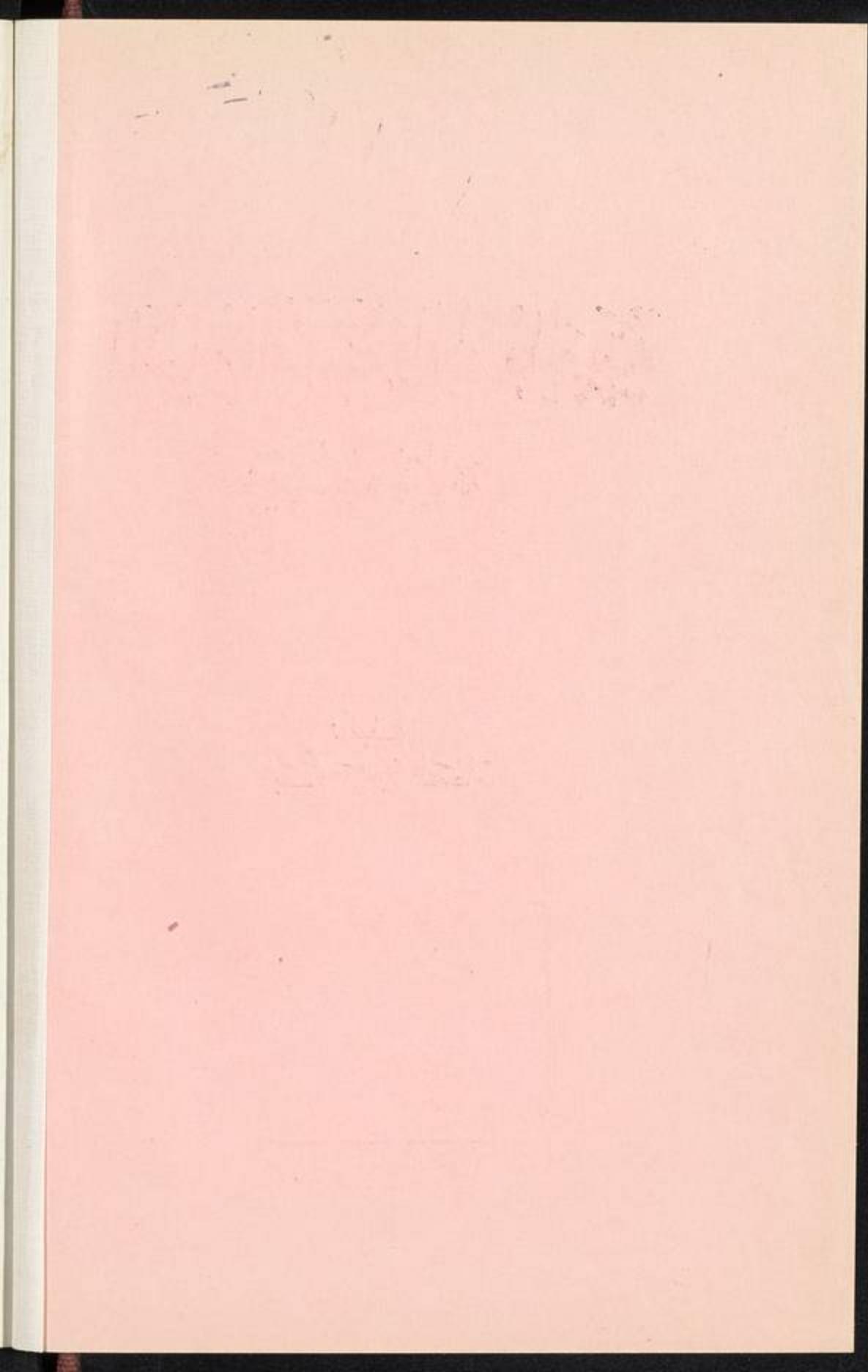
التعابير القرآنية والبيئة العربية

في مشاهد القيمة

لر كرية
بتدا

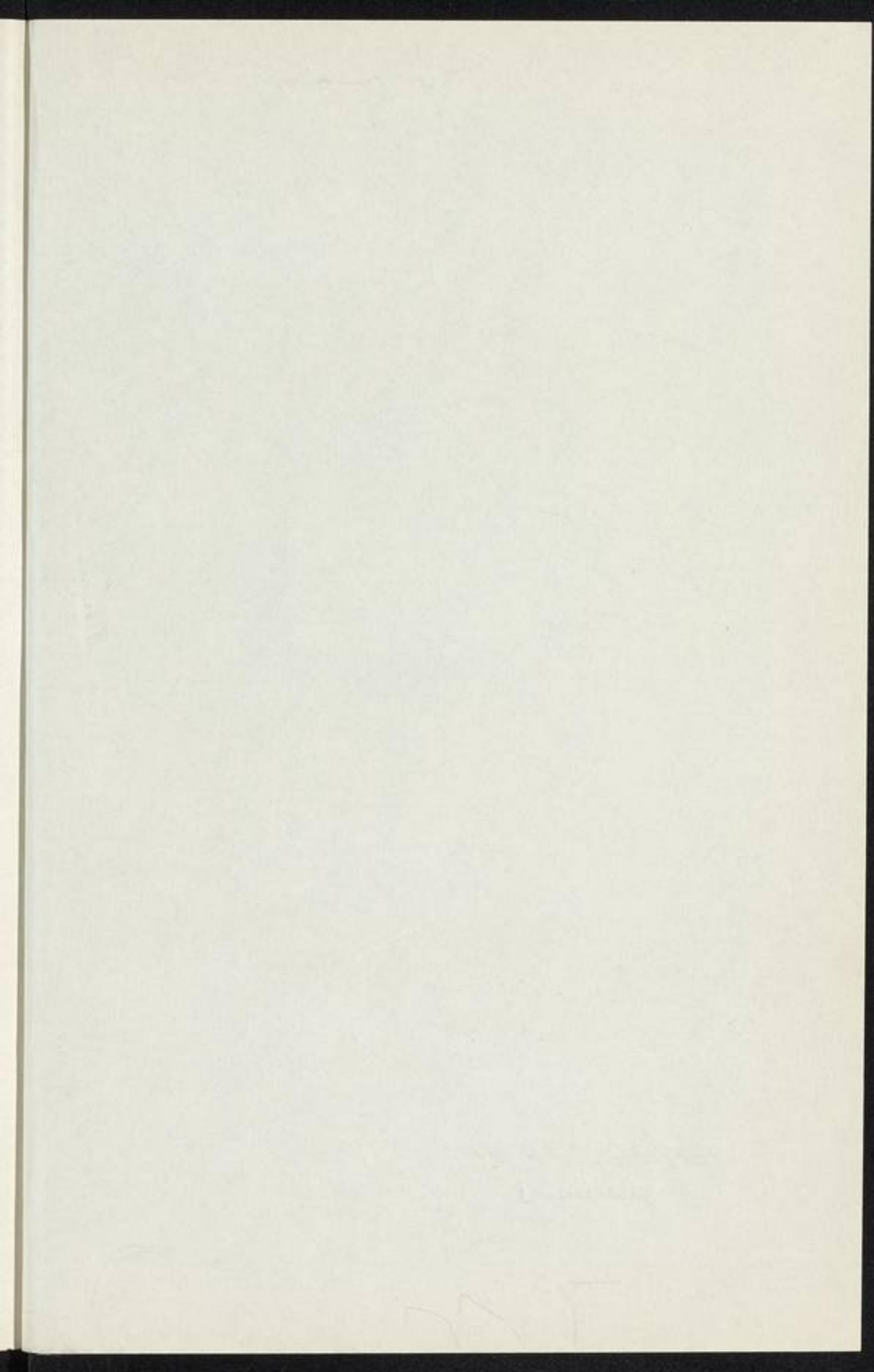
تأليف
ابتسام هون الصفار

طبعة الراب في النجف الأشرف



مماهير جامدة بـ - في طبعـ

التعابير القرآنية والبيئة العربية
في مشاهد القيامة



محمد بن عبد الله على طبعه

النَّعَيْرُ الْقُرَائِيَّهُ وَالْمَلَئَهُ الْعَرَبَهُ

فِي مَسَاهِدِ الْقِيَامَه

المكتبة المركبة
الطبعة الثالثة

تأليف
ابتسام رهون الصفار

B P
166.87
- S 2

الطبعة الاولى

مطبعة الراباب في الخفافشة

١٣٨٧ - ١٩٦٧ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْمُفْتَلِفَةُ

لقد كان القرآن الكريم - معجزة الرسول العربي الديني - حدثاً عظيماً في حياة العرب أحدث انقلاباً في حياتهم السياسية والفكرية والادبية ذلك لأن اللغة العربية كانت في أوج ازدهارها ، وتقدمها فجأة القرآن الكريم في بلاغته وبيانه مثلاً لها . وآثار اسلوبه البياني دهشة العرب فسرعان ما آمنت به نفوس بعضهم ، واطمأنت لما فيه من احكام وتعاليم ، وضلت الأخرى عن المدى ولكن الاسلوب القرآني خاب البابها ، وآثار دهشتها فقالت (ان هذا الاسحر يؤثر) سورة المدثر ٧٤ : ٢٤ وأراد الله سبحانه وتعالى ان يثبت نبوة محمد (ص) فلم يختبر الا الاسلوب القرآني يتحدى به العرب ان يأتوا بسورة من مثله (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداكم من دون الله ان كنتم صادقين . فان لم تفعلوا - ولن تفعلوا - فاقروا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين) سورة البقرة ٢ : ٢٣ - ٢٤ . واجتمع جبابرة قريش وفطاحلها ولكن بغير جدوی لأن الآيات الكريمة تسير باسلوب خاص يسحر الالباب وقصة إيمان عمر بن الخطاب بخبر سمعه آيات من الذكر الحكيم مشهورة تذكرنا بالتأثير العظيم الذي كان القرآن الكريم يتركه في نفوس سامعيه مسلمين ومسركيين . ومن هنا أكيد القرآن الكريم ضرورة سماع المشركين للآيات الكريمة لأنهم ان سمعوها لابد ان يتأثروا باسلوبها الرائع (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) سورة

التوبة ٩ : ٦ . ولنا ان نتساءل هل يستطيع القارئ العربي في هذا العصر ان يفهم الآيات الكريمة كما فهمها العرب أيام نزولها ؟ مما لا شك فيه ان القرآن الكريم خالد معجز بروعة اسلوبه ، وجماله البياني الا ان القارئ العربي اليوم يقرأ الآيات الكريمة فيعجب بها ، ويفهم المعنى العام الذي توحيه حتى اذا تعمق في فهم الآيات الكريمة وجد فيها معانٍ لم يفهمها من قبل ، وروعه لا يلحقها اسلوب آخر فيتأمله باعجاب لا يستطيع معه الا أن يقر الاقدمين على اعجازه وروعته .

ان فهم القرآن بدراسة دلالة الفاظه تقربنا من الصورة التي فهمها العرب ، ذلك لأن الله سبحانه وتعالى انزل القرآن بلغة العرب ، واساليبهم الكلامية . ومن هنا تفيينا دراسة دلالة التعبير القرآنية على فهم الاعجاز الذي ترسمه الآيات الكريمة المختلفة . وهي دراسة تفتقر اليها المكتبة العربية - خاصة الحديثة - التي صبت أكثر اهتمامها على الادب والشعر ناسية القرآن الذي يمثل روعة العربية في سحرها وبيانها .

ودراسة البيئة امر مفيد ، لأن لها اهمية عظيمة في توجيه تفكير الانسان وتطوير لغته ذلك لأن الانسان ابن بيئته فيها يعيش ، وعليها تنموا لغته واساليبه في الحياة . ومع ان الاقدمين لم يولوا دراسة البيئة اهمية كبيرة الا اننا لانعدم اشارات اطيفه اوردها الجاحظ مبينا اهمية البيئة في خلق الانسان وعاداته ، وتبعه في هذا آخرون كابن رسته والقزويني وابن خالدون وغيرهم من نهج الجاحظ ، الا أن هذه كلها كانت اشارات تعطينا بداية لمثل هذا البحث الطريف .

اما دراسة التعبير القرآنية على ضوء البيئة العربية فمنهج تفتقر اليه الدراسات القرآنية ايضا ، ذلك لأن المفسرين اتجهوا كل الى وجهة خاصة في تفسير القرآن الكريم فمنهم من اولى غريب القرآن اهتمامه كأبي عبيدة

والسجستاني ، وابن قتيبة ، ومنهم من شابت تفسيره اخبار أهل الكتاب وما يسمى بالمسرائيليات كفانل بن سليمان مثلا ، ومنهم من صب اهتمامه على الناحية الفقهية والمذهبية كالتسري ، وفرات الكوفي مثلا ومنهم من اعتمد على نقل الروايات في التفسير كالطبرى والطوسي . واخيرا هناك من وجه اهتمامه ليدافع عن فكرة التزمها كالزمشري في تفسيره حين ضمته تأكيدا على مذهب الاعتزال الى جانب اهتمامه بالاسلوب البياني حين حاول ان يبين اوجه المجاز الذي استعملت فيه الكلمة ثم ما يعكسه هذا المجاز في بعض الاحيان من دلالة على البيئة والذوق العربي كما سرناه في بحثه عن الزرقة .

اما المعاجم اللغوية فقد رتبت فيها الالفاظ ترتيبا ابجديا ، واهمل فيها التدرج التاريخي لتطور دلالة الكلمة . ومن هنا كان بحثي قياسا الى تفاسير الاقدمين دراسة جديدة لفهم التعبير القرآنية ودلالة الالفاظ . إلا ان هذا لا يعني انعدام الاشارة الى هذا المنهج عند الاقدمين فقد حاول ابن فارس في معجم مقاييس اللغة ان يضع اصلا واحدا او اصلين لكل كلمة تدور حوله جميع مشتقاتها مع تطور معانيها ، إلا انه يختلف عن منهجهما في هذه الرسالة في انه يضع الاستعمال المعنوي للكلمة اصلا لها فيبتعد بذلك عن البيئة التي يشترط ان تبدأ فيها دلالة الالفاظ الحسية ومنها تتطور الى المجازية والمعنىوية . كما نجد في كتاب الزينة للرازى محاولة جديدة في هذا الباب لدراسة الالفاظ الإسلامية ، وتتبع معانيها الاصلية إلا انه ما ان يسير شوطاً على هذا المنهج حتى ينحو في بحثه نحو معاصريه فيتحول بمحضه الى دراسة عن الفرق ، والمذاهب الإسلامية مبتعدا عن المنهج الذي سار عليه في اول كتابه . ونجد مثل هذا بصورة اوضح عند الشريف الرضي في شرحه لمحازات القرآن الكريم والحديث النبوى ، والشريف المرتضى في اماله حين بين اوجه المجاز وعاد بنا الى الاصل الحسى لبعض المجازات ،

ولكنها ايضا اشارات محدودة ، وليست منهاجا معينا بذاته .

كل هذه الطرف التي وجدناها عند الاقدمين ألغت ضوءاً كاشفا رسم

لي عالم هذا البحث واخذ بيدي للسير في خضم التعابير القرآنية ، وما

توحيه من الصور الرائعة العديدة . وقد وجدت في دراسة بعض المحدثين

عونا لي في هذا البحث كان اولها محاضرات النقد الادبي التي القاها علينا

استاذى الدكتور جميل سعيد والتي وجهنا فيها الى دراسة البيئة والذوق العربي

قبل دراسة النص الادبي مما اعانا على تذوق النصوص الادبية وفهمها فهما

بيانيا . ثم محاضرات فقه اللغة التي وجهنا فيها الاستاذ الدكتور ابراهيم

السامرائي لدراسة اللفظة دراسة موضوعية ترتب فيها معاناتها ترتيباً تاريخيا

ابتداء من اصولها الحسية الى المجازية . وفي الجمع بين هذين التوجيهين بدأ

اعجابي بمثل هذه الدراسة القيمة . ثم كانت محاضرات السنة التحضيرية

(البيئة الصحراوية وأثرها في الادب الجاهلي) لاستاذى الدكتور جميل سعيد

فاتحة جديدة لبحث تطبيقي لأهمية البيئة على الادب واللغة بصورة عامة

كان يؤكد لنا فيها ضرورة تطبيق هذا المنهج على نص القرآن الكريم

ما وجهني الى كتابة بحث صغير في موضوع الجنة والنار فتح امامي ابوابا

واسعة لهذا البحث الطريف وعلق نفسي بدراسة القرآن الكريم . ومن هنا

كانت فكرة الرسالة وتوسيع ذلك البحث الصغير الى بحث دقيق موجه .

اما دراسة القرآن الكريم على ضوء البيئة العربية فأول ما وجدته في

مقال قيم نشرته مجلة الهيئة المغربية بعنوان البيئة العربية في القرآن الكريم

للاستاذ الدكتور ابراهيم السامرائي عرض فيه صورا رائعة من البيئة العربية

متجلية في مشاهد عديدة من القرآن الكريم مما القى ضوءاً جديداً على منهجه

في هذا البحث . ومن كتبوا في هذا الموضوع الدكتورة بنت الشاطئ في

كتابها (التفسير البياني للقرآن الكريم) الذي حاولت فيه دراسة الاسلوب

القرآن بما يوحية من صور ببافيه مبتعدة في ذلك عن الشروح اللغوية واستطراد المفسرين وبعثها هذا يختلف عن منهجي في الرسالة في انها اكتفت بفهم المعاني المتعددة التي يوحيها اللفظ على حين حاولت ان اضيف الى هذا دراسة البيئة العربية ، وابراز صورها بما وصلنا من نصوص شعرية تجلي لنا موحيات التعبير القرآنية أكثر فأكثر. يضاف الى هذا ان كتابها مقدمة لتفسير بياني خصت به بعض السور القصص دون غيرها من الآيات ولكنه بحث قيم في توجيه دراسة القرآن الكريم دراسة بيانية . اما كتاب مشاهد القيمة في القرآن الكريم ليسيد قطب فإنه يختلف تماماً عن منهجي في هذا البحث الا انني استفدت من اسلوب الكاتب الرائع في عرض الآيات الكريمة عرضاً اديباً في كل صورة تخص يوم القيمة .

وقد خصصت مشاهد القيمة بهذه الدراسة لانها تشكل لنا سلسلة من المشاهد المتتابعة تبدأ منذ اللحظة الاولى التي يحدد فيها يوم القيمة الى الخلود الابدي ، وانطلاقاً من هذه الفكرة كان منهجي في تقسيم اصول الرسالة . فكل فصل منها يمثل مشهداً كاملاً متعدد الجوانب ، والصور لا يمكن ان تقدمه على فصل آخر ذلك لأن مجموع الفصول تمثل مجموع الاحداث التي تجري يوم القيمة . هذه الاحداث تتتابع فتشكل لنا صوراً كاملة لمشاهد القيمة .

فأول مشاهد القيمة نجده في الفصل الاول : التغير (بعث الناس من القبور) وقد صور بعده تعبير قسمتها الى ثلاثة مجتمع : الصور والذاقور وتشكلان الصورة الاولى التي يكون التغير فيها بواسطة آلة ينفع فيها . اما المجموعة الثانية فيمثلها تعبير الداعي والمنادي اما المجموعة الثالثة فهي التي تمثلها الزجرة والصيحة اللتان تصوران التغير بانه يكون بواسطة صوت مفزع دون تحديده بالله او شخص . وقد حاولت تتبع ايحاءات كل تعبير ، ثم

دلالتها بمجموعها على النغير المفزع الذي يبعث الناس من قبورهم .
اما الفصل الثاني ففيه تصوير للظواهر الكونية ، والاضطرابات التي
تحدث يوم القيمة وقد حاولت ان استشف من مجموع هذه الظواهر
الرهيبة بعض جوانب البيئة العربية ، وكيف ان العرب استطاعوا ان يتصوروا
اضطراب السموات والارض يوم القيمة بما عرفوه في بيئتهم من ظواهر
طبيعية ، رسخت صورها في اذهانهم .

وفي هذا الخضم المضطرب للسموات والارض تبدأ صور اخرى تجدها
في الفصل الثالث : صفة الناس يوم القيمة ، حيث يعيشون من قبورهم
فتفرغ نفوس الكافرين وبسرعون على غير هدى وقد شملهم اليأس ،
وذلت نفوسهم . اما صورة المؤمنين فانها تناسب بهدوء رائع غير مبالغ
بالفزع الذي يشمل الكون كله .

وبعد ان تكتمل صور الاضطراب المفزع يبدأ مشهد آخر وهو الذي
بحشه في الفصل الرابع : (القضاء بين الناس) حيث يقف الناس امام
قضاء عادل سوي لاتشوبه شائبة من الباطل وقد نفت الآيات الكريمة
وجود القيم الجاهلية التي سادت المجتمع العربي فاضاعت الحق ، فلا شفاعة
ولا فداء ، ولا اي وسيلة من الوسائل التي كان العرب يتمخلصون بواسطتها
من العقاب . وقد صورت دقة الحساب بصورة حسية وثيقة الصلة بالبيئة
العربية ، تلك التي عرفها العربي في الموازنة والمعادلة بين الاشياء المادية .
وكذا الامر في نتيجة الحساب وما يعكسه من صور البيئة الغربية :

اما الفصل الخامس فانه يمثل المشهد الذي يتبع القضاء حيث يعاقب
المجرمون . وقد صور بعده تعابير لها دلالتها الوثيقة الصلة بالبيئة العربية ،
وتنداعى فيها اليماءات في كل تعبير يرسم لنا صورة النار ، او تسجيئتها
او لهبها ، او في صفة شراب اهل النار والمطشن الدائم الذي يعاونه وما

ينقله من صور العطش المضني الذي عاناه العربي في الصحراء الشحيمحة بالماء وأخيراً الفصل السادس ، الثواب بالجنة ، وقد حاولت فيه ان استشف بعض جوانب البيئة العربية . فالحضررة الدائمة ، والأشجار المتعدة تستشف منها صورا رائعة تعكس لنا اهمية الحضرة الحبيبة الى نفس العربي وانهار الجنة ومياهها الوفيرة تعكس لنا اهمية الماء في البيئة الصحراوية والصورة الجميلة التي يرسمها في الذهن العربي . ثم اهمية اللبن والعسل والخمر وما تعكسه هذه الصور من ملامح البيئة العربية .

اما مراجعي فقد تنوّعت بتنوع المواقع التي طرقتها في هذا البحث فاضطررت الى مراجعة كتب الادب العامة استشف منها لمحات عن الذوق العربي والبيئة العربية ثم التفاسير القرآنية ، وما يتعلق بالقرآن والفقه من دراسات في هذا الباب والمعاجم اللغوية لأنني فيها معاني الكلمة ودلائلها وبعض الكتب الجغرافية لا جد فيها ملامح البيئة العربية . وقد اعتمدت على الدواوين الشعرية استشف منها صور البيئة العربية التي خلدها الشعراء . وقد حاولت ان أجد نسبة للدواوين ، ولكن هنالك ابيانا تمثل بها المفسرون انفسهم دون نسبتها الى قائلها فهي بين امرین اما انها كانت معروفة في زمانهم فاستغنووا عن ذكر قائلها ، واما انها لشاعر مجهول تمثلاً باشعاره فسرت على هذا النهج ولم اكتف بالشعر الجاهلي بل جاوزته الى الاسلامي والاموي لأن منهج الشعراء لم يتبدل الا قليلاً ثم اني وجدت المفسرين يتمثلون باشعار هؤلاء عند شرحهم لآيات القرآن الكريم كأبن عباس ، والطبرى ، والزمشري وأعل اكثراً من وجه اهتمامه للاستفادة من النصوص الشعرية في فهم التعابير القرآنية هو ابن عباس حين مأله نافع بن الازرق بعض المسائل المتعلقة بالقرآن الكريم فكان يتمثل بشواهد شعرية ليؤكد لنافع ان العرب كانت تعرف هذا المعنى . اما الحديث النبوى الشريف فلم اعتمد عليه اعتماداً كلياً إلا

في التعبير التي تعاصرت على فهم معانٍها كتب اللغة ، والتفسير ، وأيدمها
نصوص الشعر لأن المحدثين جوزوا رواية الحديث النبوي بمعناه .
وقد خصصت بالبحث التعبير التي لها دلالة على البيئة العربية ،
واهملت فيها التعبير الاعجمية والعربية التي ليس لها دلالة واضحة على
البيئة العربية .

وهذا البحث كتبته في فصول متنالية كان استاذي المشرف الدكتور
جميل سعيد يتابعني فيها فقرة فقرة ، وبوجهى الى الناحي الادبية وكان
يرى ان كثرة الشواهد الشعرية تضيع ملامح الصورة الفنية لذا اكتفى
بشاهد او شاهدين مع الاشارة الى الشواهد الاخرى في هامش البحث .
واخيرا ارجو ان اكون قد وفقت في هذا البحث ، وعرضت جانبا
من جوانب القرآن الكريم الذي لم ينزل حظه من الدراسة والبحث الدقيق
والله ولي التوفيق :

ولا يسعني وانا اقدم الرسالة بين يدي القارئ الكريم إلا ان اتقدم
بحزيل شكري وامتناني للاستاذ المشرف الدكتور جميل سعيد لتشجيعه المتواصل
وتوجيهاته القيمة واسكر كلاً من الاستاذ الدكتور مصطفى جواد والدكتور
ابراهيم السامرائي والدكتور حسين نصار لما أبدوه من مساعدة خلال بحثي
كما انقدم بجزيل شكري الى كل من اعاني على اخراج هذه الرسالة وانهض
منهم الاخرين نبيله واديبة في مكتبة معهد الدراسات الاسلامية العليا والاخت
آمال قاسم في كلية الاداب :

الفَصْلُ الْأُولُ

النفير (بعث الناس من القبور)

١ - وسائل النفير :

- أ - الصور والناقور
- ب - الداعي والمزادي
- ج - الصبيحة والزجرة

٢ - مدة النفير :

國朝

١ - وسائل التفير

ان اول مشاهد القيامة في القرآن الكريم هو مشهد التفير المفزع الذي يثير الناس الى البعث ، ويحشرهم من قبورهم الى ساحة الحساب ، والقضاء .

ومشهد التفير هذا صورته عدة تعبير كل منها يوحى بصورة خاصة من صور التفير ، حتى اذا اجتمعت هذه الصور المتعددة تشكلت في الذهن صورة جامعة حية متحركة لمشاهد التفير ، والبعث .

أ - الصور وللناظور

اما الصورة الأولى فيرسمها تعبيران هما الصور وللناظور . والصور هو الذي يحدد يوم القيمة . قال الله سبحانه وتعالى : (وجاءت سكرات الموت بالحق ذلك ما كنتم منه تحيد ، ونفح في الصور ذلك يوم الوعيد .) (١) وقد صورت الآيات السكرية الصدى البعيد الذي يحدّثه نفح الصور ، وذلك انه يُفْيِزُ كل من في السموات والأرض : (ويوم يُسْتَفْخَ في الصور فَيُفْيِزُ مَنْ في السموات وَمَنْ في الأرض إلا من شاء الله وكل أئوه داخرين) (٢) ومع الفزع الذي يوْقَظُ الناس فإنهم يزعجون من قبورهم ويهُرُّون افواجا اذلاء لتلبية صوت التفير المفزع : (ونفح في الصور فإذاهم من الأجداث الى ربهم يَنْسلُون قالوا يا وَيْلُنا من بَعَثَنَا من مَرْقِدَنَا ؟ هذا ما وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ المرسلون) (٣)

(١) سورة ق ٥٠ : ١٩ - ٢٠ ،

(٢) سورة النمل ٢٧ : ٨٧ .

(٣) سورة يس ٣٦ : ٥٠ - ٥٢ .

وقال تعالى أيضاً : (يَوْمَ يُنَفَّخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْواجًا) (١)
(وَنُفَخَ فِي الصُّورِ فَجَمِعَنَا هُمْ جَمِيعًا) (٢)

وقد اختلف المفسرون في تفسير معنى الصور . قال أبو عبيدة (يقال انها جمع صورة تُنَفَّخُ فيها رُوحها فتحبها) (٣) فابو عبيدة هنا لم يفسر الصور على انه آلة ينفع فيها للتبليه والتغیر وإنما هي عنده جمع صورة فكأن الأرواح البشرية تعود الى الحياة في اجسامها اذا نفخ فيها وتؤيد رأي أبي عبيدة قراءة الحسن البصري (يُنَفَّخُ فِي الصُّورَ) (٤) .

أما التفسير الثاني وهو الذي عليه معظم المفسرين فهو قوله ان الصور قرن يُنَفَّخُ فيه (٥) ورفع هذا التفسير الى النبي (ص) حين سئل عنه (٦) كما روی عنه (ص) في حديثه عن الدجال (٧) وانه يقول حين يتمثل لهم : (الا تستجيبون ؟ فیأمِرُهُم بالاوثان فیعبدوهم ، وهم في ذلك دارة ارزاقهم ، حسن عيشهم ، ثم يُنَفَّخُ فِي الصُّورِ ، فلا يسمعه

(١) سورة النبأ : ٧٨ . ١٨ .

(٢) سورة الكهف : ١٨ - ١٠٠ .

(٣) مجاز القرآن ١ : ١٩٦ ، جامع البيان ٧ : ٢٤١ ، وانظر ايضا قول الخليل

في العين الورقة (١٩٨) ،

(٤) الصحاح ٢٩ : ٧١٦ .

(٥) جامع البيان ٧ : ١٤١ التبيان ٧ : ١٨٧ .

(٦) جامع البيان ٧ : ٢٤١ .

(٧) الدجال: المموه يقال انه رجل من يهود ، يخرج في آخر ایام هذه الامة سحي بذلك لأنه يدخل الحق بالباطل ، وقيل بل انه يغطي الارض بكثرة جموعه وقيل لانه يدعى الربوبية، انظر لسان العرب ١٣ : ٢٥١ .

احد الا اصغى له ، وأول من يسمعه رجل يلوط حوضه ، فيصعق ، ثم لا يبقى احد الا صعق) (١) . وهذا الحديث يرسم لنا الصور ، وكيف انه اذا **نفخ** فيه سبب صوتا قويا مفزعًا يصعق من يسمعه . وفي وصفه (ص) اصحاب الصور قال : (كيف **أنعم** وصاحب **الصور** قد التقم **الصور** ، وحتى جبهته ، واصغرى سمعه ، ينتظر متى **يؤمر**) (٢) وفي رواية أخرى (قد التقم القرن) (٣) وهذا الاختلاف في الرواية يؤيد تفسير الصور بالقرن ! لانه يدلنا على انهما تعبيران هما نفس الدلالة في الذهن العربي ، وقد ذكر هذا المبارك ابن الأثير حين رجح معنى القرن بقوله (والصحيح الأول لأن الأحاديث تعاشرت عليه تارة بالصور ، وتارة بالقرن) (٤) ثم ان وصف صاحب الصور في الحديث النبوى الشريف يمثل لنا صورة شخص قد وضع آلة النفخ في فمه وحتى جبهته وأصاخ سمعه ، ينتظر الأمر بالنفخ في آنته تماما كما ينفخ في بوق مثلا . اما الاغنويون فقد ذهب معظمهم الى تفسير الصور بالقرن (٥) .

اما الاغويون فقد ذهب معظمهم الى تفسير الصور بالقرن (٥).

وناقش بعضهم كون الصور جمع صورة . قال الفراء : (كل جمع على لفظ الواحد الذكر سبق جمعه واحdetه ، فواحدته بزيادة هاء فيه ، وذلك مثل الصوف والوبر ، والشعر ، والنقطن ، والعشب ، فكل واحدة من

(١) مسند الامام احمد ٢ : ١٦٦

۷۳ : ۳۰ م . ن (۲)

(٣) جامع البيان ٢٩ : ١٥١ التبيان ٧ : ١٨٧

(٤) النهاية في غريب الحديث ٣ : ٥

(٥) جمهورة اللغة ٢ : ٣٣٨ ، الصحاح ٢ : ٧١٦ ، لسان العرب ٦

١٤٦ ، تاج العروس ٣ : ٣٤٣ ، وكذا فسرها ياقوت في شرحه لـ مـادة صور انظر معجم البلدان ٣ : ٤٣٣ ، وانظر

هذه الأسماء اسم جمیع جنسه فإذا أفردت واحدته زیدت فبـه هاء لأن
جمع هذا الباب سبق واحدته ، ولو ان الصوفة ، كانت سابقة الصوف
لقالوا صوفة وصوف وبسرة وبسر كـما قالوا غرفة وغرف ، وزلقة
زائف . اما الصور القرآن فهو واحد لا يجوز ان يقال واحدته صورة ،
وانما تجتمع صورـة الانسان صورـاً ، لأن واحدته سبقت جمعه) (١) .
وقال ابو الهيثم) (٢) مناقشـاً أبا عبيدة متهمـه بقلة معرفـته باللغـة ، والغـريب
قال (ولا نعلم احدـاً من القراء قرأـها فأحسنـ صورـكـم وكـذلك قال
ونـفعـ في الصورـ ، فمن قـرأـ ونـفعـ في الصورـ او قـرأـ فأحسنـ صورـكم
فقد افـهـى الكـذـب وبدـلـ كتابـ الله ، وكانـ ابو عـبيـدة صـاحـبـ اخـبارـ ،
وغرـيبـ ولمـ يكنـ لهـ مـعـرـفـةـ بالـنـحـوـ) (٣) ، ولكنـ ابا عـبيـدة لـيـسـ وـحدـهـ
الـقـائلـ بـهـذـاـ الرـأـيـ فقدـ مـرـتـ بـنـاـ آـنـفـاـ قـرـاءـةـ الحـسـنـ البـصـرـيـ والـيـ فـيـهـ
تأـيـيدـ لـمـ قـالـهـ بـعـدـ اـبـوـ عـبـيـدةـ) (٤) .

ويضاف الى الأدلة التي تعاضـدت على تفسـير الصـورـ بالـقرنـ انـ البيـئةـ
الـعـربـيةـ تعـضـدـناـ فيـ هـذـاـ التـفـسـيرـ ، ذـلـكـ لأنـ القـرـونـ مـاـ توـفـرـ فيـ حـيـاةـ العـربـ
ولـابـدـ أنـهـمـ استـغـلـواـ وـفـرـتـهـاـ فيـ الـاسـتـفـادـةـ مـنـهـاـ فيـ بـعـضـ شـؤـونـ حـيـاتـهـمـ ،
منـ ذـلـكـ اـخـاذـهـمـ الـقـرـنـ آـلـهـ فيـ اـنـامـ حـيـاـكـهـ الشـيـابـ ، وـهـيـ تـلـكـ الـيـ
يـسـمـونـهـاـ بـالـصـيـصـيـةـ . قالـ اـبـنـ درـيدـ ، (صـيـصـيـةـ الـحـائـثـ : الشـوـكـةـ
الـيـ يـمـدـهـاـ عـلـىـ الثـوـبـ وـانـشـدـ لـدـرـيدـ بـنـ الصـمـةـ :) (٥)

- Arabic English Lexicon , Book I , Part 4 , P. 1744 .

(١) لـسانـ العـربـ ٦ : ١٤٦

(٢) لمـ اـعـتـرـ عـلـىـ تـرـجـمـتـهـ

(٣) لـسانـ العـربـ ٦ : ١٤٦ وـانـظـرـ اـيـضاـ قولـ اـبـيـ عـلـيـ فـيـ المـخـصـصـ ١ : ٥٣

(٤) انـظـرـ صـ ١٦

(٥) درـيدـ بـنـ الصـمـةـ الجـشـميـ شـاعـرـ جـاهـلـيـ قـيلـ عمرـ مـائـيـ سـنـةـ حـتـىـ سـقطـ

فَجَئْتُ^١ إِلَيْهِ وَرَمَحْ^٢ تَنْوِشَهُ كَوْقَعِ الصَّيَاصِيِّ فِي النَّسِيجِ الْمُمَدَّدِ
وَاصْلِ الصَّيِّصِيَّةِ الْقَرْنِ) (١) وَاسْتَعْمَلَ الْقَرْنُ كَذَلِكَ لَقْلَعَ التَّمَرِ ،
وَاطْلَقَ عَلَيْهِ أَيْضًا اسْمَ الصَّيِّصِيَّةِ (٢) ، وَهُنَاكَ مُجَالٌ آخَرُ اسْتَعْمَلَتْ فِيهِ
الْقَرْنُ ، وَذَلِكَ أَنَّهَا تَرْكَبُ فِي الرَّمَحِ مَكَانَ الْأَسْنَةِ كَمَا يَقُولُ الْجَوَهْرِيُّ (٣)
وَرَبِّما كَانَ هَذَا الْاسْتَعْمَالُ أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِهِ نَظَرًا لِاِلْهِمَةِ الرَّمَحِ وَالسَّلَاحِ فِي
الْبَيْتَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْجَزِيرِيَّةِ .

وَكُلُّ هَذَا يَدْلِنَا عَلَىِ اِلْهِمَةِ الْقَرْنِ فِي الْبَيْتَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَيَقْرَبُ لَنَا
مَعْنَى الصُّورِ وَكُونِهِ الْبُوقِ الَّذِي يُصْنَعُ مِنَ الْقَرْنِ . إِلَّا أَنَّنَا نَفْقَرُ فِي
هَذَا الْبَابِ إِلَى الشَّوَاهِدِ الشَّعُورِيَّةِ ، وَذَلِكَ لَأَنَّهُ لَمْ يَرِدْ فِيمَا وَصَلَّى الْبَنَانِ مِنْ
الشِّعْرِ الْجَاهِلِيِّ ذِكْرُ لِلصُّورِ إِلَّا الشَّاهِدُ الَّذِي أُورَدَهُ الْجَوَهْرِيُّ وَهُوَ :
لَقَدْ نَطَحَنَا هُمْ عَنْدَاهَا جَمِيعَنِ نَطَحًا شَدِيدًا لَا كَنْطَحٌ الصُّورَيْنِ (٤)
وَلَا يُعْكِنُ الاعْتِمَادُ عَلَى هَذَا الشَّاهِدِ ، لَأَنَّهُ لَمْ يَنْسَبْ إِلَى قَاتِلِهِ ، وَلَمْ
يَقُلْ الْجَوَهْرِيُّ أَنَّ مَفْرَدَ الصُّورَيْنِ هُوَ نَفْسُ الصُّورِ الَّذِي يَنْفَخُ فِيهِ بُومُ
الْقِيَامَةِ :

وَهُنَاكَ لِفَظَةُ عِبْرِيَّةِ الْأَصْلِ ، تَقَارِبُ مَعْنَى الصُّورِ وَدَلَالَتِهِ ، تَلَكَ هِيَ
كَامَةُ الشَّبَّوْرُ الَّتِي تَعْنِي الْبُوقَ وَهِيَ فِي الْأَصْلِ شَوْفَارٌ : وَكَانَ يَسْتَعْمَلُ فِي
— حَاجِيَّهُ عَلَى عَيْنِيهِ وَادْرَكَ الْإِسْلَامَ وَلَمْ يَسْلِمْ ، وَقُتِلَ بُومُ حَنْينَ كَافِرًا . اِنْظُرْ
الْمُعْمَرُونَ : ٢٧ المؤْتَلِفُ وَالْمُخْتَلِفُ : ١٦٣ .

(١) الصَّحَاحُ ٣: ١٠٤٤ ، وَانْظُرْ أَيْضًا غَرِيبَ الْحَدِيثِ : ٨٤ ، الْمُخْصَصُ ١٢
٢٦ ، لِسَانِ الْعَرَبِ ٨: ٣١٨

(٢) لِسَانِ الْعَرَبِ ٨: ٣١٩

(٣) الصَّحَاحُ ٣: ١٠٤٤ ، وَانْظُرْ أَيْضًا لِسَانِ الْعَرَبِ ٨: ٣١٨

(٤) الصَّحَاحُ ٣: ١٠٤٤

الاعياد الكبرى كرأس السنة ، والعيد الاكبر عيد الصيام (١) ، وأول من اشار الى اصلها العربي - فيما وصل اليها - هو ابن الاثير حين قال (وفي حديث الاذان ذكر له الشبُور ، وجاء في الحديث تفسيره انه البوق ، وفسره ايضاً بالقبيع ، واللفظة عبرانية) (٢) ونجد في روایات اخرى ذكرآ للبوق ، وان الرسول (ص) اراد ان يجعل بوقاً كبوق اليهود الذي يكون اصلاحتهم ثم كرده ، ثم امر بالناقوس ففتحت) (٣) . وبوق اليهود هذا سمي في روایات اخرى بالقرن (قرنا مثل قرن اليهود) (٤) والظاهر ان الرسول (ص) كرده اتخاذ البوق لانه آلة ينفع فيها اليهود ، وهم ما عليه منبغض والكراهية للإسلام .

كل هذا يقدم لنا صورة للفظة الشبُور العربية ، ودلائلها الواضحة في الذهن العربي ، وقد ورد ذكرها في الاستعمال اللغوي مقتربة باليهود (٥) ومع ان هذه الكلمة تعطينا نفس الدلالة التي توحّيها كلمة الصور ، وانها القرن الذي ينفع فيه فمن المستبعد ان يقال ان كلمة الصور متطرفة عن الاصل العربي الشبُور او الشوفار لتباين مخارج حروفها وعدها (٦)

(١) هكذا حققها الاستاذ عبد السلام هارون في هامش كتاب الحيوان

٤ : ٥٢٥

(٢) النهاية في غريب الحديث ٢ : ٢٠٢

(٣) سيرة النبي ٢ : ١٢٨ ، وانظر ايضاً ذيل مقال الالفاظ السريانية مجلة

المجمع العلمي العربي م ٢٦ ح ٤ : ٤٨٧

(٤) صحيح مسلم ١ : ٢٨٥ ، سنن الترمذى ١ : ٣٦٢ سنن النسائي ٢ : ٢

(٥) الحيوان ٤ : ٢٥ مجالس العلماء : ١٨

(٦) مع ان السين مقارنة للصاد فان إقحام الباء هنا يبعد كون الصور متطرفة عن الشبُور وقد استأنست في هذا برأي الاستاذ ابراهيم السامرائي -

الا ان معرفة الشبور يعطينا صورة لمعرفتهم البوق الذي ينفع فيه ، وإنما كان يُصنع من القرن في اكثـر الاحيان ، وكان يستعمل للنـفـير ، والتنـبـيه ، ومن هنا جاء التعبير القرآني (الصـور) والذـي فـسر بالقرن ليـرسم صـورة النـفـير لـيـوم الـقيـامـة ، وـانـه يـكون بـالـنـفـخ فـيـه ، وـتـنبـيه النـاسـ من قـبـورـهم ، وـمـا يـؤـيد تـفسـير الصـور بـالـبـوق ، ان ذـكـر الـبـوق وـردـ فيـ التـورـاة بـأـنـ النـاسـ يـحـشـرونـ من قـبـورـهم عـلـى صـوـته المـفـزع (١) .

اما التعبير الآخر الذي يصور لنا آلة النـفـير فهو النـاقـور . قال الله تعالى : (فـاـذا نـقـيرـ فـيـ النـاقـورـ فـذـلـكـ يـوـمـ عـسـيرـ ، عـلـىـ الكـافـرـينـ غـيـرـ يـسـيرـ ، دـرـنـيـ وـمـنـ خـلـقـتـ وـحـيـداـ ، وـجـعـلـتـ لـهـ مـاـلـاـ مـدـودـاـ ، وـبـنـنـ شـهـوـداـ ، وـمـهـدـتـ لـهـ تـقـمـيـداـ ، ثـمـ يـطـمـعـ اـنـ اـزـيـداـ ، كـلـاـ اـنـهـ كـانـ لـآـيـاتـنـا عـنـيـداـ . سـأـرـهـيـقـهـ صـعـودـاـ) (٢) .

لقد فـسـرـ مـعـظـمـ المـفـسـرـينـ النـاقـورـ باـنـهـ آـلـةـ يـنـفـخـ فـيـهاـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ اـعـلـانـاـ وـتـنـفـيرـاـ وـقـرـنـواـ بـيـنـهـ وـبـيـنـ الصـورـ (٣) . وـقـدـ اوـرـدـواـ الـحـدـيـثـ الـشـرـيفـ الـذـي مـسـرـ اـنـفـاـ فيـ تـفـسـيرـ الصـورـ (كـيـفـ اـنـعـمـ وـصـاحـبـ الـقـرـنـ ، قـدـ التـقـمـ الـقـرـنـ ، وـحـنـىـ جـبـهـتـهـ) (٤) .

اما الفـرـيقـ الثـانـيـ فـكـاـ فـسـرـواـ الصـورـ عـلـىـ اـنـ جـمـعـ صـوـرةـ ، فـكـذـلـكـ

ـ باـعـتـيـارـهـ مـتـخـصـصـاـ فـيـ الـلـغـةـ الـعـرـبـيـةـ وـالـأـسـتـاذـ مـصـطـفـيـ جـوـادـ ، وـلـمـ يـشـرـ إـلـىـ أـصـلـهـ غـيـرـ الـعـرـبـيـ اـحـدـ مـنـ الـذـيـنـ كـتـبـواـ فـيـ الدـخـيلـ كـالـجـلـوـ الـبـيـ وـالـسـيـوـطـيـ وـالـخـفـاجـيـ وـغـيـرـهـ

(١) انـظـرـ الـكـتـابـ الـمـقـدـسـ مـتـىـ ٢٤ـ :ـ ٣١ـ ،ـ تـسـالـوـنـيـكـ ٤ـ :ـ ١٥ـ

(٢) سـوـرـةـ الـمـدـرـ ٧٤ـ :ـ ٧ـ — ١٦ـ

(٣) غـرـيـبـ الـقـرـانـ :ـ ٢٤٩ـ ،ـ جـامـعـ الـبـيـانـ ٢٩ـ :ـ ١٥١ـ التـبـيـانـ ١٠ـ :ـ ١٧٤ـ ،ـ

وـكـذـاـ قـالـ الـخـلـيلـ فـيـ الـعـيـنـ الـوـرـقةـ ٣٦ـ

(٤) جـامـعـ الـبـيـانـ ٢٩ـ :ـ ١٥١ـ

فسروا الناقور . ذكر الطبرى (الناقور الصور ، والصور الخلق^١) (١) وروي عن ابن الاعرابي انه فسر الناقور بالقلب (٢) فكان النفح يكون سبباً لاحياء القلوب ونستبعد هنا هذا التفسير لأن احياء الآيات الكريمة بعيد عن معنى القلب وقد مر بنا تفنيد هذا الرأي حين فسر به الصور . اما تفسير الناقور بالقرآن فهو الذي عليه معظم اللغويين (٣) ، وهذا التفسير أمر يلفت النظر لأن اول ما توجيهه الكلمة النقر هو الضرب الذي يستتبعه صوت ما ، وهو معنى يرسم في الذهن صورة الدف (٤) الذي هو بعيد عن معنى الصور ، والبوق لاختلاف موحيات كل منهما عند سماع صوتهما . ويستند معنى النقر ، والضرب قول ابن فارس : (النون والقاف والراء اصل يدل على فرع شيء حتى تهزم فيه هزمه ثم يتتوسع^٥ فيه) (٥) . والذي يقارن بين معنى النقر الذي هو النفح في تفسير من فسر الناقور بالصور ، وبين معنى الضرب والقرع يجد لاول وهلة ان هناك هوة بعيدة بينهما ، وبخيل اليه انه لا رابط بين المادتين ، ولكن محاولة ترتيب التدرج التاريخي لمعنى الكلمة ، تفيدها في فهم الدلالتين المختلفتين .

(١) جامع البيان : ٢٩ : ١٥١

(٢) أسان العرب ٧ : ٨٩

(٣) غريب القرآن : ٢٤٩ ، جامع البيان : ٢٩ : ١٥١ ، البيان : ١٠ : ١٧٤

وكذا قال الخطيب في العين : الورقة (٣٦)

(٤) وقد ورد النقر مقترنا بالدف في قول عامر بن عمرو :

ولا تنقرني نقرك الدف دائمًا فانما لا تدرني ككيف المغيّب^{*}

الخمسة البصرية : الورقة ١٨٤ (ب)

(٥) مقاييس اللغة ٥ : ٤٦٨

وأقرب المعاني لكلمة النقر هو نقر الخيل الأرض بحوارتها ، وذلك اذا اسرعت في سيرها فصوتت يسراها ، واحتفرت الأرض ، قال الليث (١) (انقرت الخيل بحوارتها نقرأ أي احتفتر) بها (٢) . وقد وردت بهذا المعنى في شعر المرقش الاكبر (٣) واصفاً سير ذاته من وجيف ، وابسام ، ونقر :

وَجِيفٌ وَإِبْسَامٌ وَنَقْرٌ وَهَزَّةٌ
إِلَى أَنْ تَكُلَّ الْعِيْنُ وَالْمَرْءُ حَادِسٌ (٤)

وقال عمرو بن الاهتم (٥) :

وَقَوْمٌ يَنْظَرُونَ إِلَيْهِ شَزْرًا عَوْنَهُمْ مِنَ الْبَيْضَاضَاءِ عُورُ
قَصَدُّتُ لَهُمْ بِمَخْزِيَّةٍ إِذَا مَا أَصَاخَ الْقَوْمُ وَأَسْتَعْمَعَ النَّقِيرُ (٦)

(١) الليث بن المظفر ، وقيل بن نصر بن سيار الخراساني ، كان من اكتب الناس في زمانه بارعاً في الادب ، بصيراً بالشعر ، والغرب ، والنحو . امني الخليل عليه كتابه العين . وقال الاذهري انه اذ حل كتاب العين للخيل ، ليرغب فيه . انظر نزهة الالباء : ٢٩ ، بغية الوعاة : ٣٨٣

(٢) لسان العرب ٧ : ٩٠

(٣) هو عمرو بن معد بن هالك بن ضبيعة شاعر من مُستَبِّمي العرب ، وفرسانها انظر المؤتلف والمختلف : ٢٨١

(٤) المفضليات : ٢٢٥

(٥) هو عمرو بن سنان بن خالد كان ميدا من سادات تميم خطيبا بلغة شاعرا ، وقد قدم الى رسول الله (ص) مع وفد تميم وهو الذي قال الرسول (ص) عن كلامه (إن من البيان لسحرا) توفي حوالي سنة ٥٧ ه انظر البيان والتبيين ١ : ٥١ لباب الآداب ٣٥٥ الاصادبة ٢ : ٥١٧ ، ٥١٨

(٦) المفضليات : ٤١١

وقد فسر الاستاذ عبد السلام هارون النمير هنا من النواقر وهي الدواهي ، وقال انه معنى لم يرد في المعاجم (١) ، والذي يبدو ان تفسير النواقر بالدواهي هنا بعيد ، وانما يصيغ القوم لوقع قوائم الخيل المسرعة نحوهم ، فتكون الدهاية نتيجة الغارة ، ونفر الخيل الأرض بجوارها وسرعة هجومها عليهم :

والملاحظ في هذا الاستعمال المادي انه يجمع بين الصوت الشديد ، وبين ما يتبع هذا الضرب من السير من قرع الأرض ، وحفرها ، وهو اصل مادي ملازم للبيئة العربية التي تَعُود فيها العربي الغارات المفاجئة وسرعة الخيل حين تضرب الأرض بقوه فتقرب فيها نَقْرَا صغيرة .
ومن هذا الصوت الذي تثيره الخيل بقوائمها استعملت الكلمة في مجال آخر وهو التصوير الذي يسكن به الفرس ، وقد وصفه الخليل بقوله : (النَّقْرُ أَنْ تُلْزِقَ لِسَانَكَ بِحَنْكِلَ ثُمَّ تُصُوتَ وَقَدْ نَقَرْتَ بِالدَّابَةِ) (٢) . وقد نقل المبرد قول الشاعر :
إذا ابنُ ماويةَ إِذْ جَدَ النَّقْرَ (٣)

فقال معلقا عليه : (يَرِيدُ النَّقْرَ يَا فَتِي ! وَهُوَ النَّقْرُ بِالخَيْلِ . . .)
النمير : صویت باللسان يسكن به الفرس اذا اضطرب بفارسه قال امرؤ القيس :
أَخَفَضَهُ بِالنَّقْرِ لِمَا عَلَوْتُهُ وَبَرَّقَ طَرَفًا غَيْرَ جَافِ غَضِيبِ (٤)

(١) المفضليات : ٤١١

(٢) الخليل عن المخصوص ٦ : ١٨٢ ، وانظر ايضاً الصحاح ٢ :

٨٣٤ ، الافعال : ١١١ ، اسماء البلاغة : ٩٨٥ ، لسان العرب ٧ : ٨٨

(٣) الكامل : للمبرد ٢ : ٥٠٢

(٤) ن . م والشطر الثاني من قول ابن ماوية (وجاءت الخيل أثابي زمر)

لسان العرب ٥ : ٨٨ والظاهر ان الشاعر لم يقصد بقوله هذا الصوت الذي -

والنقر أيضاً تصوّرت الأصابع وذلك : (ضمـك الـابهـامـ إلى طـرفـ الوـسـطـىـ ثمـ تـسـقـرـ فـيـسـمعـ صـاحـبـكـ ذـلـكـ) (١) .

هذه هي المعانـيـ التيـ اقتـرـنـتـ فيـ ايمـاءـاتـهاـ ،ـ بـنـقـرـ الخـيلـ ،ـ وـمـنـهـاـ أـيـضاـ تـطـورـ مـعـنـيـ آخرـ وـهـوـ قـوـلـمـ :ـ النـقـرةـ ،ـ الـخـفـرـ ،ـ (٢)ـ ثـمـ أـطـلـقـتـ عـلـىـ الـآـبـارـ وـعـلـىـ كـلـ مـنـخـفـضـ (٣)ـ .

ونجد للنـقـرـ معـنـيـ حـسـياـ آـخـرـ مـسـتـمـدـاـ مـنـ مـعـنـيـ الـخـفـرـ ،ـ وـذـلـكـ انـ يـسـقـرـ الخـشـبـ فـتـحـفـرـ فـيـ نـقـرةـ لـغـرـضـ مـنـ الـأـغـرـاضـ (٤)ـ .

ونستعيد الآيات الكريمة التي وردت فيها كلمة الناقور . (فـاـذـاـ نـقـرـ فـيـ النـاقـورـ فـذـلـكـ يـوـمـ مـثـدـ يـوـمـ عـسـيرـ ،ـ عـلـىـ الـكـافـرـينـ غـيـرـ يـسـيرـ ،ـ ذـرـنـيـ وـمـنـ خـلـقـتـ وـحـيـداـ ،ـ وـجـعـلـتـ لـهـ مـالـاـ مـدـودـاـ ،ـ وـبـنـنـ شـهـوـدـاـ ،ـ وـمـهـدـتـ

ـ يـسـكـنـ بـهـ الفـرـسـ ،ـ وـإـنـماـ المـقـصـودـ بـهـ سـرـعـةـ الـخـيلـ فـيـ الـحـرـوبـ وـهـوـ الـذـيـ يـفـتـحـرـ بـهـ اـبـنـ مـاـوـيـةـ اـذـ يـكـوـنـ أـهـلـاـ لـلـحـرـوبـ وـالـغـزـوـاتـ الـتـيـ تـسـمـعـ فـيـهـاـ قـوـائـمـ الـخـيلـ الـسـرـعـةـ وـجـوـومـهـاـ عـلـيـهـ زـمـراـ كـثـيرـةـ ،ـ وـهـوـ الـمـعـنـيـ الـذـيـ يـكـلـلـ الشـطـرـ الثـانـيـ ،ـ وـرـبـماـ جـاءـ حـدـيـثـ الـمـبـرـدـ عـنـ النـقـرـ الـذـيـ هـوـ التـصـوـيـتـ عـلـىـ سـبـيلـ الـاسـطـرـادـ ،ـ وـبـيـتـ اـمـرـىـ الـقـيـسـ فـيـ دـيـوـانـهـ :ـ ٧ـ٥ـ .

(١) الصـحـاحـ ٢ـ :ـ ٨ـ٣ـ٥ـ ،ـ لـسانـ الـعـربـ ٧ـ :ـ ٨ـ٩ـ .

(٢) الغـرـيبـ الـمـصـنـفـ :ـ الـرـرـقـةـ ٢ـ٤ـ٥ـ ،ـ لـسانـ الـعـربـ ٧ـ ،ـ ٩ـ٠ـ ،ـ وـانـظـرـ أـيـضاـ قـوـلـ الـخـيـلـ السـعـدـيـ فـيـ الـمـفـضـلـيـاتـ :ـ ١ـ١ـ٦ـ .

(٣) الغـرـيبـ الـمـصـنـفـ الـرـرـقـةـ ٢ـ٤ـ٥ـ ،ـ مـقـايـيسـ الـلـغـةـ ٥ـ :ـ ٤ـ٦ـ٨ـ ،ـ لـسانـ الـعـربـ ٧ـ :ـ ٨ـ٦ـ ،ـ ٩ـ .ـ وـانـظـرـ أـيـضاـ قـوـلـ الـخـيـلـ السـعـدـيـ فـيـ الـمـفـضـلـيـاتـ :ـ ١ـ١ـ٦ـ ،ـ دـيـوـانـ اـبـنـ مـقـبـلـ :ـ ٣ـ٤ـ١ـ ،ـ

(٤) الصـحـاحـ ٢ـ :ـ ٨ـ٣ـ٥ـ مـقـايـيسـ الـلـغـةـ ٥ـ :ـ ٤ـ٦ـ٩ـ ،ـ أـسـاسـ الـبـلـاغـةـ ٩ـ٨ـ٥ـ ،ـ لـسانـ الـعـربـ ٧ـ :ـ ٨ـ٦ـ .ـ

له تمهدًا ، ثم يطبع ان ازيدا ، كلا انه كان لا ياتنا عنيدا ، سأرهقه^١
صعودا) (١) . ومن سياق هذه الآيات يتضح لنا معنى الناقور ، وكيف
انهم قرروا بينه وبين الصور آلة التغير فإذا كان الصور أشبه ما يكون بالبوق
وانه اطلق آنذاك على القرن يتفخون فيه فان الناقور الذي جعل مرادفًا له
عند بعض المفسرين يكون على هذه الشاكلة ويقرب نقر الخشب صورته ! وذلك
ان تقر الخشبة حتى تصبح مجوفة ينفع فيها ، ويفيدنا في رسم هذه الصورة
قولهم التغير ، لاصل الخشبة التي تقر فيُمْبَدَّ فيها الرطب والبسـر (٢) ، مما
يعطينا صورة للنقر الذي يجوف الخشبة أو أي آلة يعمل فيها .

وبما ان النقر قد اقترب بالصوت المزعزع وهو نقر الخيل في الشدائـد
فإنـا نستطيع ان نجد في الآية الكريمة إيماء آخر في رسم صورة الفزع الأـكـبر
الـذـي يحيطـ النـفـخـ بـالـصـوـرـ وـالـنـاقـورـ وـكـيفـ اـنـهـ يـرـهـ مـنـ يـسـعـهـ ، وـيـجـعـلـ
الـكـافـرـ موـقـنـاـ بـالـمـصـيـبـةـ الـعـظـيـمـةـ الـتـيـ سـتـحـلـ بـهـ ، وـيـذـكـرـهـ هـذـاـ بـالـرـاعـبـ وـالـفـزعـ
الـذـيـ يـشـعـرـ بـهـ حـينـ يـسـمـعـ نـوـاقـرـ خـيـلـ الـأـعـدـاءـ الـقـوـيـةـ وـيـسـاعـدـهـ جـوـ الـآـيـاتـ
الـعـامـ عـلـىـ هـذـاـ التـصـوـرـ وـهـوـ مـعـنـىـ وـاضـحـ الـلـامـحـ عـمـيقـ الـصـلـةـ بـالـبـيـةـ الـعـرـبـيـةـ
الـتـيـ كـثـرـتـ الـغـارـاتـ فـيـهـاـ وـتـعـوـدـ الـعـرـبـ صـرـيـخـ الـخـيـلـ وـسـرـعـةـ سـيرـهـاـ ، وـمـاـ يـجـعـلـهـ
نـقـرـ قـوـائـمـ الـخـيـلـ خـاصـةـ عـنـدـ الـغـارـاتـ مـنـ مـعـنـىـ الـفـزعـ وـالـهـولـ مـاـ يـقـرـنـ يـوـمـ
الـقـيـامـةـ بـصـورـةـ الـفـزعـ وـالـرـاعـبـ الـمـاجـيـ ، وـهـوـ مـعـنـىـ تـشـرـكـ فـيـهـ كـلـ التـعـابـيرـ
الـتـيـ تـخـصـ الـقـيـامـةـ مـنـذـ سـاعـةـ التـغـيرـ .

وبما ان النقر قد اقترب بالصوت المزعزع الى جانب معنى الضرب والخفـرـ
فـانـ إـيمـاءـ آخرـ يـضـافـ إـلـىـ الـكـلـمـةـ ، وـهـوـ دـلـالـتـهـ عـلـىـ الصـوـتـ . وـهـذـاـ الـمـعـنـىـ
هـوـ الـذـيـ فـسـرـ بـهـ بـعـضـهـمـ قولـ طـرـفةـ المشـهـورـ :

(١) سورة المدثر ٧٤ : ٨ - ١٧ .

(٢) الصبح ٢ : ٨٣٥ ، لسان العرب ٥ : ٨٦ .

ياللّٰهِ مَنْ قُبَّرَةٌ بِمَعْنَى
خَلَائِكَ الْجُوُّ فَبَيْضِي وَاصْفَرِي
وَنَقْرِي مَا شَتَّتَ أَنْ تُنَقَّرِي
قَدْ رَحَلَ الصَّبَادُ عَنْكَ فَابْشِرِي (١)

فقييل التنصير مثل الصفير (١).

أما معنى النفح الذي يفهم من الكلمة النقر (فإذا نُقِرَ في الناقور) فذلك يسمى مثلاً يوم عسيراً (٣) فهو معنى جديد اكتسبه الكلمة من طبيعة استعمال الآلة حيث ينفع فيها . ونستطيع ان نقول ان الكلمة النقر قد ضممتْ معنى النفح في الآية الكريمة على اسلوب العرب في تضمين كلامهم معاني لم يعرفوها من قبل (٤) . ومن هنا عدّي الفعل (نقر) بالحرف (في) واستعمال هذا الحرف هو الذي يبعد معنى الضرب الذي قد يتبدّل الى الذهن فلو كان معنى النقر كذلك لقيل نُقِرَ الناقور ، أو نُقِرَ بالناقور كما قيل نَفَرَتُ الشيءَ ثَقْبِتُهُ بالمنقار ، ونَفَرَ الطائرُ الحبَّ بمنقاره ، ونَفَرَ النقارُ الرحي بمنقاره ، ونَفَرَ العود ، والدف ، ونَفَرَ رأسه باصبعه فقرة (٥) أما تعدياة النقر بالحرف (في) فإنه يقوى ماذهب الله المفسرون

١) دیوان طرفه : ۱۹۳

(٢) الأزهري عن لسان العرب ٥: ٨٧ ، الصبحان ٢: ٨٣٦ ، ومن الجائز
أن يراد بالنقر هنا المعنى المادي وهو التقاط الحب .

(٣) سورة المدثر ٧٤: ٧.

(٤) قال ابن هشام في موضوع التضمين : (قد يشربون لفظاً فيعطونه حكمه ويسمى ذلك تضميناً ، وفائدة أنه تؤدي كلمة مؤدي كلمتين) . مغنى الليبي ٦٨٥:٢ ، وانظر أيضاً شرح الفية ابن مالك ٤:١ ، ٥ ، هم الموابع ١٣٠:٢

(٥) الصحاح ٨٣٤،٢ ، أساس البلاغة : ٩٨٤ ، لسان العرب ٧:٨٠ ، ٨٦

من ان معنى النفر هو النفح وان الناقور هو الذي ينفع فيه .
ومن هذين التعبيرين تتشكل الصورة الأولى للنفير في يوم القيمة ، اذ
يدعى الناس ، ويحشرون من قبورهم على صوت مفزع يبعث من آلة هي
الصور أو الناقور ، وقد ورد في الكتاب القديم ذكر للبوق الذي ينبع الناس
ويحشرهم من قبورهم (١) ، مما يؤكّد تفسير الصور والناقور على اتها آلات
ينفع فيها يوم القيمة .

ب - الداعي والمنادي

أما الصورة الثانية فيشكلها تعبيران آخران هما الداعي والمنادي فقد ورد
الداعي في قوله « وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّ نَسْفًا ،
فَيَنْدَرُهَا قَاعًا صَفَصَفًا ، لَا رَزِّ فِيهَا عِوْجًا وَلَا أَمْتَا ، يَوْمَئِذٍ يَسْتَبِعُونَ
الداعي لِأَعْوَاجَهُ ، وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا
هَمْسًا » (٢) . وقال أيضاً : « فَتَنَوَّلَ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ
نُكَرٌ ، خُشِّعَتِ أَبْصَارُهُمْ يَسْخُرُ جُنُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ
مُهْطَعِينَ إِلَى الدَّاعِ ، يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ » (٣) . فالداعي
في هذه الآيات الكريمة هو الذي يدعو الناس إلى موقف القيمة فيحشرهم
إليه (٤) ، وقد خشت أبصارهم ، ونُكست رؤوسهم وأدرّوكوا حقيقة النفر

(١) جاء في سفر متى ٢٤: ٣١ (وَيَرْسِلُ مَلَائِكَتَهُ بِبُوقٍ ، وَصَوْتٍ عَظِيمٍ ،
فِي جَمِيعِهِنَّ مُخْتَارِيهِ مِنَ الرِّيَاحِ الْأَرْبَعِ مِنْ أَفَاصِي السَّمَاوَاتِ إِلَى أَفَاصِيهَا) ، وَانْظُر
أيضاً سفر تسالونيكي ٤: ١٥ .

(٢) سورة طه ٢٠: ١٠٥ - ١٠٨ .

(٣) سورة القمر ٦: ٥٤ - ٨ .

(٤) جامع البيان ٢٦: ٢٧ ، ٢١٤: ٨٩ ، التبيان ٩: ٤٤٥ .

الذي يدعوهم ، واذا كان السياق العام هو الذي يوحى لنا بهذه الصورة المرعبة فان كلمة الداعي وحدها تعطي من الصور والايحاءات المتعددة ما يزيد ملامح صورة التفير وضوحاً ويعكس لنا جوانب متعددة من البيئة العربية . فالداعي في المجال الغوي استعمل للدلالة على معانٍ مختلفة قد تبدو بعيدة الأصل عن المعنى القرآني ، ولكن معرفة الصور الحسية التي تفرعت عنها تعيننا على ربط المعاني بعضها ببعض ، وفهمها من التعبير القرآني الكريم . ومن الصور الحسية الأولى الواردة في الشعر الجاهلي صورة تداعي الكثيب اذا تحرك بعض الرمل فانهال وانهدم ، قال ابن منظور (تداعى الكثيب من الرمل اذا هيل ، فانهال) (١) . قال النابغة ذاكرأ الكثيب المتداعي .
تَخْفِي بِأَظْلَافِهِ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ

يُبُسِّسَ الْكَثَيْبَ تَدَاعِي التُّرْبُ فَانْهَدَمَا (٢)

وقال زهير بن أبي سلمى واصفاً صورة قريبة من صورة النابغة :
يَمْرِي بِأَظْلَافِهِ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ

يُبُسِّسَ الْكَثَيْبَ تَدَاعِي التُّرْبُ فَانْسَخَرَ قَا (٣)

فسرعة سير الثور ، وركضه ، تهدم الكثيب ، وتهليل رابه مرة واحدة وهذا هو الذي يطلق عليه اسم التداعي ، وقال طرفة متغلاً :
وَإِذَا قَامَتْ تَدَاعِي قَاصِفٌ مَا لَمْ أَعْلَمْ كَثَيْبٌ مُنْقَعِرٌ (٤)

(١) لسان العرب ١٨ : ٢٨٧ .

(٢) أمالى المرتضى ٢ : ١٣ ، والبيت غير موجود في ديوان النابغة الذى يانى ومقارنته ببيت زهير المذكور أعلاه يثير الشك في نسبةه إلى قائله .

(٣) شرح ديوان زهير : ٤٦ .

(٤) ديوان طرفة . ٧٣ .

أما داعية اللبن فهو ما يترك في الفرع ليدعو ما بعده (١) . وقد ورد في الحديث النبوى الشريف ، ان الرسول (ص) قال لرجل بعثه لطلب ناقته أنْ دَعْ داعيَ اللَّبَنِ (٢) وقال ابن منظور شارحاً قول الرسول (ص) السابق : أي ابق في الفرع قليلاً من اللبن ، ولا تستوعبه كله فان الذى تبقى له فيه يدعوه ما وراءه من اللبن فينزله ، وادا استقصى كل ما فى الفرع أبطأ دره على حاله قال الأزهري : «ومعناه عندي دع ما يكون سبباً لنزول الدرة ! وذلك ان الحال اذا ترك في الفرع لأولاد الحالات لينتهى ترضعها طابت أنفسها فكان أسرع لافاقتها» (٣) .

وحركة تداعي الكثيب واضحة في داعية اللبن ، ولكنها على صورة أخرى فهي أيضاً حركة ناتجة عن وجود أخرى سابقة لها ، وهي البقية القليلة من اللبن التي تستدعي نزول ما بعدها الا ان ماتوحشه من الصور بعيد عن معنى داعي التغير لأن في اللبن إحياء الخير والفرح ، أما داعي التغير فإنه محاط بالفزع ، والهول وما يتبع ذلك من صور رهيبة مرعبة . ومن هذا الاستعمال المادي جاء قولهما الحجازي : «تداعت عليهم القبائل من كل جانب اجتمعوا عليهم وتآتت بالعداوة» (٤) . وبهذا المعنى وردت في الحديث النبوى الشريف (٥) .

(١) الصدحاج ٦: ٢٣٣٧ ، مقاييس اللغة ٢: ٢٨٠ ، ثمار القلوب : ٤٩٤

أساس البلاغة : ٢٧٢ ، لسان العرب ١٨ : ٢٨٢ .

(٢) مسنن الإمام أحمد ٤: ٧٦ ، وانظر أيضاً سنن الدارمي ٢: ٨٨ .

(٣) لسان العرب ١٨: ٢٨٤ ، انظر أيضاً المخصص ٧: ٤٠ .

(٤) أساس البلاغة ٢٧٢ ، وانظر شواهد الشعر في الطائفة الأدبية : ١٤ .

(٥) مسنن الإمام أحمد ٤: ٢٧٨ ، ٢٧٨، ٢٦٨ ، ٢٧٤ ، ٥: ١٧٨ ، سنن الدارمي

٤٢٦ ، لسان العرب ١٨: ٢٨٧ .

هذه الصور المتداخلة نستطيع ان نجد لها في أحد جوانب صورة الداعي المفزع فالناس يتراكمون نحوه ، ويتدافعون بسرعة كما تتدافع أجزاء الكثيب حين ينهال بعضها على بعض ونفهم انهم في تداعيهم ، وتدافعون نحو الداعي يسيرون بصورة تلقائية تماماً كما ينهال كثيب الرمل اذا تساقطت بعض اجزائه . ونستطيع أن نلمس في الداعي صورة أخرى لها دلالة أعمق للبيئة العربية ! وذلك ان الداعي أطلق في بيتهم الحرية المتنازعة على الشخص الذي يُنسقّ ويُدعى للأمر الملم الشديد ويستصرخ قومه ، فكأن صياحه يكون سبباً لتداعي قومه حوله وينحدرهم له ، وقد كثُر افتخار شعرائهم بتلبية دعوة الداعي وتسارعهم نحوه مع الفزع الذي يشيره في نفوسهم ، قال متمم بن نويرة (١) رائياً أخاه .

وقد كان مجذاماً إلى الحربِ رِكْضُهُ

سريراً إلى الداعي اذا هو أَفْزَعَهُ (٢)

أي انه كان شجاعاً بطلاً يسرع الى استجابة صرخة الداعي ، مع نا غيره يفزع منها ويهرب . وقال النابغة الجعدي (٣) مفتخرآ :

(١) متمم بن نويرة بن جمرة بن شداد بن يربوع يكنى أبا نهشل شاعر جاهلي أدرك الاسلام فاسلم وحسن اسلامه واستفرغ شعره في مرأى أخيه مالك بن نويرة الذي قتل في حروب الردة توفي نحو سنة ٣٠ هـ انظر معجم الشعراء : ١٩٤ .

(٢) أمالى اليزيدى : ١٩ .

(٣) شاعر معاشر عاش في الجاهلية والاسلام ، وقد اختلف في اسمه هل هو قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة ام حبان بن عبد الله الا انهم اتفقوا على انه من مضر وان سبب تلقبه بالنابغة لأنه قال الشعر في الجاهلية ، ثم اجل دهراً ثم نبغ بالشعر في الاسلام توفي نحو سنة ٥٠ هـ انظر طبقات فحول الشعراء ١٠٣ ، الشعر والشعراء ١: ٢٤٧ ، الأغاني ٥: ٥ ، المؤتلف والاختلاف : ٢٩٣ .

يَسْتَخْفِفُونَ إِلَى الدَّاعِي بِهِمْ وَإِلَى الضَّيْفِ إِذَا الضَّيْفُ نَزَّلَ^(١)
 وَحِينَ يَسْمَعُ صَوْتَ الدَّاعِي فِي الْحَيِّ يَسْرُعُ الرِّجَالُ نَحْوَهُ ، وَيَتَابِعُ
 رَكْضَ الْخَيلِ الْمُسَوْمَةِ إِلَى حِوْمَةِ الْقَتَالِ :
 مَنْ مَادِعٌ فِي أَسْدٍ تُسْجِبُنِي مُسَوْمَةً عَلَى خَيْلٍ صِبَامْ
 تَسْتَأْبِعُ نَحْوَ دَاعِيهَا سِرَاعًا كَمَا انْسَلَّ الْفَرِيدُ مِنَ النِّسَامَ^(٢)
 وَوَصَفَ طَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ دُعَوَةَ الدَّاعِي فِي الْحَيِّ ، وَكَيْفَ إِنَّهَا تُشَيرُ
 إِلَى الْفَزَعِ ، وَالْهَلْعِ فِي سُجُرَدِ الشَّجَعَانِ سِيَوفَهُمْ ، وَيَعْتَلُونَ جِيَادَهُمُ الظَّوَالِ السَّرِيعَةِ .
 حِينَ نَادَى الْحَيِّ لَمَّا فَزَّ عَوْا وَدَعَا الدَّاعِي وَقَدْ لَعَجَ الدَّعْمُ
 إِلَيْهَا الْفِتِيَانُ فِي مَجْلِسَنَا جَرَدُوا مِنْهَا وَرَادَا وَشَقَّرَا
 أَعْوَاجِيَاتٍ طِوَالًا شُرُبَّا دُونَخِيلَ الصَّنْعَةُ فِيهَا وَالْفَصَمْرُ^(٣)
 فَالْدَّاعِي فِي هَذِهِ الصُّورِ الْمُنَعَّدَةِ^(٤) يَعْكِسُ لَنَا جَانِبًا مِنْ جَوَابِ
 الْبَيْثَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي سَادَ فِيهَا الاضْطَرَابُ وَالْفَوْضِيُّ ، فَالْأَمْنُ مُفْقُودٌ ، وَالْأَحْيَاءُ
 مُعْرَضَةٌ لِلْغَارَاتِ الْمُفَاجِيَةِ ، وَمَا يَتَبَعُهَا مِنَ السَّلْبِ ، وَالنَّهَبِ ، وَالْقَتْلِ . . .
 وَيَأْتِي دورُ الدَّاعِي الَّذِي يَسْتَصْرِخُ قَوْمَهُ ، وَيَنْبَهُهُمُ إِلَى الْحَادِثِ الْمُفَاجِيِّ ،
 فَاسْتَهْلَكَ الدَّاعِي هُنَا يَسْتَلِزمُ صِبَامْ أَحَدٍ ، أَوْ اسْتَغَاثَةً مَهْوَلَةً تَتَبعُهَا إِجَابَةً
 مِنَ الْآخَرِينَ ، فَكَانَ فِي الْمَسَأَةِ طَرْفَيْنِ مُتَلَازِمِينَ تَلَازِمُ حَرَكَةِ الْكَثِيرِ الْأُولَى

(١) دِيْوَانُ النَّابِعَةِ الْجَعْدِيِّ : ٩٧ .

(٢) الْحَمَاسَةُ الْبَصْرِيَّةُ : الْوَرْقَةُ ٤٨ (ب) .

(٣) دِيْوَانُ طَرْفَةَ : ٨٠ طِصَادُر .

(٤) انظر شواهد أخرى للداعي في ديوان عامر بن الطفيلي : ٨٢ ، ديوان عبيد : ١٣١ ، ديوان بشر : ٨٦ ، ديوان طرفة : ٧٧ ، ديوان الشماخ : ١٠ ، المفضليات : ١٦٦ ، الوحشيات : ٤٣ ، العين : ٤٢ ، الصناعتين : ١٦٨ ، الأشباء والناظر : ١٠٥ ، ديوان الحماسة : ٥٨ .

بانهدام الرمل والكثيب من جميع جوانبه ، أو حركة اللبن التي تستدر
ما بعدها ، فالداعي يستصرخ ويستنجد في حجاب وبغاث ، حتى اذا لم ينجد
فان دعوته في الأصل كانت طلباً الاجابة والنجد .

ويستدل على هذا بالاستعمال القرآني للكلمة ، ومشتقها ، ونلازم
الاجابة لها في كثير من الآيات القرآنية ، فالله سبحانه وتعالى يستجيب دعاء
من يدعوه مخلصاً « اذا سألكت عبادي عنِّي فأني قريرُ اجِيبُ دَعْوَةَ
الداعي إذا دعاني » (١) وكذلك اقتربت الاجابة بالدعاء في الحديث عن
الآلة التي تحذها المشركون من دون الله تعالى فجاءت الآيات القرآنية
الكريمة تبين لهم أنما يعبدون مالا يسمع دعاءهم ، ولا يستجيب لهم :
« ويوم يقول نادوا شركائي الذين زعمتم فتدعواهم فلم يستجبُوا
لهم » (٢) . فالحججة القوية في مناقشة المشركون هي انهم يدعون آلة لا تسمع
دعائهم ، فالاجابة ملزمة للدعاء وان كانت سلبية . ألم الآيات التي ذكر
فيها الدعاء دون ملزمة الاجابة فانها تفسر على ضوء قوله تعالى : « ادعوني
استجب لكم » (٣) أو ان الدعاء في الأصل انما يكون في انتظار الاجابة .
هذه الاجابة ملزمة للمدعوه الداعي يوم القيمة قال تعالى : « ويسألونك
عن الجنِّ فَقُلْ يَسْتَسْفِهُ رَبِّ نَسْفًا ، فَيَدْرُهَا قَاعًا صَفَصَفَا ،
لَا تَرَى فِيهَا عِوَاجًا وَلَا أَمْنًا . يَوْمَئذٍ يَتَبَعَّونَ الدَّاعِي لَا عِوَاجَ لَهُ وَخَشَعَتِ
الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمِعُ إِلَّا هَمْسًا » (٤) حين نقرأ هذه الآيات

(١) سورة البقرة ٢: ١٨٦ ، وانظر أيضاً النمل ٢٧: ٦٢ ، غافر ٤٠: ٦٠ .

(٢) سورة الكهف ١٨: ٥٤ ، وانظر أيضاً القصص ٢٨: ٦٤ ، الشعرا

٢٦: ٧٢ ، فاطر ٣٥: ١٤ ، الأحقاف ٤٦: ٥١ ، الأعراف ٧: ١٩٤ .

(٣) سورة غافر ٤٠: ٦٠ .

(٤) سورة طه ٢٠: ١٠٥ - ١٠٨ .

الكريمة المتسلسلة السياق ترسم في الذهن صورة الناس حين يفزعون لصيحة الداعي المهولة التي تنفرهم إلى ساحة الحساب فيراكمضون حوله ، ويستجيبون له بصورة تلقائية يتبع بعضهم البعض الآخر ، وقد ملا الفزع ، والملائكة طعن قلوبهم . وتساعدنا صورة الداعي في الخروب على فهم إيماءات مختلفة طعن صيحة الداعي ونفيره ، فهي لازوحي معنى الاجابة فحسب ، إنما ترسم في الذهن كل ما توحيه البيئة الغربية في حياة العرب حين يفاجيء الحبي بصربيخ الداعي الذي يخبرهم بالغارقة ، وتتصادى إلى هذا صورة تداعي الكثيب التي تصور لنا الناس في راكمضهم نحو الداعي بأنهم يتدافعون بعضهم فوق بعض وقد ملا الرعب والفزع قلوبهم .

أما المنادي فإنه تعبير آخر للشخص الذي يدعو الناس يوم القيمة والذي سي أيضًا بيوم النجاد قال تعالى على لسان الرجل المؤمن حين يخاطب قوم فرعون محاولاً هدايتهم : (وقال الذي آمن يا قوم إني أخافُ عليكم مثلَ يومِ الأحزابِ ، مثلَ دَأْبِ قومِ نوحٍ وَعَادَ وَثَمُودَ ، والذينَ من بَعْدِهِمْ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ، وَيَا قَوْمَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ النَّجَادِ ، يَوْمَ تُؤْلَمُونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُمْ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلَ اللَّهُ فَإِنَّهُ مِنْ هَادِ) (١) وقال سبحانه وتعالى أيضًا « واستمع يومَ ينادِيَ النَّادِي ، من مكانٍ قرِيبٍ ، يومَ يَسْتَمِعُونَ الصِّيَحَةَ بِالْحَقِيقَةِ ذلكَ يومَ الخروب ، انتَنَّا نَحْنُ نُهْيِي وَنُهَمِّي ، وَالْيَنَا الْمَصِيرُ ، يومَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ، ذلكَ حشرٌ عَلَيْنَا يُسِيرٌ » (٢) .

هذه الآيات الكريمة صورت لنا حقيقة الموقف حين يهرب الناس على صوت المنادي فيهرعون نحوه ملبين نداءه ، مسرعين إلى ساحة الخشر المهولة .

(١) سورة غافر ٤٠ : ٣٠ - ٣٣ .

(٢) سورة ق ٥٠ : ٤١ - ٤٤ .

أما المفسرون فقد اختلفوا في تفسير التناد نتيجة لاختلافهم في قراءتها
ان عامة قراء الأنصار (يوم التناد) بتحقيق الدال وركاثات الباء
بمعنى التفاعل من تنادي القوم تناديا (١) وقال الأزهري : القراء على تحقيق
الدال (٢) وهذه القراءة توجه تفسير الآية عدة توجيهات .

١ - فسرَّ التناد على انه الخطاب والكلام الذي يكون بين الناس يوم
القيامة كما قال جلَّ ثناوه : (ونادي أصحابُ الجنةِ أصحابَ النارِ أَنْ قَدْ
وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبِّنَا حَقًا ، فَهُلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدْ رَبَّكُمْ حَقًا ؟ قَالُوا :
نَعَمْ) (٣) . وقال (ونادي أصحابُ النَّارِ أصحابُ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا
عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ) (٤) فلذلك تأوله قارئه هذه القراءة (٥) .

ونجد ان هذا التوجيه اعتمد على قول العرب : التنديدُ رفعُ الصوت (٦)
قال أبو زيد (٧) ، وهو مجرد النداء الذي يكون بصوت مرتفع عال (٨)

(١) جامع البيان ٢٤ : ٦٠ .

(٢) لسان العرب ٤ : ٤٢٩ .

(٣) سورة الأعراف ٧ : ٤٤ .

(٤) سورة الأعراف ٧ : ٥٠ .

(٥) جامع البيان ٢٤ : ٦٠ ، وانظر أيضاً الكشاف ٣ : ٥٣ .

(٦) لسان العرب ٤ : ٤٣ ، ابن السكري عن المخصص ٢ : ١٣٣ ،
الفاخر : ٢٨٨ .

(٧) أبو زيد سعيد بن أوس الأنصاري كان عالماً باللغة والنحو وأخذ عن
أبي عمرو بن العلاء ، وأخذ عنه أبو عبيد القاسم بن سلام ، والمجستانى . وكان ثقة
من أهل البصرة وكان سيبويه اذا قال سمعت الثقة يريد به أبو زيد ، توفي في البصرة
سنة ٢١٤ أو سنة ٢١٥ ، انظر نزهة الألباء : ٨٥ - ٨٨ .

(٨) المفردات في غريب القرآن : ٥٠٥ .

وقد وردت بهذا المعنى في أربع وخمسين آية (١) ، ولكننا نجد أن السياق العام الذي ورد فيه تعبير التناد أو المنادي مليء بالرعب والفزع لا مجرد مخاطبة الناس بعضهم بعضاً فالناس في خوفهم يسرعون نحو الداعي وقد ذلت نفوسهم وخشعـت . وإنما تكون مخاطبة الناس كما نصّوره سورة الأعراف بعد الحساب حين يساق المجرمون إلى جهنـم ، وينعم المؤمنون بالجنة . أما ساعة الحشر حين يجتمع الناس على صوت المنادي فلا مجال للمحاورة والحديث بينهم .

٢ - وفسـر البعض الآخر من قرأ (التنـاد) بالتحـقيق ان المقصود به ليس مجرد المخاطبة بين الناس ، وإنما هو أعظم من ذلك وأرهـب حيث يتـصـاـبـحـ الناسـ خـوـفاـ وـرـهـةـ ماـ يـنـتـظـرـهـمـ منـ العـذـابـ . وقد روـيـ عنـ رـسـولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ هـذـاـ التـأـوـيلـ حيثـ قالـ : «مـدـبـرـينـ يـنـادـيـ بـعـضـهـمـ بـعـضـاـ ، وـهـوـ الـذـيـ يـقـولـ اللـهـ يـوـمـ التـنـادـ» (٢) . وسنجد ان هذا التفسـير يـعـضـدـ التـفـاسـيرـ الـأـخـرـىـ فـيـ رـسـمـ صـورـةـ المـنـادـيـ .

٣ - ويعـكـنـ انـ يـفـسـرـ التـنـادـ بـأـنـ الـيـوـمـ الـذـيـ يـنـادـيـ فـيـ النـاسـ فـيـجـتمـعـوـنـ لـصـوـتـ المـنـادـيـ الـذـيـ يـنـبـهـهـمـ وـيـنـفـرـهـمـ مـنـ قـبـورـهـمـ وـهـوـ التـفـاسـيرـ الـذـيـ فـسـرـ بهـ قـوـلـهـ تـعـالـىـ (وـاسـتـمـعـ يـوـمـ يـنـادـيـ الـمـنـادـيـ مـنـ مـكـانـ قـرـيبـ ، يـوـمـ يـسـنـمـعـونـ الصـيـحةـ بـالـحـقـ ذـلـكـ يـوـمـ اـنـخـروـجـ) (٣) . فقد وصفوا هذا المنـادـيـ بـأـنـهـ (مـلـكـ قـائـمـ عـلـىـ صـمـخـرـةـ بـيـتـ الـقـدـسـ وـيـنـادـيـ أـيـثـاـ الـعـظـامـ الـبـالـيـةـ وـالـأـوـصـالـ الـمـنـقـطـعـةـ) (٤) . ويـقـويـ هـذـاـ التـفـاسـيرـ الصـورـ السـابـقـةـ الـتـيـ مـرـتـ بـنـاـ

(١) راجـعـ المـعـجمـ الـفـهـرـسـ : ٦٦١ .

(٢) جـامـعـ الـبـيـانـ : ٢٤ : ٦١ .

(٣) سـوـرـةـ قـ : ٥٠ : ٤١ .

(٤) جـامـعـ الـبـيـانـ : ٢٦ ، التـبـيـانـ ٩ : ٣٧٦ ، وـانـظـرـ أـيـضـاـ بـجـالـسـ ثـلـبـ .

٣٨٦ : ٢ .

والتي تصور قيام الناس بعد التغير الذي يوجه إليهم بواسطة الصور ، أو الناقور أو الداعي . وقد اعتمد في هذا التفسير على أحد معاني الكلمة ، وهو دلائلها على الاجتماع . قال أبو زيد : « نَدَّ الْقَوْمُ وَانْتَدَوا : اجتمعوا ، والمنادي والندي المجلس مجتمعين فيه ، فإذا تفرقوا فليس بمندي » (١) قال بشر بن أبي خازم :

وَمَا يَنْدُو هُمُ النادِي وَلَكُنْ بِكُلِّ مَجَالَةٍ مِّنْهُمْ فِي شَامٍ (٢)

الفِيَثَامُ الجماعة من الناس . يريد أن قومه كثيرون لا يجمعهم نادٍ وإنما تجد منهم جماعة في كل مكان . ومعنى الجمع تؤكده آيات أخرى كقوله تعالى : « وَنَفَخْتُ فِي الصُّورِ فَجَاءَ مَعَنَاهُمْ جَمِيعًا » (٣) وكذلك تسمية يوم القيمة بالحشر ، لأن الناس يجتمعون ، ويصافحون فيه إلى الحساب (٤) .

أما قراءة من قرأ (التناد) بتشدد الدال فإنه قد اعتمد فيها على صورة وثيقة الصلة بالبيئة العربية ، تلك هي صورة الإبل حين تفر من صاحبها وتهرب بعيداً عنه ، فيقال عنها حينذاك (نَدَّتْ) . هذا المعنى هو الذي اعتمد عليه في هذه القراءة من الند (وذلك اذا هربوا فندوا في الأرض كما تَنَدَّ الْأَبْلُ اذا شَرَّدَتْ عَلَى ارْبَابِهَا) (٥) وقال أبو الهيثم : (هو من

(١) المخصوص ٣: ١٤٥ ، وانظر أيضاً مقاييس اللغة ٥: ٤١١ ، المفردات

٥٠٥ ، أساس البلاغة ٩٤٦ ، وقد وردت بهذا المعنى في سورة العنكبوت ٢٩ : ٢٩٠ ، وسورة العلق ٩٦ : ١٧ ، وانظر الشعر في ديوان طرفة : ٨٠ .

(٢) ديوان بشر بن أبي خازم ٢٠٩ ، المفضليات : ٣٣٦ .

(٣) سورة الكهف ١٨ : ١٠٠ .

(٤) مجاز القرآن ١: ٢٠٤ ، ٢٠: ٢٠٤ ، وانظر أيضاً الصداح ٢: ٦٣٠ ، مقاييس اللغة ٢: ٦٧ .

(٥) جامع البيان ٢٤: ٦١ .

نَدَّ الْبَعِيرُ نَدَاداً أَيْ شَرَدَ) (١) وهذا التفسير أقرب التفاسير إلى الحياة البدوية ، لأن الصورة التي يوحّيها أسرع إلى الذهن من الصورة الأخرى لأنها صورة عالقة في ذهن العربي ، مرتبطة أمّا ناظريه ، لأن الإبل عماد حياته في الصحراء قد شهدتها في هدوئها ، ونفّارها ، وخبر حركاتها وسكناتها ، ومن هنا وفرت التعبيرات التي تخص الإبل ورسخت في الذهن العربي توجّي له بالصورة المادية حتى اذا استعارها للتغيير عن معنى جديد مشابه لها أثارت في الذهن الصورة الحسية الأولى إلى جانب المعنى الجديد الذي استعملت فيه . قال ذو الاصبع العدواني (٢) مفتخرًا بكرامته ، وعزّة نفسه حيث يشد وينفر من البلد الذي لا كرامة فيه متمثلاً في ذهنه صورة الإبل حين تنفر من صاحبها قال :

عَفْ نَدُودْ إِذَا مَا خَفَتْ مِنْ بَلَادِ

هَوْنَا فَلَمَسْتُ بِوَقَافٍ عَلَى الْهُونِ (٣)

فصورة الإبل حين تنفر من صاحبها واضحة في إيماءات البيت السابق ولكن موحّيات التعبير القرآني أعمق آثاراً ، لأنها ترسم حول التعبير صوراً أخرى تزيد ملامح صورة نفار الإبل وضوحاً وبياناً ، فيوم التناد هو اليوم

(١) عن لسان العرب ٤ : ٤٢٩ ، وانظر أيضاً جمهورة اللغة ١ : ٣ ، ٧٧
 ١٩٠ ، الصحاح ١ : ٥٤٠ ، مقاييس اللغة ٥ : ٤١١ ، المخصوص ٧ : ٨٥ باب ترك
 الإبل واهماها .

(٢) ذو الاصبع العدواني واسمـه حرثان بن حارثة بن محـرث ، وقيل له ذو الاصبع لأن أفعى ضربت ابهـام رجلـه فقطـعتـها ، وهو أحد الحـكـماء الشـعـراء قـيل انه عمر دهـراً . انـظـر الشـعـر و الشـعـراء ٢ : ٥٩٧ ، المـعـرـون : ٥٨ ، المؤـتـلـفـ والمـخـلـفـ : ١٧٠ .

(٣) المفضلـيات : ١٦٣ .

الذى يفر الناس فيه بعضهم من بعض يشبهون فى ذلك الابل حين تندى
 على وجهها بعيداً عن اصحابها ، وتنفر هاربة منه ، ومن الطبيعى ان الابل
 لا تنفر من اصحابها الا اذا فزعت واضطربت اضطرابا شديدا . وبذلك شبه حال
 الناس حين يسمعون صوت التفير المفزع يفر كل انسان بنفسه ناسيا اهله
 وأولاده . لان هول الموقف لا يقى لهم فكيرا ، ويكون الناس عند
 سماعهم صوت التفير كما تصورهم الآيات الكريمة : (يوم تكون السماء
 كالمهمل ، وتكون الجبال كالعهن ، ولا يسأل حميم حميم ،
 يُبصرونَهم يَوْمَ الْمُجْرِمُ لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه ، وصاحبته
 واخوه ، وفصيلته التي تؤويه ، ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه) (١) .
 ومع انا نجد ان المعانى الأخرى الى توحيها كلمة المنادى ، والتناد ،
 تجتمع كلها لرسم صورة ساعة التفير الا ان صورة الابل الشاردة اوضحت
 ملامح ، واعمق ابعادا من الصور المعنوية الأخرى وهذا التوجيه للآية
 الكريمة يرسم صورة الناس المفزعين المدبرين الذين يتصالحون ، ويتصارخون
 بالويل والثبور ذلك لان الآية التي ورد فيها (التناد) قد أتبعت بقوله
 جل من قائل : (يوم تُؤْلَوْنَ مدبرين مالكُمْ من الله من عاصم) (٢) .
 واذا عدنا الى التفاسير السابقة نجد ان المفسرين اعتمدوا على أربع
 استعمالات للكلمة - كما مرت بنا - وهي النداء بمعنى رفع الصوت
 والمخاطبة ، ثم التنادي بمعنى التصريح من الخوف والثبور ، وثالثها النداء
 حيث يجتمع الناس على صوت يناديم ، وهو الاستعمال الذي قد يدو
 متعارضا مع الاستعمال الرابع الذي هو التفور :
 وتبدو هذه التفاسير بعيدة بعضها عن البعض الآخر ولكن تتبع

(١) سورة المعارج ٧٠: ٨-١٤

(٢) سورة غافر ٤٠: ٣٣

استعمال الكلمة يعيينا على ايجاد تفسير واحد يجمع كل التفاسير السابقة ، وذلك اذا اعتبرنا الفعل الثلاثي المضعف (نَدَّ) هو اصل الكلمة وهو يدلُّ على التجمُّع ، ثم فك ادغام الحرف الاخير فقيل (نَدَى) . قال ابن فارس : (النون والدال والحرف والمعلم يدل على تجمُّع) (١) . ومنه الندى الذي هو البَلَلُ والرطوبة (٢) ، ثم استعتبر في وصف الصوت الندي من حيث انه من تكثير رطوبة فمه حسن كلامه ، وهذا يوصف الفصيح بكثرة الريق (٣) ، وهو معنى نلمحه ايضاً في المنادي لأن صوته يكون عالياً يُسْتَمِعُ كل من في القبور . ثم تطورت الكلمة الى نَدَّ بمعنى تفرق كما مر بنا (٤) . ثم قيل نادى بمعنى صاح وخاطب ولا يوجد فرق او تضاد بين معنى نَدَّ الذي هو التفرق وبين نَدَّ الملازمة للمنادي بمعنى التجمُّع ، ذلك لأن كل تَجَمَّعٍ يكون نتيجة لتفرق وكل تفرق متأتٍ عن تجمُّع ، فكلامها حركة متصلة تصل الاولى الثانية وتكون نتيجة لها (٥)

(١) مقاييس اللغة ٥ : ٤١١

(٢) اعتبر ابن فارس هذا المعنى اصلا اخر للكلمة بعد ان وضع لها الاصل الاول الذي هو التجمُّع ، ولكننا نجد انه استعمال آخر للكلمة بعد ان فك ادغام حرفها الاخير ويظهر فيه معنى التجمُّع ايضاً ، لأن الرطوبة او البَلَل تنتشر على النبت اذا وجدت .

(٣) المفردات : ٥٠٥

(٤) يلاحظ في هذا الباب قول الخليل في الثنائي المصاعف كالاصالحة مثلا انظر العين : ٧

(٥) وقرب من هذا بحث ابن جني حول مادة (قول) فانها كما يقول (ابن وجدت ، وكيف وقعت من تقدم بعض حروفها على بعض وتأخره عنه اما هو للخفوف والحركة) انظر الخصائص ١ : ٥

والتفسير الذي نراه جامعاً لكل المعاني السابقة يوضحه لنا استعمال
 الكلمة المنادي في الشعر الجاهلي ، وذلك لأنها اطلقت مرادفة لمعنى الداعي
 الذي مرّ بنا سابقاً ، فالمنادي هو الذي يستصرخ القوم عند الحروب والغارات
 المفاجئة ، ويدعوهم إلى الامر امام الذي ينتظرون . قال بشر بن أبي خازم :
 بشيب لا تخيم عن المنادي ومرد لا يروعها اللقاء (١)
 وصريح المنادي يرعب من يسمعه في الحروب ، ومن هنا فهو مدعى
 للمفخرة بين الشعراء فيفخر شاعرهم بنجذبه لتصريح المنادي ، ودعوه
 إلى الحرب والدفاع قال دريد بن الصمة :
 أني اذا نادى المنادي كليمة إحدى ليالي الحق لم أنغفل (٢)
 فالمنادي أقررت صورته بصورة الفزع والرعب الذي يثيره الصريح
 المُفاجيء فما ان يسمع القوم صوته حتى يعرفوا حقيقة امرهم وهي ان
 غارة مفاجئة قد داهمتهم قال الكلاحبة العربي (٣)
 ونادي منادي الحي أن قد أتیتم
 وقد شربت ماء المزادة أجمعوا (٤)

وحين ينادي المنادي مؤذنا للحرب والغارة يجتمع حوله الناس ملبيين
 نداء الدفاع عن القبيلة وشرفها ، ومن الناحية الأخرى قد يسبب صريح
 المنادي هرب الجبناء من الناس ومن هنا جاء معنى التفرق والتجمّع الذي

(١) ديوان بشر بن أبي خازم : ٦

(٢) الوحشيات : ٢٥٥

(٣) اسمه هبيرة بن عبد مناف بن ثعلبة بن يربوع ، أحد فرسان بني تميم
 وسادتهم ، شاعر محسن والكلاحبة لقبه ومعناه في اللغة صوت النار . المؤلف
 والمختلف : ٢٦٣ - ٢٦٤ ، خزانة الأدب ١ : ١٨٩ .

(٤) المفضليات : ٣١

يفهم من كلمة المنادي في الآية الكريمة .
 ثم ان القوم ينادي بعضهم بعضاً في الحرث والهجمات المفاجئة
 ليحملوا الجميع على الحرب والاغاثة قال طفيل الغنوبي .
 فباتوا يسنون الزجاج كأنهم
 اذا ما تنادوا خشراً متحذّباً (١)

ونعود الى الآية الكريمة حيث نجد ان كلمة التناد استعملت مطلقة دون الاشارة الى تناد الابل ، او تنادي القوم وصياغتهم ، واستعمالها مطلقة هو الذي يزيد من هول الوصف والفزع ل يوم القيمة ، وتجتمع كل المعاني التي تداعى عند ذكر كلمة التناد ، وتعاون كلها على رسم صورة الناس المدبرين من الفزع ، وقد اشار الزمخشري الى هذا في تفسير قوله تعالى : (ربنا اتنا سمعنا منادي ينادي للإيمان) (٢) . قال : (فإن قلت فأي فائدة في الجمع بين المنادي وينادي ؟ قلت : ذكر النداء مطلقاً ثم مقيداً بالاعيان تفخيماً لشأن المنادي ، لانه لا منادي اعظم من منادي ينادي للإيمان ! وذلك ان المنادي اذا اطلق ذهب الرهم الى مناد للحرب او لاطفاء نار ، او لاغاثة المكروب ، او لكتفاه بعض النوازل او لبعض المنافع) (٣) .

ومن هنا جاءت الروعة في التعبير القرآني ، وتجلى الاعجاز في كلمة واحدة مطلقة عن التحديد بالحالات خاصة ، فاوحت بكل ما توحيه الكلمة المنادي بمعانيها المختلفة فهي ترسم في الذهن شئ الصور الظاهرة بالحركة

(١) ديوان طفيل : ٢١ ، وانظر تنادي الخيل في الحرب ديوان بشر بن

ابي خازم : ١٠ المخصوص ٦ : ١٤١

(٢) سورة آل عمران ٣ : ١٩٣

(٣) الكشاف ١ . ٣٦٩

والانفعال ، ذلك لأن الناس يهبون من قبورهم اثر منه مفزع هو المنادي الذي يدعوهم إلى يوم الحساب فيجتمعون تلبية لندائهم ، ولكنهم في نفس الوقت يتنادون بينهم ويتصالحون خوفاً ، وهلعاً ، ويفر بعضهم من بعض هارباً على وجهه كما تندِّ الإبل بكل ما يحمله هذا المعنى الآخر من اليماءات وثيقة الصلة بالبيئة العربية .

وعلى هذا فكل تفاسير المفسرين السابقة يمكن أن تفهم مجتمعة في التعبير القرآني ، وهي نفس اليماءات المراعبة الملائكة بالحركة السريعة التي مررت بنا في الداعي ومن تعبيري الداعي والمنادي تتشكل الصورة الثانية من صور التغير العام الذي يكون قوله صوتاً مفزواً ينادي الناس ، ويجمعهم من قبورهم إلى ساعة الحساب .

ج - الصيحة والزجرة :

واخيراً فهناك اللوحة الثالثة التي يشكلها تعبيران ايضاً هما الصيحة والزجرة ، قال سبحانه وتعالى (ويقولون متى هـذا الـ وعد ان كـنتم صادقـين ؟ ما يـنظرون الاـ صـيـحة واحـدة تـأـخـذـهـم وـهـم يـخـصـمـون فـلا يـسـطـيـهـون توـصـيـة ولا إـلـى أـهـلـهـم يـرـجـعـون ، وـنـفـخـ فيـ الصـوـر فـاـذـا هـم مـنـ الـاجـدـاث إـلـى رـبـهـم يـنـسـلـوـن ، قـالـوـا يـا وـيـلـنـا مـنـ بـعـثـانـمـ مـرـقـدـنـا ؟ هـذا مـا وـعـدـ الرـحـمـن وـصـدـقـ الـمـرـسـلـوـن ، إـنـ كـانـتـ الاـ صـيـحةـ وـاحـدةـ فـاـذـا هـم جـمـيعـ لـكـيـنـا مـحـضـرـوـن) (١) .

وقد فسرت الصيحة بالنفخة (٢) ، وتفسيرها هذا منأت من طبيعة استعمالها وكونها مبهمة غامضة ، فهي توحى مع السياق العام بكل معاني

(١) سورة يس ٣٦ : ٤٨ - ٥٣

(٢) جامع البيان ٢٣ : ١٤ ، التبيان ٩ : ٣٧٦ ، الكشاف ٣ : ١٦٥

الرعب والفزع وبما ان النفح في الصور او الناقور يتبعه صوت شديد يلائم شدة يوم القيمة فهذا الصوت هو الذي فهم منه معنى الصيحة فقالوا انها النفح ، وفي قوله تعالى : (وَاسْتَجِعْ يوَمَ يُنَادِيَ الْمُنَادِيَ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ) (١) . روي عن ابن عباس انه فسر المنادي بالصيحة (٢) . ونفهم هذا التفسير اذا تذكروا ان نداء المنادي ، وصريحه عند الملمات اما يكون بصوت مرعب عال - كما مر بنا - وان صوت المنادي يوم القيمة يكون مرعباً مفزعًا عاليًا لينبه الناس من قبورهم ويدعوهم ليوم الحساب .

والصياح في الاصل هو الصوت الشديد الجافي كما يقول صاحب العين (٣) . وقال السجستاني الصرخة : الصيحة الشديدة عند الفزع وقيل هو الصوت الشديد ما كان (٤) ، وهو الاصل الذي وضعه ابن فارس للكلمة حين قال (الصاد والياء والراء اصل صحيح وهو الصوت العالي) (٥) وكما لازم المنادي والداعي البيئة العربية في حروبها ، وصريحها عند الملمات فكذلك الصيحة اذ انها اطلقت على الغارة اذا فوجيء الحلي بها (٦) وتصايخ القوم بمعنى قد ادعوا (٧) ولما كان الصياح مقابل للصرخ الذي هو صوت غير اعتيادي فان سماعه يؤذن بشري ، وأذى يلحق القوم

(١) سورة ق ٥٠ : ٤١

(٢) جامع البيان ٢٦ : ١٨٣

(٣) عن المخصوص ٢ : ١٣٣

(٤) ن . م : ٢ : ١٣٢

(٥) مقاييس اللغة ٣ : ٣٢٤

(٦) لسان العرب ٣ : ٣٥٣

(٧) اساس البلاغة : ٥٥٠

وانذار لهم من حادث مفاجئ مرعب . فإذا سمع الصباح تبادر إلى
الذهن الرعب ، والفزع ، قال النابغة الذبياني :
كأنَّ على الحدوْج نِعاج رُمْل زَهَاها الرُّعبُ أو سَمِعَتْ صِيَاحاً (١)
وقال أيضاً مادحاً بني جذيمة بأنهم إذا سمعوا الصباح بادروا إلى
الإجابة :

قَوْمٌ اذَا كَثُرَ الصِّبَاحُ رَأَيْتُهُمْ وَفِرَآ غَدَاهَ الرَّوْعُ وَالْأَنْفَارُ (٢)
وفي هذا دلالة على ما توحيد كلمة الصيحة من أنها وسيلة لانغير مقترنة
بالرعب والصوت المفزع في البيئة العربية ، ولما كانت الصيحة مقترنة بالفزع
فإن الملائكة متوقع بعدها لأن فيها انذاراً لما بعدها . ومن هنا فسر أبو عبيدة
الصيحة بالملائكة قال : (فَأَخْتَدَنَهُمْ الصِّيَحَةُ مُصْبِحِينَ أَيِ الْمَلَائِكَةُ ، وَيَقُولُ
صِبَحُ بَهْمُ أَيْ أَهْلَكُوا) (٣) وذلك لأن الملائكة يتبع الصيحة القوية الصادرة
عن الرعب ، وهو الحادث .

أما الزمرة فقد قال تعالى : (يَوْمَ تَرْجِيفُ الرَّاجِفَةُ ، تَتَبَشَّهُ
الرَّادِفَةُ ، قُلُوبُ يَوْمِئِدٍ وَاجِفَةٌ أَبْصَارُ هَاخَاشِعَةٌ ، يَقُولُونَ إِنَّا لَمْ دُودُونَ
فِي الْحَافِرَةِ ، أَلَا كُنَا عَظَامًا نَسْخَرَةً ؟ قَالُوا : تَلَكَ اذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ،
فَانِّي هِي زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ) (٤) .

(١) ديوان النابغة الذبياني : ٢٧ ، وانظر شواهد أخرى من الشعر في
المفضليات : ١٢٤ ، الوحشيات : ٩٦ ، الحيوان : ٥ : ٦٠٢ .

(٢) ديوان النابغة الذبياني : ٦ .

(٣) مجاز القرآن ١ : ٣٥٤ .

(٤) سورة النازعات ٧٩ : ٦ - ١٤ ، والساهر : وجه الأرض المستوية انظر
الكاف : ٣٠٩ ، المخصوص : ١٠ : ١٤٦ ، ٦٨ : ١٤٦ .

فقد فسرت الزمرة هنا بالنفحة (١) وقررت بالصُّور قال السجستاني :
 (زمرة واحدة يعني نفحة الصُّور) (٢) . ثم فسر نوع الزمرة دلالتها
 فقال : (الزَّجْرَةُ : الصِّيحةُ بشدةٍ وانهارٍ) (٣) أما الزمخشري فقد فسرها
 بالصِّيحةِ ثم حدد الصِّيحةَ بأنها النفحة الأولى قال : (فَإِنْ قَلْتَ إِيمَانَكَ
 بِالصِّيحةِ ثُمَّ حَدَّدَ الصِّيحةَ بِأَنَّهَا النفحةُ الْأُولَى) قَوْلُهُ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ؟ قَلْتَ بِمَحْذُوفٍ مَعْنَاهُ ، لَا تَسْتَصْبِعُوهَا فَإِنَّهَا
 هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ، يَعْنِي لَا تَخْسِبُوا تِلْكَ الْكُرْبَةَ صَعْبَةً عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
 فَإِنَّهَا سَهْلَةٌ هِينَةٌ ، مَا هِيَ إِلَّا صِيحةٌ وَاحِدَةٌ يُرِيدُ النفحة الأولى) (٤) ، وَحدَّدَهَا
 الطوسي بالنفحة الثانية (٥) .

وكما استطعنا أن نتعرف على سبب جمع المفسرين بين الصِّيحةِ والتعابير
 الأخرى للنفي ، فكذلك هنا ، لأنَّه لما كانت الآيات الكريمة التي تخص نفي
 يوم القيمة مرتبطة كلها بصوت مربع مفزع ، فإنَّ هذا الجو نفسه يملاً
 إيحاء الكلمة الزمرة مما يوجه المفسرين إلى تفسيرها بالنفحة والصِّيحة ، ولم
 تقتصر الزمرة بالصريح المفزع عند الملائكة كما هو الحال بالصِّيحة فحسب
 إنما الملاحظ اقترانها بالشدة والهول أكثر مما هو في الصِّيحة ، لما في الأولى
 من إيحاء القوة والعنف . هذا المعنى الشديد المرعب استمد إيحاءه من البيئة
 العربية نفسها حيث اطلقت الكلمة على معنى حسي يشهده العربي في كل
 وقت وهو معنى الصِّيحة والانهيار التي يزجر بها الحيوان ويُساق على أثرها
 بشدة ، وعنف ، قال الخليل : (نَعَقَ الرَّاعِي بِالْغَنَمِ نَعِيقًا : صَاحَ بِهَا

(١) تنوير المقياس : ٣٨٠ ، جامع البيان : ٣٥ .

(٢) غريب القرآن : ١٢٢ .

(٣) ن . م .

(٤) الكشاف : ٣٠٩ .

(٥) التبيان : ١٠ : ٢٥٤ .

زجرًا (١) ، وقال ابن سيدة في باب الزجر بالخيل ، والبغال ، والحمير :
 (زَجَرْتُ الدابةَ والرجلَ والسَّبَعَ ونحو ذلك ازْجَرْهُ زَجْرًا ، وازْدَجَرْتُهُ
 فازْجَرَ وازْدَجَرَ) (٢) ، وقال الراغب : (الزَّجْرَةُ طَرْدٌ بِصَوْتٍ ..
 ثُمَّ يَسْتَعْمَلُ فِي الطَّرْدِ تَارَةً ، وَفِي الصَّوْتِ أُخْرَى ، وَاسْتَعْمَلَ الزَّجْرُ لِصِبَاحِهِمْ
 بِالْمَطْرَوْدِ نَحْوَ اَنْ يَقَالُ اَعْزُبٌ . وَتَنْحَى وَرَاءَكَ) (٣) .

وقد اختلف في هذا الصوت الذي يُزْجَرُ به الحيوان تبعاً لنوع
 الحيوان ، وما اعتقاده من الصوت الذي يؤثر فيه وزجه (٤) ، ومن هنا
 قيل زَجَرَ البعيرَ أَيْ ساقَهُ (٥) ، لأن السوق نتيجة للصيحة أو نتيجة لزجر
 الراعي لها بشدة تدفعها نحو المسير ، ومن هنا جاء تفسيرهم لقوله تعالى :
 (والصَّافَاتِ صَفَنَا ، فَالزَّاجِرَاتِ زَجَرًا) (٦) حيث فسرت الزاجرات
 بالملائكة لأنها تَزَجُّ السَّحَابَ أَيْ تسوقه (٧) .

سوق الأبل بالزجر ينمّ عن قوة وشدة اعتقاد العربي أن يسوق أبله
 بها إذا أراد اسراعها أو إذا أحجمت عن المسير ، ومن هنا عابوا على أمرىء
 القيس قوله في مفاخرته مع علقة الفحل واصفًا فرسه :

(١) العين : ٨٩ .

(٢) المخصوص : ٦ : ١٨٢ .

(٣) المفردات : ٢١١ .

(٤) التهذيب : الورقة ١١٧ ، ١٣٣ ، وانظر أيضًا الغريب المصنف الورقة
 ٣٩٠ ، المخصوص ٧ : ٨٠ .

(٥) الصحاح ٢ : ٦٦٨ ، لسان العرب ٥ : ٤٠٧ .

(٦) سورة الصافات ٣٧ : ١ - ٢ .

(٧) جامع البيان ٢٣ : ٣٣ ، أساس البلاغة : ٣٩٤ .

فلمساقِ الْكَوْبٍ وَالسُّوْطِ دِرَّةٌ
 ولزَجَرٌ مِنْهُ وَقَعُ أَهْوَجَ مِنْجَبٌ (١)
 ذلك لأنَّ الفرسَ الجيادَة لَا تَحْتَاجُ إِلَى القُوَّةِ وَالزَّجَرِ فِي سِيرِهَا ، فَاعْتَبِرْ
 هَذَا مَأْخَذًا عَابِرًا عَلَيْهِ (٢) .

وَإِذَا زَجَرَ الْأَبَلَ فَانْمَاءَ لَانْسِرَعَ فَحَسِبَ بَلْ تَصِيبُهَا الْخَفَةُ وَالْطَّيْشُ
 لَمَّا فِي الزَّجَرِ مِنْ نَهَرٍ شَدِيدٍ يُثِيرُ رَعْبَهَا وَخُوفَهَا ، وَمِنْ هَنَا فَخَرُوا بِالنَّاقَةِ
 الَّتِي لَا رَعْبَ لَهَا زَجَرَتْ (٣) .

وَإِذَا كَانَتِ الْغَارَاتِ الْمَفَاجِيَّةُ تَسْتَدِعِي السَّرْعَةَ فِي الْمُجُومِ وَالْكَرِ وَالْفَرِ
 فَقَدْ اقْتَرَنَ الزَّجَرُ بِالْخَلْطِ أَصْوَاتِهِمْ فِي الْحَرْوَبِ ، قَالَتِ الْخَرْنَقُ بَنْتُ
 هَفَانَ (٤) .

قَوْمٌ إِذَا رَكَبُوا سَمِعْتَهُمْ لَغْنَطَا مِنَ النَّأِيِّهِ وَالزَّجَرِ (٥)
 وَأَنْشَدَ أَبُو عَمَانَ الْمَازِنِيَّ (٦) :

(١) ديوان امرىء القيس: ٥١.

(٢) الصناعتين: ٧٤.

(٣) أراجيز العرب: ١٧، انظر أيضاً المخصص: ٧، ١٢٣.

(٤) هي الخرنق بنت بدر بن هفان وبعضهم يسميها الخرنق بنت هفان من
بني ضبيعة، وهي اخت طرفة بن العبد لامه، شاعرة من الشهيرات في الجاهلية
تزوجها بشر بن عمرو بن مرثد سيد بنى أسد وقتلها بنو أسد فكان أكثر شعرها في
رثائه ورثاء أخيها طرفة انظر خزانة الأدب ٢: ٣٠٦، ٣٠٧.

(٥) الحماسة البصرية: الورقة ١٢٤ (١).

(٦) هو بكر بن محمد بن حبيب بن بقيه، أبو عثمان المازني من مازن شيئاً
أحد الأئمة في النحو. من أهل البصرة ووفاته فيها. انظر معجم الأدباء ٢: ٢٨٠
فا بعدها.

لما سَمِعْتُ زَجْرَهُمْ هِنَقَطُ^{١)} عَلِمْتُ أَنَّ فَارسًا مُنْحَطُ^{٢)}
 ومن هذا المعنى الحسي جاء الاستعمال المعنوي للزجر وهو دلالته على
 النهر ، والردع مطلقاً . قال الزجاج الزجر : النهر (٢) . وقد وردت بهذا المعنى
 في الشعر الجاهلي (٣) . ومنها قالوا : الزواجر : المواعظ لأنها تزجر الإنسان
 وتمنعه عن السيّات (٤) .

ومن هنا يتضح لنا ان استعمال الزجرة في القرآن الكريم مطلقة يزيد
 من ايجاء العنف والقوة الذي لازم ساعة النشور لأنها صوت مبهم ، ولكنها
 مفزع يرعب كل من يسمعه ، وقد قرن الزمخشري الزجر بمعناه الحسي حين
 فسر الآية قال هو (من قولهم زجر البعير اذا صاح عليه) (٥) وقد مر
 بنا ان زجر البعير ليس صياغاً عليه فحسب بل هو نهر ، وسوق بشدة
 وقوة مما جعل الزجرة في القرآن الكريم وسيلة للنفير تثير في الذهن صورة
 للبيئة العربية مقتربة بالرعب والسرعة والسوق الشديد ، فكأنّ الناس لا يوقفون
 على الصوت المفزع فحسب إنما يساقون ويدفعون بكل ما تحمله كلمة السوق

(١) الكامل للمبرد ١ : ٢٣٧ .

(٢) لسان العرب ٥ : ٤٠٧ ، وانظر أيضاً الصحاح ٢ : ٦٦٨ .

(٣) انظر ديوان النابغة الذبياني : ٦٨ ، ديوان الخطيبية : ١٧٥ ، ديوان عروة بن الورد : ٧٢ ، شرح ديوان كعب بن زهير : ٢١٣ ، الكامل للمبرد ١ : ١١٦ .

(٤) أساس البلاغة : ٣٩٤ . وهو المعنى الذي فسر به قوله تعالى في سورة القمر ٥٦ : ٤ (ولقد جاءَهُمْ من الأنبياء ما فيه مزدجر) ، فقصص الأنبياء ، والأقوام السالفة زجر للمشركيين ، لأن فيها ما يردعهم ، وبزجرهم عما هم عليه ، مقيمو من التكذيب بأيات الله . جامع البيان ٢٧ : ٨٩ .

(٥) الكشاف ٣ : ٣٠٩ .

من معانٍ الذلة والعنف تماماً كما يساق ويزجر البعير الذي تَعْوِدَ القوة والعنف من صاحبه .

فحشر الناس من قبورهم مصحوب في كل صور النفيـر بالرعب والفزـع ، وقد أضاف تعبير الزجرة معنى آخر هو الذل والعنـف ، كما ان توكيدها بكلمة (واحدة) يدل على القـوة والسرـعة لأنـها تـبين سهـولة قيـام الساعة عند الله ، وسرـعة قيـامها إثـرـ صـيـحة وزـجـرة وـاحـدة لـأـكـثـر . وبـهـلـين التـعبـيرـين الصـيـحة وـالـزـجـرة تـتـشـكـلـ في الـذـهـنـ لـوـحـةـ ثـائـمـةـ لـلنـفـيرـ وـحـشـرـ النـاسـ إثـرـ مـنـبـهـ عـظـيمـ يـرـعـبـهـ .

هذه اللـوحـاتـ الـثـلـاثـ عـرـضـتـ في الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ لـبـيـانـ غـرـضـ وـاحـدـ هوـ النـفـيرـ الـذـيـ يـُـحـشـرـ بـوـاسـطـتـهـ النـاسـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ ، وـاـذـ كـانـتـ هـذـهـ التـعـابـيرـ قدـ اـخـتـلـفـتـ وـتـنـوـعـتـ فـاـنـ الرـوـحـ مـشـتـرـكـةـ فـيـهـاـ جـمـيعـاـ ، فـالـصـوـرـ وـالـنـاقـورـ قـيـامـ الـلـوـحـةـ الـأـوـلـىـ هـمـ وـسـيـلـتـاـ النـفـيرـ يـنـفـخـ فـيـهـاـ فـيـسـيـانـ صـوـتـاـ مـرـعـباـ يـجـتـمـعـ عـلـىـ إـثـرـهـ النـاسـ . أـمـاـ الدـاعـيـ وـالـمـنـادـيـ فـاـنـهـاـ يـصـيـحـانـ بـصـوـتـ مـرـعـبـ مـفـزـعـ فـيـهـرـعـ النـاسـ نـحـوـهـمـ تـلـبـيـةـ لـلـنـدـاءـ ، وـقـدـ ذـهـلـتـ عـقـولـهـمـ ، وـفـزـعـتـ قـلـوبـهـمـ . أـمـاـ الصـيـحةـ وـالـزـجـرةـ فـقـدـ صـورـتـاـ النـفـيرـ بـصـوـتـ مـرـعـبـ وـاحـدـ يـقـاجـيـهـ النـاسـ فـيـحـشـرـهـمـ لـيـومـ الـقـيـامـةـ . فـصـوـتـ النـفـيرـ المـرـعـبـ مـشـتـرـكـ فيـ الـلـوـحـاتـ الـثـلـاثـ ، كـاـنـ الـإـيمـاءـاتـ الـتـيـ تـرـسـهـاـ الـآـيـاتـ الـسـكـرـيمـةـ فـيـ الـذـهـنـ هـيـ تـفـسـهـاـ فـيـ كـلـ التـعـابـيرـ إـلاـ وـهـيـ الـفـزـعـ وـاسـرـاعـ النـاسـ نـحـوـهـمـ ، وـقـدـ ذـلـتـ نـفـوسـهـمـ وـاحـاطـهـمـ الـرـعـبـ وـالـفـزـعـ ، وـشـغـيلـ كـلـ مـنـهـمـ عـنـ غـيـرـهـ ، لـاـ يـفـكـرـ إـلاـ فـيـ الـحـولـ الـذـيـ يـنـتـظـرـهـ ، وـالـذـيـ رـأـىـ بـوـادـرـهـ فـيـ النـفـيرـ المـفـزـعـ الـذـيـ دـعـواـ بـوـاسـطـتـهـ

٢ - مـدـدـةـ لـلـنـفـيرـ :

حينـ كـثـرـتـ التـعـابـيرـ الـتـيـ تـصـورـ النـفـيرـ اـخـتـاطـتـ عـلـىـ المـفـسـرـينـ أـمـرـ تـحـديـدـ

المرات التي يدعى فيها الناس الى النفيء لذلک نراهم مثلا قد اختلفوا في تحديد الصيحة ، فقد فسّرها بعضهم مطلقة عن التحديد بالنفعة الأولى ، أو الثانية أو الثالثة عند بعض المفسرين (۱) وعند الطوسي والزمخشري النفعة الثانية (۲) وفسّرها الطبری بالنفعة الثالثة (۳) ، وكذلك الحال مع الزجرة (۴) .

واختلاف المفسرين في تحديد المرات التي يدعى فيها الناس يمكن أن نجد له تعليلا ، فهم لم يفهموا ان التعبير الستة التي مرت بنا إنما هي وسائل متعددة الوجوه لبيان صورة واحدة هي صورة النفيء الذي يدعى بواسطته الناس وان هذه التعبير تشتراك كلها في بيان هذه الصورة ، ثم إننا نجد في سياق الآيات التي ورد فيها ذكر الصور اشارات الى تكرر النفع فيه ، مما يدفع الذهن الى الاعتقاد بتكرار النفيء أكثر من مرة قال الله سبحانه وتعالى (ونُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِيقٌ مَّنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ مُّمْكِنٌ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قَيَامٌ يُنَظَّرُونَ) (۵) وقال أيضا (يَوْمَ تَرَجَّفُ الرَّاجِفَةُ ، تَتَبَعُهَا الرَّادِفَةُ) (۶) .

ويبدو انه لانعارض بين توكيده عز وجل الآيات التي تخص النفيء بكلمة (واحدة) (وما يَنْظُرُ هُؤُلَاءِ إِلَّا صِيحةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فُوَاقٍ) (۷)

(۱) جامع البيان ۲۳ : ۱۴ ، الكشاف ۳ : ۵۵ .

(۲) التبيان ۹ . ۳۷۶ ، الكشاف ۳ : ۱۶۵ .

(۳) جامع البيان ۲۳ : ۱۷ .

(۴) التبيان ۱۰ : ۲۵۴ ، الكشاف ۳ : ۳۰۹ .

(۵) سورة الزمر ۳۶ : ۶۸ .

(۶) سورة النازعات ۷-۶ : ۷۹ .

(۷) سورة ص ۳۸ : ۱۵ .

لتعارض بين هذا التوكيد وبين فهم المفسرين للنفحات وتحديدها بالأولى والثانية والثالثة ! لأن النفير الذي يدعى إليه الناس إنما يكون مرة واحدة سواء كان ذلك بالصور أو بدعوة الداعي ، وإنما يُسْتَفْسَحُ في الصور أول مرة فتموت الخلائق وهي التي يصفع لها من في السماوات والأرض ، وتحشر فيها الحياة ، وتتلاء هذه نفحة أخرى وهي نفحة النفير التي تبعث الناس من قبورهم إعلاماً لساعة الحساب ، ومن هنا نجد أن النفير ليوم القيمة إنما يكون بنفحة واحدة لعلاقة لها بالنفحة التي تسبق موت الخلائق ، وفناء العالم ، وهي بهذا لا تتدخل ضمن بحثنا للنفير وحشر الناس من قبورهم . ونجد لهذا التوكيد دلالة أخرى وهي تصويرها لسرعة مدة النفير ، وأنه يكون ببطوأة ودون تأخير ، وإنما يُؤكَد كون التعبير الستة السابقة وسائل عديدة لتصوير النفير وإنما لا يراد بها تحديد عدد المرات ان كلمة (واحدة) لازمت النفحة ، والصيحة ، والزجرة ، فلو كان القصد اظهار العدد للازمت تعبيراً واحداً دون التعبير الأخرى .

الا صيحة وحده ماها من فُوّاق) (١) :

وقد اختلف المفسرون في قراءة الفوّاق بالفتح أو الضم ، واختلفوا في تفسيرها تبعاً لذلك قال الفراء : (ماها من فُوّاق يقرأ بالضم والفتح أي ماها من راحة ، ولا افaque ، ولا نظرة ، وأصلها من الافاقه في الرضاع اذا ارتفعت البهeme امها ثم تركتها حتى تنزل شيئاً من اللبن فتلك الافاقه الفوّاق) (٢) . وقال أبو عبيدة ماها من فُوّاق من فتحها قال : ماها من راحة ، ومن ضمها فُوّاق يجعلها من فُوّاق ناقة وهو ما بين الحلبتين) (٣) أما الطبرى فاختلاف القراءة لاتعني عنده اختلافاً في المعنى لأنها قراءتان لكلمة واحدة تعنيان معنى واحداً) (٤) . وقد جمع الزمخشري المعنيين في تفسيره حين قال : (ماها من فوّاق وقرىء بالضم ماها من توقف مقدار فُوّاق الناقة وهو ما بين حلبى الحالب ، ورضعى الراضع ، يعني اذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان كقوله تعالى : (فاذا جاءَ أجيئُهم لا يستأخرونَ ساعه) (٥) .

اما عند اللغويين فنجد ان ابن فارس قد وضع معنى الاوبة والرجوع أصلاً للكلمة ، وحاول ان يربط المعاني الأخرى به كفُوّاق الناقة مثلاً ، ولكن الظاهر ان معنى الاوبة والرجوع متاخر عن معنى فُوّاق الناقة ،

(١) سورة ص ٣٨ : ١٢ - ١٥ .

(٢) لسان العرب ١٢ : ١٩٤ .

(٣) بجاز القرآن ٢ : ١٧٩ ، غريب القرآن : ١٨٥ ، تأويل مشكل القرآن ١١٣ ، مجالس ثعلب ١ : ١٦١ ، الصحاح ٤ : ١٥٤٦ ، مقاييس اللغة ٤ : ٤٦١ ، المخصص ٧ : ٣٧ .

(٤) جامع البيان ٢٣ : ١٣٣ .

(٥) الكشاف ٣ : ٤٦١ .

وذلك لأن الثاني معنى حسي اسبق في الوجود في البيئة الغربية التي اهتمت أول ما اهتمت بالمعاني المتعلقة في بيئتها ، ثم اشتقت منها المعاني الأخرى ومنها المجازية مثلاً .

وفُوق الناقة رجوع اللبن في ضرعها بعد الحليب (١) ، أو هو ما يين الحلبين من الوقت ، لأنها تخلب فترة ثم ترك يرضعها الفضيل لتسدر ثم تُحاب (٢) وقد وردت في الشعر الجاهلي دالة على هذا المعنى الحسي كما وردت في شواهد أخرى دالة على المعاني المجازية قال الأعشى :

حتى اذا فِيقَةٌ في ضَرْعِهَا اجتمعَتْ

جاءَتْ لترضع شَقَّ النَّفْسِ او رَصَمَا (٣)

وقال أيضاً متغلاً بصاحبه مشبهاً إياها بالظبية ثم يستمر واصفاً الظبية :
ما تعودي عنه النهارَ ولا تعَ جُوهُ الا عفافَةَ او فوَاقَ
أي إنها لا تبتعد عن رضيعها طول النهار ، ولا تؤخر رضاعته إلاريثاً
يجتمع في ضرعها بعض اللبن (٤) وقال الطرماح وهو الشاعر الخارجي الذي
ينحو في شعره نحو الاعراب وأهل البادية قال يصف سرعة قداح اجيال
في شبهاها بغزلان تذكرت فيقة ارامها :

تَخُورُّ بِالْأَيْدِي اذَا اسْتَعْجِلَتْ عَدْوًا عَلَى خِفَةِ اجسامِهَا
خوارَ غَزَلانَ اِبْوَى هِيشَمٍ تذَكَرَتْ فِيقَةَ اِرَامِهَا (٥)
ووردت كذلك في الحديث النبوي الشريف في قوله (ص) من قاتل

(١) العين : الورقة (٥٦) ، مقاييس اللغة ٤ : ٤٦١ .

(٢) تأويل مشكل القرآن ١١٣:٤ ، الصحاح ١٥٤٦:٤ ، غريب القرآن ١٨٥ .

(٣) ديوان الأعشى ١٣ ، وانظر أيضاً شرح القصائد السبع ١٣ .

(٤) ديوان الأعشى ٣٢ .

(٥) ديوان الطرماح ١٦٣ .

في سبيل الله فواف ناقة وجبت له الجنة (١) . وروى عنه (ص) انه قال : عيادة المريض قدر فواف ناقة (٢) . ومن هذا المعنى الحسي استفنت باقي المعاني الأخرى المعنوية منها والمحاجية فالآفواه ما اجتمع من السحاب من ماء فهو يعطر ساعة بعد ساعة (٣) . وصورة فواف الناقة واضحة هنا في اجتماع الماء في السحاب بين الفينة والأخرى .

ومن المجاز تَفَوَّقْتُ الماء شربته شيئاً بعـد شيء (٤) ، وكذلك الفواف وهو الذي يأخذ الانسان عند النزاع ، وكذلك الريح التي تشخيص في صدره (٥) والفواف ترديد الشهقة (٦) فكان نزع الموت سمي فوافاً لأن الروح عند النزع نقى ثم تعود ، كما يرجع اللبن عند فواف الناقة .

وقولهم ما يفيف وما يستفيق من الشرب (٧) : واستفنا من مرضه وأفاق (٨) . وهذا المعنى مستمد أيضاً من المعنى الحسي المستعمل في الآية وهو فواف الناقة ، وقد صرَّح المفضل بن سلمة بهذا الأصل وعلقه بافادة الشرب ، (ما يفيف وما يستفيق من الشرب معناه انه لا يدعه ، وأصل هذا من قولهم استفنت الناقة وهو ان تحبلها ثم تدعها حتى يشوب لبنها

(١) سنن الدارمي ٢: ٢٠١ ، وانظر أيضاً مسنـد الامام أحمد ٢: ٢٠٦ .

(٢) لسان العرب ١٢: ١٩٤ .

(٣) أساس البلاغة : ٧٣٢ ، المخصص ٧: ٣٨ .

(٤) أساس البلاغة : ٧٣٢ ، المخصص ٧: ٣٨ ، ٩: ١٠٨ .

(٥) الصداح ٤: ١٥٤٦ ، المخصص ٣: ١١٧ ، ٥: ٧٨ .

(٦) لسان العرب ١٢: ١٩١ ، التوادر ١: ١٠٣ ، المخصص ٦: ٢٣ .

(٧) الفاخر : ٢٨١ .

(٨) الصداح ٤: ١٥٤٧ ، المخصص ٥: ٨٧ .

ثم تخلبها . فقولهم مايفيق وما يستفيقُ أَيْ لِيْسَ لَهُ وَقْتٌ مَعْلُومٌ .)١(.
 ومن هنا نرى ان قوله سبحانه وتعالى : (وَمَا يَسْتَظِرُ هُؤُلَاءِ إِلَّا صَبَحةً
 واحدةً مَاهًا مِنْ فَوْاقِ)٢(اى ما يرسم للسامع صورة واضحة الملائم للبيئة
 العربية اذ انها توحى أول ماتوحى بالأصل الحسي وهو فوق الناقة الى
 جانب المعنى المجازي المراد من الآية وهو معنى العودة والرجوع . ونحن
 نعرف أهمية الناقة في الحياة العربية وصلة العربي بها ، وكيف ان لغته قد
 وفرت بالألفاظ التي تخص الابل)٣(. فتنقل الآية الكريمة الى الذهن الفرة
 القليلة التي يستلزمها فوق الناقة ، ويعكس لنا هذا المعنى أهمية الناقة ،
 وكيف انها ربطت حياة العرب بها حتى صار يحدد بعض أوقاته ، بظاهرة
 تحدث أمام ناظريه ، وهي الفترة القصيرة التي تستدعي زرول اللبن من الصرع
 ومن هنا جاء الاعجاز القرآني يرسم صوراً شتى في ذهن القارئ في كلامة
 واحدة لها دلالتها على البيئة العربية كالالفواقي بدلاً أن يقرر بتعبير معنوي
 خالص بأن التفير الذي يدعى إليه الناس لا مفر منه ولا مهرب من عذابه ،
 وقد أكد هذا المعنى في آيات أخرى للدلالة على سرعة قيام الساعة (وما
 أَمْرٌ السَّاعَةِ إِلَّا كَانَ مُحْكَمٌ الْبَصَرَ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ)٤(. (وما أمرنا إِلَّا
 واحدةً كَلِمَحٍ بِالْبَصَرِ)٥(.

هذه هي صور التفير بتعابيرها المختلفة التي تصور سرعة قيام الناس

(١) الفاخر : ٢٨١ ،

(٢) سورة ص ٣٨ . ١٥ .

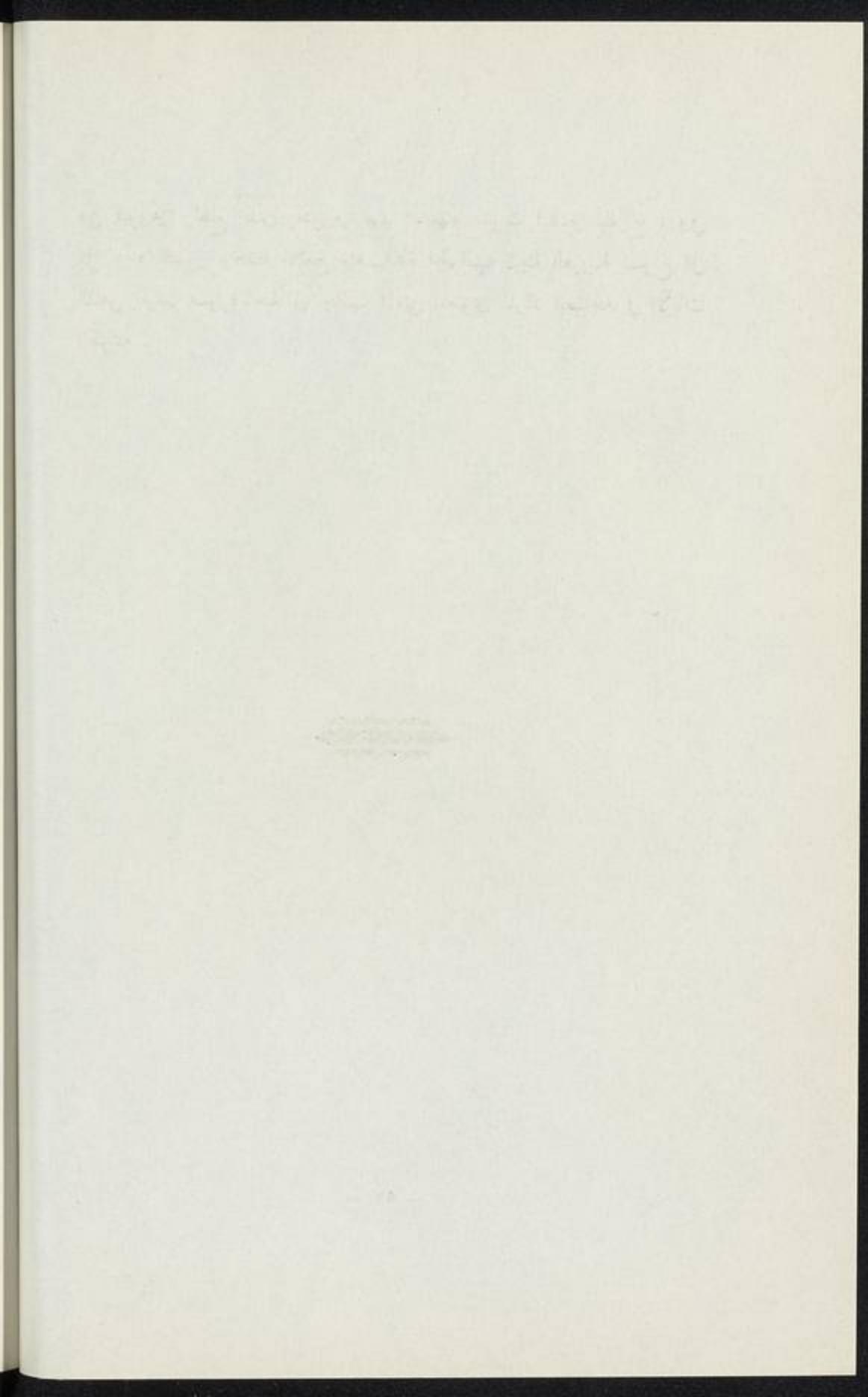
(٣) أنظر المخصص كتاب الابل ١٧٤ - ١٧٦ .

(٤) سورة النحل ١٦ : ٧٧ .

(٥) سورة القمر ٥٤ : ٥٠ .

من قبورهم والطلع الذي يغتورهم عند سماعهم صوت النمير المفزع ، وفي كل هذه الصور وجدنا ملامح متعددة الجوانب للبيئة العربية تسرع الى الذهن لترسم صورة حية الى جانب المعنى المعنوي المراد ايضاحه في الآيات الكريمة .





الفَصْلُ الثَّانِي

اضطراب السماوات والأرض

١ - اضطراب الأرض .

أ - رجتها وزلزلتها

ب - تكسر الجبال وتفتتتها

١ - سير الجبال وتشبيهها بالسراب

٢ - نسفها

٣ - بسها

٤ - تشبيهها بالعهن

٥ - سرعة انهيارها

٢ - اضطراب السماوات

أ - تحولها إلى سائل

ب - دورانها

ج - تشققها وانفطارها

د - تناثر النجوم

200

١ - اضطراب الأرض

بعد مشهد النفيث المفزع الذي مرت بنا صوره سابقاً تحدث في الكون
عدة ظواهر تشارك كلها في اظهار جو رهيب مفزع يقف الناس أمام هوله
وفي كل تعبير نجد تصويراً انسانياً رائعاً وتجسيداً واضحاً للبيئة العربية .

أ - رجتها وزلازلها

ان الظاهرة التي تعرض للارض عبر عنها بعدة تعبيرات تشارك كلها في
اجداد صورة واحدة تمثل فيها حالة الأرض بعد النفيث . قال الله سبحانه وتعالى :
(واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب ، يوم يسمعون
الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج ، إنا نحن نُحي ونحي ، واليابان المصير
يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً ذلك حشر علينا يسير) (١) .

فالارض بعد صيحة المنادي تتصدع وتتفطر كما يقول المفسرون (٢) .
وفي سورة الواقعة نجد تصويراً حال الأرض فيه حركة ملزمة للتشقق ،
والتصدع . قال سبحانه وتعالى : (اذا وقعت الواقعة ، ليس لوقعتها كاذبة
خافية رافعة ، اذا رجحت الأرض رجا ، وبُستَتْ الجبال بسا) (٣) .
فرجة الأرض هنا معناها اضطرابها ، وحركتها السريعة أثر صعقة النفيث (٤)

(١) سورة ق ٥٠ : ٤١ - ٤٥ .

(٢) مجاز القرآن ٢ : ٢٤٧ ، جامع البيان ٢٦ : ١٨٤ ، التبيان ٩ : ٣٧٥ ، الكشاف ٣ : ١٦٥ .

(٣) سورة الواقعة ٥٦ : ١ - ٥ .

(٤) مجاز القرآن ٢ : ٢٤٧ ، جامع البيان ٢٧ : ١٦٧ ، التبيان ٩ : ٤٨٨ .

والرج في اللغة (أصل بدل على الاضطراب ...) والرج تحرير الشيء
 تقول رجحت الحائط رجا ، وارتج الجمر (١) وقال ابن دريد (وسمعت
 رجحة القوم ، أي أصواتهم ، وكذلك رجة الرعد أي صوته) (٢) .
 فكأن القوم لا يسمع صوتهم الا اذا اضطربوا ، وارتجوا لأمر مفزع ،
 وكذلك الرعد يسمع صوته حين تصطدم سحابتان بعضها ببعض ، فكأن
 صوتها يأتي نتيجة الاضطراب والرجة .

وهناك دلالة حسية أخرى غير معنى الاضطراب ، وهي تلك التي
 أشار إليها أبو عبيدة بقوله مفسراً رجة الأرض : (اضطررت والسهم يرتج
 في الغرض) (٣) . وقال الطبرى : (اذا رجت الأرض رجا ، يقول تعالى
 اذا زالت الأرض فحركت تحريراً كما من قوله السهم يرتج في الغرض بمعنى
 يهتز ويضطرب) (٤) .

وهذا التفسير ينتمي الى الذهن صورة الرمح حين يرتج ويضطرب .
 بالإضافة الى دلالته على لصوق صورة الرمح في البيئة العربية المضطربة ،
 حيث الغزوات المفاجئة والموت المحم اذا اهتز الرمح ، واضطرب في يد
 حامله . واطلاعاً ذكر الشعاء الرماح وآلات الحرب في اشعارهم ، ووصفوها
 بدقة ، لأنها ركن أساسى في حيائهم المضطربة (٥) .

(١) مقاييس اللغة ٢: ٣٨٤ ، وانظر أيضاً المفردات : ١٨٦ ، أساس
 البلاغة : ٣٢٣ ، اسان العرب ٣: ١٠٦ .

(٢) جمهرة اللغة ١: ٥١ ، وانظر شاهد الشعر في ديوان امرى القيس : ٢١٦

(٣) مجاز القرآن ٢: ٢٤٧ .

(٤) جامع البيان ٢٧: ١٦٧ ، وانظر أيضاً التبيان ٩: ٤٨٨ الكشاف ٣: ١٩٩

(٥) انظر في هذا الموضوع بحث وصف الرماح في البيئة الجاهلية في كتاب

الوصف في شهر العراق : ٥٨ .

ومع اقتران هذا التوجيه بصورة واضحة من البيئة العربية وهي اهتزاز الرماح ، فان هناك تصویراً أشمل لرجة الأرض المربعة ، وذلك ان ترج الأرض فيضطرب على أرها كل ما وجد عليها من بناء ، وجبال ، فتنداعي أركان الكون الواحدة تلو الاخرى وقد ذكره الطوسي الى جانب اهتزازة الرمح بقوله : (وقيل ترج الأرض بمعنى انه ينهدم كل بناء على الأرض) (١) . وقال الزمخشري : (رجت الأرض ، حرقت تحريراً كأشدیداً حتى ينهدم كل شيء فوقها) (٢) ،

فالأرض عند اضطرابها ترتجع رجأً شدیداً مرعباً مثل ارتجاج الرمح عند اشتداد الحروب ، ونتيجه هذه الاضطرابات السريعة يسود الاضطراب الكون كله ، فينهدم كل ماعليها من بناء وجبال .

والزلزلة تعبير آخر يصور الظاهرة التي تعرض للارض ، وقد فسرت بالاضطراب ، والحركة الشديدة ، قال ابن عباس (تزلزلت الأرض زلزلة واضطربت الأرض اضطرابة ، فانكسر ما عليها من الشجر ، والجبال ، والبنيان) (٣) . ولعل أقرب المعاني الحسية التي وصلتنا لاستعمال الكلمة هي زلزلة الأرض على اعتبارها احدى الظواهر الطبيعية التي تحدث في الأرض قال ابن دريد : (الزلزلة الاضطراب . أخذ من زلزالت الأرض زلزالاً) (٤) ومن هذا المعنى زلة القدم ، وذلك ان يقال : (زللتْ بافلان

(١) البيان ٩ : ٤٨٨ .

(٢) الكشاف ٣ : ١٩٣ .

(٣) تنوير المقاييس : ٣٩٤ ، جامع البيان ٣٠ : ٣٦٥ ، وانظر أيضاً جمهرة اللغة ١ : ١٤٩ مقاييس اللغة ٣ : ٤ ، لسان العرب ١٣ : ٣٢٧ .

(٤) جمهرة اللغة ١ : ١٤٩ ، معجم مقاييس اللغة ٣ : ٤ .

بالفتح ، تَنْزِيلٌ زللا ، اذا زلَّ في طين) (١) . و (زحلوقة زُلَّ أَي
رَأْقَى ، قال الراجز :

لن زحلوقة زُلَّ بِهَا العِيَانُ تَنْهَىَلٌ) (٢)

وهذا الاستعمال مرتبط بالاستعمال المادي ، وهو الاضطراب ، فكأن
الأرض تضطرب تحت قدمي الرجل ، فيقال عنه زلت قدمه) (٣) .

لقد افترنت الزلزلة بالاضطراب ، والحركة المفزعنة في الذهن العربي
لما تركه من أخطار ، وآثار جسيمة في أرواح الناس ، ومتلكاتهم ، وهذا
الاقتران هو الذي جعلهم يطلقون الكلمة على المصيبة والداهية) (٤) . قالت
النساء رثى أخاها بأن الجبال الشوامخ رجت لمصيبة فقده ، وإن الأرض
هي الأخرى اضطربت وزلزلت :

فإنْ تَلَكْ مِرَّةً أَوْدَتْ بِهِ فَقَدْ كَانَ يَكْثُرْ تَقْتَاهَا
فَحَرَّشَ الشَّوَامِخُ مِنْ فَقْدِهِ وَزَلَّتْ الْأَرْضُ زِلَّاهَا) (٥)

(١) لسان العرب ١٣ : ٣٢٥ .

(٢) الصداح ٥ : ١٧١٧ ، وانظر أيضاً لسان العرب ٣ : ٣٢٥ ، والبيت

غير منسوب .

(٣) أنظر في هذا ديوان الخطيبية : ٥٥ ، المفضليات ٩٥ ، ٢٣٩ ، شرح

ديوان الحجامة ٢ : ٨٩٧ ، ١ : ٤٥٣ .

(٤) التهذيب ١ : الورقة (١٢٣) جمهـرة اللغة ١ : ١٤٩ ، الصداح ٥ :

٧١٧ ، أساس البلاغة : ٤٠٥ ، لسان العرب ١٣ : ٣٢٧ ، وبهذا المعنى فسر قوله تعالى
(وزلزلوا زلزا شديدا) سورة الأحزاب ١٣ : ١١ ، أنظر مجاز القرآن ٢ : ٢٣٤

تفسير التستري : ١٦ ، تفسير ابن أبي حاتم الرازي : الورقة (٣) (ب) لسان العرب ١٣ : ٣٢٧

(٥) الكامل للمبرد ٣ : ١٢١٦ ، والبيت الثاني غير موجود في شرح ديوان

الحساء : ٢١٨ ، وانظر أيضاً أمالي اليزيدي : ٣٢ ، وانظر أيضاً ديوان المزرد بن

ضرار : ٣٥ .

ومن هنا يتضح معنى الزلزلة وما توجيهه من الاضطراب ، والحركة السريعة الشديدة وحين نفهم هذه المعانى نستطيع ان نتحسس أي معنى مفزع ، وحركة مرعبة توحى لها الآيات الكريمة : (اذا زلزلت الارض زلزاها ، وأخرجت الارض اثقالها ، وقال الانسان : ماذا ؟ يومئذ تحدث اخبارها) (١) . فنجد فيها تصويرا حيا لحال الارض بعد التفير بحيث ترج رجا شديدا وتزلزل بما فيها من جبال واناس ، وتلفظ ما في جوفها من الدفائن وهي ترسم في الذهن زلزلة الارض ، واضطراها الشامل كما ترسم لنا ذلك الاضطراب الذي يعتري الانسان ، فيشعر كأن الارض تهتز تحته ، وتضطرب .

ب — تكسر الجبال وتفتتها :

اما الجبال فانها هي الاخرى يصيدها من الاضطراب ما يصيب الارض من هول موقف القيامة ولتصوير حال الجبال ، واضطراها عادة تعبير قرآنية تجتمع كلها لايجاد صورة واحدة لاضطراب الجبال يوم القيمة . وفي كل تعبير منها نجد دلالة واضحة لابية العربية واول هذه التعبير هو

١ — سير الجبال وتشبيهها بالسرااب :

تسخير الجبال من أول الصور التي تصور حال الجبال يوم القيمة : قال الله تعالى : (يوم نُسَيِّرُ الجبال ، وترى الارض بارزة ، وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نَعَاذِرْ مِنْهُمْ احْدًا) (٢) .

وفي سورة النمل شبه سير الجبال بمرور السحاب : (وترى الجبال

— البزريدي : ٣٢ ديوان المزرد بن ضرار : ٣٥

(١) سورة الزلزلة ٩٩ : ١ - ٤

(٢) سورة الكهف ١٨ : ٤٦

تحسّبها جامدة وهي تمر مر السحاب . (١) . قال ابن عباس : (ساكنة مستقرة ، وهي تمر مر السحاب في الماء) (٢) . وفي الطبرى رواية أخرى عن ابن عباس ايضاً تعلل كون الجبال جامدة (لأنها تُجتمع ، ثم تُسَيِّر) : فيحسب رأيهما لكثرتها أنها واقفة ، وهي تسير سيراً حثثاً كما قال الجعدي :

بأَرَّعْنَ مُشَلَّ الطَّوْرُ تَحْسِبُّ اَنْهُمْ

وَقُوفٌ لَحَاجٌ : وَالرَّكَابُ تَهْمَلْجُ (٣)

واضاف الطوسي : (اي من اجل كثرةهم ، والتفافهم تحسّب انهم وقوف ، فكذلك الجبال) (٤) .

وذكر القاضي عبد الجبار بن احمد (٥) تعليلاً آخر لهذا التعبير: وهو قوله ، (وقد قيل أنها تبلغ في سرعة الحركة ، مala يكاد يظن أنها

(١) سورة النمل ٢٦٧: ٨٨

(٢) تنویر المقیاس : ٢٣٩ ، وانظر ايضاً جامع البیان ١٥ ، ٢٥٧ ، ٢١
الکشاف ٢ ، ٢٦١

(٣) جامع البیان ٢٠ ، ٢١ ، والبیت في دیوان النابغة الجعدي ١٨٧ ،
الارعن يربد به الجيش العظيم شبهه بالجبل الضخم ذي الرعنان وهي الفضول ،
وقبل الارعن لكثرته ، وتهملج تمشي المحملجة وهي السير الحسن في سرعة . والبیت
شاهد على ان الشيء الضخم تراه وهو يتحرك فتحسّبه جامداً ساكناً مع انه مسرع
في سيره . . . وذلك هو شأن الجبال يوم القيمة .

(٤) التبیان ٨: ١٢٤ وانظر ايضاً ٢: ٤٦٣

(٥) هو عبد الجبار بن احمد الحمداني ، قاضي اصولي كان شيخ : المعزلة
في عصره ولقب بقاضي القضاة توفي سنة ٤١٥ هـ انظر تاريخ بغداد ١١٣: ١١
لسان المیزان ٣: ٣٨٦

مثجر كة خصوصاً اذا كان الماء يتحرك مع حركتها : فيكون اسرع كراكب السفينة ، فإنه يظن مع سائر الركاب انهم ساكنون ، وان كانوا يتحرر كون اسرع حرفة (١) .

ومشهد سير الجبال شبه في سورة النبأ بالسراب ، وسنجد ما لهذا التعبير ، من دلالة على الهيئة العربية . قال الله تعالى : (يوم ينفتح في الصور فتأنون افواجا ، وفتحت السماء فكانت ابوابا ، وسرايرت الجبال فكانت سرابا) (٢) .

قال الطبرى مفسراً هذا التشبيه : ونصف الجبال ، فاجتثت من اصولها : فصبرت هباء منبتاً لعين الناظر كالسراب الذى يظن من براد عن بعد ماء وهو في الحقيقة هباء (٣) وقد قال اللغويون عن السراب بأنه الذى تراه في نصف النهار كأنه ماء (٤) .

وتشبيه الجبال بالسراب له دلالة جميلة على البيئة العربية : فطالما عانى العربى في صحرائهم الواسعة من خداع السراب حين يراه امام ناظريه ويتصوره ماء ، ولكنه في حقيقته من خداع الصحراء ومن خيال العربى المتعطش الى الماء . قال الاعشى في حدبه عن سد مأرب : وكيف انه بتدميره اضاع المياه على بني حمير .

قطار القبول وقيلاتها فيها سراب بطيم (٥)

(١) تنزيل القرآن : ٢٦٤

(٢) سورة النبأ ٧٨: ١٨ - ٢٠

(٣) جامع البيان ٣٠: ٨ : وكذا فسر قوله تعالى في سورة التكوير ١: ٨١

انظر جامع البيان ٣٠: ٦٥ ، الكشاف ٣: ٣١٥

(٤) الصحاح ١: ١٤٧ ، لسان العرب ١: ٤٤٨

(٥) ديوان الاعشى: ٤٣

يريد بذلك ان هؤلاء القبول قد ابدلوا بالماء الوفير الذي كان متوفراً قبل انفجار سد مأرب بالحرمان من الماء : والضلال في الصحراء الواسعة حين لا يجدون الا السراب الخداع المؤلم . وقال لييد مفتخرًا بنافته التي تتحمل المسير في البيداء حيث يرتفع فيها السراب ، ويشتت الحر :
 فبذلك اذ رقصَ الْأَوَاعِمُ بالضحى واجتاب اردية السراب إكاهها (١)
 وقال آخر راسما صورة قوم يخدعون السراب فيسرون على غير

هذا بقوله :

وَمِنْهُمْ فِيهِ السَّرَابُ يَسْجُعُ يَدَابُ فِيهِ الْقَوْمُ حَتَّى يَطْلَبُوهَا
 ثُمَّ يَبْيَتُونَ كَانُوا لَمْ يَبْرُحُوا كَانُوا أَمْسَوْا بِحِيثِ أَصْبَحُوا (٢)
 انها صورة خالدة في الذهن العربي : صورة السراب الذي تتأمله العين
 فتخدع : وتتصوره ماء ، ولكن سرعان ما تدين خديتها حين يجدُ الانسان
 في السير ، فلا يجد غير الخيبة ، والفشل ، وبهذا استغير السراب لكل من يتأمل
 شيئاً لا وجود له ، وقد ورد بهذا المعنى في القرآن الكريم في تشبيه أعمال
 الكافرين التي تذهب هباء يوم القيمة :
 (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَلُهُمْ كَسْرَابٌ بِقِبْعَةٍ يَحْسِبُهُ الظَّمَآنُ مَاءً
 حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ، وَوَجَدَ اللَّهَ عَنْهُمْ فَوْفَاهُ حِسَابٌ ،
 وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) (٣) .

ومن هنا نستطيع ان نتصور حال الجبال يوم القيمة ، ودلالة التعبير
 الدقيق على البيئة العربية اذ تفتت الجبال ، وتتكسر فتبعد كأنها سراب
 خادع كالذي يشهده العربي في صحرائه الواسعة . وبهذا تحمل الآية الى

(١) شرح ديوان لييد: ٣١٢: ٣٠١ المفضلات: ١٧١

(٢) الصناعتين: ٢٨٤ والبيت غير منسوب

(٣) سورة النور: ٢٤: ٣٩

جانب التصوير المادي لحال الجبال كل معانٍ الخيبة ، وضياع الامل يوم القيامة حين يواجه الكافر هذا الاضطراب المفزع ، وهو صفر اليدين من الاعمال الحسنة .

٢ - نسفيها :

والتعبير الثاني الذي يصور تفتت الجبال ، وانهادها الهائل هو نسفيها في قوله تعالى حين سأله المشركون الرسول عن الجبال اذا قامت القيامة : (ويُسأَلُونَكَ عَنِ الْجَبَالِ) ، فقل (يَنْسِفُهَا رَبُّ الْأَرْضِ) ، فَيَنْسِفُهَا قَاعًا صَفَصَفًا ، لا ترى فيها عِوَاجًا ولا أَمْتًا) (١) . وقد فسر نسف الجبال هنا بمعنى قلعها ، واحتراقها ، قال ابن عباس : (يقلعها رب قلعا (فيذرها) فيترك الأرض (قاعا) مستوية (صَفَصَفًا) املس لأنيات فيها (لا ترى فيها عِوَاجًا) واديا ، ولا شقوقا (ولا امْتًا) ولا شيئاً شاخصاً من الأرض) (٢) . واضاف الطبرى الى معنى القلع معنى التذرية ، والتفتت قال : (يذريها رب تذرية) ويطيرها بقلعها ، واستتصاصها من اصولها : ودك بعضها على بعض وتصيره ايها هباء منبأ) (٣) وقد اعتمد في هذا التفسير على المعنى اللغوي المعروف وهو قوله : (نسفت البناء نسفاً : قلعته) (٤) . و (المنسفة آلة يقلع بها البناء) (٥) .
واذا تبعنا الترتيب التاريخي للكلمة نجد ان معنى القام معنى متتطور

(١) سورة طه ٢٠ : ١٠٥ - ١٠٧

(٢) تنوير المقاييس : ١٩٨

(٣) جامع البيان ١٦ : ٢١١ ، وانظر ايضاً التبيان ١٠ : ٢٢٥

(٤) الصبحاح ٤ : ١٤٣١ ، وانظر ايضاً اساس البلاغة : ٩٥٣ ، لسان

العرب ١١ : ٢٤٢

(٥) ن . م

عن معنى حسي آخر ، ذلك هو معنى نصف الريح التراب اذا كانت
شديدة فتدروه في الجو (انتفت الريح الشيء مثل التراب : والعصف ، كأنها
كشفته عن وجه الأرض . وسلبته) (١) .

وقد تكرر ذكر نصف الريح التراب في اشعارهم ، ومقدماتهم
الطلية حين وصفوا ديار الحبيبة بعد ان هجرتها ، وكيف لعبت بها الرياح
ونصف ترابها . قال النابغة :

أهـاجـكـ من سـعـدـاـكـ مـعـنـيـ المـاهـدـ بـرـوـضـةـ نـعـمـيـ فـذـاتـ الأـسـاوـدـ
تـعاـوـرـهـ الـأـرـوـاحـ يـشـفـيـنـ تـرـبـهـاـ وـكـلـ مـلـثـ ذـيـ اـهـاضـبـ رـاعـدـ (٢)
وـمـنـ هـذـاـ مـعـنـيـ حـسـيـ اـسـتـعـارـ الـعـرـبـ مـعـنـيـ حـسـيـ آخرـ يـتـكـرـرـ اـيـضاـ
فيـ حـيـاتـهـ الـيـوـمـيـةـ حـيـنـ تـنـفـ الـأـبـلـ التـرـابـ بـقـوـائـمـهـ ، فـتـدـرـوـهـ عـلـىـ جـانـبـ
مـسـيرـهـ ، فـقـيـلـ : (نـاقـةـ نـسـوـفـ اـذـاـ نـسـفـ التـرـابـ بـخـفـيـ يـدـهـاـ فـيـ
سـيـرـهـ) (٣) . وـهـوـ مـعـنـيـ يـظـهـرـ فـيـهـ مـعـنـيـ الـقـلـمـ الـمـصـحـوبـ بـتـطـاـيرـ وـتـدـرـيـةـ .
ثـمـ اـحـتـاجـ الـعـرـبـ فـيـ بـيـثـتـهـ اـلـىـ مـاـ يـذـرـيـ بـهـ طـعـامـهـ ، وـيـنـسـفـهـ لـيـسـتـخـلـصـ
الـجـيدـ مـنـ الرـدـيـ ، وـهـوـ الذـيـ أـطـلـقـ عـلـيـهـ النـسـافـةـ (٤) : وـمـنـهـ الـمـنـسـفـ ،
وـهـوـ الغـرـبـالـ (٥) .

(١) مقاييس اللغة ٥ : ٤١٩ ، وانظر ايضاً المخصص ٩ : ٨٩ لسان

العرب ١١ / ٢٤١

(٢) ديوان النابغة الذبياني : ٤٢ ، وانظر ايضاً المنازل والديار : ٢٠٦

(٣) ابو زيد عن لسان العرب ١١ : ٢٤١ ، ٤١٩ ، وانظر ايضاً النوادر ١ : ٤١٩ ،

الصحابح ٤ : ١٤٣٢ ، مقاييس اللغة ٥ : ٤١٣ ، المخصص ٦ : ٩١ ، ١٧٢ ،
وانظر الشعر في شرح ديوان زهير : ١٩١ ، ديوان سعديم : ٤٨

(٤) الغريب المصنف الورقة : (٢٨٤)

(٥) الصحاح ١ : ١٤٣١ ، اساس البلاغة : ٩٥٣

وحركة التراب تذروه الرياح واضحة كل الوضوح في كل المعاني الأخيرة حيث يتطاير التراب تحت قدمي الناقة بعد ان تقتله ، وكذلك حين تقلع النبات بمقدم فيها : واخيراً في حركة المنسف الذي تنفس فيه الحبوب ، فيظهر النسف ، وحركة تطايره في تطاير الحبوب ، واستخلاص الجيد من الرديء منها . ويتبين لنا فيها ان الاستعمال المادي الاول مازال محافظاً على معناه في كل معانى الكلمة ، وبقيت صورته الأولى هي الصورة الغالبة على الذهن العربي حيث تقلع الريح التراب : وتنفسه في الجو وتذروه فقوله تعالى : (ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها رب نسفاً فيذرها قاعاً صفصحاً لا ترى فيها عوجاً ولا أمتا) (١) نجد فيه صدى البيئة العربية التي طالما اجتاحتها الريح القوية ، فانتسفت الرمال من الصحراء الواسعة ، وقد ورد في القرآن الكريم تصوير رائع لهذا المشهد ، حين شبهت به اعمال الكافرين التي تذهب هباء (مثل الذين كفروا بربهم أعمالهم كرماد اشتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مما كسبوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد) (٢) .

٣ - بسها .

قال الله سبحانه وتعالى : (اذا وقعت الواقعة ، ليس لوقعتها كاذبة ، خايفة رافعة اذا رجت الارض رجاً وبست الجبال بسما فكانت هباء مُنبثا) (٣) .

فبس الجبال - وهو تفتقها - (٤) استعمل مجازاً ، وهذا المجاز ينقل

(١) سورة طه ٢٠: ١٠٥ - ١٠٧

(٢) سورة إبراهيم ١٤: ١٨

(٣) سورة الواقعة ٥٦: ١ - ٥

(٤) اللغات في القرآن : ٤٨

الى الجبال صورتين من صور البيئة العربية : الأولى ان تفتت الجبال حتى تكون كالعجبين : والسوق قال ابن السكري ، (بَسَّسْتُ السُّوقَ ،
وَالدِّيقَ ابْسَهَ بَسَا) : اذا بلته بشيء من الماء ، وهو أشد من
اللات) (١) والبسية هي (الَّتِي تُلَمَّتْ بِسْمٍ او زيت ولا تُبَلَّ) (٢)
ومن هذا المعنى الحسي فهم بعضهم الآية الكريمة السابقة فقال
أبو عبيدة مفسراً بس الجبال : (مجازُهَا كِمَاجَازِ السُّوقِ الْمَبْوَسِ أَيِّ
الْمَبْلُولِ وَالْعَجَبِينِ ، قَالَ لِصَنْ منْ غَطْفَانَ وَارَادَ أَنْ يَخْبِزَ ، فَخَافَ أَنْ يَعْجَلَ
الْدِيقَ ، فَاكْلَهُ عَجَبِيْنَا وَقَالَ :

لَا تَخْبِزَا خَبْزاً وَبُسَا بَسَا (٣)

وصورة بس السوق التي ينقلها ابو عبيدة تفسر لنا الآية الكريمة ،
وتصور حال الجبال يوم القيمة ، وكيف أنها اذا زلت الأرض واضطررت
يصيبها الاضطراب فتفتفت وتختطم حتى تكون كالعجبين المبسوش الذي طالما
استعمله العرب في حياتهم ومعيشتهم فعرفوا مدى ما يصوره تعير البس
لله بال من الدقة في التحطم . والتتحول الى فتیت ناعم .

اما الصورة الثانية للبس فانها مستمدۃ ايضاً من البيئة العربية : وهي
صورة سوق الابل : وتسیرها . قال الزجاج شارحاً الآية : (يجوز ان

(١) عن لسان العرب ٧ : ٣٢٧

(٢) الغريب المصنف : الورقة (٩٣) الصحاح ٢ : ٩٠٥ ، لسان

العرب ٧ : ٣٢٤ ، ٣٢٥

(٣) مجاز القرآن ٢ : ٢٤٧ وانتظر ايضاً جامع البيان ٢٧ : ١٦٧
التبيان ٩ : ٤٨٨ الكشاف ٣ : ١٩٣ ، والبيت مذكور مع ايات في الحيوان
٤ : ٤٩٠ جمهرة اللغة ١ : ٣٠ ، الصحاح ٢ : ٩٠٥ ، وروي في
المخصوص عن صاحب العين (وُنْسَانَسَا) ٧ : ١٠٤

يكون معنى بست : سبقت وانشد : وابن حبات الكثيب الأهل) (١)
وقال الزمخشري مضيفاً إلى التفسير الأول قوله : (او سبقت من بس
الغمم اذا ساقها كقوله « وسیرت الجبال » (٢) . فهذا التفسير يعطيها
صورة للتعبير الذي استعملت فيه الكلمة للدلالة على السوق قبل (البس :
السوق اللين وقد بَسَتُ الابل أَبْسُهَا بِالضَّمْ بَسَا) (٣) . قال ابو
زبيد (٤) مسمياً الراعي بالمبس :

فَلَحَّا اللَّهُ طَالِبُ الصَّلَحِ مِنَ مَا اطَافَ الْمُبَسِّسُ بِالدَّهَاءِ (٥)

وقال عبده بن الطبيب (٦) يصف فرسه ، وكيف انه يستجيب له
اذا ابسه ، وساقه بين الحيل :

(١) عن النبيان ٩ : ٤٨٨ : وانظر الرجز في الحيوان ٤ : ٢٥٦

(٢) الكشاف ٣ : ١٩٣

(٣) الغريب المصنف : الورقة « ٣٩٩ » : وانظر ايضاً جمهرة اللغة
١ : ٣٠ ، الصحاح ٢ : ٩٠٦ ، أساس البلاغة : ٤٦ ، المخصص
٨ : ٩ وانظر ايضاً ديوان النابغة الجعدي : ٣ ، ديوان الشماخ : ٣٣
(٤) هو المنذر بن حرملة من بني حية : وقبل حرملة بن المنذر بن
معد يكرب ، وكان نصرانياً وعلى دينه مات : وهو من أدرك الجاهلية.
ذكره السجستاني في المعمرين : توفي نحو ٦٢ هـ : انظر المعمرون : ١٠٨
الاغاني ١١ : ٢٣

(٥) جمهرة اللغة ١ : ٣٠ ، ديوان الحمامة : ٣٥

(٦) هو عبده بن الطبيب شاعر محضرم ادرك الاسلام فأسلم : شهد
مع المشفي بن حارثة قتال هرمز سنة ١٣ هـ و كان مع الذين حاربوا الفرس
بالمداين توفي نحو سنة ٢٥ هـ . انظر الاغاني ١٨ : ١٦٣ تاريخ الامم
والملوک ٤ : ٤٣ ، ٢١٥

اذا ابَسَ به في الْأَلْفِ بَرَّزَهُ عوج مركبة فيها ابراطيل^(١)
وسواء كان بس الابل سوقها باللين ، او سوقها زجرا ، فانه معنى
يدل على دفع واستجابة لهذا الدفع الا ان دلائلها على القوة والزجر ترسم
في الذهن ايماء الهول والفزع المفترى بكل مظاهر التغير
وما يتبع ذلك من قوة في اضطراب السموات والأرض ، وهذا المعنى
ينسجم مع السياق العام الذي مرت بنا صوره في تعبير الزجرة : وما فيها
من دلالة السوق والزجر .

وهناك استعمال آخر للبس ، وهو ان تبص الابل ، والغم ، وتهدا بصوت خاص حتى لا تدر لبنيها يقال : (ابْسَسْتَ بِالْمَعْزِ إِذَا أَشْلَيْتَهَا إِلَى الْمَاءِ) (٢) و (ابْسَسْ بِالْأَبْلِ عَنْدَ الْحَلْبِ إِذَا دَعَا الْفَصِيلَ إِلَى أَهْمَاءِ لَهُ) (٣) . ومن هنا قيل في الناقة التي لا تدر الا عند الرفق بها وبالبس لها : بامها تبس (٤) . وانشد الازهري (٥) قول الراعي واصفا حال الناقة مهدأها صاحبها تارة بالبسام ، واخرى بالنقر :

١٤٣ المفضلات :

٩٠٦ : (٢) الصدحاج

(٣) لسان العرب ٧ : ٣٢٥

(٤) انظر الغريب المصنف : الورقة (٣٦٩) ، وانظر ايضاً الصحاح

900 : 2

(٥) هو محمد بن احمد بن الأزهـر : ابو منصور ولد سنة ٢٨٢
 اخذ عن الربيع بن سليمان ، ونفطويه ، وابن السراج ، وأدرك ابن دريد
 ولم يرو عنه ، صنف كتاباً مشهوراً في اللغة وهو « تهذيب اللغة » توفي
 سنة ٣٧٠ هـ انظر نزهة الآلـاء : ٢٢١ - ٢٢٢ بغية الوعـاة : ٨

العاشرةٍ وهو قد خافها فظلَّ يُبَسِّبِسُ أو يَنْقُرُ^(١)
وقال آخر يصف ناقته اذا جالت ، واضطررت : وكيف يهدأها
بالبس :

يَعْنِسُ أَذَا جَالَتْ بِهِ أَبْسًا وَبَلَغَتْ مِنْهُ التَّرَاقِيَ نَفْسًا^(٢)
فمعنى البسٌ هنا واضح ، وهو دعوة الغنم ، او الابل نحو الماء ، او عند
الحلب ويلاحظ في هذه الدعوة انها ترك الحيوان لينا سلس القباد ،
يستجيب لدعوة الراعي . وفي كلام المعنيين نجد استجابة وطاعة ، فالابل
اذا سبقت ، وزجرت استجابت للسوق وسلمت لراعيها ، فسارت امامه
طائعة ، وكذلك الابل ، والغنم اذا بست نحو الماء ، او للحلب ، استجابت
إلى صوت راعيها فدرأت حلبيها ، او سارت معه نحو الماء : وفي هذا
المعنى نجد روعة التصوير القرآني لحال الجبال ، ذلك لأن الاضطراب الذي
يسود السموات والارض ، يصيب الجبال ، فنزل ، وتكون ارتجافها
اطاعة لأمر الله سبحانه وتعالى حين يأمر بقيام الساعة .

وفي معنى البس صورة واضحة للبيئة العربية التي اعتادها العربي
ورأى فيها بس الحيوان ، ودعوته ، فسرعان ما يتخيّل بس الجبال ،
واستجابتها لدعوة الله جل جلاله ، فيزداد ايمان الآية الكريمة وترسم
في الذهن سرعة الاحداث ، والاضطرابات يوم القيمة ، لأن الطوعية ،
والاستجابة السريعة لارادة الله سبحانه وتعالى تنتهي منها سرعة مذهلة في
الاضطراب الكوني .

وفي سورة الحاقة تعبر آخر يصور حال الجبال : (فاذا نفح في

(١) الأزهري عن لسان العرب ٧ : ٣٢٥

(٢) ديوان الحطيئة : ٢٨٦ ، والشطر الأول في شرح ديوان زهير:

٣٥٥ وهو غير منسوب إلى قائله .

الصُّور نفخةً واحدةً ، وَحْمَلَتْ الارضُ والجِبال ، فَدَكَّتَا دَكَّةً واحدةً ،
فيَوْمٍ ثُنُدٍ وَقَعَتْ الواقعةُ) (١) . فِيَهِ هَذِهِ الآيَاتُ الْكَرِيمَةُ نُجَدِّدْ تَصْوِيرًا
جَامِعًا لِاضْطِرَابِ الارضِ وَتَفَتُّتِ الجِبالِ مَعًا يَتَجَسَّدُ فِي تَعْبِيرِ الدَّكَّ بِما
يَحْمِلُهُ مِنْ مَعْنَى الْقُوَّةِ وَالرُّعْبِ ، مَا تَعْجَزُ عَنْهُ صَفَحَاتُهُ ، فَالدَّكُّ فِي الْلِّغَةِ
يَحْمِلُ مَعْنَى الْهَدْمِ الَّذِي يَصْاحِبُهُ دَقٌّ ، وَتَفَتُّتٌ (٢) .

٤ - تشبيهها بالعهن :

ان انهدام الجبال ، وتفتتها يسبب تناول اجزائهما وتطايرها تبعاً
للانكسارات السريعة التي تصيب الجبال . هذا التناول صور في القرآن
الكريم بصورة مادية طالما اصقت في ذهن العربي لطول ما اعتادها ، وشاهدها
في بيته ، وذلك تشبيهها بالصوف قال الله تعالى : (يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ
كَالْمُهْلَلِ) ، وتكون الجبال كالعهن ولا يسأل حميم حميم) (٣) .
وقال سبحانه وتعالى : « القارعة ، مالقارعة ؟ وما ادرك مالقارعة ؟
يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمُبْثُوثِ وَتَكُونُ الْجِبالُ كَالْعَهْنِ »
المفوش) (٤) .

(١) سورة الحاقة ٦٩ : ١٣ - ١٦

(٢) الصدحاج ٤ : ١٥٨٣ ، مقاييس اللغة ٢ : ٢٥٨ ، أساس البلاغة ٧٨ : وقد اعتبر الاب ماراغناطيوس الدك ككلمة سريانية قال : « دَكَّدَكَ دَقَّ مَرَارًا : صَبَرَ شَيْئًا تَرَابًا وَرَمِيمًا تَدَكَّدَتْ الْجِبالُ ، تَهَدَّمَتْ . انظر اللافظ السريانية مجلة المجمع العلمي العربي دمشق ٢٣ ج ٤٩٧

(٣) سورة المعارج ٧٠ : ٨ - ٩

(٤) سورة القارعة ١٠١ : ١ - ٥

وقد فسر المفسرون العهن بالصوف (١) . وكذا ورد المعنى في كتب اللغة (٢) وهذا التشبيه له دلالته على البيئة العربية . ذلك لأن الصوف من منتجات حيوانها الذي هو عماد حيامها ، وقد تكرر ذكر الصوف ، او آلات غزله في الشعر الجاهلي ، (٣) ثم اننا نجد للصوف لمحات في احدى صور البيئة العربية التي اعتادها العربي ، وهي تلك التي نجدها في وصف الاطلال وما تبقى فيها من الدمن ، والآثار ، ومن بينها الصوف المتناثر قال زهير بن أبي سلمى ،

كأنّ فتاتَ العِهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَلَ بِهِ حَبُّ الْفَنَا لَمْ يُحَطَّمْ (٤)
قال ثعلب شارحاً البيت بأنه « شبه ماقفت من العهن الذي علق بالهوادج اذا نزل بمنزل بحب الفنا » (٥) . وقول ثعلب هذا يعطينا توضيحاً آخر لأهمية الصوف في الحياة العربية ، ولصوقه في الذهن العربي وذلك استعمالهم الصوف لتزيين الهوادج ، وهي الصورة التي طالما ذكرها الشعراء في اشعارهم ، وشبهوها - باختلاف الوان الصوف - بالبسر الاحمر

(١) تنوير المقاييس : ٣٦٧ ، غريب القرآن : ١٧٧ ، جامع البيان : ٢٩ : ٧٣ ، الكشاف ٣ : ٢٦٨ ، وفي قراءة ابن مسعود كالصوف المنفوش بدل كالعهن ، وقد علق ابن قتيبة على هذه القراءة بانهافي الكلمة « مما يغير صورتها في الكتاب ، ولا يغير معناها » انظر تأويل مشكل القرآن : ٢٨ - ٢٩

(٢) العين : ٤٣ ، الصحاح ٦ : ٢١٦٩ مقاييس اللغة ٤ : ١٧٧ المسلسل : ١٨١ المحكم ١ : ٦٦ لسان العرب ١٧ : ١٧٠

(٣) ديوان امرىء القيس : ٢٥ ، امثال العرب : ١٧

(٤) شرح ديوان زهير : ١٣

(٥) ن . م : ١٣

والأسفل مع خضراء النخل (١).

۵ - سرعته از هیارها

اما سرعة انهيار الجبال فقد صورت بتعبير الكثيّب المتداعى المنهال في قوله تعالى : (وَذُرْنِي وَالْمَكْذُوبُنِ أُولَى النَّعْمَةِ ، وَمَهَاهُمْ قَلِيلًا ، انْ لَدِينَا انْكَالًا ، وَجِحِيمًا ، وَطَعَامًا ذَا غُصْنَةً ، وَعِذَابًا يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجَبَالُ ، وَكَانَتْ "الْجَبَالُ" كَثِيرًا مَهْيَلاً) (٢) . قال ابن عباس مفسر آية الكريمة (تَرَابًا مَهْيَلاً : وهو الشيء الذي اذا رفعت اسفاله سقط عليك اعلاه مثل الرمل) (٣) وقال الطبرى : (يقول : وكانت الجبال رملًا سائلًا متباشرًا : والمهيل مفعول من قول القائل : هلت الرمل فأنا أهيله ، وذلك اذا حرك اسفله ، وانهال اعلاه) (٤) .

والكثيّب عبارة عن قطعة تنفّاد محدودة كما يقول الاصمعي (٥) . فإذا تحرك من إحدى جوانبه انطلق بسرعة ، ومن هذه الصورة الحية المحسدة في الذهن العربي جاء التصوّير الرائع لحال الجبال في اضطرابها . وسرعة انبعاثها ، وهو تصوّير يستطيع العربي أن يتمثّله أمام ناظريه . نظراً لتكرر صور الكثبان في الجزيرة العربية ، وما يطرأ عليها من صور انبعاث رملها ، وتساقطها . وقد لصقت صورة الكثيّب في أذهانهم ، فراحوا يكررونها في تشبّهاتهم وتعابيرهم (٦) .

(١) انظر دیوان امریء القیس : ٤٣ ، ٥٧ ، ١١٥ .

(٢) سورة المزمل ٧٣ : ١١ - ١٤

(٣) تنویر المقیاس : ٣٧١ ، وانظر ايضاً غریب الحديث ١ : ٢٥٢

(٤) جامع البيان ٢٣ : ١٣٦ ، وانظر ايضاً التبيان ١ : ١٦٧

(٥) عن الغريب المصنف : الورقة (٢١٥)

^(٦) المفضليات : ٩٢ ، وانظر أيضاً الحماسة البصرية : الورقة -

هذه التعبير تشرك كلها في رسم صورة الجبال حين تضطرب وتهار فتناثر أجزاؤها وتتلاشى عظمتها ، وتصبح هباء منتشرًا ، وحالها في هذا حال الأرض بصورة عامة حين تزلزل وتضطرب بعد صعقة التفير . ومن التعبير التي مرت بنا مجتمعة تتشكل لنا صورة رهيبة لاضطراب الأرض ، وما عليها يوم القيمة . إضافة إلى دلالة كل تعبير على ظهر من مظاهر البيئة العربية كما مرّ بنا .

٢ - اضطراب السماوات :

أ - نحوها إلى سائل :

ويشمل اضطراب السماء أيضًا فيصيّب ما يصيب الأرض من اختلال التوازن ، وانهيار النظام الكوني فإذا بها تنشق ، وتحول إلى سائل عبر عنه بالوردة ، وشبهت في حالها بالدهان قال الله تعالى : (فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان . . .) (١) .

لقد ذهب المفسرون في تفسير الآية الكريمة إلى توجيهين : الأول هو أنها تكون ملونة كألوان الدهن ، أو الورد ، وهذا التفسير لا يحدد لونها وإنما هو تعليم للألوان المختلفة قال ابن عباس : (فصارت ملونة كالدهان ، كالوان الدهن ، ويقال : وردة كالوان الورد) (٢) . وقال أبو عبيدة : (فكانت وردة كالدهان في لونها : جمع دهن

- ١٩١ (ب) الطائف الأدبية : ٦٢

(١) سورة الرحمن ٥٥ : ٣٧

(٢) تنوير المقاييس : ٣٣٧

تمور كالدهان صافية وردة اونها كلون الورد ، وهو الجُل^١) (١) .
 اما التوجيه الثاني فهو ان السماء يكون لونها يوم القيمة الحمراء مع
 السواد ، وقد ذكره ابن عباس ايضاً الى جانب التوجيه الأول قال :
 (ويقال كالاديم المغربي أي حمراء مع سواد) (٢) . وقال الراغب :
 (وقيل في صفة السماء اذا احمررت احراراً كالورد امارة للقيمة . قال
 فكانت وردة كالدهان) (٣)

وبيندو ان الذي فهموا الآية الكريمة على ان السماء تكون ملونة
 كالوان الورد ، لم يذهبوا بكلمة الورد الا إلى الورود الحقيقة التي تكون بطبيعتها
 متعددة الألوان ، والأشكال . ومن الناحية الثانية فان السماء شبهت في الآية
 الكريمة بالدهان ، والدهان ايضاً لا يحدد لونه .

اما الذين قالوا بأن لون السماء يكون أحمر يوم القيمة فانهم ذهبوا
 إلى اون معروف ولكلثرة هذا اللون في الورود اقترنت كلمة الورد به ،
 ثم أطلق الورد بصورة عامة على اللون الأحمر فاطلق على الحيوانات التي
 على هذه الصفة في اللون ، واقترن ، أكثر ما اقترن ، بالخيل قال الأصمسي
 معداداً الوان الخيل : الوردة : فرس ورد ، ووردة وخيل وراد) (٤) .
 ومن هنا نقل لنا توجيه آخر اقترن أول ما اقترن بالخيل الوراد
 التي تغنى الشعراء بذكرها ، وتمنع بالنظر اليها الفرسان ، هذا التوجيه هو

(١) مجاز القرآن ٢: ٢٤٥ ، وانظر ايضاً الصناعتين : ٢٤١ التبيان ،

٩: ٤٧٦ ، المخصص ٦: ١٥١

(٢) تنوير المقياس : ٣٣٧ ، وانظر ايضاً ادب الكاتب : ١٤٣

(٣) المفردات : ٥٤١ ، وانظر ايضاً الكشاف ٣: ١٩٠

(٤) عن المخصص ٦: ١٥٠ ، وانظر ايضاً الخيل : ١٠٦ ، ديوان

الشماخ : ٣٠

الذى نقله الفارسي فيما روى (١) عن أبي عبيدة : (أَمَا قُولُهُ - فَإِذَا انشَقَتِ
السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدَّهَانِ - فَقَبْلَ أَنْ أَرَادَ - وَاللَّهُ أَعْلَمُ - فَرْسَا وَرْدَةً
وَتَكُونُ فِي الرَّبِيعِ إِلَى الصَّفَرَةِ ، فَإِذَا اشْتَدَ الْبَرْدُ كَانَتْ وَرْدَةً حَمَراءً ، فَإِذَا
كَانَتْ بَعْدَ ذَلِكَ كَانَتْ وَرْدَةً إِلَى الْغَبْرَةِ ، فَشَبَهَتْ تَلَوْنَ الْوَرْدَةَ مِنَ الْخَيْلِ ،
وَشَبَهَ الْوَرْدَةَ فِي اخْتِلَافِ الْوَانِهَا بِالْدَهْنِ ، وَالْخِتَالِفِ الْوَانِهِ) (٢) ، وَيَدُو
أَنْ أَبَا عَبِيدَةَ لَمْ يَقْصُدْ أَنَّ السَّمَاءَ تَكُونَ كَالْفَرْسِ ، لَأَنَّ مِثْلَ هَذَا التَّفْسِيرَ لَمْ
يُذَكِّرْهُ فِي مَجَازِهِ ، كَمَا لَمْ يَذَهَبْ إِلَيْهِ أَحَدٌ غَيْرُهُ وَأَنَّمَا أَرَادَ بِهِ أَنَّ السَّمَاءَ تَكُونَ
مِتَعَدِّدَةَ الْأَلْوَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَتَغْيِيرِ لَوْنِ الْفَرْسِ الْوَرْدِ ، وَهُوَ بِهَذَا يَعْطِينَا
تَعْلِيماً لِتَسْمِيهِ هَذَا الضَّرْبُ مِنَ الْخَيْلِ ، ذَلِكَ لِأَنَّهَا تَلَوْنُ بِالْخِتَالِفِ فَصُولِ
السَّنَةِ فَتَضَعِّفُ الْوَانِهَا إِلَى الصَّفَرَةِ فِي الرَّبِيعِ ، وَإِلَى الْحَمَرَةِ فِي الْبَرْدِ ثُمَّ إِلَى
الْغَبْرَةِ بَعْدَ ذَلِكَ .

وَبِهَذَا نُسْتَطِعُ أَنْ نَجْمِعَ بَيْنَ هَذَا التَّوجِيهِ ، وَالتَّوجِيهِ الْأُولِيِّ الَّذِي حَدَّدَ
فِيهِ لَوْنَ السَّمَاءِ بِالْحَمَرَةِ ، وَتَشْبِيهِهَا بِالْوَرْدِ ، وَفِي كُلِّ التَّوْجِيهَيْنِ نَجْدِ صَدِى
الْبَيْتَةِ الْعَرَبِيَّةِ وَاضْحَى فِي الصُّورِ الَّتِي تَشِيرُهَا الْآيَاتُ الْكَرِيمَةُ . فَكَوْنُ السَّمَاءِ
مِتَعَدِّدَةَ الْأَلْوَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَرْسِمُ فِي الْذَّهَنِ صُورَةَ الْوَرَودِ الْمُنْتَشِرَةِ فِي الصَّحَرَاءِ
الْعَرَبِيَّةِ حِيثُ تَفْتَرِشُ الْأَرْضَ أَيَّامَ الرَّبِيعِ بَشَّى الصُّورُ وَالْأَلْوَانُ الْزَاهِيَّةُ ،
وَهِيَ الَّتِي شَبَهَ بِهَا لَوْنَ السَّمَاءِ ، وَلَكِنْ مِثْلَ هَذَا التَّفْسِيرِ - وَإِنْ مَدَنَا بِوْجِهِ
الشَّبَهِ وَهُوَ تَعْدِدُ الْأَلْوَانَ - لَا يَنْسَجمُ مَعَ السِّيَاقِ الَّذِي وَرَدَتْ فِيهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ
(فَإِذَا انشَقَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدَّهَانِ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تَكْذِبُانِ؟

(١) هو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبدالغفار الفارسي النحوي ، من أكابر
أنفة النحويين أخذ عن أبي بكر بن السراج ، وأبي اسحاق الزجاج ، فضلاً بعدهم
على المبرد توفي سنة ٣٧٧ھ . انظر نزهة الأباء : ٢١٧ .

(٢) العين : الورقة (٢٨٩) .

في يومئذ لا يُسئلَ عن ذنبه انسٌ ولا جانٌ فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟
 يُعرفُ المجرمون بسمائهم فيُؤخذُ بالعواصي والأقدام ، فبأي آلاء ربكما تكذبان ؟ هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون (١) . كما ان هذا التفسير لا ينسجم مع الآيات الأخرى التي ورد فيها ذكر السماء ، ووصف حالها يوم القيمة ، ذلك لأن ماتوحيه الورود بل الزرع بصورة عامة إنما هو إيجاء الفرحة والنشوة (٢) . وهو إيماء بعيد كل البعد عن الموقف الرهيب يوم القيمة ، ذلك الموقف الذي تضطرب له السموات والأرض ، فتساقط أرجاؤها ويبدل حالها . أما التوجيه الثاني فإنه ينسجم تماماً مع السياق العام للآيات الكريمة فالسماء تكون كأون الأديم الأخر أو الفرس الورد ، ونجد فيه وجه الشبه وهو تعدد الألوان وتلونها ، نظراً لأنكماء السماء واختصارها وبهذا التوجيه نبعد عن الذهن صورة الورود المحمومة التي لاتنسجم مع سياق المول والفزع الأكبر يوم القيمة .

وتحول السماء إلى سائل متلون شبه في تعبير آخر بالمهل قال الله تعالى :
 (انهم يرونها بعيداً ، ونراه قريباً) ، يوم تكون السماء كالمهمل ، وتكون الجبال كالعِهن ، ولا يسأل حميم حجا (٣) . وقد فسر المهل بتفسيرين الأول ما ذكره ابن عباس وهو قوله : (كالمهمل : كدردي الزيت) (٤)
 أما التفسير الثاني فهو الفضة المذابة أو المعادن المذابة بصورة عامة ، وقد

(١) سورة الرحمن ٥٥ : ٣٧ - ٤٣ .

(٢) أنظر الفصل السادس (الثواب بالجنة) ١ - وصف طبيعتها .

(٣) سورة المعارج ٧٠ : ١١ - ٧ .

(٤) تنوير المقيمين : ٣٦٧ ، وانظر أيضاً جامع البيان ٢٩ : ٧٣ ، التبيان ١٠ : ١١٦ ، الكشاف ٣: ٢٦٧ ، ودردي الزيت وغيره ما يبقى في أسفله .
 الصحاح ١ : ٤٦٧ .

ذكره ابن عباس أيضاً إلى جانب التفسير الأول قال : (ويقال كالفضة المذابة) (١) .

أما أبو عبيدة فقد ذهب إلى أن كل معدن إذا أذيب أطلق عليه المهل قال مفسراً قوله تعالى : (يغاثوا بناءً كالمهل ...) (٢) قال : (كل شيء أذبته من نحاس أو رصاص ، ونحو ذلك فهو مُهْل) (٣) ، ومثل هذا الاضطراب في تفسير المهل نجده في أقوال اللغويين فهو دردي الزيت تارة (٤) والتحامن الذائب تارة أخرى (٥) ، وهو الصديد عند آخرين (٦) .

وبيدو أن مرد هذا الاضطراب يرجع إلى التعميم الذي أطلق فيه اللفظ في البداية اذ هو - كما يبدو - أطلق على كل فاز ذائب كما ذهب أبو عبيدة من قبل ، وقد سئل ابن مسعود في قوله تعالى : (كالمُهْل يشوي الوجوه) (٧) عن المهل (فلَعْنَا بِنَفْسَهُ فَأَذَابَهَا فَجَعَلَتْ تَمَّيِّعًا ، وَنَلَوْنَ ، فَقَالَ : هَذَا مِنْ

(١) تنوير المقاييس : ٣٦٧ ، وانظر أيضاً الكشاف ٣ : ٢٦٨ ، نقلًا عن ابن مسعود .

(٢) سورة الكهف ١٨ : ٢٩ .

(٣) مجاز القرآن ١ : ٤٠٠ .

(٤) هو قول أبي عمرو بن العلا ، كما في الصحاح ٦ : ١٨٢٢ ، لسان العرب ١٤ : ١٥٥ ونقل مثل هذا عن أبي زيد في المخصوص ٥ : ٩٠ ، وأنظر أيضاً مقاييس اللغة ٥ : ٢٨٢ .

(٥) الصحاح ٦ : ١٨٢٢ ، مقاييس اللغة ٥ : ٢٨٢ ، لسان العرب ١٤ : ١٥٦ .

(٦) جمهرة اللغة ٣ : ١٧٥ ، الصحاح ٦ : ٨٢٢ ، أساس البلاغة : ٩٢٢ ، لسان العرب ١٤ : ١٥٥ .

(٧) سورة الكهف ١٨ : ٢٩ .

أشبه ما أنتم راؤون) (١) ، وقال ابن دريد (المهل ماذاب من صفر أو حديد) (٢) .

أما اطلاق لفظ المهل على الزيت ، أو على الدهان ، فيسبب مشاكلة الزيوت والدهون للمعادن المذابة على اعتبارها سوائل أولاً وإنها متنوعة الألوان بتنوع الأشكال ثانياً . ومن هنا فلا تضاد في معاني المهل ، لأنه متأت من تعميم اللفظ ، ثم اطلاقه على أجزاء متعددة .

أما ملامح البيئة العربية فتجدها واضحة في تشبيه حال السماء بالمهل ، ذلك لأن الزيوت ، والدهان بتنوعهما النباتية أو المستخلصة من المعادن المذابة مما اعتادها العربي في بيئته واحتاج إليها في شؤون حياته البسيطة ، فكثيراً ما يطلي البعير بالمهل ، فترتسم صورة المهل المذاب في الذهن العربي سواء في كونه مذاباً أو للونه الخاص . وذكر أن الإبل تطلي بنوع من القطران في الشتاء مما يدل على معرفتهم بالمهل ، واعتبارهم عليه باعتباره مادة مهمة ، يحتاجون إليها كل شتاء لابلهم - اعز حيونهم - روى ابن منظور : (المهل والمهلة ضرب من القطران ماهي في رقيق يشبه الزيت ، وهو يضرب إلى الصفرة من مهاؤته وهو دسم تدهن به الإبل في الشتاء) (٣) .

ومن الطبيعي أن يكون المهل الذي عرفه العربي ، واستعمله في طلي الإبل متعدد الضروب ، والألوان ومن هنا جاء اختلافهم في تفسير المهل لأنه اطلق في البداية على أنواع من السوائل المذابة (٤) .

ومن هنا نجد أن قوله : (انهم يرون بعيذا وزراه قريبا ، يوم

(١) عن لسان العرب ١٤: ١٥٦ .

(٢) جهرة اللغة ٣: ١٧٥ ، وانظر لسان العرب ١٤: ١٥٦ .

(٣) لسان العرب ١٤: ١٥٥ .

(٤) انظر ص ٨٣ .

تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ، ولا يسأل حميم حبها) (١) يعطينا نفس الابحاءات والصور التي أوحتها من قبل الآية التي ورد فيها ذكر (وردة) والتي شُبّهَ فيها سيلان السماء بالدهان . قال الأزهرى معقبًا على تفسير المهل : (ومثله قوله فكانت وردة كالدهان ، قال أبو اسحاق كالدهان : أي تناون كما تناون الدهان المختلفة) (٢) .

أما قتادة فقد فسر تحول السماء إلى مهل بتحولها إلى لون الحمرة (٣) . وقد اعتمد في هذا التفسير أيضًا على قوله تعالى : (فكانت وردة كالدهان) (٤) وفي كل هذه التفاسير التي مر ذكرها وجدنا صورة البيئة العربية واضحة الملامح ، تنداعى في الذهن عند قراءة الآيات الكريمة ، فتجسد هول القيامة ومشاهد الاضطراب المفزع .

ب - دورانها

قال الله سبحانه وتعالى واصفًا اضطراب السماء يوم القيمة : (يوم تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا وَتَسِيرُ الْجَبَالُ سَيِّرًا ، فَوَلَلَ يَوْمَثْدِي لِلْمَكَذِبِينَ) (٥) فُبَرَّ عن اضطراب السماء بتغيير المور ، وقد فسره بعضهم بالدوران قال ابن عباس : (تدور السماء مورا بأهلها دورانا كدوران الرحي وتموج الخلاائق بعضها في بعض من الهول) (٦) ، وقال أيضًا في مور السماء بأنه

(١) سورة المعارج ٧٠: ٧ - ١١ .

(٢) لسان العرب ١٤: ١٥٦ ، وانظر أسماء البلاعة ٣: ١١١ .

(٣) جامع البيان ٢٩: ٧٣ .

(٤) سورة الرحمن ٥٥: ٣٧ .

(٥) سورة الطور ٥٢: ٩ - ١١ .

(٦) تنوير المقاييس : ٣٢٩ .

شقها وانفطارها (١) . وقال بعضهم معنى مور السماء انكفاوها . قال أبو عبيدة : (بوم تمور السماء متوراً أي تكتفاً قال الأعشى : كأن مشيتها في بيت جارتها مور السحابة لاريث ولا عجل (٢)) وفي معاني الكلمة اللغوية ما يجمع بين التفسيرين السابقين ، ذلك لأن الريح اذا كانت قوية فانها تسفي التراب فيقال مارت (٣) والمور الغبار (٤) وهي صورة اعتادها العربي في بيته الصحراوية الرملية . وقد تكررت بصورة خاصة في شعر شعراهم حين ذكروا ديار الحببية ، ووصفوها بعد ان هجرت ، ورُكِت خواصفيها الرياح ، وتَمُور عليهما رمال الصحراء : فن ذلك قول الخطيبية :

لمن الديار كأنهن مطهور بلوى زَرود سفي عليها المور (٥)
وقال زهير بن أبي سلمي واصنف الديار المهجورة :
لَعِبَ الْرِّيَاحُ بِهَا وَغَيْرَهَا بعدي سوافي المور والقططر (٦)
أما الناقة الموارة فهي السريعة (٧) . وهو استعمال مادي أيضاً وله

(١) اللغات في القرآن : ٤٧ .

(٢) مجاز القرآن ٢: ٢٣١ ، ورواه الجوهري عن أبي عبيدة والأخفش أنظر الصحاح ٢: ٨٢٠ ، ورواية ديوان الأعشى : (مر السحابة) : ٥٠ ، ومن الجائز انها في الديوان من تحريف النسخ ، أو انها رواية أخرى للبيت غير رواية أبي عبيدة والأخفش ،

(٣) جمهرة اللغة ٢: ٤١٧ ، وانظر أيضاً شرح ديوان كعب بن زهير : ٢٥٣

(٤) الصحاح ٢: ٨٢٠ ، مقاييس اللغة ٥: ٢٨٤ .

(٥) ديوان الخطيبية : ٣٧٦ .

(٦) شرح ديوان زهير : ٨٦ ، وانظر أيضاً شرح ديوان كعب بن زهير : ٢٥٣

(٧) الصحاح ٢: ٨٢٠ ، مقاييس اللغة ٥: ٢٨٥ ، المخصص ٧: ١٢٩ .

علاقته الوثيقة بالاستعمال السابق ، لأن الناقة اذا أسرعت تركت التراب يمور على جانبي طرقها وتدفعه بيدها في سيرها السريع قال طرفة :

صهاينة العثمانيون موجودة القرى بعيدة وخذ الرجل مواردة اليد(1)

ومن هنا نفهم قوله تعالى : (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) (٢) أي تدور دورانًا سريعاً . وفي حركة دوران أي جسم تقلب أعلىه على أسفله فالتراب حين تسفيه الرياح ، ويمور موراً سريعاً ينقلب ، والنافقة المواردة تقلب التراب على جانبي طريقها ، وتجعله يدور بسرعة سيرها ومن هنا يتضح لنا سبب تفسيرهم مور السماء بالكتفائتها ، ودورانها .

وهناك استعمال آخر لتعبير المور وهو قوله مار الدم على وجه الأرض أي سال ، وانصب (٣) ، وقد وردت في الشعر الجاهلي أيضاً في وصفهم للحروب ، وذكرهم لها ونستطيع ان نقرن هذا المعنى بمور التراب ، ذلك لأن سيلان الدماء على الأرض فيه اضطراب ، ودوران ، وحركة وهي صورة كثيرة ماتتكرر في بيضة العرب الحرية حيث الغارات والحروب الدامية التي تترك الدماء بين عشية وضحاها تمور على الأرض ، وتسلل . ومن الناحية الأخرى فان هذا المعنى يعني علينا على تصور اضطراب السماء ودورانها يوم القيمة ، وذلك ان حركتها تشبه حركة التراب السريعة حين تسفيه الرياح وتمور جوانبها كما يمور الدم على الأرض .

(١) ديوان طرفة : ٣٩ ، وانظر أيضاً الطرائف الأدبية : ٦٤ .

٩ : ٥٢ سورة الطور .

(٤) أنظر قول ثعلب في شرح ديوان زهير: ٧٨ ، وانظر أيضاً شرح ديوان الخامسة ٤: ١٦٣٧.

تحرك في نموذج)١(.

ج - تشدقها وانفطارها

من الطبيعي ان دوران السماء وانكفاءها الذي صورته الآيات السابقة لا يترك السماء الا منهارة الجوانب ، متصدعة الأرجاء . وقد صور هذا التصدع بتعبير آخر هو قوله تعالى : (اذا السماء انفطرت ، واذا الكواكب انتشرت ، وإذا البحار فجرت ، واذا القبور بعثرت علمت نفس ماقدمت وأخرت) (٢) :

وقال تعالى أيضاً : (فكيف تتفقون ان كفرتم يوماً يجعل الولدان شيئاً ، السماء منفطر به ، كان وعده مفعولاً) (٣) . فقد فسر الانفطار بالانشقاق (٤) . وهو معنى تؤكده آيات أخرى كقوله تعالى : (وانشققت السماء فهي يومئذ واهية) (٥) . وقد وردت كلمة الانفطار في مواضع أخرى من القرآن الكريم في غير هذا المعنى كقوله تعالى : (اني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حينئما ، وما أنا من المشركين) (٦) .

(١) الكشاف ٣: ١٧٢ .

(٢) سورة الانفطار ١: ٨٢ - ٥ .

(٣) سورة المزمل ٧٣: ١٧ - ١٨ .

(٤) تنوير المقياس : ٣٧٢ ، مجاز القرآن : ٢٧٤ ، جامع البيان : ٣٠ : ٨٥ درة التنزيل : ٣٨٨ ، التبيان : ١٠ : ٢٩٠ ، الكشاف : ٣: ٢٨٣ ، ٣١٩ ، وقد وردت بنفس المعنى في غير مواضع القيامة وذلك في سورة مريم : ١٩ ، الشعراء : ٤٢ ، الملك : ٦٧: ٣ .

(٥) سورة الحاقة ٦٩: ١٦ .

(٦) سورة الأنعام ٦: ٧٩ ، وانظر أيضاً المعجم المفهرس : ٥٢٣ .

وقد فسر الانفطار في الآية السابقة بالخلق والإبداع (١). ومن ظاهر اللفظ تبدو العلاقة بين الاستعمالين بعيدة ، ولكن معرفة التطور التاريخي الكلمة يدلنا على أنها يرجعان إلى أصل واحد ، ومعرفة هذا الأصل يعكس لنا صورة من البيئة العربية وأثرها في ابتداع الألفاظ وتطورها : فمن المعاني الحسية التي استعملت فيها الكلمة هو قولهم تفتر النبت (وذلك عند أول طلوعه) (٢) ، ومنه قبل فطر ناب البعير أي طلع وانشق وبعير فاطر (٣) .

ومن هنا جاء الاستعمال المعنوي للكلمة ، وهو إطلاق اللفظ على الشق بصورة عامة (٤) ، وذلك أن النبت حين يطلع يكون طلوعه بعد تشقق الأرض ، ونحوه وكذا الحال مع نمو الأسنان ، وطلوعها . أما معنىخلق والإبداع الذي جعله ابن فارس الأصل الأولي للكلمة (٥) ، فإنه معنى متتطور عن المعنى الحسي الأول ، وبعكسه قول ابن عباس : (كنت لا أدرى

(١) تنوير المقاييس : ٩٠ ، مجاز القرآن ١: ١٨٧ ، ٣٨٢ ، المفردات : ٢٣٩ ، الكشاف ١: ٤٩٧ .

(٢) انظر قول أبي حنيفة في باب (بدء النبت وانتهائه) المخصص ١٠ : ٢١٣ ، ٨٦ ، وانظر أيضاً مجالس ثعلب ١: ٢٩١ ، ٢٩٢ ، المفردات : ٣٩٠ ، وانظر الشعر في ديوان امرئ القيس : ١٥٧ .

(٣) العين : ٢٦١ ، مجاز القرآن ١: ١٨٧ : ٢ ، ١٢ ، الزينة : الورقة ١٩٦ (ب) ، الصحيح ٢: ٧٨١ ، أجمالي القالب ١: ٢١ ، الكشاف ٣: ٢٥٣ ، وانظر باب أسنان الأولاد وتسميتها في المخصص ١: ٣٣ .

(٤) الصحيح ٢: ٧٨١ ، مقاييس اللغة ٤: ٥١ ، المفردات : ٢٨٩ ، وانظر الشعر في الحيوان ٤: ٣٩١ .

(٥) انظر مقاييس اللغة ١: ١٤٣ .

مامعنى فاطر السماوات والأرض حتى اختصم إلى اعتراضي في بشر ف قال أحدهما
أنا فطرتها ، أي ابتدأتها) ١(. ذلك لأن شق البشر ابتداع في حد ذاته .
ومن هنا نفهم العلاقة الوثيقة بين قوله تعالى وأصفاً تشقيق السماء
وانفجارها وبين الآيات التي ورد فيها معنى الانفجار بالخلق والابداع ،
وانها من أصل حسي واحد هو تفطر النبت أو الاسنان .

وبعد هذا العرض المريع لمعنى كلمة الانفجار تتبين لنا الدلالة العظيمة
والصور الرهيبة التي توحيها الآيات الكريمة في تصوير انفجار السماء ، وذلك
انها حين تثور ، وتضطرب تتصدع جوانبها ، وتنشق ، ولا تخمس الآية
الكريمة معنى الفطر الذي هو الشق فحسب ، وإنما تنقل لنا تلك التلقائية
التي تظهر في استجابة الكون كله لأمر الله تعالى ، وهي التي نجد لها في
فطر النبات ، وفطر ناب البعير ، وانشقاقه ، لأن هاتين الظاهرتين إنما تحدث
للنبت أو للبعير بصورة طبيعية ، وفق نظام الخلاائق الذي وضعه الله سبحانه
وتعالى . وبذلك هذا المعنى الاسلوب البياني الذي سارت عليه الآيات الكريمة
حيث اسند الفطر والشق إلى السماء مباشرة ، وصرف عن الاستناد إلى محدث
الفطر والشق وهو الله سبحانه وتعالى ، لأجل توجيه الذهن إلى أن الظواهر
التي تحدث يوم القيمة مسخرة لهذه الأحداث ، مهيبة لها . وهي ظاهرة
تطرد فيها كل التعبير القرآنية التي تخص اضطراب السماء والأرض .
وأول من التفت إلى هذه الناحية - فيها قرأت - الدكتورة بنت الشاطيء
بقولها (ولا أعرف أحداً من المفسرين ، أو البلاغيين ، التفت إلى اضطراب
هذه الظاهرة الاسلوبية في القرآن ، مع وضوحها إلى درجة العمد ، والاصرار
وسرها البياني دقيق جليل . فاطراد استناد الحديث إلى غير محدثه بالبناء
للمجهول ، والاستناد المجازي أو المطاوعة ، يدل على العمد المقصود به مانسميه

(١) الزينة : الورقة ١٩٦ (ب) الكشاف ١ : ٤٩٧ .

التلقائية ، والاقناع النفسي بان الكون كله مهياً يومئذ للحدث الخطير ، وان الكائنات ممسخة بقوه لذلك الحدث ، فا تحتاج فيه الى امر ، ولا الى فاعل فالارض تزلزل تلقائياً ، وتدرك بانبعاث قاهر ، والجبال ترجم ونفس ، والبحار تسجر ، والنجموم طمس ، وتتغير ، في طوعية تلقائية) (١)

د - تناثر النجوم

ومن الطبيعي ان يصيب التخلل والاضطراب النجوم ايضاً ، بعد أن يختل النظام الكوني العام ، فتنهار السماء ، وتمور مورا عظيماً ينبع عنـه تغير حال النجوم ، وانهيارها ايضاً . قال الله تعالى : (المرسلات عرفا فالامثلات عصفا ، والنائرات نشرا فإذا النجوم طمست وإذا السماء فرجت ، وإذا الجبال نفت ، وإذا الرسل اقتت ، لاي يوم اجلت ؟ ليوم الفصل) (٢) فبعد القسم القرآني تباعـت الآيات الكريمة تعرض الظواهر التي تصيب الكون ، ومن بينها النجوم قال ابن عباس مفسرا طمس النجوم بـانه اذا (ذهب نورها) (٣) .
اما في اللغة فـان حقيقة الطموس هي ، (الدروس والاماء وانطمس الشيء ، وتطمس أي انمحى ودرس) (٤) : وقال ابن فارس هو « اصل يدل على محو الشيء ومسحه » (٥) .

(١) التفسير البياني : ٧٠

(٢) سورة المرسلات ١:٧٧ ، ٣:٨ ، ١٢:٨

(٣) تنویر المقیاس : ٣٧٧

(٤) الصبحاح ٢:٤١ ، اسان العرب ٧:٤٣٢

(٥) مقایيس اللغة ٣:٤٢٤ ، اسان العرب ٧:٤٣٢

فتفسير طمس النجوم في الآية الكريمة بذهب نورها من باب الاماء والحق ، لأن النجوم اذا تغيرت ، واحت معلماها ذهب نورها . وهو معنى اكده آيات كريمة أخرى كقوله تعالى : « اذا الشمس كورت ، واذا النجوم انكدرت ، واذا الجبال سرت ، واذا العشار عطلت . . . علمت نفس ما احضرت » (١) فقد فسر الانكدار بالتساقط والامساوع تارة والتغير تارة أخرى قال ابن عباس : « اذا النجوم انكدرت ، تساقطت على وجه الأرض » (٢) وقال ابو عبيدة : « انكدرت : يقال انكدر فلان انصب » (٣) . اما تفسير الانكدار بالتغير فقد نقله الطبرى عن ابن عباس وآخرين (٤) .

وتعبر الانكدار بعید لنا تعبر الطمس في قوله تعالى : « فاذا النجوم طمست » (٥) لأن تساقط النجوم يؤدي الى تغير لونها والى امائه أيضاً ولكن الانكدار يعطينا ايماء آخر اكثراً من معنى التغير والسقوط ، ايماء مرتبطاً بالبيئة العربية ، وصورها المألوفة ، وذلك اطلاقهم الكدرة على خلاف الصفوف في الماء (٦) . وللماء أهميته العظيمة في البيئة العربية الصحراوية

(١) سورة التكوير ١:٨١ - ٤١

(٢) تنوير المقاييس : ٣٨٢

(٣) مجاز القرآن ٢ : ٢٨٧ : وانظر ايضاً جامع البيان ٣٠ : ٦٥ ،

الكافش ٣ : ٣١٥

(٤) جامع البيان ٣٠ : ٦٥

(٥) سورة المرسلات ٧٧ : ٨

(٦) انظر جمهرة اللغة ٢ : ٢٥٢ ، الصحاح ٢ : ٨٠٣ مقاييس اللغة

وستبحثه بالتفصيل فيما بعد (١) . تلك الأهمية التي جعلت منه الركن الأساسي في حياتهم فإذا بتعابير الماء تصبح كلامهم ، وصوره تملاً مخيلتهم فإذا أراد شاعرهم الفخر فأنما يفتخر بشربه الماء الصافي العذب قبل غيره من الناس لعزته ومنعنه ، بينما يشرب أعداؤه الماء الكدر بعد أن يرده هو وقبيلته قال عمرو بن كلثوم :

وأنا الشاربون الماء صفووا ويشرب غيرنا كدراً وطينا (٢)
وأقصى ما يمدح به المرء ان يشبه بالماء العذب في جوده وكرمه
وإذا مدح شخص بهذا فسرعان ما يبعد عنه ان يكون ماء كدرا ، وإنما
مدح بازه كالماء العذب البارد .

انشد ابن الأعرابي :

لو كنت ماء كنت غير كدر (٣)

فالماء الصافي هو الصورة المحببة للعربي في بياته الشجيجية ، فيطيب عشه اذا توفر الماء ، وطاب ، فان ساعت معيشته ، او اصابته مصيبة استعاروا كدرته للتغيير عن العيش الضنك ، والحياة الذميمة ، فقالوا « كدر عيش فلان وتکدرت معيشته » (٤) .

ومن هنا ندرك مدى التصوير البليغ المعجز ، الذي يصوره تعبير

(١) انظر الفصل الخامس ، ٥ - شراب أهل النار ، والفصل السادس
أ - انهار الماء .

(٢) شرح القصائد السبع : ٤١٩ : ٢٧٣ ، وانظر ايضاً ديوان حاتم

الطاخي : ٣٦

(٣) الصحاح ٢: ٨٠٣ ، والشعر غير منسوب الى قائله .

(٤) ن . م : ٨٠٤ ، وانظر ايضاً مقاييس اللغة ٥ : ١٦٤ وانظر شواهد
الشعر في ديوان الاعشى : ٣٤ ، ديوان النابغة الجعدي : ٦٩ ، ٧٣ ، ديوان عـدي

الانكدار في تصوير حال النجوم حين تغير ، وتفقد بهاءها ، فتكون صورة بغية نقل الى ذهن العربي صورة الماء الكدر ، والعيش الكدر وكل ما ينافض الصفو والجلال . وتغير النجوم بهذه الصورة المحزنة ينبع من اضطراب الكون كله ، ومور السماء ، وإنكماها . فقدرة النجوم وتغيرها يدل على تغير واضطراب سريع في نظام سيرها ، ذلك اضطراب الذي يؤدي بها الى الانهيار السريع . ومن هذه الوجهة جاء تفسير من قال ان معنى انكدرت « اسرعت » (٢) . وما مير بنا يدرو أن الاسراع ليس اصلاً ثابتاً للكلمة كما ذهب ابن فارس (٣) ، وإنما هو متطور عن المعنى الأول ، لأن اسراع النجوم ذاتج عن اضطراب النظام الدقيق الذي يسير الكون عليه فسرعان ما تهوى ، وتسقط بسرعة رهيبة ، وقد صور هذا المعنى بتعبير آخر هو قوله تعالى : « اذا السماء انفطرت » ، وإذا الكواكب انتشرت ، وإذا البحار سُجِرَت » (٤) . ويزيد من دقة الوصف ما توحيه الكلمة النثر من سقوط النجوم وتهاوبيها ، حتى تعود صغيرة ، متبايرة ، لأن النثر مقترب بالاجسام الصغيرة كما توحيه الكلمة .

- ابن زيد العبادي: ٦٠ ، شرح ديوان عتنرة: ٨٠ ، جمهورة اشعار العرب: ١٢٦
شرح ديوان الحماسة ١: ١١٩

(١) مقاييس اللغة ٥: ١٦٤

(٢) ن . م .

(٣) سورة الانفطار ١: ٨٢ - ٣

(٤) قال الله تعالى « اذا البحار سُجِرَت » سورة التكوير ٨١: ٦ وقد فسر سجّر البحار باختلاطها انظر مسائل نافع بن الأزرق : الورقة ١٠ « أ » وروي انها تجعل يوم القيمة ناراً انظر درة التنزيل : ٣٨٨ ، الكشاف ٣: ١٧٢ ، وانظر ايضاً جمهرة اشعار العرب : ٩

وبعد ان مررت بنا التعبير المختلفة التي صورت الظواهر الطبيعية التي تحدث في الكون يوم القيمة تتشكل في الذهن صورة متعددة الجوانب ، مليئة بالحركات لاضطراب الأرض والسماء ، وما فيها من جبال وكواكب ، فالارض ترتج رجا شديدا . وتزلزل زلزالا عظيما شاملا وتحدث انكسارات للجبال فتفت اجزاؤها ، وتتناثر جوانبها متلاشية في الكون المضطرب والبحار تختلط في هذا الخضم الكوني المختل النظام (١) اما السماء فتنهار متتحوله الى سائل متعدد الألوان وقد تغير لون سمسمها (٢) ونجومها ، وتهافت كلها أثر الاختلاف الكوني العام .

لقد مررت بنا الاعماء المختلفة التي اوحتها التعبير القرآنية في وصف هذه المشاهد ، وما تعكسه من صور البيئة العربية ، فلنا ان نتساءل : هل استطاع الذهن العربي ان يتصور هذه الظواهر الرهيبة كما صورها القرآن الكريم ؟

وإذا بحثنا في جوانب البيئة العربية وجدنا بعض ملامح هذه الصور المفزعية التي يصفها القرآن الكريم ، وهي وان كانت ملامح بسيطة لا تقايس بشيء مما يحدث يوم القيمة ، فإن لها دلالتها على البيئة العربية والذهن العربي .

انها ملامح الزلازل والبراكين التي تحدث في الحياة الدنيا . فهل تصور الذهن العربي الزلازل والبراكين ؟ ومن ثم الاضطراب الكوني يوم القيمة ؟ . اما المصادر العربية فانها لم تذكر حدوث زلزال في الجزيرة العربية في العصر الجاهلي ، انا الذي نجده وصفا لبقايا البراكين وقد ذكرها

(١) قال الله تعالى « اذا الشمس كورت » سورة التكوير ٨١:١ ، وفسر تكوير الشمس بامحائها وذهب نورها . انظر تنوير المقياس : ٣٨٢ ، مجاز القرآن ٢: ٢٨٧ ، جامع البيان ٣٠: ٦٣ وانظر ايضا المخصص ٩: ٢٤

الذين كتبوا في جغرافية بلاد العرب من المحدثين فوصفو آثار البراكين . قال الشرقاوي يصف هضبة الجزيرة بقوله : (تغطى هذه الحافة في اليمن بطبقة من اللafa ، وهي نوع من الصخور البركاني) (١) . وقال بيربى واصفاً جبال الحجاز حتى خليج عدن (ووراءه ترتفع جبال سوداء جرداً ، إنما جبال الحجاز التي تخترقها همرات قليلة تربط بين الساحل والداخل ، وإذا توجهنا جنوباً نحو خليج عدن ، وجدنا الصخر البركاني) (٢) . أما هضبة نجد فووصفت إنما : (مغطاة بحتم السائل البركاني) (٣) . أما الحراث فهي من بقايا البراكين في الجزيرة العربية وهي كما وصفتها المراجع القديمة : (أرض ذات حجارة سود نحرة كأنها احرقت بالنار) (٤) ويقول شلبيـر أن هذه الحراث من مظاهر البراكين التي شلت الصحراـء فقط وجهـها بالحجـارة السـود ، وربـط بينـها وبين زلـزال وصـفـه السـمهـودـي في حـوـادـث سـنة ٦٥٢ هـ قال : (واصل هـذه الحرـاثـ البرـاكـينـ الـباطـنـيةـ التـيـ غـطـتـ باـسـتـمـارـ وجـهـ الصـحـراءـ المـتـمـوجـةـ بـطـبـقـةـ مـنـ الـحـمـمـ ،ـ وـهـيـ تـوـجـدـ بـصـفـةـ خـاصـةـ فـيـ شـرـقـ حـورـانـ وـتـمـتدـ مـنـ

(١) هذا العالم : ٣٣٣

(٢) جزيرة العرب لبيربى : ٢٠

(٣) جزيرة العرب لوهبة : ١٤

(٤) صاحب العين ، والاصمعي عن معجم البلدان ٢ : ٢٤٧ ، وانظر الغريب المصنف : الورقة (٢٠٥) جمهرة اللغة ١ : ٥٩ ، الصحاح ٢ : ٦٢٦ ، مقاييس اللغة ٢ : ٧ شرح القصائد السابعة ٤٧٤ ، المخصص ٥ : ٨٦ ، ١٠ ، ٢٥٢ ، وانظر عن وجود الحراث في ديوان النابغة الذبياني ٥٦ ، مختصر البلدان : ٣١ معجم البلدان ٢ : ٢٠٥ ، جغرافية العالم ١ : ٣١

هناك الى المدينة) (١) .

وربط الزلازل بالبراكين ظاهرة طبيعية أيضاً ، ذلك لأنهما تحدثان نتيجة لعوامل جغرافية يسببها تخلخل في طبقات الأرض ، وحركة ، واضطرباب شامل (٢) . وهناك نوع من الزلازل سميت بالزلازل البركانية (وهي التي ترتبط هزاتها بالهزات الناجمة عن اندماج اللادفات في فوهات البراكين) (٣) . وقد حدثت منطقة الزلازل في الجزيرة العربية بأنها تلك التي توazi السواحل الشرقية الآسيوية (٤) .

هذه الدراسات الجغرافية ثبتت كلها وجود البراكين والزلازل في الجزيرة العربية ، لأنها أرض عرفت الانكسارات ، والتخلخل الطبيعي الذي يصيب قشرة الأرض . أما المصادر العربية القديمة (٥) فنجد فيها رواية يظهر عليها الطابع الأسطوري وذكرها هنا يطعننا على معرفة الغرب للبراكين والزلازل ، وعلى مقدار تصوّرهم الجغرافية الجزيرة العربية . يذكر الجاحظ في حديثه عن نار (حرقة بني سليم) أن الناس يزعمون بأنها نار خالد بن سنان أحد بنى مخزوم في بلاد عبس . فإذا كان الليل فهي نار تسقط في السماء ، وإنها كانت تأتي على كل شيء فتحرقه ، وإذا جاء النهار فإنما هي دخان يفور ويروي بأن خالداً هذا احتضر لها بشراً . . . ويروى

(١) دائرة المعارف الإسلامية - مادة حرقة ٧ : ٣٦٣ .

(٢) الزلازل عبارة عن (حرّكات تمرّجية تصيب قشرة الأرض في مناطق واسعة) أنظر قشرة الأرض : ٣٤٨ .

(٣) ن . م : ٣٥١ .

(٤) ن . م .

(٥) لقد قدمت المصادر الحديثة على المراجع القديمة (لأنني اتبعت تسلسل الأقوال من الناحية العلمية لا التاريخية .

أيضاً ان النبي (ص) قال حين رأى ابنته: هذه بنت نبي ضيغه قومه (١) .
 وتدلنا هذه الاسطورة على ان العرب عرفوا البراكين ، وعانوا من
 انفجارها في العصر الجاهلي ماعانوا ، حتى صاروا يطلقون عليها اسم العذاب
 الموجع (٢) ، ثم ان هذه البراكين والزلزال ظهرت في الجزيرة العربية في
 العصور الاسلامية المتأخرة ، ووصف السمهودي أحداها وهو - وان كان
 متأخراً - يفيدنا في رسم صورة واضحة لنموذج من الظواهر الطبيعية التي
 تجتاح الجزيرة العربية . في مستهل جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وستمائة
 حدث في المدينة زلزال له دوي عظيم فكانت الأرض ترتج ، والجدرات
 تتحرك ، وذكر ان امير المدينة أرسل عدة فرسان الى هذه النار ، فذكروا
 انها ترمي بشعر كالقصر ، ولم يظفروا بجلسة أمرها وان الأمير حين
 ذهب بنفسه اليها لم يستطع مجاوزة موقفه من النار لأن احجار كالمسامير
 تحتها نار سارية (ورأى زاراً كالجبال الراسيات ، والتلال المجتمعة تتدفق
 بزبد الأحجار كالبعير الملاطمة الامواج ، وعقد لها بها الافق قناماً حتى
 ظن الظان ان الشمس والقمر كسفنا ، اذ سبا بهجة الاشراق في الآفاق ..
 وقال المؤرخون ، واستمرت هذه النار مدة ظهورها تأكل الأحجار ، والجبال
 وتسلل سيلاً ذريعاً في واد يكون طوله أربع فراسخ وعرضه أربعة أميال ،

(١) الحيوان : ٤ : ٤٧٧ ، ثمار القلوب: ٤٥٥ ، والباحث ينكر هذه الرواية
 ويقول (المتكلمون لا يؤمنون بهذا ويزعمون ان خالدا هنا كان اعرابياً ، وبرياً من
 من أهل شرج وناظرة ولم يبعث الله نبياً فقط من الاعراب) ومن المحتمل ان يكون
 قول النبي (ص) - ان صحت الرواية - مجازاً ، وأراد به انها ابنة مصلح عظيم ، لم
 يعرف قومه قدره . ثم حاكم الخيال العربي هذه الاسطورة مستندآ على ظاهرة الحرات
 الموجودة في الجزيرة العربية وما تحدث من الظواهر الطبيعية .

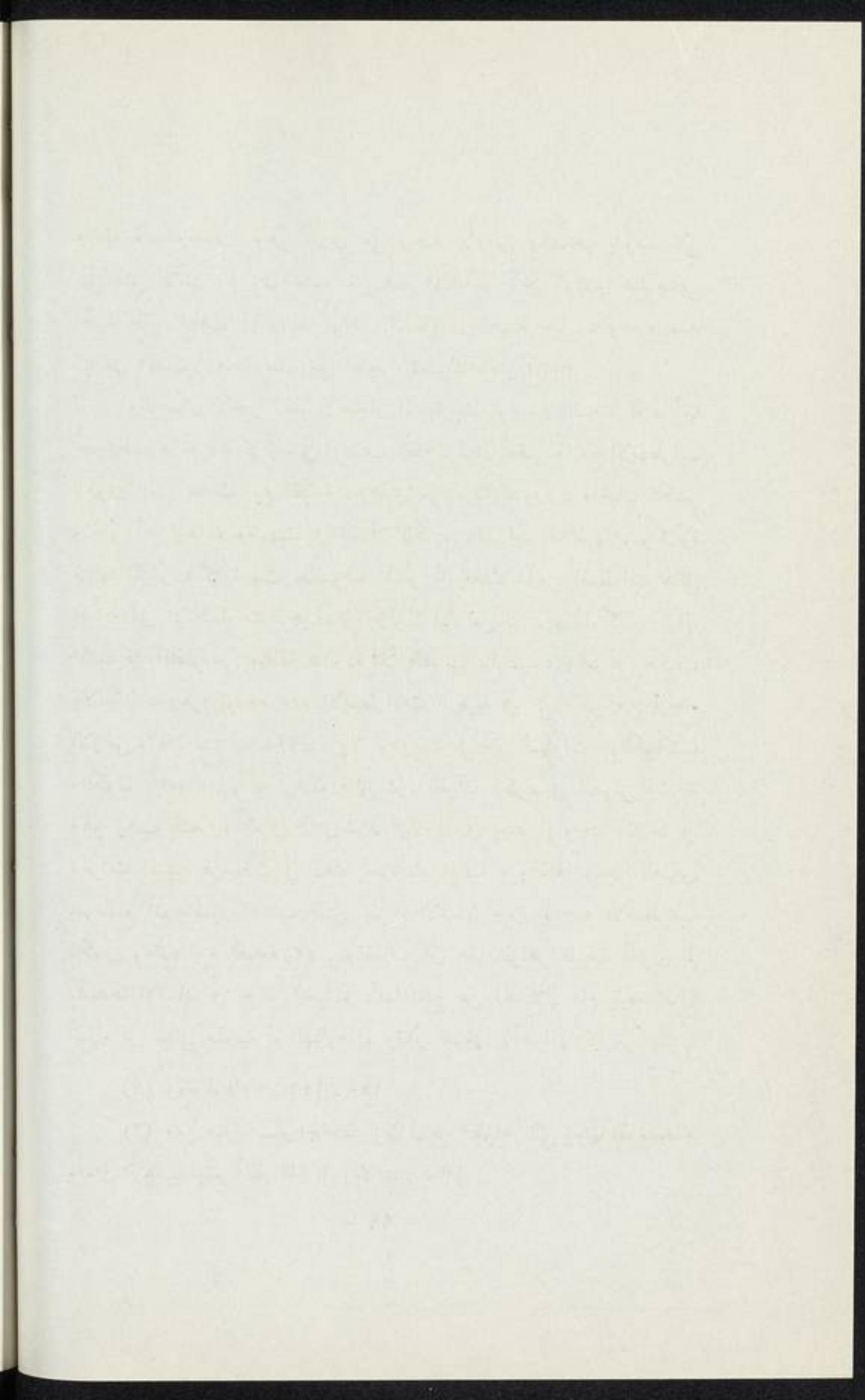
(٢) وفاء الوفاء ١٤٢: ١٥٠ :

وعمقه قامة ونصف وهي تجري على وجه الأرض والصخر يذوب حتى يبقى مثل الانك ولم يزل يجتمع من هذه المذابة في آخر الوادي عند منتهى الحرة حتى فطعت في وسط الوادي الشظاء إلى جهة جبل ، وعبره فسد الوادي المذكور بسد عظيم من الحجر المسبيك بالنار) ١) .

والوصف الأخير لبقاء الأحجار المذابة يشبه وصف القدماء للحرة بأنها حجارة سود نحرة ، كما نجد في الوصف العام للزلزال بعض ملامح الاضطراب الكوني الذي يحدث يوم القيمة - والذي مرت بنا صوره - فالجبال تنكسر وتنهار أجزاؤها ، وشبّهت في القرآن الكريم بالسراب لتلاشيهما ، وكثرة فتيتها المتثار ، كما شبهت بالصوف المتثار لما يحدث لها من اضطراب هائل إضافة إلى الانكسارات الرهيبة التي تريلل الأرض ... وإذا كان زلزال المدينة قد اقتصر على منطقة محدودة فلأ التفوس بالرعب ، والفزع ، فكيف بالانسان ، وهو يواجه هذه الاضطرابات الرهيبة في كل ركن من أرجاء الأرض ، فلا تسلم منه الجبال ، ولا الوديان ، بل حتى السموات ، والكون كله والكون بأجمعه ... انه رعب هائل يشير القرآن الكريم في التفوس البشرية وهو رعب يشعر به العربي الذي شهد الزلزال في بيته أو وجد آثارها في حرارات المتبقية فرسخت في ذهنه أحاديث هولها ، وأذاتها ، هذا العربي يستطيع ان يتصور الرعب الذي يفرغ الانسان حين يواجهه الاضطراب الكوني وحده يوم القيمة) ٢) : وتضاف إلى هذا ظواهر طبيعية أخرى لم يشهدها الانسان في حياته الدنيا ، لأنها تنتهي عن اختلال عام يتبعه تحول السماء إلى سائل مذاب ثم انهيارها ، وتنهار نجومها وأجرامها كما مرّ بنا .

(١) وفاء الوفاء ١ : ١٤٢ - ١٥٠ .

(٢) ومن هنا اعتبر الجاحظ الزلزال من الظواهر التي يبعثها الله سبحانه وتعالى لترهيب البشر انظر الدلائل والاعتبار : ١٣ .



الفَصْلُ الْثَالِثُ

صفة الناس يوم القيمة

١ - سيرهم نحو النفير :

أ - سرعتهم : نسلهم ، تشبيه سيرهم بالطواف حول النصب

ب - تفرقهم وانتشارهم : تشبيههم بالجراد ، وبالفراش

٢ - صفاتهم النفسية :

أ - يأسهم .

ب - توقعهم العذاب .

ج - ذلتهم :

٣ - صفاتهم الجسدية :

أ - سواد وجوه المجرمين وبياض المؤمنين

ب - حشر المجرمين زرقا

ج - اشراق وجوه المؤمنين ه

شالثا

١ - سيرهم نحو النفي :

أ - سرعتهم :

يخرج الناس من قبورهم اثر سماع النفي المفزع يوم القيمة : فيقفون وجهاً لوجه امام الاضطراب المائل الذي يختل فيه نظام السموات والأرض ومن هنا نجد في القرآن الكريم صوراً رائعة تصور مشاهد الناس عند خروجهم من القبور ، واول هذه المشاهد صورة سرعتهم في سيرهم نحو الداعي ، وقد عبر عنها بعده تعبير لـ كل منها دلاته على البيئة العربية : نسلهم : قال الله تعالى : (ويقولون : متى هذا الوعد ؟ ان كنتم صادقين ؟ ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخضمون فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون ، ونفح في الصور فاذا هم من الاجاث الى ربهم ينسليون ، قالوا : يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا ؟ هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون) (١) وقال ايضاً : (وَحِرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكَنَا هُنَّ لَا يَرْجِعُونَ ، حَتَّى إِذَا فُتَحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ) (٢) وهم من كل حدب ينسليون وأقرب الوعد الحق فاذا هي شاخصة ابصار الذين كفروا ، يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين) (٣) وبعد نفح الصور يخرج الناس من قبورهم فيتساءلون عن حقيقة الموقف الذي دعوا اليه وقد قال ابن عباس ان مهني ينسليون يخرجون (٤) .

(١) سورة يس ٣٦ : ٤٨ - ٥٢

(٢) ياجوج ومجوج : قال المفسرون انهما امتنان من الانس وقيل اسمان

لرجلين انظر جامع البيان ١٧ : ٨٨ ، التبيان ٧ : ٢٧٧ ، الكشاف ٢ : ٣٣٧

(٣) سورة الانبياء ٢١ : ٩٥ - ٩٧

(٤) تنوير المقاييس . ٢٧٥

اما ابو عبيدة فانه فسر النسل بالسير السريع وقرنه بعبدو الذئب قال :
 (ينسلون : يسرعون ، والذئب يعسل وينسل) (١) . وقال أيضاً في
 تفسير سورة الانبياء : (ينسِلُون : يعجاون في مشبهم كما ينسِلُ الذئب
 ويعلُّق قال الجعدي :

عَسْلَانُ الذئب امسى فارباً **بَرَدَ اللَّبَلِ** عليه **فَنَسَلَ** (٢)
 اما في اللغة فتجد ان معاني الكلمة متقاربة بعضها من بعض ، فالنسل
 بصورة عامة هو ضرب من السير السريع (٣) . ولكننا نجد انه اقترب
 بضرب من مشي الذئب قال ابن دريد : **وَعَسَلَ** الذئب **يَعْسِلُ** **عَسَلًا**
وَعَسَلَانًا . وكذلك **تَسَلَّ** **تَسَلَّانًا** وهو ضرب من المشي يضطرب
 فيه (٤) . وقال الزمخشري : (**وَنَسَلَ** الذئب اذا اسرع باعناق) (٥)
 وقد ذكر ابن منظور ان هذا الاستعمال هو اصل للكلمة ثم اطلق على
 السير السريع قال : (وقبل اصل **النَّسَلَانَ** للذئب ثم استعمل في غير ذلك
 وأنسل القوم اذا تقدمتهم) (٦) .

ويبدو اننا لا نستطيع الجزم بان اصل **النسنان** هو سرعة سير الذئب
 ذلك لأن الكلمة وردت في الشعر الجاهلي مقترنة بضروب عديدة من سير

(١) مجاز القرآن ٤٢: ٢

(٢) مجاز القرآن ٢: ٤٢ ، وانظر ايضاً جامع البيان ١٧: ٢٣ ، ١٩١: ١٥

البيان ٧: ٢٧٩ ، والبيت في ديوان النابغة الجعدي :

(٣) الصحاح ٥: ١٨٣ ، مقاييس اللغة ٥: ٤٢٠ ، لسان العرب ١٤: ١٨٤

وانظر ايضاً اعجب العجب : ٣٨ ، امثال العرب : ١٩ ، الطرائف الأدبية : ٧٥

(٤) جمهرة اللغة ٣: ٣٢ ، ٥١

(٥) اساس البلاغة : ٩٥٤

(٦) لسان العرب ١٤: ١٨٤

الحيوانات المتوفرة في البيئة العربية .

فيقال عن الكلاب اذا اسرعت في سيرها نسل (١) . وكذا الحيات في سرعة انسلاها وسيرها (٢) . وبهذا لا نستطيع الجزم باصل استعمال النسل هل هو سبب الذئب او الناقة او الكلب ، لأن هذه الحيوانات كلها مما اعتقاده العربي في بيته وشهد عدوها وسرعة سيرها الا ان صورة نسل الذئب يقرب لنا الآية الكريمة لانه سير سريع فيه اضطراب ، وكذلك يكون حال الناس في سرعة سيرهم واضطرابهم نحو الداعي . وسياق الآيات العام يعيننا على فهم الاضطراب من تعبير النسل : (وما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخضمون ، فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون . ونُفخَ في الصُّورِ فاذا هم من الاجداث الى ربهم ينسِلُون ، قالوا يا ولينا : من بعثنا من مرقدنا ؟ هذا ما وعدَ الرَّحْمَنُ وَاصْدَقَ المرسلون) (٣) . لانه مقترب بالفزع والرعب من مفاجأة الموقف وهو له . وهنالك معنى آخر لكلمة النسل ، وذلك قوله : النسالة شعر الدابة اذا سقط عن جسدها قطعاً (٤) . واضح ان تساقط الشعر او الور لا يكون بالقوة ، انما يكون نتيجة لطبيعة الجسد حين تحدث له ظاهرة تستدعي سقوط الشعر تلقائياً . ونجده هذه الصورة نفسها في قوله (النسل بالتحرير يخرج بنفسه من الاحليل) (٥) .

(١) انظر الخامسة البصرية : الورقة ٣٠٦ (أ)

(٢) المفضليات : ٢٤٠ ، شرح ديوان الخامسة ٤ : ١٨٠٦

(٣) سورة يس ٣٦ : ٤٩ - ٥٢

(٤) مقاييس اللغة ٥ : ٤٢٠ ، اساس البلاغة : ٩٥٣

(٥) الصحاح ٦ : ١٨٢٩ ، لسان العرب ١٤ : ١٨٤ ، وانظر الشعر في

الطرائف الأدبية : ٦٦

ومن هذا المعنى الجديد لكلمة النسل تتشكل في الذهن صورة أخرى لسير الناس يوم القيمة ، ذلك لأننا نجد فيه معنى الطوعية والاستجابة السريعة التي تضفي على الآية إيحاء جديداً يتجلّى في خروج الناس وأسراعهم من قبورهم نحو الداعي بصورة طبيعية وهذا المعنى ينسجم مع مشاهد القيمة الأخرى ، إذ ان كل مظاهر من مظاهر الطبيعة يتجلّى فيه تسخير مجدد لاستجابة امر الله سبحانه وتعالى كما مرّ بنا سابقاً (١) . فكأن الكون كله قد هيأ لاستقبال حادث عظيم وهو قيام الساعة والحساب : وتعاون هذه الصورة مع المعنى الأول لكلمة النسل وهي تشبيه سير الناس بعدو الذئب المضطرب ، ذلك لأننا نجد في الآيات الكريمة معنى الطوعية والاستجابة لأمر داعي الله ، كما يتجلّى فيها اضطراب وقلق يشبه اضطراب الذئب في عدوه ، وكلا المعنيين منسجم مع المشاهد الكونية التي مرّت بها : (٢) :

تشبيه سيرهم بالطواف : اما سرعة سير الناس نحو الداعي فانها رسمت في آية أخرى بصورة تنقل لنا مشهداً من مشاهد البيئة العربية الجاهلية ، فقد شبهت سرعتهم نحو الداعي بصورة الطواف حول النصب التي كان العرب يعبدونها قال الله تعالى : (يوم يخرجون من الأجداث سرعاً كأنهم إلى نصب يوفِّضون ، خائفة أبصارهم ترْهَقُهُم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون) (٣) .

قال معظم المفسرين ان النصب واحدة الانصاب وهي حجارة كان

(١) انظر الفصل الثاني أ - اضطراب الأرض - ٣ - بسُها

(٢) انظر الفصل الثاني ص ٩٥

(٣) سورة المهاجرج ٧٠ : ٤٣

ينصبها مشرّكو العرب فيبعدونها ، وينبغون لها (١) . وقال آخرون : ان النصب هو ما نصب لهم من علامة او غاية يستبقون اليها (٢) . فهم في سرعتهم نحو الداعي كأنهم يستبقون إلى غاية نصبت لهم . وقد ذهب اللغويون مذهب المفسرين في النصب (٣) .

والملاحظ ان صورة الانصاب التي كانوا ينبحون عليها ، ويطوفون حولها أقرب الى الذهن عند قراءة الآية الكريمة من العلم او الغاية التي يستبق اليها . فقد اعتقد العرب صورة الانصاب على اعتبارها جزءاً من حياتهم الدينية روى الطبرى ان في مكة وحدها ثلاثة وستين حجراً ينبحون عليها القرابين (٤) ، وذكر ايضاً ان النصب وجدت في عكاظ (٥) والطائف وفي الحجاز (٦) . الا انهم اختلفوا في تحديد مدلولها ، فنهم من قصرها على الحجارة يذبح عليها لالفة (٧) . ومنهم من عدّها من

(١) تفسير الخمسة آية : الورقة ٤٧ (ب) جامع البيان ٢٩ : ٨٩ ، الزينة : الورقة ٢٣٩ (ب) ، التبيان ١٠ : ١٢٩

(٢) اللغات في القرآن : ٥١ ، جامع البيان ٢٩ : ٨٨ ، الزينة ، الورقة ٢٣٩ (ب)

(٣) جمهرة اللغة ٢٩٩ ، اسماء البلاغة : ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، لسان العرب ٢٥٥ - ٢٥٦

(٤) جامع البيان ٩ : ٥٠٨

(٥) اسماء جبال تهامة : ٧٩

(٦) وقد وصف أحد هذه الانصاب واعتقد انها كانت موهوبة للات ووصفها بانها صخرة غير منتظمة ورمادية اللون . انظر :

Travels in Arabia Desert Vol. II. p. 550.

(٧) جامع البيان ٩ : ٥٠٨ ، الاصنام : ٤٢ ، الزينة : الورقة ٢٣٩ (ب) وانظر ايضاً تاريخ الغرب لجوداد علي ٧ : ٧٩

معبودات العرب يطوفون حولها ، وينحررون لها (١) ،
 والظاهر ان اختلافهم في النصب متآت من طبيعة وجود هذه الانصاب
 في البيئة العربية ، واختلاف نظره الناس اليها من مكان الى آخر فهي في
 مكة حجارة يذبح عليها كما ذكر الطبرى (٢) حتى اذا حج العربي وأراد
 العودة الى أهل عز عليه فراق الكعبة فیأخذ من حجارة الجرم ما ينحته على
 صورة أصنام البيت ، ويجعله قبلة له في بيته يطوفون حوله ، ويتمسحون
 به ويصلون له تشبيهاً له بأصنام الكعبة . قال ابن الكلبى (واشتهرت
 العرب في عبادة الأصنام فنهم من اخذ بيته ، ومنهم من اخذ صننا ، ومن
 لم يقدر عليه ، ولا على بناء بيت نصب حجرا أمام الحرم أو امام غيره مما
 استحسن ثم طاف به كطواوفه بالبيت وسموها الانصاب) (٣) . وقال ياقوت :
 (وأنضى بهم الأمر بعد طول المدة انهم كانوا يأخذون الحجر من الحرم
 فيبعدونه فذلك كان أصل عبادة العرب للحجارة في منازلهم شعراً منهم بأصنام
 الحرم (٤) والذي بهمنا في هذا الأمر هو صورة طواوفهم حول الانصاب
 التي تنقل لنا سرعة السير في التعبير القرآني حين وصف مير الناس بعد
 حشرهم من قبورهم وشبهه بالطواف حول النصب . وفي الشعر الجاهلي نجد
 ذكراً لاننصاب على انها حجارة يذبح عليها (٥) . أما الصورة التي تعيننا
 على فهم الآية الكريمة فهي صورة طواوفهم حول النصب وسرعتهم في السير

(١) تفسير الخمسة آية : الورقة ٤٧ (ب) ، جامع البيان ٢٩ : ٩٠ ، الزينة :

(الورقة) ٢٤١ (أ) ، التبيان ١٠ : ١٢٩ .

(٢) جامع البيان ٩ : ٥٠٨ .

(٣) الأصنام : ٣٣ .

(٤) معجم البلدان ٤ : ٦٢٢ .

(٥) ديوان النابغة الذبياني : ١٢١ ، ديوان سلامة بن جندل : ٨ .

نحوه . قال المثقب العبدى (١) ذاكراً الطواف .
 بطيف بنصبهم حُجَّنْ صغارٌ فقد كادت حوا جبهم تشيبُ (٢)
 وقال الطرماح واصفاً سرعة جري الثور وراء النعامة مشبهاً إياها
 بطواف قاضي النذر حول النصب :
 طوفَ مُسْتَلِّي نذر على نصبٍ حول دوارٍ مُحْمَسَرٍ جَنْدُدُهُ (٣)
 وتشبيه الطرماح يفيدنا في هذا الباب لأنه صادر عن الصورة
 الفنية التي علقت في الذهن العربي وهي صورة الطواف السريع حول النصب
 والتي بقيت في الاستعمال الأدبي مع زوال النصب والأصنام بانتشار الإسلام .
 ومن هنا نجد الاعجاز العظيم في التعبير القرآني الذي وصف سرعة
 سير الناس نحو الداعي وشبهه بالطواف حول النصب : (يوم يخرجون من
 الأجداث سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون ، خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة
 ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون) (٤) . ذلك التعبير الذي تحدى الاعتقاد
 الديني ولم يأخذ منه إلا الصورة الفنية وهي صورة الطواف مع أنها مازالت
 قريبة المعهد إلى الذهن العربي (٥) .

ونستطيع أن نلمح في الآية معنى آخر إلى جانب سرعتهم في السير

(١) هو العائذ بن محسن بن ثعلبة . من بنى عبد القيس ، من ربيعة . شاعر
 جاهلي من أهل البحرين اتصل بالملك عمرو بن هند وله فيه مدائح ، ومدح النعيم
 ابن المنذر أيضاً . أنظر الشعر والشعراء ١: ٣١٣ - ٣١١ جهرة أنساب العرب ٢٩٨ -
 ٢٩٩ ، خزانة الأدب ٤: ٤٣١ .

(٢) الأصنام : ٤٢ ، والبيت غير موجود في شعر المثقب العبدى .

(٣) ديوان الطرماح : ٥٣ :

(٤) سورة المعارج : ٧٠: ٤٣ - ٤٤ :

(٥) وقد وردت في القرآن الكريم بهذا المعنى أنظر سورة المائدة ٥: ٩٠

ذلك المعنى هو الفضلال المتجلّى في طواف المشركين حول النصب ، فكأن الناس حين يخرجون من قبورهم يسرعون نحو الداعي ، وهم في اسراعهم هذا يكتنفهم الضلال ، والخيرة ، كما هو الحال مع المشركين حين يطوفون حول النصب ولا يستجاب دعاؤهم ولا يجدي طوافهم . أما معنى السرعة فيؤكده وصف الكافرين بأنهم : (كأنهم الى نصب يوفضون) ، (١) لأن الإفاض هو السرعة كما قالوا (٢) وكلا المعنيين يتعاونان على رسم صورة الناس عند اسراعهم نحو الداعي .

ب - تفرقهم وانتشارهم

يفزع الناس عند اسراعهم صوت التفير فيخرجون من قبورهم مضطربين هائجين ، وقد توضحت لهم حقيقة الموقف فيتفرقون وينتشرون ، وقد ملأ الربع قلوبهم . وصورة انتشارهم المفزع صورت في القرآن الكريم بصورة واضحة المعالم ، إذ شبهوا مرة بالجراد المنتشر ، وأخرى بالفراش المبثوث قال الله تعالى : (فتول عنهم يوم يدع الداع الى شيء لا يُذكر خشعاً بصارُهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر) ، مهطعين الى الداعي يقول الكافرون هذا يوم عسر (٣) .

وتشبيه حال الناس في تفرقهم بالجراد ينقلنا الى البيئة العربية التي الف العرب فيها انتشار الجراد في صحرائهم الواسعة وقد ذكر الجراد في سورة

(١) سورة المعارج ٧٠ : ٤٣ .

(٢) تنوير المقياس : ٣٦٨ ، تأويل مشكل القرآن : ٣١٧ ، جامع البيان : ٢٩

، التبيان ١٠ : ١٢٩ ، ٨٨

(٣) سورة القمر ٥٤ : ٦ - ٨

الأعراف على انه مما أرسى مع القمل والطوفان على آل فرعون (١) : ولرسوخ صورة الجراد في الذهن العربي شبهوا بها الناس الجبناء حين يفرون من الحرب فزعين خائفين .

كما انها تنقل لنا صورة زحف الجراد حين يملا الأرض بزحفه ويسير بقوه دافعه لا يمكن ان تصده أي قوه أخرى (٢) .

وهم في مثل هذا التشبيه يقصدون الى رسم الفزع الذي يجعل الجبناء يفرون على غير هدى هرباً من الموت والقتل وهي صورة واضحة المعالم في وصف الناس يوم القيمة حين يفاجؤهم الفزع الأكبر ، فيتفرون على غير هدى ، ويفرون على وجوههم تتبعهم الذلة والخلع ، وهم في سيرهم هذا مدفوعين بقوه مجهولة مُنساقين نحو الداعي بجموعهم المحتشدة ، متذكرين صورة الجراد المنفرد الذي يتزكي لأدنى حركة ، على حين تذكرهم صورة الجراد المجتمع الذي يزحف بقوه ودأب عظيمين لاتفق أمام جيوشه وزحفه قوه من القوى .

وفي آية أخرى شبه الناس في تفرقهم وانتشارهم بالفراش : (القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة؟ يوم يكون الناس كالفراسين المبثوث وتكون الجبال كالعيون المنفوش) (٣) . في هذه الآيات الكريمة نجد تصويراً آخر لحال الناس في تفرقهم وانتشارهم عند اضطراب المهاotas والأرض ، وقد حاول المفسرون تحديد الفراش فقال ابن عباس (الفراس) المبثوث المسطوط يجول بعضه في بعض والفراش هو شيء يطير بين السماء

(١) سورة الأعراف ٧ : ١٣٣ .

(٢) ديوان النابغة الجعدي: ٤٥ ، المؤتلف وال مختلف: ٥٦ ، الأشباه والناظائر ١٤٩ ، ٢٦٦ ، الطرائف الأدبية: ١٦ .

(٣) القارعة ١٠٢ : ١ - ٥ .

والأرض مثل الجراد) (١) . أما أبو عبيدة فلم يشبهه بالجراد وإنما اكتفى بقوله (كالفراش المثبت طير لا بعوض ولا ذباب هو الفراش) (٢) ، أما الزجاج فقد شبه الفراش بصغر البرق قال (والفراش مازاه كصغار البرق يتهافت في النار ، شبه الله عز وجل الناس يوم البعث بالجراد المنتشر ، وبالفراش المثبت ، لأنهم إذا بعثوا يموج بعضهم في بعض كالجراد الذي يموج بعضه في بعض) (٣) .

وبلاحظ في هذا التشبيه انه مستمد من البيئة العربية ايضاً ، من صورة اعتادها العربي فضرب بها المثل ، وذكرها في اشعاره ، ذلك لأن البيئة العربية صحراء متراصة الاطراف في معظم اجزائها تسرح فيها الحيوانات نهاراً ، فإذا جاء الليل فإن أي نار تتراءى من مكان ما تهافت حولها الحشرات ، وتتموج بعضها في بعض . ومن الطبيعي ان تكون هذه الحشرات متنوعة ، ومن هنا لم يستطع المفسرون واللغويون تحديد الفراش فشبهوه بالجراد تارة ، واكتفوا بالقول بأنه لا ذباب ولا بعوض كما مر بنا . هذه الصورة التي اعتادها العرب انعكست في اشعارهم فإذا أرادوا هجاء قوم شبهوهم بالفراش لأنهم لا حلوم لهم . كما ان الفراش طائش يموج بعضه فوق بعض حتى يهروا جميعاً في النار فتحرقوهم انشد الليث : اودي بحملهم الفياش فحلّمهم حلم الفرّاش غشين زار المصطلبي (٤)

(١) تنوير المقيام : ٣٩٥ ، وانظر ايضاً رأى الفراء في لسان العرب ٨ : ٢٢١

جامع البيان ٣٠ : ٢٨١

(٢) مجاز القرآن ٢ : ٣٩ وانظر ايضاً جامع البيان ٣٠ . ٢٨١

(٣) عن لسان العرب ٨ : ٢٢١ ، وانظر ايضاً مقاييس اللغة ٤ : ٤٨٧

(٤) عن لسان العرب ٨ : ٢٢١

والفياش المفاخرة (١) ، أي ان المفاخرة قد شغلت تفكيرهم فأودت بعقولهم فتهاوا كما يتهاوى الفراش على نيران المصطلي .

و اذا أرادوا ان يدبوا ضعف قوم في هجائهم شبهوهم بالفراش ، وانهم في الحرث لا يصمدون ، وأنما يتسلطون بعضهم فوق بعض كالفراش الذي يهوي في النار فتجربه ، قال الأسلع بن سالم الضبي (٢) بصفة قومه وحربيهم معبني ذهل بن مالك :

كأن سرارة الحي ذهل بن مالك

فراش تهاوى في اطى النار من عل (٣)

وقالوا في المثل : (أطليسُ مِنْ فَرَاشَة) (٤) .

ومن هنا نفهم وجه الشبه في الآية الكريمة : (يوم يكون الناس كالفسراث المبثوث وتكون الجبال كالعيون المنقوش ...) (٥) . فالناس حين يفزعون ويضطربون يموج بعضهم فوق بعض وهذا الاضطراب لايغتلي الحركة فحسب ، إنما يصور الاضطراب والتدافع الذي يؤدي الى التهلكة كما يؤدي تدافع الفراش الى النار والهلاك . ثم ان الفراش من الناحية الأخرى حشرات حقيرة تهلك نفسها بتهافتها على النار ، فشبه بها حال الناس في نفرةهم وذلتهم الى جانب اضطرابهم ، وتدافعتهم . قال الزمخشري موضحاً هذا التشبيه : (شبههم بالفراش في الكثرة ، والانتشار ، والذلة ، والتقطير

(١) مقاييس اللغة ٤ : ٤٦٤ .

(٢) هو الأسلع بن سالم الضبي أخوبني حرثان بن ثعلبة بن دؤوب شاعر فارس ، لم أعتبر على ترجمة كاملة له أنظر المؤتلف والمختلف : ٥٤ .

(٣) ن . م .

(٤) الصناعتين : ٢٤٣ ، المستقصى ١ : ٢٣٠ .

(٥) سورة القارعة ١٠١ : ٥-٤ .

إلى الداعي من كل جانب . كما يتطاير الفراش على النار قال جرير :
 ان الفرزدق ماعامت وقومه مثل الفراش غشين نار المصطي (١)
 هذه هي صورة الناس في تفرقهم وانتشارهم يوم القيمة ، وسياق
 الآيات العام يعيننا على فهم التفرق والذلة المراد تبيانها في هذا التشبيه ، فما
 دامت قبور الناس متفرقة في أرجاء العالم المتباينة ، فإن الناس يخرجون
 من هذه القبور ويسرون نحو الداعي وبهذا تكتمل صورة الانتشار والتفرق (٢)
 أما الذلة والفزع فهو ضحها سياق الآيات العام : (القارعةُ ما القارعةُ وما
 أدراك ما القارعة ؟ يومَ يكونُ النَّاسُ كالفراشِ المبُثُوثِ ، وتكونُ الجبالُ
 كالعِيُونِ المنفوش) (٣) ، فالقارعة اسم من أسماء يوم القيمة (٤) ، وهي
 (داهية مهلكة ويقال قرعت عظمه أي صدعته) كما يقول أبو عبيدة (٥)
 فكأنَّ هذه الداهية لها تصدع كل مافي الكون وتفته ، وتكرار لفظ القارعة
 بهذا الإيحاء المبهم يقرع الأذن بمعنى الفزع والرعب . وتوارد الآيات بعدها
 هذا المعنى ، بأن القارعة تكون يوم القيمة حيث تصدع الناس ويتفرون
 لأنهم فراش منتشر ، فيصيب الصدع الجبال فتفتت وتناثر أجزاؤها ،

(١) الكشاف ٣ : ٣٥٥ ، ورواية البيت في الديوان (أزرى بحملكم الفياش
 فأنتم ...) . أنظر ديوان جرير : ٣٥٩ وهي تشبه رواية البيت الذي أنشده الليث
 . أنظر ص ٨١ .

(٢) وانظر هذا المعنى في قوله تعالى : (ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون)
 سورة الروم ٣٠ : ١٤ .

(٣) سورة القارعة ١٠١ : ٥-١ .

(٤) جامع البيان ٣٠ : ٢٨١ .

(٥) معجاز القرآن ١ : ٣٣٢ ، وانظر أيضاً الكشاف ٣ : ٣٥٥ ، التبيان

وتكون كالصوف المنفوش . . وهكذا تنداعى الآيات الكريمة لترسم الصورة الواضحة ل يوم القيمة ، وكيف ان الكون كله يشمله الفزع والرعب ، ثم تأتي صورة تفرق الناس ، وانتشارهم كالجراد أو كالفراش لتكمل صورة الاضطراب الشامل .

٢ - صفاتهم النفسية

أ - يأسهم :

قال الله سبحانه وتعالى مبيناً ان قيام الساعة وما فيها من الهول والرعب يترك المجرمين في يأس مرير : (ويوم تقوم الساعة يُبَلِّسُ الْمُجْرَمُونَ ، ولم يكن لهم من شر كائِنَهُمْ شفعاءُ ، وكانوا بشر كائِنَهُمْ كافرين ، ويوم تقوم الساعة يُوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ) (١) .

فسر ابن عباس ابلس المجرمين بأنه يأسهم (٢) وقال الفراء : (الملابس المنقطع رجاؤه ولذلك قيل للذي يسكن عند انقطاع حجته ، ولا يكون عنده جواب قد ابس . وقد قال الراجز :

يا صاح هل تعرف رسماً مكرساً قال : نعم اعرفه وأبسا (٣)

(١) سورة الروم ٣٠:١٢ - ٣٠:١٤ .

(٢) تنوير المقاييس : ٢٥١ ، اللغات في القرآن : ٣٨ ، التنبية والرد : ٧٤ .

(٣) معاني القرآن ١: ٣٣٥ ، والبيت لم ينسبه الفراء الى قائله وهو للعجب اجاج كا في مجاز القرآن ٢: ١٢٠ ، جامع البيان ٢١: ٢٦ ، مكرس فيه الكرس أي أبوالابل ، وابعاراتها يتبدل بعضها على بعض في الدار ، وكذلك فسر الابلاس في سورة الأنعام ٦: ٤٤ ، والمؤمنون ٢٣: ٧٧ ، والزخرف ٤٩: ٤٣ ، أنظر تنوير المقاييس : ٨٧: ٢١٥ ، ٣٠٧ ، جامع البيان ٧: ١٩٤ ، ١٨ ، ٤٦: ٢٥ ، ٩٨: ٥٤ ، ٢١ ،

وأضاف الزمخشري إلى معنى اليأس السكوت والخبرة قال: (الابلاس أي يبقى يائساً متخيراً ، يقال ناظرته فابلاس اذا لم يبنس ، ويُيش من ان يحتاج ، ومنه الناقة المبلاس التي لازغ وقرىء بيلس ، بفتح اللام من أبلسه اذا سكته) (١) .

ويلاحظ في هذه التفاسير انها أعطت معنى مشتركاً للكلمة وهو اليأس والخبرة والوجوم . وهكذا ورد معنى الكلمة في كتب اللغويين قال الجوهري: (ابلاس من رحمة الله ، أي يش و منه سمى ابليس وكان اسمه عزرايل) (٢) وهو معنى جعله ابن فارس الأصل لمعنى الكلمة قال: هو (أصل واحد وما بعده . فلا معول عليه ، فالأصل اليأس يقال : ابلس اذا يأس قال الله تعالى (اذا هم مبلسون) قالوا ومن ذلك اشتق اسم ابليس كأنه ليس من رحمة الله) (٣) .

وهنالك معنى آخر للكلمة وهو ان يقال ابلس الرجل اذا سكت (٤) فكان الكافرون حين يرون العذاب الذي ينتظرون يوم القيمة يسكنون ، ويتحيرون ، وقد انقطعت حجتهم ، لأنهم سبق ان انذروا في الحياة الدنيا ، ومن هنا نفهم تطور معنى ابلس اذا يش الى معنى ابلس اذا سكت . قال أبو عبيدة : (والمبليس : اليائس ، ولذلك قيل للذي يسكن عنده انقطاع حجته ولا يكون عنده جواب قد ابلس) (٥) .

= الكشاف : ٢، ٥٠٥ : ٣، ٣٦٧ : ١٠٣ .

(١) الكشاف ٣ : ٥٠٤ .

(٢) الصدحاج ١ : ٩٠٦ ، لسان العرب ٧ : ٣٢٨ .

(٣) مقاييس اللغة ١ : ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، وانظر أيضاً المفردات : ٥٩ .

(٤) التوادر ١ : ١٧٢ ، جهرة اللغة ١ : ٢٨٨ ، أساس البلاغة ٦١ .

(٥) عن لسان العرب ٧ : ٣٢٨ والنص غير موجود في مجاز القرآن .

وإذا عدنا إلى البيئة العربية وجدنا صدى الاستعمال الحسي للكلمة مقترباً
بالذلة حيوان الصحراء المعاد ، وذلك أن يعرض لها عارض فتقاوم ولا تستطيع
أن ترغو (١) ، وهي في هذه الحالة في يأس وحيرة مما ألم بها وهو المعنى
الذي تطورت إليه الكلمة للدلالة على اليأس المطلق ، ثم إنها لشدة ألماها
للاستطاع ان ترغو ، وهو المعنى الذي تطورت إليه الكلمة حين قالوا ابابس
الرجل اذا سكت ، لأن رغاء الذلة يقابل كلام المرء ، فانقطع عنها عنه يقابل
الانقطاع عن الكلام .

كل هذه المعاني نستطيع ان نفهمها في الآية الكريمة : (ويوم نقوم
الساعة يبليس الحبرون) (٢) ، ذلك لأن المجرمين يوم القيمة حين يرون
العذاب متمثلاً بظاهرة الاضطراب الكوني يتأسون من العفو والرحمة ، لأنهم
ارتکبوا في دنياهم ذنوباً عظيماً لم يرعنوا فيها الى رسالة الرسل والأنبياء
وهم في هذه الحيرة لا يستطيعون الكلام والدفاع عن أنفسهم فتنقلنا صورتهم
هذه الى مشهد الذلة المتأملة اليائسة . وهو مشهد طالما تكرر امام ناظري
العربي ، فاعياده وعرف الأذى النفسي الذي تصاب به الذلة فسرعان ما ترسم
هذه الصورة في ذهنه حين يقرأ الآية الكريمة حيث يبليس الحبرون ، وتختصر
كل هذه الدلالات لترسم لنا الصورة الكاملة لا بلاس الحبرون وأيأسهم .
وهناك معنى آخر ورد في شعر العجاج واصفاً وجوه القوم عند
اشتداد الحرب ، إذ تعلوها صفرة وحيرة وبأس .

وَجُمِعَتْ يَوْمَ الْحَمَّاسِ الْأَخْمَاسُ وَفِي الْوِجْهِ صَفْرَةٌ وَبَلَاسُ (٣)
قصورة الحيرة ، والصفرة التي تعلو الوجوه في الحروب ، تزبد من

(١) الصحاح ٢: ٩٠٦ ، مقاييس اللغة ٢: ٣٠٠ .

(٢) سورة الروم ١٢: ٣٠ .

(٣) جمهرة اللغة ١: ٢٨٨ ، انظر أيضاً لسان العرب ٧: ٣٢٨ .

ايحاء الكلمة في الآية الكريمة ، ودلالتها على الضعف ، واليأس ، والوجوم وهي تعطينا صورة أخرى لدلالة الكلمة على البيئة العربية حين تصرف أوجه القوم عند الغارات الشديدة ، والخروب المتطاحنة . ومع ذلك تبقى صورة الناقة المُبْلِسَة متمثلاً في الذهن على أنها الصورة الحسية الرئيصة الصلبة بالبيئة العربية فتساعدنا على فهم التغيير القرآني إلى جانب المعاني الأخرى المنظورة عنها .

وهناك تعبير آخر يصور حيرة الناس ويأسهم يوم القيمة : (لا أقسام يوم القيمة ، ولا أقسام بالنفسين اللوامة ، أي حسبـ الإنسان أمـن نجـمـع عـظـامـهـ ؟ بـلـ قـادـرـينـ عـلـىـ انـ نـسـوـيـ بـنـانـهـ بـلـ يـرـيدـ إـلـاـنـانـ لـيفـجـرـ أـمـامـهـ ، يـتـشـلـ أـيـانـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ ؟ فـاـذـاـ بـرـقـ الـبـصـرـ ، وـخـسـفـ الـقـمـرـ ، وـجـمـعـ الـشـمـسـ وـالـقـمـرـ ، يـقـولـ إـلـاـنـ يـوـمـ إـنـ الـمـلـأـ ...) (١) ففي هذه الآيات الكريمة نجد حيرة الإنسان يوم القيمة متجلية بما يطرأ على بصره من معلم الخيرة ، والاطماع وقد قالوا في معنى برق البصر اي شخص وتحير فرعاً (٢) ، وذلك لأن أصل البرق هو اللمعان والنللأ (٣) ، فكانَ الإنسان حين يشهد الظواهر المرعبة التي تسود الكون وبرى الفزع محياً به تشخيص عيناه وتلالاً ، وتأخذه الحيرة فلا يطرف بصره . وهو معنى أكده قوله تعالى : (إنـاـ يـقـوـيـ خـرـهـ يـوـمـ تـشـخـصـ

(١) سورة القيمة ٧٥:١ - ١٠ .

(٢) تنوير المقاييس : ٣٧٤ ، جامع البيان ٢٩:١٧٨ ، درة النزيل : ٣٨١ ،

البيان ١٠: ١٩٢ .

(٣) جمهرة اللغة ١:٢٦٩ ، الصحاح ٤:٤٤٦ ، المخصوص ١:١٠٧ ،

أساس البلاغة : ٤٣٠ ، لسان العرب ١: ٢٩٧ :

فيه الأبصار^(١)) (١) وقال أيضاً: (واقتربَ الْعَدُّ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا) (٢) ، لأنَّ شخوصَ الأَبْصَارِ إِنْ تَبْقَى الْعَيْنَ مُفْتَوِحةً لَا تُنْتَرِفُ (٣) .

ب - توقعهم العذاب

ومع يأس الناس من الرحمة والعفو نجد وصفاً للفزع الذي يملاً قلوبهم والشعور القوي الذي يجتاح نفوسهم بأن مصيبة عظيمة ستتحل بهم ، ولكنهم يجهلونها قال الله تعالى : (كَلَّا بَلْ تُحْجِبُونَ الْعَاجِلَةَ ، وَتَذَرُّونَ الْآخِرَةَ وَجْهَهُ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةً إِلَى رِبِّهَا نَاظِرَةً ، وَوِجْهَهُ يَوْمَئِذٍ بِاسْرَةٍ تَظَاهِرُ إِنْ يُفْسَدَ بِهَا فَاقِرَةً) (٤) .

فقد وصفت وجوه الكافرين بأنها باسرة . وقال المفسرون في شرحها بأن معناها أنها تكون ليأسها وضعفها كالحنة كريهة المنظر (٥) عابسة مقطبة (٦) ، ذلك لأنها تتوقع حـلول داهية عظيمة لاختتمالها نفوسهم ، ويأتي التعبير الذي صورت به الداهية ليزيد ملامح الكافرين وضوهاً ، لأن

(١) سورة إبراهيم: ١٤: ٤٢ .

(٢) سورة الأنبياء: ٩٧: ٢١ .

(٣) جامع البيان: ١٣: ١٢٣٦ ، التبيان: ٦: ٣٠٣ .

(٤) سورة القيامة: ٧٥: ٢٠ - ٢٥ .

(٥) تنوير المقياس: ٣٧٥ ، مجاز القرآن: ٢: ٢٧٥ ، غريب القرآن: ٥١ ،

جامع البيان: ٢٩: ١٩٣ ، وانظر أيضاً جمهرة اللغة: ١: ٢٥٥ ، الصحاح: ٢٩: ٥٨٩ ، لسان العرب: ١٢٣ .

(٦) غريب القرآن: ٥٠٠ ، جامع البيان: ٣: ٢٩٤ .

عبوس الوجه ونقطيبها لابد أن يكون ليأس عظيم وخوف مرعب من الداهية .

فالفاقرة التي يتوقفها المجرمون هي (شدة ومنكرة من العذاب) كما يقول ابن عباس (١) وهي الداهية كما فسراها معظم المفسرين ، ولكنهم اختلفوا في أصل استعماها هل إنها مشتقة من فقار الظهر كأن تكون المصيبة التي تخل بهم عظيمة تكسر ظهورهم ؟ أم إنها من الفقر الذي هو الحز يوم بهم البعير ليذل ؟ .

أما الفريق الأول فقد قالوا في تفسير الآية بأن الفاقرة هي الداهية من فقار الظهر كأنها تكسره (٢) . ويلاحظ في هذا التفسير أنه وثيق الصلة بالبيئة العربية ، ذلك لأنه من المعانى الحسية التي اهتم بها العربي ، وأولاها عناته . فقد اهتم العربي بالحبوانات الأليفة التي شاركته بيئته متأملاً صفاتها الجسدية ، مسمياً كل عضو منها . ونجده في الشعر الجاهلي صدى عميقاً لهذا الاهتمام إذ وصف الشاعر ناقته ، وتطرق إلى ذكر فقار ظهرها ، والنحاءها قال زهير بن أبي سلمى :

بأرزةِ الفِقَارَةِ لم تَخْتُنْهَا قِطَافٌ فِي الرِّكَابِ وَلَا خِلَاءَ (٣)
الآرزة : الدانية بعضها من بعض ، والقطاف : مقاربة الخطوط ، والخلاف
ان تبرك فلا تبرح ، يريد انها مجتمعة الفقار ملائمة ، ولا ينقص خلقها
شيء من العيوب كمقاربة الخطوط أو البروك وعدم مبارحة الأرض . وقال

(١) تنوير المقيام : ٣٧٥ .

(٢) تفسير غريب القرآن : ٥٠٠ ، أدب الكاتب : ٥٦ ، جهرة اللغة : ٣٩٩:٢
غريب القرآن : ١٨٦ ، الصحيح : ٢ : ٧٨٢ ، البیدان : ١٠ : ١٩٩ ، المفردات : ٣٩١
الكافش : ٣ : ٢٩٤ .

(٣) شرح ديوان زهير : ٦٣ .

الأعشى واصفاً ناقته ، وكيف ان فقارها متلاحة بالحزم :
 وداباً تلأحكن مثلَ الفزو من لاحم منها السليلُ الفقارا (١)
 ومن الطريق ما يروى في هذا الباب ان اعرابياً قدم على عتبة بن
 أبي سفيان (٢) مشتكياً ظلمته ، وان عتبة قال له : (أني أراك اعرابياً
 جافياً ، فوالله ما أحسبك تدربي كم تصلي في كل يوم وليلة ؟ فقال : أرأيت
 ان أبأفك ذلك ان تجعل لي عليك مسألة ؟ قال : نعم . فقال الاعرابي :
 ان الصلاة أربع فاربع ثم ثلث بعدهن أربع
 ثم صلاة الفجر لاتُضيّع

فقال : صدقت ، فــأــلــفــقــالــ : كــمــ فــقــارــ ظــهــرــكــ : فــقــالــ : لــاــ دــرــيــ فــقــالــ :
 أــفــتــحــكــمــ بــيــنــ النــاســ ، وــأــنــتــ تــجــهــلــ هــذــاــ مــنــ نــفــســكــ ؟ فــقــالــ رــدــواــ عــلــيــهــ غــنــيــمــتــهــ) (٣)
 وــهــذــاــ الــخــبــرــ دــلــاــةــ عــلــيــ الــأــمــوــرــ الــتــيــ كــانــ الــأــعــرــابــ يــوــلــيــهــ اــهــتــامــهــ ، حــتــىــ اــنــ يــعــجــبــ
 مــنــ جــهــلــ عــتــبــةــ عــدــدــ فــقــارــ ظــهــرــهــ مــعــ اــنــ يــحــكــمــ بــيــنــ النــاســ وــكــانــ عــدــدــ فــقــارــ
 الــظــهــرــ مــنــ أــوــلــ مــســتــلــزــمــاتــ الرــجــلــ الــحــكــيمــ ! لــأــنــ مــنــ يــجــهــلــ نــفــســهــ يــكــونــ أــوــلــ
 يــجــهــلــ أــمــوــرــ النــاســ وــشــؤــونــهــ . وــقــالــ اــبــنــ الــأــعــرــابــ فــيــ تــحــدــيــدــ فــقــرــ الــإــنــســانــ
 وــالــبــعــيرــ (أــقــلــ فــقــارــ الــبــعــيرــ ثــمانــ عــشــرــةــ ، وــأــكــثــرــهــ اــحــدــىــ وــعــشــرــونــ إــلــىــ ثــلــاثــةــ
 وــعــشــرــينــ ، وــفــقــارــ الــإــنــســانــ ســبــعــ) (٤) .

(١) ديوان الأعشى : ٤٧ .

(٢) هو عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية أمير مصر وليه من قبل
 أخيه معاوية فقد مات سنة ٤٣ هـ ، حج بالناس سنة ٤١ ، ٤٢ هـ . أنظر نسب قريش :
 ١٢٥ ، تاريخ العقوبي ٢ : ٢٦٤ ،

(٣) الكامل للمبرد ١ : ٣١٠ - ٣١١ .

(٤) عن لسان العرب ٦: ٣٦٨. علما بأنه أصبح من الثابت في الوقت الحاضر
 ان عدد فقار الانسان ثلاثة وثلاثون .

ومن هذا المعنى المادي قالوا عن الرجل فِقَرٌ اذا كسرت فقراته
وعبر بهذا التعبير عن الضعف . قال طرفة :

وَاذَا تلْسُّنَنِي اُسْنُهَا اَنِّي لَسْتُ بِمُوهُونٍ فِقَرٌ^(١)

وقال ثعلب معلقا على البيت : (فِقَرٌ : مكسور الفقار)^(٢) . فقد استعملت كلمة الفقر للدلالة على الضعف والكسل لأن من ضعفت فقرات ظهره ، ضعفت قوته وطاقاته الجسدية .

ومن هنا جاء الاستعمال المجازي لمعنى الفقر وهو الحاجة والذلة أو ما يضاد الغنى فكما ان المكسور الظاهر ضعيف لا يقوى على السير والعمل وحده ، ومحاج الى المساعدة فكذلك سمي كل محتاج الى غيره بالفقر^(٣) وقد وردت بهذا المعنى في اثنى عشر آية^(٤) .

فقوله سبحانه وتعالى في صفة حال المجرمين يوم القيمة (نظِنْ) ان يُفْعَلَ بها فاقرة^(٥) يرسم لنا صورة حسية من البيئة العربية ، و ذلك ان هؤلاء المجرمين يتأسون من الرحمة ، والعفو و يوقنون بداهية عظيمة مؤلمة تحمل بهم فتتركمهم ذليلين ضعفاء لامعين لهم . وهذه الداهية تقضم ظهورهم ، وتكسر فقارهم ، ويكون شأنهم في ذلك شأن البعير الضعيف الذي كسرت فقاره فيذل ولا يقوى ، وهي صورة طالما شهدناها العربي في بيته وتحسس الأذى ، والذل الذي يرتسם على البعير المكسور . ويعينا على تصور هذا

(١) ديوان طرفة : ٧٤ .

(٢) مجلس ثعلب ١ : ٣٢٠ ، شجر الدر ١٦٤ ، الصحاح ٢ : ٧٨٣ .
المفردات ٣٩١ .

(٣) الكامل للجبرد ١ : ٣٤٦ .

(٤) المعجم المفهوس : ٤٢٤ ، ٥٢٥ .

(٥) سورة القيمة ٧٥ : ٢٥ .

معنى اطلاقهم الفاقرة ، والقاصمة على الدهنية (١) كأنها أشد هوطا وأذاءا تقصم الظهور وتضعفها .

أما التفسير الثاني فقد ذهب بالفاقرة إلى فقر الأنف ، ويمثل هذا الفريق قول أبي عبيدة ، الفاقرة الدهنية وهو الوسم الذي يفتر على الأنف (٢) وهذا التفسير هو الآخر يعكس لنا صورة واضحة لللامام للبيئة العربية حيث يعتبر البعير فيها عنصراً أساسياً من عناصر البداوة في الصحراء ، تلك البيئة التي أعطت العربي خبراً تقيمه على الاستفادة من هذا الحيوان ، وجعله أكثر فائدة واقتداء لنفس صاحبه . ومن هذه الخبر فقر أنف البعير أيدل ، وينقاد بسهولة . ونجد عند القدماء أقوالاً عديدة ترسم صورة الفقر والفائدة منه : في حديث عمر بن الخطاب (رض) (ثلاث من الفواقر أي الدواهي واحدتها فاقرة كأنها تحطم فقار الظهر كما يقال قاصمة الظهر ، والفقار م الواقع على أنف البعير . . .) (٣) . وفي حديث الإمام علي عليه السلام قوله : (من أحبنا أهل البيت فليستعد للفقر جلباباً أو تجفافاً) (٤) فالتجفاف ما يحمل به الفرس من سلاح وآلة تقيه الجراح وقد يلبسه الإنسان أيضاً . وقد فسر هذا القول بأنه من أحبنا فليعد لفقره يوم القيمة ما يجبره من الثواب ، وقيل إن بعد نفسه لفقر الدنيا والزهد فيها (٥) . أما الشريف المرتضى فإنه فسر الحديث تفسيرا

(١) انظر شرح ديوان لبيد: ٢٢٠ ، ديوان كعب بن زهير: ٢٥٩ ، شرح القصائد السبع: ١٦٤ ، أمثال العرب: ٣١ ، الوحشيات: ١٧٥ ، أمالي البزيدي: ٢٨ .

(٢) مجاز القرآن ٢: ٢٧٨ ، أدب الكاتب: ٢٥٦ ، مجالس ثعلب: ١٢٨: ١

جامع البيان ٢٩: ١٩٤ .

(٣) لسان العرب ٦: ٣٧١ .

(٤) أمالي المرتضى ١: ١٨ .

(٥) ن. م .

آخر قريب الصلة بالبيئة العربية ، وبموضوع فقر أنف البعير الذي نحن بصدده قال : (ويمكن أن يكون في الخبر وجه ثالث تشهد بصحته اللغة وهو أن أحد وجوه معنى لفظة الفقر ان يجز أنف البعير حتى يخلص الى العظم أو قريباً منه ، ثم يلوى عليه حبل بذلك الصعب يقال : فقره يفقره فقرها اذا فعل ذلك به ، وبعير مفقور وبه فقرة ، وكل شيء حززته واثرت فيه ، فقد فقرته تفقرها ، ومنه سميت الفاقرة وقبل سيف مفقور فيحمل القول على أنه عليه السلام أراد من أحينا فليلزم نفسه ، وليخطمهما وليقدها الى الطاعات ، ولি�صرفنها عما تمثل اليه من الشهوات وليدللها على الصبر عما كره منها . ومشقة ما أريد منها كما يفعل بالبعير الصعب) (١) . فالشريف المرتضى حين برجح هذا المعنى الحسي اتفا يسند على شواهد اللغة وسلام العرب (٢) .

أما الاغويون فقد وضيحا لنا صورة فقر أنف البعير ، ورسموا معالمها وغاياتها . روى أبو مسحيل (٣) عن أبي عبد الرحمن بن سهل (٤) قوله : (ويقال قرمت البعير أقرمه وهو ان تجز جملدة أنفه اذا كان نشيطاً مرحلاً ليذل حتى يكون كهيئة العلم في أنفه ، وهو القرم أي الحز في الأنف

(١) أمالي المرتضى ١ : ١٨ .

(٢) ن . م .

(٣) هو عبد الوهاب بن حرثيش ، أبو مسحيل الهمذاني النحوي ، كان من أهل العلم بالقرآن ، ووجوه اعرابه ، عارفاً بالعربية ، روى عنه محمد بن يحيى الكسائي كان اعرابياً قدم بغداد وافداً على الحسن بن سهل . عاش في أواخر القرن الثاني الهجري ، وأوائل الثالث . أنظر أنياه الرواة ٢: ٢١٨ ، تاريخ بغداد ٢٤٠١١

(٤) هو أبو عبد الرحمن أحمد بن سهل صاحب أبي عبيد القاسم بن سلام المتوفى سنة ٢٢٢ هـ ، أو سنة ٢٤٥ هـ .

والفقر مثله) (١) . وعن أبي عبيد قوله : (الفقير ان يُحزن أَنْفُ الْبَعِيرِ
حتى يخلص إلى المطعم أو قريب منه ، ثم يُلَاوِي عَلَيْهِ جَرِيرَ يَذَالَ بِذَلِكَ الصَّعْبِ
ومنه عملت الفاقرة) (٢) . ورسم ابن الأعرابي لنا صورة فقر أَنْفُ الْبَعِيرِ ،
وكيف أن الرجل يتهم بمرح بعيره ونشاطه إذا أراده متمهلاً ، وبذله إذا
كان صعباً قال : (وقد يفقر الصعب من الأبل ثلاثة أَنْفُر في خطمه فإذا
أراد صاحبه أن يذله ، ويمنعه من مرحة جعل الجرير على فقره الذي يلي مشغره ،
فلكه كيف شاء ، وإن كان بين الصعب والذلول جعل الجرير على فقره
الأوسط فترى في مشيته واتساع ، فإذا أراد أن ينبطق وينذهب بلا مؤنة
على صاحبه جعل الجرير على فقره الأعلى فذهب كيف شاء) وقال : (إذا
حنزَ أَنْفُ الْبَعِيرِ حزاً فَذَلِكَ الْفَقِيرُ وَبَعْرٌ مَفْقُورٌ) (٣) .

ومما مر بنا تتضح لنا صورة فقر أَنْفُ الْبَعِيرِ وعلاقتها الحسية بالبيئة
العربية ، وما توحيه في نفس العربي من معانٍ الذلة والضعف فيكون معنى
قوله تعالى : (وجوه يومئذ ناضرةٌ إلى ربها ناظرةٌ ، ووجوه يومئذ باشرةٌ
تضئنُّ أن يُفعَلَ بها فاقرة) (٤) ، إن المجرمين يوقنون بالداهية العظيمة التي
ستحل عليهم وتذلّم وتضيق بهم كما يذلّ بعير الصعب بفقر أَنْفُه ، ويُستند
في هذا التفسير على دلالة الأنف في التعبير اللغوي على العزة ، والباء ،

(١) النواذر : ٢ : ٤٥٤ .

(٢) المخصص ١٥٨ . ٧ ، وانظر أيضاً ٣٣ : ١ .

(٣) عن لسان العرب ٦ : ٣٧١ ، وانظر أيضاً الغريب المصنف : الورقة

(٤١٠) جمهرة اللغة ٢ : ٣٩٨ ، الصحاح : ٧٨٢ ، المفردات ٣٩١ .

(٤) سورة القيامة ٧٥ : ٢٢ - ٢٥ .

والعظمة . وقد قال الجاحظ (الأنف هو النخوة وموضع التجبر) (١) ومن هذا المعنى جاء قوله عز من قائل : (إن كانَ ذا مالٍ وبنين ، اذا تُتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين ، سنسِمُهُ على الخرطوم) (٢) أي سنسم أنفه سمة أهل النار (٣) ، فشخص الأنف بالذكر لأنه موضع التجبر ، والكثير . فالجبر من يوم القيمة تحمل عليهم داهية تذل نفوسهم وتحطم جبروتهم ، وقد وصفت هذه الداهية بأنها تفقر الأنف وتذله ، وينقلنا هذا التعبير إلى صورة البغير حين يفقر أنفه ويدل ، كما ترسم لنا صورة الذلة المفترنة في الذهن العربي بالأنف الذي إذا ذل أو فقر أصاب الذل صاحبه . وتنتعاون هذه الصورة مع صورة فقار الظاهر (٤) التي لها دلالتها الأخرى في الذهن العربي ، وهي القوة والصلابة ، فإن كسرت الفقار صار صاحبها ضعيفاً محتاجاً إلى غيره ، ثم إنها تحملهم منقادين نحو الداعي ضعيفين لاسيطرة لهم على أنفسهم .

أنها صورة رهيبة للذل الناس يوم القيمة تنداعي فيها عدة ملامح من البيئة العربية تزيد من رسم هول الموقف ، وتوضح لنا يأس وخوفهم مما يتوقعونه من العذاب والعقاب .

(١) الحيوان ٣ : ٣٠٥ ، وانظر الشعر في ديوان المزرد بن ضرار : ٦١ ،

ديوان الحماسة : ٢٠ ، ديوان علقمة الفحل : ٤٨ .

(٢) سورة القلم ٦٨ : ١٤ - ١٦ .

(٣) انظر جامع البيان ٢٩ : ٢٨ ، التبيان ١٠ : ٧٨ .

(٤) ويبدو أن فقار الظاهر هي الأصل الحسي لمعنى الكلمة ، وذلك لأن شكل الحز الذي يحز به الأنف يشبه إلى حد كبير فقرات الظهر ، فكان فقر الأنف أطلق لتشابه الصورة بينه وبين فقار الظهر الأصلي .

ج - ذلتهم :

اطاع رؤوسهم :

هذاك عدة تعبيرات رسم لنا ذلة الكافرين عند حشرهم من القبور ، تلك الذلة التي تبدو على هيئة رؤوسهم ، وأبصارهم الذليلة . قال الله تعالى : (ولا تخسِنَ اللَّهَ غافلاً عما يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ، إِنَّمَا يُؤخِرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُهْطَعِينَ مُقْنَعِينَ رُؤُسَهُمْ ، لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ، وَأَفْئَدُهُمْ هَوَاءً) (١) . وقال أيضاً (فَتُولَّهُمْ يَوْمَ يَدْعُونَ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نَكْرٍ ، خُشُعاً أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ مُهْطَعِينَ إِلَى الدَّاعِي يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمُ عَسْرٍ) (٢) . قال ابن عباس مفسراً اهطااع الكافرين نحو الداعي بأنهم (مسرعين فاقدون ناظرين الى الداعي) (٣) وقال أبو عبيدة : مهطعين مسرعين قال الشاعر :

بِمُهْطَعِ سُرْجٍ كَأَنَّ زِمامَهُ

في رأسِ جِيدِهِ من أَوَالِ مُشَدَّبِ (٤)

وقال :

(١) سورة إبراهيم ١٤: ٤٢ - ٤٣ .

(٢) سورة القمر ٥٤: ٨ - ٦ .

(٣) تدوير المقياس : ٣٤٤ : ١٦٣ ، وانظر أيضاً اللغات في القرآن : ٥١ .

(٤) لم ينسبه أبو عبيدة وأنشده ابن بري لأنيف بن جهلة مع اختلاف في الرواية أنظر لسان العرب ١٣: ٤٢ -

بِسْمِهِ طَبِيعَ رَسُولُ كَانَ جَدِيداً بِقِدْرِهِ رَعَى مِنْ صَوَامِّ مُمْنَعٍ (١)
وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ مَفْرُغٍ الْخَمِيرِيِّ (٢) .

بِدِجَلَةِ دَارِهِمٍ وَلَقَدْ أَرَاهُمْ بِدِجَلَةِ مُهْبِطِهِ مِنَ السَّمَاءِ (٣)
وَنَقْلُ الطَّبَّيْرِيِّ عَنْ أَبْنِ عَبَّاسٍ تَفْسِيرًا آخَرُ وَهُوَ قَوْلُهُ (الْأَهْطَاعُ :
النَّظَرُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْرُفَ) (٤) . وَمِنْ الْأَغْرِيْبِ الَّذِينَ ذَهَبُوا هَذَا الْمَذَهَبُ
الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ (٥) ، وَآخَرُونَ مِنْ نَقْلِ أَبْنِهِمْ أَبْنُ مَنْظُورٍ (٦) .
وَمَا مِنْ بَنَى نَجَدَ أَنَّ الْمُفَسِّرِينَ ذَهَبُوا فِي تَفْسِيرِ الْأَهْطَاعِ ثَلَاثَةَ مَذَاهِبٍ
وَهِيَ وَانْ تَقَارِبَتْ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ إِلَّا أَنْ مَحَاوِلَةَ تَبَعُّدِ مَعَانِيهَا تَعْطِيْنَا تَفْسِيرًا
جَامِعًا لِكُلِّ التَّفَاصِيرِ السَّابِقَةِ ، كَمَا تَدَلَّنَا عَلَى صُورَةِ أُخْرَى مِنْ صُورِ الْبَيْشَةِ

(١) الرَّسُولُ : الَّذِي لَا يَكُافِلُكُ شَيْئاً ، قِدْرُهُ : قَدَامٌ ، وَرُعْنَى الْجَبَلِ : أَنْفُهُ
وَصَوَامِّ : جَبَلٌ ، وَالْبَيْتُ مِنْ شَوَاهِدِ الزَّمَنِ الْمُخْتَشِرِيِّ فِي أَسَاسِ الْبَلَاغَةِ : ١٠٦٢ ، وَاسْنَانُ
الْعَرَبِ : ١٥ ، ٣٦٦ ، جَامِعُ الْبَيْانِ : ١٣ ، ٢٣٨ ، مَعَ اخْتِلَافِ فِي الرِّوَايَةِ ، وَعَدْمِ
نَسْبَةِ الْبَيْتِ .

(٢) هُوَ يَزِيدُ بْنُ مَفْرُغٍ الْخَمِيرِيُّ ، شَاعِرُ أَمْوَيِّ هَجَاءٍ وَهُوَ جَدُّ السَّبِيلِ الْخَمِيرِيِّ
الشَّاعِرُ الْمُعْرُوفُ ، لَقْبُهُ جَدُّهُ بِالْمَفْرُغِ لِأَنَّهُ رَاهَنَ أَنَّ يَشْرُبَ عَسَا مِنْ لَبَنٍ فَشَرَبَهُ حَتَّى
فَرَغَهُ . هَجَاءُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيَادٍ سَنَةُ ٥٩ هـ ، فَحَمِلَ عَلَى حَمَارٍ وَطَيْفَ بِهِ فِي الْأَسْوَاقِ .
أَنْظُرْ الشِّعْرَ وَالشِّعْرَاءَ ١ : ٢٧٦ ، تَارِيخُ الْأَمْمِ وَالْمَلُوكِ ٦ : ١٧٨ ، الْأَغْنَانِيِّ ١٦ : ٧٢ .

(٣) مِجازُ الْقُرْآنِ ١ : ٣٤٢ ، اَنْظُرْ أَيْضًا جَامِعُ الْبَيْانِ ١٣ : ٢٣٨ ، التَّبَيَانُ ٤٤٦ : ٩ .

(٤) جَامِعُ الْبَيْانِ ١٣ : ٢٣٧ .

(٥) الْعِنْ ٣٨ .

(٦) اَسَانُ الْعَرَبِ ١٠ : ٢٥٨ .

العربية ، فالبعير المهبط هو الذي في عنقه تصويب خلقة (١) ، ومن هذه الخلقة التي قد يوجد عليها البعير بطبيعته جاء اطلاقهم الكلمة على البعير يصوب عنقه ، وينقاد لصاحبها في حالة كونه سالم الخلقة ، وليس فيه أي تصويب قال ابن فارس (أهْبَطَ الْبَعِيرَ صَوَّبَ عَنْقَهُ مُنْقَادًا) (٢) ، واهبط اذا مدَّ عنقهُ وصوَّبَ رأسَهُ (٣) .

واوضح ان هذا الاستعمال الجديد للكلمة تطور عن الصورة الحسية الأولى ، صورة البعير الذي يوجد في عنقه تصويب وميَل خلقة ، فإذا انقاد البعير لصاحبها ذل ، وظهرت ذلتة في استكانته ، وميَل عنقه ، ومن هنا نفهم المعنى الآخر للكلمة ، وهو اطلاقهم المنهَط على الذليل الذي يرفع رأسه في ذل وخشوع كما يقول ثعلب (٤) . ونقل ابن منظور عنه أيضاً : (وأهْبَطَ : أَقْبَلَ مُسْرِعًا خائِفًا ، لا يكُونُ إِلَّا مَعَ خُوفٍ ، وَقَبِيلَ بِخَصْوَعٍ) (٥) . قال الشاعر :

تَمَبَّدَّلِي تَمَرُّ بْنُ سَعْدٍ وَقَدْ أَرَى
وَغَرُّ بْنُ سَعْدٍ لِي مُهْبِطَعٍ وَمُهْنَاطِحٍ (٦)

(١) جهرة اللغة ٣: ١٠٧ ، الصحاح ٣: ١٣٠٧ ، الحكم ١: ٦٢ ، أساس البلاغة ١٠٦٢ ، لسان العرب ١٠: ٢٥١ .

(٢) مقاييس اللغة ٦: ٥٦ .

(٣) الصحاح ٣: ١٣٠٧ ، لسان العرب ١٠: ٢٥١ .

(٤) مجالس ثعلب ١: ٢٠ .

(٥) عن لسان العرب ١٠: ٢٥١ ، وانظر أيضاً جهرة اللغة ٣: ١٧ .

(٦) الصحاح ٣: ١٣٠٧ ، أساس البلاغة ١٠٦٢ ، لسان العرب ١٠: ٢٥١ .

والبيت غير منسوب .

وقد فسر الخليل البيت بأنه كان ذليلاً لي فصار فوق (١) ، ومن هذا المعنى نفهم تفسيراً آخر للآية الكريمة : (مُهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِي يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمُ عَسِيرٍ) (٢) . أي منقادين له ذليلين ، خائفين وقد أيقنوا بما سيلاقونه من العقاب وهو معنى وضعيه لـنا تعبر الفاقرة (٣) . أما السرعة فانها معنى آخر تطور عن المعنى الحسي نفسه ، وذلك ان البعير اذا انقاد الى صاحبه ذل ، واستكان ، كما مر بنا ، وهو حين يسرع ترتمم في الذهن صورة الاهتطاع الأولى ، لأن المسرع لا بد أن يدفع عنقه ويمده الى الامام لكي يوازن بين جسمه والقوة الدافعة الى الامام ، ومن هنا قبل اهطع البعير في سيره ، واستهبط اذا سرع ، وناقة هطعني ، سريعة ، كما يقول الخليل (٤) .

ثم اطلق الاهتطاع على السرعة مطلقة دون تقييدها بالبعير أو الانسان (٥) وبهذا يمكننا أن نفهم تفسير من قال ان الاهتطاع هو اسراع الناس نحو الداعي (٦) . أما تفسير من قال ان معنى الاهتطاع هو النظر من غير ان يطرف (٧) ، فنجده واضحاً أيضاً في الصورة الحسية لاهتطاع البعير أو الانسان حين يندفع بسرعة الى الامام ، فإن القوة الدافعة لاتتبع له مجالاً لأن يلتقط

(١) العين: ٣٨ .

(٢) سورة القمر ٥٤: ٨

(٣) انظر ص ١١٥

(٤) عن لسان العرب ١٠: ٢٥١ .

(٥) الخليل عن المخصوص ٣: ١٠٧ ، وانظر أيضاً الصحاح ٣: ١٣٠٧ .

مقاييس ٦: ٥٦ ، الحكم ١: ٦٢ ، لسان العرب ١٠: ٢٥١ .

(٦) انظر الفصل الثالث - ج - ذاتهم

(٧) ن . م

يميناً أو شمالاً ، وإنما يبقى في سرعته متوجهاً بنظره إلى الإمام ، ومن هذه الحقيقة تطور المعنى الأخير للكلمة وهو قوله ، المهبط الم قبل يبصره على الشيء لا يرفعه عنه (١) . وما من بنا نفهم أن اختلاف المفسرين في توجيه الآية الكريمة ليس فيه تناقض أو تناقض ، وإنما نظرت كل طائفته إلى الآية الكريمة من وجهة واحدة فجاء تفسيرها صورة لتلك الوجهة ، فإذا بالآية الكريمة صورة متعددة الجوانب ، متجركة الملامح ، يلمح كل مفسر جانباً منها فيرسمه لنا إلا أن الجمع بينها يعطيها صورة كاملة لاهطاع الكافرين وذلتهم ، فالناس حين يبعثون يوم القيمة على صوت النفير المفزع ينقادون مسرعين ملبين الداعي ، وقد ذلت نفوسهم حين أيقنت بما ستلاقيه من العقاب والعقاب . وتظهر ذلتهم في اهطاع رؤوسهم التي تنقل لنا صورة البعير يمبل برأسه ويصوبه حين يذل وينقاد لاصحابه ، أو صورته حين يفرج ويسرع في سيره مُصوباً عنقه إلى الإمام ، ثم إنهم في ذلتهم ، وذهولهم لانظرف أبصارهم وهو معنى أكدده قوله تعالى في آية سبقت وصف إهطاع رؤوس الكافرين : (إِنَّا يُؤْخِرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشَخَّصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ) (٢) .

اقناعهـا :

اما اقناع رؤوسهم فقد ورد في قوله جل من قائل : (ولا تحسَّنَ^ة
الله غافلاً عما يَعْمَلُ الظَّالَمُونَ ، إِنَّا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشَخَّصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ
مُهْتَبِينَ مُقْسِنِينَ رُؤُسِهِمْ لَا يَرْتَدُ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْنَدَتْهُمْ هَوَاءُ) (٣) :

(١) العين ٣٨ ، وانظر أيضاً الصحيح ٣: ١٣٠٧ ، لسان العرب ٢٥١: ١٠

(٢) سورة إبراهيم ١٤: ٤٢ .

(٣) سورة إبراهيم ١٤: ٤٢ - ٤٣ .

وقد ذكر المفسرون ثلاثة توجيهات للاقناع . الأول : انهم منكرو رؤوسهم ، والثاني انهم رافقو رؤوسهم ، والثالث مادو رؤوسهم . وقد ذكر ابن عباس هذه التوجيهات الثلاثة في تفسيره (١) . أما التفسير الثاني فقد ذكره أبو عبيدة في مجازه حيث قال : (معنى رؤوسهم مجازه رافعي رؤوسهم قال الشمماخ :

يُبَاكِرُونَ الْعِصَادَ بِمُقْنِعَاتٍ نَوَاجِذُهُنَّ كَالْحِدَّا الْوَقِيعِ
أَيْ بِرُؤُوسٍ مَرْفُوعَاتٍ إِلَى الْعِصَادِ لِيَتَنَاهُنَّ مِنْهُ) (٢) . ولم يكتف قتادة بتفسير أبي عبيدة ، إنما وجد فيه صورة أكثر من رفع الرأس ، وهي الذهول والرعب الذي يجعلهم رافعي الرؤوس ، وقد شخصت أبصارهم قال : (المُقْنِعُ الْذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ شَاحِصًا بِصَرَهِ لَا يَطْرُفُ) (٣) . وفي دلالات الكلمة المختلفة نجد معانٍ عديدة تكشف لنا صورة التعبير القرآني من جهة ، والبيئة العربية من جهة أخرى . ومن هذه المعاني المادية معنى ارتبط بالابل وذلك قوله ان الاقناع رفع الابل رأسها ، ويكون ذلك خلقة فيها (٤) . هذه الخلقة ان وجدت في غير ما فانها لانتيج له التحرك برأسه يميناً أو شمالاً ، ويبعد أن هذا المعنى من أوائل معاني الكامنة ، وقد يكون أصلاً لها .

ومن هذا الرفع الطبيعي أطلقوا كلمة المقنع على الذي يرفع رأسه شاحصاً بصره ، وذلك تشبيهاً بالصورة المادية التي رأها العربي في بيته

(١) تنوير المقاييس : ١٦٣ ، وانظر أيضاً اللغات في القرآن : ٣٢ .

(٢) مجاز القرآن ١ : ٣٤٣ ، وانظر أيضاً جامع البيان ١٣ : ٢٣٨ ، التبيان

٦ : ٣٠٣ ، والبيت في ديوان الشماخ : ٥٦ .

(٣) جامع البيان ١٣ : ٢٣٩ .

(٤) لسان العرب ١٠ : ١٧٣ .

فعمّها على من رفع رأسه وشخص بيصره روى الجوهري قوله : (اقنع رأسه اذا رفعه ، ومنه قوله تعالى مهطعين مقنعي رؤوسهم وكذلك قول رؤبة (١) .

أشرفَ رَوْقاَهُ صَلِيْفَاً مُقْنِعاً (٢)

ومن هذا الاستعمال الماديفهم المفسرون الآية الكريمة : (مهطعين مقنعي رؤوسهم) (٣) بأن الناس يوم القيمة حين يهبون على صيحة النفير يرثون رؤوسهم لشدة ذهولهم وفزعهم فيكون حالم حال البعير الذي في خلة راسه ارتفاع ، فلا يستطيعون خفض رؤوسهم ، وتبقى أبصارهم شاخصة هول الموقف .

أما تفسير الآية بأن الناس يكونون ماديأعناقهم ، فإنه معنى متأت من استعمال مادي آخر ، وذلك قوله أقنع البعير رأسه إلى الحوض للشرب وهو مده رأسه كما يقول الأصمعي (٤) . ومن هنا قبل للذى يقبل على الشيء مقنع (٥) ، فكما ان الإبل حين تقبل على الماء لشرب منه تمد رأسها إليه لا يصرفها عنه شيء وكذلك الذى يقبل على الشيء يمد رأسه تجاهه ، ولا

(١) هو رؤبة بن عبد الله بن رؤبة التميمي ، راجز من الفصحاء المشهورين من مخضري الدولتين الأموية والعباسية . كان أكثر مقامه في البصرة ، وأخذ عنه أعيان أهل اللغة . توفي نحو ١٤٥ هـ . انظر المؤتلف والختلف : ١٧٥ ، لسان الميزان ٢: ٤٦٤ ، خزانة الأدب ١: ٤٣ .

(٢) الصدحاج ٣: ١٣٧٤ .

(٣) سورة إبراهيم ١٤: ٤٣ .

(٤) عن لسان العرب ١٠: ١٧٣ ، وانظر أيضاً الصدحاج ٣: ١٢٨٤ ، مقاييس اللغة ٥: ٢ .

(٥) لسان العرب ١٠: ١٧٣ .

يصرفه الى تجاه اخر وهو الأصل الاولى الذي وضعه ابن فارس للكلمة (١).
هذا المعنى يفيينا في فهم الآية الكريمة ، لأن الكافرين يمدون رؤسهم
ويقبلون نحو الداعي لا يرتد اليهم طرفهم .

ومن مجموع معانى الكلمة نجد ان كل التفاسير السابقة قد استندت
على استعمال مادي . له دلائله على البيئة العربية . فإذا جمعنا هذه التفاسير
تذاعت في الذهن مشاهد عديدة من البيئة العربية ، كل مشهد منها يعطينا
جانباً من صورة الكافرين الذليلة يوم القيمة عند سماعهم صوت التفير
فيفرعون ويرفعون رؤسهم ، وتشخص أبصارهم مثلهم في ذلك مثل البعير
الذي في رأسه ارتفاع خلقة فلا يستطيع امامته ، او تحريكه ، ويقبلون
نحو الداعي كما تقبل الابل نحو الماء فلا يصرفها عنه شيء ، ثم تأتي الآية
بعدها : (لا يرتد اليهم طرفهم ، وافتئتهم هواء) (٢) لتدين لنا ان
رفع الرؤوس والاقبال نحو الداعي ليس بالسير الطبيعي ، إنما هو إقبال
يدفعه الفزع والملع الذي لا مفر منه ، لذا لا تطرف أبصارهم ، ولا
يميلون رؤسهم ، ولا يرجعون عن سيرهم الذليل نحو الداعي .

خشوع اصواتهم ، وكما بدت ذلة الكافرين في سيرهم ، فانها تجلت
في طريقة كلامهم قال الله تعالى واصفاً اصواتهم بالخشوع : (ويسألونك
عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفاً ، فيذرها قاعاً صنفاصها ، لا ترى فيها
عوجاً ولا أمتا يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له ، وخشت الأصوات
للرحن فلا تسمع إلا همساً) (٣) :

فسياق الآيات العام يوحى بالخشوع والرهبة ويضفي على مشاهد يوم القيمة
صورة يتجسد فيها الخوف والفزع .

(١) مقاييس اللغة ٥ : ٣٢ (٢) سورة ابراهيم ١٤ : ٤٢

(٣) سورة طه ٢٠ : ١٠٥ - ١٠٨

وقد قال المفسرون في شرح معنى الخشوع بأنه ذلة الأصوات وخضوعها قال ابن عباس : (وخشعت الأصوات ذلت الأصوات) (١) وقال الزمخشري (سكنت اللحاق لرجن فوصفت الأصوات بالخشوع والمعنى لأهلها) (٢) فالزمخشري يرى أن وصف الخشوع إنما هو وصف للناس لا لأصواتهم ، الا إننا نجد هذا الاستعمال عند اللغويين مقترباً بالآصوات والابصار روى الجوهري : (الخشوع ، الخضوع يقال خشعاً واختشع ، وخشعاً يبصراه أي غضه) (٣) .

فذلة الآصوات التي فسّرها المفسرون تفهم من قول اللغويين : لأن صورة من يغضّ بصره ، ولا يرفعه إنما تعكس لنا صورة الذليل الذي لا يجرؤ على رفع رأسه . ومجلبهة غيره .

وقد ورد الخشوع مقتربنا بالابصار في القرآن الكريم : (فتول عنهم يوم يدع الداعي إلى شيءٍ نُكِرْ خشعاً ابصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر) (٤) . وفسر الخشوع هنا بالذلة أيضاً : (٥) فإذا عدنا إلى المعاني الحسية التي دارت حولها الكلمة وجدنا فيها معنى حسياً تشتراك فيه الابصار ، والأصوات ، والنفوس ، وذلك أنها اطلقت وصفاً للأرض فقد قالوا : الخاشع المطمئن من الأرض (٦) . وأكمل

(١) تنوير المقياس ١٩٨ ، وانظر ايضاً جامع البيان ١٦ : ٢١٤ . التبيان

٧ : ٢٠٩ (٢) الكشاف ٢ : ٣١٤

(٣) الصحاح ٣ : ١٢٠٤ ، وانظر ايضاً لسان العرب ٣ : ٤٢٣ ، المخصص

١٢١ : ٤٢٣ ، أساس البلاغة ٢٣٢ ، لسان العرب ٣ : ٤٢٣

(٤) سورة القمر ٥٤ : ٦ - ٧

(٥) تنوير المقياس : ٣٣٤ الكشاف ٣ : ١٨٢

(٦) جمهرة اللغة ٢ : ٢٢٣

خاًشَعَةً" : ملائكة لاطئة بالأرض والخاشع من الأرض الذي تثيره الرياح لشهولته فتمحو آثاره (١) . فالأرض غير الممطرة تكون عديمة الفائدة يسهل السير عليها كما يسهل حشو آثارها . ومن هنا فهم معنى الذلة والخضوع الذي تطورت إليه الكلمة ، وبهذا المعنى وردت في القرآن الكريم (٢) . هذا المعنى المادي نجده واضحاً في المعنوي ، لأن الذليل حين يغض نظره يكاد يلتصق بصره على الأرض ولا يرفعه ، أما الأصوات فإنها وصفت بالخشوع تشبيهاً لها بالأرض المطمئنة المنخفضة الموصوفة بالخشوع . ومن هنا ففهم قوله تعالى (و خَيْشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِرَحْنِ فَلَا تَسْمِعُ إِلَّا هُنَّا) (٣) . أي أن أصوات الناس ذات ، وسكنت الذلة أصحابها ، وخوفهم مما ينتظرون من العذاب ، فلا يكاد يسمع لهم كلام واضح . وهو معنى أكدده تعبير الهمس الذي تبع وصف الأصوات بالخشوع .

وقد اختلف المفسرون في تفسير الهمس الذي يسمع عند سير الناس نحو الداعي ، فذهب بعضهم إلى أنه الوطء الخفيف كورطه الإبل (٤) . وروي عن ابن عباس أنه سئل عما إذا كانت العرب تعرف هذا المعنى فأجاب : نعم ، واستشهد بقول أبي زيد :

فَبَأْتُوا مَا كَنِينَ وَبَاتَ يَسْرِي بَعِيرٌ كَالدُّجَى هَادِهِ وَسِنُّ (٥)

(١) الصداح ١: ٣٠٧ ، أساس البلاغة : ٢٣٢ ، لسان العرب ٩ : ٤٢٤

وقد وردت بهذا المعنى في سورة فصلت ٤١: ٣٩

(٢) انظر المعجم المفهرس : ٢٢٣

(٣) سورة طه ٢٠: ١٠٨

(٤) تنوير المقباس : ١٩٨

(٥) مسائل نافع بن الأزرق : الورقة ٥ (ب) ، والورقة ١٢ (أ)

وعن الفراء ان ابن عباس عَمِلَ أَيْضًا بقول الشاعر : (وَهُنَّ يَمْشَيْنَ
بِنَا هَمَيْسَا) ، وهو صوت اخفاف الابل (١) .

أما الفريق الثاني فقد فهم الهمس على انه الصوت الخفي ، قال
أبو عبيدة : (وهو مثل الركز يقال : همس اليه بمحدث أي أفضاه) (٢)
والركز هو الصوت الواطئ الخفي .

ويبدو ان المعنى الأول وهو الوطاء الخفي هو الأصل لمعنى الصوت
الخفي . فقد قالوا أسد هموس للخفي الصوت (٣) قال الحارث بن حازة :
أسد في اللقاء ورد هموس وربيع إن شنت غبراء (٤)
هذا الوصف للأسد صادر عن كونه يسر خفية حتى لانتبه اليه الفريسة
قال أبو الهيثم : (سمى الأسد هوسا ، لأنه يهمس همسا أي يمشي مشيا
بخفية ، فلا يسمع صوت وطنه) (٥) .

من هذا المعنى الحسي تطورت دلالة الكلمة الى معنى الصوت الخفي
لأن من يهمس بكلام خفي ، انما يتوجس من أن يسمعه أحد ، كما يتوجس
الأسد الهموس في وطنه الأرض حتى لاتسمع فريسته وقع أقدامه فتفلت
منه ، ومن هنا سمى أمرؤ القيس الليلة التي يُتَهَجَّسُ فيها السير ، وبخفي

(١) الفراء عن لسان العرب ٨ : ١٣٧ ، والبيت في جمهرة اللغة ٣ : ٥٤ ،
العمدة ١ : ١٧ ، وانظر أيضاً جامع البيان ٦ : ٢١٤ ، النبيان ٧ : ٢٠٩ ، المفردات :
٥٦٨ ، الكشاف ٢ : ٣١٤ .

(٢) مجاز القرآن ٢ : ٢٠ ، جامع البيان ٦ : ٢١٤ ، المفردات : ٥٦٨ .

(٣) جمهرة اللغة ٣ : ٥٤ ، الصحاح ٢ : ٩٨٨ ، مقاييس اللغة ٦ : ٦٦ ،
المخصوص ٢ : ١٣٨ .

(٤) شرح القصائد السبع : ٤٩٦ ، وانظر ديوان جيران العود : ٥٢ .

(٥) عن لسان العرب ٨ : ١٣٨ .

وطء الأقدام فيها لوطها وشدتها بليلة الهمس .
 أجد موثقة "كناز عرمس" وخدادة في ليلة الهمس (١)
 لأن واطتها يخشى أن تسمع وقع أقدامه . أما في الآية الكريمة فاننا
 نرى أن المعنين يشتركان في رسم إيقاع الهمس ، فمعنى وطء الأقدام يفهم
 بأن الناس يوم القيمة يكونون في رعب وخوف شديد ، فيخشوون السير
 لأنهم يعرفون عاقبة أمرهم ، ومع ذلك فهم مجبرون على اتباع الداعي ،
 ولكنهم يخففون وطء أقدامهم ، حتى لا يسمع إلا صوت خفي لهم . إلا
 ان متابعة سياق الآيات والجو القرآني بصورة عامة يجعلنا نرجع معنى الصوت
 الخفي ، لأنه أوضح من معنى الوطء الخفي ، ذلك لأن التعبير القرآني
 الأخرى أكدته كما مرّ بنا في تعبير خشوع الأصوات . وقد قال الله تعالى :
 (يوم يُنْفَخُ في الصُّورِ ، وَنَحْشُرُ الْجَنِينَ يَوْمَذِي زُرْقاً ، يَتَخَافَّونَ
 بَيْنَهُمْ إِنْ لَبَثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا) (٢) ، بصورة الناس الخائفين الذين يتوجسون
 في كلامهم فلا ينتبهون إلا همسا وتخافنا هذه الصورة واضحة في كل الآيات
 الكريمة التي تعرض الى ذكر أصوات الناس وكلامهم ، كما أنها تنسجم مع
 تصوير الحيرة والضلال الذي سنأتي الى ذكره في تعبير الزرقة (٣) . ومع
 ذلك نستطيع ان نفهم التفسير الأول الى جانب هذا المعنى بأنهم لحوفهم
 يتوجسون خيفة في سيرهم ، وطريقة كلامهم .
 ومن مجموع هذه التعبيرات ترسم في الذهن صور عديدة للصفات النفسية
 التي يكون عليها الناس يوم القيمة .

(١) ديوان امرئ القيس : ٢٧٣ .

(٢) سورة طه : ٢٠ - ١٠٣ : .

(٣) انظر ص ١٥١ .

٣ - صفاتهم الجسدية (١)

أ - سواد وجوه المجرمين وبياض وجوه المؤمنين :

قال الله سبحانه وتعالى : (يوم تبىضُّ وجوهٌ وتسودُّ وجوهٌ ، فَإِنَّمَا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وجوهُهُمْ : أَكْفَارٌ تُرْمَى بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ؟ فَذُوقُوا الْعَذَابُ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ آتَيْتُمْ وجوهُهُمْ فَقِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (٢) .

لقد أجمع المفسرون على أن البياض يكون علامة المؤمنين يوم القيمة والسواد يكون سباء المجرمين (٣) . وهناك آية قرآنية أخرى تصف وجوه الكافرين بأنها لسوادها كما أنها أغشيت بقطع من الليل حalkat السواد (٤) . وفي سورة عبس أضاف الله سبحانه وتعالى إلى وجوه الكافرين المسودة غباراً وياساً وكابة : (فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَةُ ، يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرءُ مِنْ أَخْيَهِ وَأَمْهَ وَأَبِيهِ ، وَصَاحِبَتِهِ وَبْنِهِ ، لِكُلِّ أَمْرٍ يُهُمْ بِمِثْدِ شَانٍ يَعْنِيهِ وجوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفَرَةٌ ، ضَاحِكَةٌ مُسْتَبِشَرَةٌ ، وَوِجْهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبْرَةٌ)

(١) هذا لا يعني ان بحثنا هنا مقتصر على الصفات الجسدية دون النفسية ، لأننا سنجد ان كل تعبير يصف شكل الناس يصف من ناحية أخرى الصورة النفسية التي يخشرون عليها . ولكننا خصصناها هنا بهذه البحث دون الصفات النفسية ، لأنها تكاد تشكل صورة كاملة الملامح لشكل الناس عند الحشر .

(٢) سورة آل عمران : ٣ : ١٠٦ - ١٠٧ .

(٣) جامع البيان ٤ : ٣٩ - ٤٠ ، التبيان ٤ : ٥٥١ - ٥٥٢ :

(٤) قال الله تعالى في سورة يونس ٨ : ٢٧ : (كَانُوا أَغْشِيَتْ وجوهُهُمْ قِطْعَةً مِنَ اللَّيْلِ مَظْلَمًا أَوْ لَثْلَاثَ أَصْحَابَ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) .

ترهقُها قَتْرَةٌ ، أوئِك هُم الْكَفَرَةُ الْفَسِيجَةُ) (١) . فسر بعضهم معنى الآية ان وجوه الكافرين والمنافقين تعلوها كآبة ، وكسوف ، وذلة (٢) . وقال آخرون : أي يعلوها غبار (٣) . وأصل الفتنة في اللغة هو الغبار (٤) وقيل : الفتنة غُبْرَةٌ يعلوها سواد كالدخان (٥) . ومن الاستعمال المجازي للكلمة قولهم الفتنة : ما يغشى الوجه من الكرب (٦) ، فيكون معنى الآية الكريمة ان وجوه الكافرين تكون مسوّدة تعلوها كآبة وذلة . فإذا أضيف الغبار الى سواد الوجه اجتمعت مع الذلة كآبة وحزن . قال الزمخشري مفسراً الآية : (ترهقُها قَتْرَةٌ ، سَوَادٌ كَالدُّخَانِ ، وَلَا تَرِى أَوْحَشَ مِنْ اجْتِمَاعِ الْغَبْرَةِ وَالْسَّوَادِ فِي الْوِجْهِ كَمَا تَرِى فِي وِجْهِ الزَّنْوِجِ إِذَا اغْبَرَتْ وَكَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يَجْمِعُ إِلَى سَوَادِ وِجْهِهِمُ الْغَبْرَةُ كَمَا جَمَعُوا الْفَجُورَ إِلَى الْكُفَرِ) (٧) . فنظرة الزمخشري الى الآية تمثل الوجهة الأدبية الخالصة اذ تبيّن لنا ان السواد مكره بغيض في الذوق العربي . والغبار له دلالة على الذلة والظماء والحزن (٨) . فاجتنبها عهمما معأ يرسم صورة بشعة للكافرين يوم

(١) سورة عبس ٨٠: ٣٣ - ٤٢ .

(٢) تنوير المقياس : ٣٨٢ ، جامع البيان ٣: ٦٣ .

(٣) مجاز القرآن ١: ٢٧٧ ، ٢: ٢٨٦ ، غريب القرآن : ١٩٠ ، التبيان

. ٢٧٨: ١٠ .

(٤) جمهرة اللغة ٢: ١٢ ، الصحاح ٢: ٧٨٥ ، مقاييس اللغة ٥: ٥٥ ،

المخصوص ١٠: ٦٧ ، لسان العرب ٦: ٣٧٩ .

(٥) لسان العرب ٦: ٣٧٩ .

(٦) أساس البلاغة : ٧٤٢ .

(٧) الكشاف ٣: ٣١٤ .

(٨) انظر لسان العرب ٦: ٣٠٨ ، تاج العروس ٣: ٤٣٧ .

القيامة ، فإذا قارنا هذه الصورة بوجوه المؤمنين المصفرة الضاحكة تَبَيَّنَ لنا البون الشاسع الذي قُصِّدَ اظهاره بين الحالتين ، بين السواد المغبر والبياض المسفر .

ونجد لهذا التعبير اعظم الدلالة على الذوق العربي ، ذلك لأن العرب قد أحبوا البياض ووسموا به كل ما أحبتهم نفوسهم ، وبغضوا السواد ووصموا به كل ما كرهته نفوسهم . فالمثل الأعلى لاجمال عندهم هو البياض ، ومن هنا تفرزوا بالمرأة البيضاء الجميلة . قال امرؤ القيس :

مُهْمَقَهْ فَهَهْ بِيْضَاءُ غَيْرُ مَفَاضَةٍ

تَرَاهُنَّهَا مَصْقُولَةً كَالسَّجَنْجَلَ (١)

وقال عمرو بن كلثوم :

على آثارنا بيض حسان نخاذر أن نقسم او تهونا (٢)
والامثلة كثيرة على تعزز الشعراء بالمرأة البيضاء (٣) ، ولكن البياض الذي أحبوه ليس هو البياض الحالص ، إنما هو البياض الذي تخالطه صفرة كقول امرئ القيس :

كَبَكَرْ مُقَانَةً بِيَاضِ بَصَفَرَةٍ

غَذَاها نَمِيرٌ مَاءٌ غَيْرُ الْحَلَلِ (٤)

فقد شبه المرأة بالدرة ، لأنها بيضاء يخالط بياضها صفرة . وذلك

(١) ديوان امرئ القيس : ١٥

(٢) شرح القصائد السبع : ٤٢١

(٣) شرح ديوان عنترة : ٧٣ ، ١٦١ ، ديوان النابغة الجعدي : ٤ : ٨٠

ديوان عدي بن زيد : ١٢٧

(٤) ديوان امرئ القبس : ١٦

أحسن الألوان عندهم كما يقول ابن الفقيه (١) . أما البياض الحالص فهو الذي وجدوه عند المجناء (٢) .

ومن الطبيعي أن يميل ذوقهم إلى حب البياض - وإن لم يكن حالصاً - ذلك لأن طبيعة بيضتهم الشديدة الحر صيفاً لا تترك ساحتهم ببعضاء الحالصة وإنما تميل بها إلى السمرة . ومن هنا جعلوا البياض المخلوط بشيء من الصفرة هو المثل الأعلى للجمال ، ومع ذلك اكتفوا بذكر البياض في أكثر أشعارهم الغزلية .

من هذه الناحية جاءت استعاراتهم للتعبير عن الحق ، والشرف والرفة ، فإذا أرادوا مدح الرجل قالوا . انه أبيض ، نقل ابن منظور عن الأزهري قوله (إذا قالت العرب : فلان أبيض ، وفلانة ببعضاء فالمعنى نقاء العرض من الدنس والعيوب) (٣) وقد ورد بكثرة في الشعر الجاهلي في المدح ، والرثاء .

اما السواد فقد دعوا به كل شيء بغضته نفوسهم ، فعبروا عن الحقد بأنه أسود ، ووصفوا الأكباد الحاقدة بالسواد . قال الجاحظ : (يقولون سود للأكباد يريدون العداوة) (٤) . وقال الأعشى مخاطباً ناقته : فما أَجْشَمْتِ فِي إِتْيَانِ قَوْمٍ هُمُ الْأَعْدَاءُ وَالْأَكْبَادُ سُودٌ (٥) فوصف أكبادهم بالسواد ليدل على شدة عدائهم ، وبغضائهم وقال

(١) مختصر البلدان : ٢٩

(٢) الكامل للمبرد : ٤٦٧

(٣) عن لسان العرب : ٨ : ٣٩٣ ، وانظر أيضاً نزهة العمر : ٣ ، ٤

المخصوص : ٢ : ١١٤

(٤) الحيوان : ٣ : ٢٤٧

(٥) ديوان الأعشى : ٣٢٣

اعرابي قديم واصفاً الضفن بالسوداد ايضاً :

يُنَزِّمَلُونَ حَدِيثَ الضِّفْنِ بِينَهُمْ

وَالضِّفْنُ أَسْوَدُ أَوْ فِي وِجْهِهِ كَلْفٌ (١)

وكذلك وصفوا المصائب بالسوداد ، لأنها نذل القوم اذا حلت بهم
وتحزنهم ، فعبروا عن الحزن والذل بالسوداد ، كما عبروا عن الشرف
والرقة بالبياض . قال الشاعر الحسن بن علي القتال الباهلي (٢) :
تَقُولُ ابْنَةُ الْبَكْرِي لِمَا بَدَا لَنَا لَدَى السِّسْتَرِ مِنْهَا لَمَّةٌ وَبَنَانٌ
أَرَاكَ ظَلَلْتَ الْيَوْمَ أَسْوَدَ شَاحِبًا

طَرِيدَ دَمٍ يُرْمِي بِكَ الرِّجْوَانُ (٣)

وقال آخر :

رَمَى الْحَدَثَانِ نَسْوَةَ آلِ حَرْبٍ بِمَقْدَارِ سَمَدَنَ لَهُ سُمُودًا
فَرَدَ شُعُورَهُنَّ السُّودَاءَ بِيَضًا وَرَدَّ وَجْهَهُنَّ الْبَيْضَ سُودًا (٤)
ووصفو وجوه القوم عند الغزو بالسوداد ، لأنها تكون كالحة لشدة
الضرب وهي الوطيس . قال ابو زيد الطائي :

بَدَلَ الْغَزُوُّ أَوْجَهَ الْقَوْمِ سُودًا وَلَقَدْ أَبْدَأُوا وَلَسِنَ بِسُودِ (٥)

(١) العمدة ١: ٢٥٨ ، ديوان الحماسة: ٢٥٧ ، الاشباه والنظائر: ١١٩

(٢) هو الحسن بن علي القتال الباهلي ، أحد بنى جندب شاعر فارس ،
ويروى انه أحدث حدثاً ، فهرب وصعد جبل يذيل فاقام به ، والفه التمر . انظر
المؤتلف والمخالف: ٢٥٢ .

(٣) ن . م : ٢٥٣ .

(٤) الصناعتين: ٣١٢ ، العمدة ٢: ٦ ، والشعر منسوب الى الكمبت بن زيد
في ذيل الامالي: ١١٥ .

(٥) أمالى اليزيدى ١٢ ، والظاهر أيضاً معانى الشعر: ٢٣ .

والاستعمال الأخير للسواد يعكس لنا ضوء آخر على الآية الكريمة (يوم تبىض وجوه ، وتسود وجوه ، فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم ؟ فذوقوا العذاب بما كنتم تکفرون ، وأما الذين أبیضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيهم خالدون) (١) ، ذلك لأن وجوه المؤمنين تبىض لما يبذلو عليهما من الراحة والاطمئنان ، وتسود وجوه المبومين لحول الموقف والمصيبة العظيمة التي تحل بهم . وهذا التعبير القرآني المعجز يعكس لنا الذوق العربي في البياض وكراهه للسواد .

ومن هنا خلَّد الشعراة السودان الذين عاشوا بين ظهراني العرب اشعاراً تُعد غاية في الروعة في تصوير الذوق العربي ، ونظرته إلى الألوان . قال عنترة بن شداد :

يَعْبِيُونَ أَسْوَى بِالسَّوَادِ وَأَنَا فَعَالْمُ بِالْخُبْثِ أَسْوَدُ مِنْ جِلْدِي (٢)
 فهو هنا يعكس لنا الذوق العربي الذي يعتبر السواد عيناً . وهو نفسه مقتنع بهذا الذوق متأنِّ به ، لأنَّه حين يرده على قوله لا يدافع عن لونه ، إنما يقول إنَّ فعالِم شنيعة كلُّون السواد ، فاعتبر السواد عيناً يسم به فعالِم . أما حين يدافع عن لون بشرته فإنه يحاول أن يجد له تبريراً بأن يقول إن لون المسك أسود :

لَشِينٌ أَكُّ أَسْوَدًا فَالْمِسْكُ لَوْنِي وَمَا لَسْوَادَ جَلِيدِي مِنْ دَوَاءِ (٣)
 أو ان لونه اون الليل الذي لولاه ما عرف الفجر :

(١) سورة آل عمران ٣: ١٠٥ - ١٠٧ .

(٢) شرح ديوان عنترة : ٦٢ .

(٣) ن . م : ٧

وَأَوْلًا سُوادُ الظَّيْلِ مَا طَلَعَ الْفَجَرُ (١)

أو يقول ان لون بشرته موجود في العيون السود التي أحياها العرب :

وَمَا وَجَدَ الْأَعْادِي فِي عَيْنٍ فَعَابُونِي بِلَوْنٍ فِي الْعَيْنِ (٢)

وهو في كل هذا الدفاع يتتجاهل نقاط الضعف في تبريره ، وان طيب المسك لم يأت من اونه ، واما من عطره . وكذا الحال مع العيون السود التي ماأحبها العرب الا لاجتماع السواد والبياض فيها معا .

أَمَا سُحْيَمُ عَبْدُ بْنِ الْحِسْنَاسِ الْمَشْهُورُ، فَإِنَّهُ يَتَلَمَّعُ غَايَةَ الْأَلْمِ فَصَاحِبُهُ
لَا تُغَيِّرُهُ أَدْنَى التَّغَيُّرِ لِأَنَّ مَلَابِسَهُ رَثَّةٌ، وَلَا هُوَ عَبْدٌ أَسْوَدٌ :

رَأَتْ قَبْيَا رِبَّا وَسُحْنَقْ عَمَامَةْ

وزراء يتآلم من لونه الأسود، وانه لاذب له إذ كانت أمه عبدة،

فولادته على هذا اللون الغيض :

فَلَوْ كُنْتُ وَرَدًا لَوْنُهُ لِعَشْقَتِنِي وَلَكِنَّ رَبِّي شَانِنِي بِسَوَادِنَا (٤)

وبالاحظ في الشطر الثاني رسوخ فكرة اعتبار السواد عيناً حية في ذهن

العبد الأسود ولكتبه مع ذلك يحاول ان يجد لسواده تبريراً كافياً

^(٥) من قبل .

ولنا ان نتساءل عن سر حب الذوق العربي للساضر ، وتشاؤمه وكيفية

(١) شهادات عن عزف:

۲۷۸ نهاد

(۳) دین انگلیس : ۸۵

٤٤) نـ هـ: ٢٤

ذبا الأماكن: ١٢٧، الموضع: ٢: ١٠٤

للسواد . فإذا تطلعنا إلى البيئة العربية وجدنا فيها صفاتنا ، ذلك لأنها صحراء متراوحة الأطراف ، مليئة بالمفاجئات خاصة في الليل ، سواء من قبل الغارات المفاجئة ، أو من قبل حيوانات مختلفة ملائمة الصحراء الواسعة . فأحجبوا النور لأنه ينير لهم حندس ليلاتهم المظلمة . وكانت الديالى التي يطل فيها البدر من أجمل ليلاتهم يستعينون بها على عدوهم ، ويعرفون طريقهم بأمان من الحيوانات والخشرات . ومن هنا شبها المرأة والمدوح بالشمس قارة (١) والبدر قارة أخرى (٢) .

وبالإضافة إلى هذه الأسباب التي كرهت لهم السواد فقد وجدت في بيئتهم حيوانات شرسة مؤلمة طالما آذت البدوي فعرفوها ، ورسم معالمها ، وكان بعضها أسود اللون فاقتربن البعض للسواد بهذه الدلاله . ووصفوا الموت بالأسود والأحمر ، لأنه مأخوذ من لون الأسد . كما قال أبو عبيدة (٣) وعرفوا من الحيات الأسود (٤) ، ووجدوا فيه أذى وشرأً واضحاً ، فإذا أرادوا تشبيه عدوهم شبهوه به : والكلاب السود أكثرها عقورا وأذى (٥) أما الغراب فأمره مشهور عند العرب ، وقد تشاءموا منه ، وكرهوه . ذكر الجاحظ تعليلاً لهذا التشاؤم بقوله : (والغراب لسواده ان كانأسود ، ولا خلاف لونه ان كان أبشع ، ولأنه غريب يقطع اليهم ، ولأنه لا يوجد

(١) جمهرة أشعار العرب : ٧٨ ، شرح القصائد السبع : ١٤٦ .

(٢) ديوان جران العود : ٢٦ ، ديوان الشماخ : ٧٣ ، شرح ديوان عنترة

٥ ، ١٦٨ ، شرح القصائد السبع : ٤٣٩ ، الأشباه والنظائر : ١١٠ ، ١٥٦ .

(٣) المخصص ٦ : ١٢٣ .

(٤) الصلاح ١ : ٤٨٨ ، مقاييس اللغة ٣ : ١١٤ .

(٥) الحيوان ٢ : ٧٨ ، ٣٦٧ .

في موضع خيامهم ينضم إلأ عند مباركتهم لمساكنهم ومزايدهم لدورهم) (١) كل هذه الأمور اجتمعت لترسم في الذهن العربي صورتين : البياض ومعه الجمال والسكينة والشرف ، وصورة السواد ومعه الذل والأذى والتشاؤم وقد انعكس هذا الذوق في أساطيرهم وقصصهم ، فقال إن نوحًا غضب على ابنه حام ، فدعا عليه بالتشويه فكان سواده) (٢) . ولم ترد هذه الفكرة في القرآن الكريم إلأ ان ذكر السواد والبياض ورد فيه تصويراً للذوق العربي . أما في التوراة فقد ذكر أن نوحًا دعا على ابنه حام كعنان ان يكون عبد العبيد لآخرته) (٣) ، وبهذا نستطيع ان نتصور مدى رسوخ كراهية اللون الأسود في الذهن العربي ، حتى تصوروه من علامي التشويه والعقاب ! ولم يفهموا ان السواد من أثر البيئة الا عند بعض القدماء) (٤) .

من هذه الابواب الواسعة جاء التعبير القرآني المعجز معبراً عن الذوق العربي الراسخ ،

(يومَ تَبَيَّضُ وجوهٌ . وَتَسْوَدُ وجوهٌ ، فَأَمَا الَّذِينَ اسْوَدَتْ وجوهُهُمْ : أَكَفَرْتُمْ بِعِدَّ إِيمَانِكُمْ ؟ فَذُوُّقُوا العذابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَا الَّذِينَ أَيْضَتَ وجوهُهُمْ فَفِي رحْمَةِ اللهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُون) (٥)

(١) الحيوان ٣: ٤٣٨ ، ٤١٤ ، ٣١٤ ، المعاني الكبير ١: ٢٦٢ ، ديوان النابغة

الذبياني : ٣٨ ، ديوان علقة الفحل : ٦٧ ، ديوان الشماخ : ٦٣ .

(٢) المعارف : ٢٦ ، أخبار الزمان : ٦٣ ، آثار البلاد : ٢٢ .

(٣) الكتاب المقدس : سفر التكوير ، الأصحاح ٩: ١٥ .

(٤) الحيوان ٤: ٧٠ ، فخر السودان : رسائل الجاحظ ١: ٢١٩ ، الأعلاق

النفسية : ١٠١ ، ١٠٢ ، مختصر البلدان : ١٥٢ ، مقدمة ابن خلدون : ٤١ ، آثار
البلاد : ٢٢ .

(٥) سورة آل عمران ٣: ١٠٦ - ١٠٧

ولا يمكن ان يفهم مما مر بنا ان التعبير القرآني حين جعل البياض سمة للمنزلة العالية ، والفرحة التي يشعر بها المؤمنون ، اقول لا يمكن ان يفهم منه نظرة تعصبية ، او فكرة عنصرية في المفاضلة بين السواد والبياض ذلك لأن رأي الاسلام في هذا الموضوع واضح معروف ^{نَاخْصُهُ} الآية الكريمة : (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاكُمْ) (١) : وانه لافضل لعربي على اعجمي الا بالتقوى (٢) . كما يقول الرسول الكريم ، اذ لا عنصرية في الاسلام إلا ان التعبير القرآني هنا عكس لذا الذوق العربي الذي فضل اللون الأبيض ، واضفاء على كل ما تحبه نفسه ، وترتضيه ، وكره السواد في الوجوه وتشاعم منه فوصف به كل ما كرهه ، وآذاه ، فجاء التعبير القرآني في وصف حال الناس يوم القيمة فتتداعى في الذهن كل الصور التي يوحدها تعبير السواد من دلالة البشاعة ، والبغض ، اما البياض فتتداعى معه كل معاني الشرف ، والرفة التي يكون عليها المؤمنون يوم القيمة . وبالمقارنة بين الصورتين يتجلی الفرق الشاسع بين منزلة الكافرين والمؤمنين يوم القيمة وكيف ان فريق المشركون يخسر باشتع صورة وأذها وبعكسهم فريق المؤمنين يخسرون باجمل صورة ، وقد ملأت الطمأنينة نفوسهم واعطاهم الله المكانة الحسنة .

ب - حشر المجرمين زرقا :

قال الله تعالى : (مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وزرًا ، خَالِدِينَ فِيهِ وسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَمْلًا ، يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ، وَنَحْشُرُ الْمُجْرَمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا يَتَخَافَّوْنَ بَيْنَهُمْ إِنَّ لَيْشْتُمْ

(١) سورة الحجرات ٤٩ : ١٣

(٢) البيان والتبيين ٢ : ٣٣

إلاً عَشْرًا) (١) .

فتعبير الزرقة في الآيات الكريمة السابقة فُسّر على عدّة أوجه .

فسره ثعلب على معنى العطاش (٢) . أما الطبرى فقد نقل توجيهها لتفسير تعbir الزرقة بالعطش ، بان شدة العطش الذي يصيّب المجرمين يوم القيمة يجعل عيونهم زرقا ، قال : (قيل عنى بالزرق في هذا الموضوع ما يظهر في أعينهم من شدة العطش الذي يكون بهم عند الحشر لرأى العين من الزرق) (٣) . والى هذا ذهب ابن سيدة في ترجيحه لتفسير ثعلب بقوله : (وعندى إن هذا ليس على القصد الأول ، إنما معناه ازرت) .

اعينهم من شدة العطش) (٤) . ومع ان هنالك آية قرآنية كريمة تصف سوق المجرمين عطاشا يوم القيمة (٥) ، فإن سياق الآيات العام الذي وردت فيه الزرقة لا ينبع في اشارة الى ذكر الماء ، أو التعذيب بالعطش والذي يفيدنا في هذا التفسير هو التأثير القوي للبيئة العربية على الذهن العربي حتى صار يفسر بالعطش المعاني التي قد تبدو بعيدة عنده لشدة ما عانوا من حرمانهم الماء في البيئة الصحراوية (٦) .

وذكر الخليل تفسيرا آخر لمعنى الزرقة وهو العمى قال : (يزيد

(١) سورة طه ٢٠ : ١٠٠ - ١٠٣

(٢) مجالس ثعلب ٢ : ٣٦٧ ، وانظر ايضاً ١ : ٣٢٤ ، لسان العرب ١٢ : ٤

(٣) جامع البيان ١٦ : ٢١٠ ، التبيان ٧ : ٢٠٦

(٤) عن لسان العرب ١٢ : ٤ ، وانظر ايضاً ناج العروس ٦ : ٣٦٨

(٥) سورة مريم ١٩ : ٨٦

(٦) انظر الفصل الخامس - ٥ - شراب اهل النار ، والفصل السادس الجنة

- ب - انهارها وشرابها .

عميا لا يبصرون وعيونهم في المنطق زرق لأنور لها) (١) . وكذا قال الطبرى وغيره من المفسرين (٢) . اما ابن منظور فقد نقل تعليلا لتسمية العمى بالزرقة بقوله : (وإنما قبل زرقاً لأن السواد يزرق اذا ذهبت نوازيرهم) (٣) .

وربما جاء تفسير الزرقة بالعمى من الظاهرة التي قد تعرض للعين حين تمرض بما يسمى بالماء ، والذى هو في حقيقته كما يقول حنين بن اسحق : (رطوبة غليبة تجحد في ثقب الحدقة فتحجز بين الجلدية وبين الاتصال بالنور الخارج) (٤) . والوان هذا اللون مختلفة فنها الأخضر والأسود ، والأبلق ، والأزرق (٥) . ومن هنا عد الزرق ضمن أهل العاهات فقال ابن قتيبة معدداً من عرف بها من البرص والعرج والصم والجدع والجذمي والحوال والزرق والغور (٦) . وبيدو انهم لا يقصدون العيون الزرقاء بهذه العاهة إنما المراد به مرض الزرق الذي هو ضرب من العمى ، والذى اذا عرض للعين اختفى سعادتها وغلب البياض عليها (٧) .

(١) العين : الورقة (٣٧)

(٢) جامع البيان ٢٦ : ٢١٠ ، وانظر ايضاً تفسير فرات الكوفي : ١٧٢

(٣) الظاهر ان هذا القول هو للزجاج فقد نقله ابن منظور عقب كلام الزجاج في تفسير الزرق بالعمى . انظر لسان العرب ١٢ : ٤ ، وانظر ايضاً جمهورة اللغة ٢ : ٣٢٤ ، المفردات ٢١١ ، الكشاف ٢ : ٣٢٤

(٤) العشر مقالات : ١٤١

(٥) ن . م . وانظر ايضاً الحاوى في الطب ٢ : ٤١

(٦) انظر المعارف ٤ ، ٥ ، ٥٨٥ ، ٥٢٣ فما بعدها والنظر الاعلاق النفيضة

(٧) وبهذا المعنى وردت في القرآن الكريم بقوله تعالى (وايهم عيناها

من الحزن فهو كظيم) سورة يوسف ١٢ : ٨٤

واوضح ان بين البياض والزرقة تقارب في اللون .
 واذا تتبعنا الجو القرآني بصورة عامة ، وجدناه يستند تفسير الزرقة
 بالعمى ، فقد قال الله تعالى في صدد الحديث عن الانبياء ان الأمة التي
 تضل طريقها ، ولانهتدى ، فانها قد عممت او تعامت عن حقيقة النبوة
 حتى اذا انتهتى سرد القصص والمواعظ جاء الوعيد بخشر الصالين عميا
 يوم القيمة ، كما ضلوا عن الهداية في الحياة الدنيا : (ومن كان في هذه
 اعمى فهو في الآخرة اعمى واصل سبيلا) (١) . وقال ايضا (ومن
 اعرض عن ذكري فان له معيشة " ضئلا . وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى
 قال : ربى لم نَحْشُرْنَاهُ أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرا ؟ قال : كذلك أنت
 آياتُنَا فَسِيْتَهَا ، وكذلك اليوم تنسى) (٢) . ويبعدوا انه سبحانه وتعالى لا يريد بهذه
 الآيات الكريمة العمى الحقيقى ، وإنما هو اظهار حالة الذل التي يمحرون
 عليها ، وانهم عمي عن نعم الله وثوابه كما كانوا عميا عن الحقيقة والمهدى
 في الحياة الدنيا (٣) . اما سياق الآيات العام فاته يساعدنا على تصور
 معنى العمى : (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْجَرَمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً

(١) سورة الاسراء ١٧ : ٧٢

(٢) سورة طه ٢٠ : ١٢٤ - ١٢٦

(٣) انظر تفسير العمى في تنوير المقاييس : ١٨٠ ، رسالة في المعاد ، رسائل
 الجاحظ ١ : ٩٩ ، جامع البيان ١٥ : ١٢٨ ، تفسير التستري ٣٨ ، تنزيه القرآن :
 ٢٠٦ ، حفائق التأويل ٥ : ٢٩ ، متشابهات القرآن ٢ : ١٠٥ وفي المسائل المنشورة
 ان الله سبحانه وتعالى يبعث الناس على صورهم فلن كان في دنياه اعمى بعث
 كذلك ، وكذلك الأبركم والأخرس فكل يبعث ويحشر على ما كان انظر مسائل
 منشورة : الورقة (١٥) والأرجح تفسير العمى بالمعنى المجازي لا الحقيقي كما
 هو مثبت اعلاه .

يَتَخَافَّوْنَ بَيْنَهُمْ أَنْ كَبِشْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ، تَحْنَ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ^١
 امْثَلُهُمْ طَرِيقَةً أَنْ لَبَثْتُمْ إِلَّا يَوْمًا ، وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجَبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهُ
 رَبِّنَسْدًا ، فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفَصَفًا ، لَا تَرَى فِيهَا عَوْجًا وَلَا أَمْتًا ،
 يَوْمَئِذٍ يَتَبَيَّنُونَ الدَّاعِي لِأَعْوَجَ وَخَشَعَتُ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْنِ فَلَا تَسْمِعُ
 إِلَّا هَمْسًا) (١) . فَالْمُجْرَمُونَ فِي رَعْبٍ شَدِيدٍ وَذُهُولٍ عَظِيمٍ أَوْدِي
 بِعَقْوَلِهِمْ وَابْصَارِهِمْ ، وَقَدْ تَبَعَوا الدَّاعِي مُسْرِعِينَ يَرِيدُونَ أَنْ يَتَسَاءَلُوا
 وَلَكِنْ هُولُ الْمَوْقِفِ يَحْوِلُ دُونَ ذَلِكَ ، فَيَخْشُونَ السُّؤَالَ ، وَيَكْتَفُونَ بِالْهَمْسِ
 وَالتَّخَافَّتِ عَلَى عَادَةِ الْعُمَى حِينَ يَتَحَرَّجُونَ مِنَ الْكَلَامِ بِصَوْتٍ مُرْتَفَعٍ ،
 وَلِفَظَةِ التَّخَافَّتِ تَزِيدُ مِنْ رَسْمِ الصُّورَةِ لِأَنَّهَا تُشِيرُ إِلَى أَنَّ صَاحِبَهَا يَتَوَجَّسُ
 خِيفَةً مِنَ الْكَشَافِ سَرِهِ (٢) .

وَإِذَا عَدْنَا إِلَى الْبَيْتَةِ الْعَرَبِيَّةِ نَتَلَمَّسُ فِيهَا الذَّوْقَ الْغَرَبِيَّ وَنَظِرُهُ تَجَاهَ
 الْلَّوْنِ الْأَزْرَقِ فَانْتَسَبْنَا سَنْجَدٌ فِي الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ نَصْوِيرًا رَائِعًا لِهَذَا الذَّوْقِ
 وَمَا تَوْحِيهِ الزَّرْقَةِ مِنْ مَعَانٍ عَدِيدَةٍ تَسْاعِدُ كُلُّهَا عَلَى تَبْشِيعِ الصُّورَةِ الَّتِي
 يَخْشُرُ عَلَيْهَا الْمُجْرَمُونَ . وَأَوْلُ مَنْ وَصَلَّتْنَا إِشَارَتَهُ إِلَى هَذِهِ الْوِجْهَةِ فِي
 التَّفْسِيرِ هُوَ الزَّمْخَشْرِيُّ بِقَوْلِهِ : (وَقَبْلَ فِي الزَّرْقِ قَوْلَانْ : أَحَدُهُمَا إِنَّ الزَّرْقَةَ
 أَبْغَضُ شَيْءٍ مِنَ الْوَانِ الْعَيْنَ إِلَى الْعَرَبِ ، لَا نَرَوْنَا أَعْدَاؤُهُمْ ، وَهُمْ زَرَقُ
 الْعَيْنِ ، وَلَذِكَّرْ قَالُوا فِي صَفَةِ الْعَدُوِّ : أَسْوَدُ الْكَبِيدِ ، أَصْبَهَ السَّبَالِ
 أَزْرَقُ الْعَيْنِ ، وَالثَّانِي أَنَّ الْمَرَادَ الْعُمَى) (٣) ،

فَتَفْسِيرُ الزَّمْخَشْرِيِّ هُنَا مُسْتَمْدٌ مِنَ النَّاحِيَةِ الْفَنِيَّةِ الَّتِي يَنْتَظِرُ فِيهَا أَوْلُ
 مَا يَنْتَظِرُ إِلَى الذَّوْقِ الْعَرَبِيِّ وَالْأَفْكَارِ الَّتِي آمِنَ بِهَا .

(١) سورة طه ٢٠ : ١٠٢ - ١٠٨

(٢) انظر معنى التخافت في سورة القلم ٦٨ : ٢٣

(٣) الكشاف ٢ : ٣١٣

لقد بغض العرب الزرقة وتشاءموا منها ، وهجوا من كانت صفتها عليها قال الجاحظ : (وفي الجملة لا يتيمون بالبكر الذكر ، فان كان البكر ابن يكر تشاءموا به ، فان كان البكر ابن يكررين فهو في الشوم مثل قليس بن زهير والبسوس فان قيساً كان أزرق وبكرا ابن بكر . ولا احفظ شأن البسوس حفظاً اجزم عليه) (١) . وفي رواية نقلها الجاحظ ايضاً ان معاوية عَيْر صحار العبدى (٢) . بالزرقة فقال له : يا أحمرأ ! قال : والذهب أحمرأ ، قال يا أزرق ! قال : والبازى أزرق) (٣) . فصحار هنا لم يدفع عن نفسه عيب الزرقة ، وإنما قرنتها بالبازى : وهو طائر من الجوارح ، ليبعد عن نفسه ما تدل عليه الزرقة من معانى الشؤم والحسد واللاؤم .

وربما جاء بغضهم للزرقة ان الذوق العربي لم يعتد إلا العيون الحور كما وردت في الشعر ، وتغلوا بالعيون السود وشبهوها بعيون المها (٤) . ومن هنا لم يستسيغوا العيون الزرق لأنها قليلة في البيئة الغربية ، دخيلة على الذوق العربي .

وهناك سهب آخر قد يعلل لما الذوق العربي تجاه الزرقة : وهو إنها

(١) الحيوان ٣ : ١٧٤

(٢) هو صحار بن عياش او عباس بن شراحيل بن منفذ العبدى خطيب مفوه كان من شيعة عثمان وقد طالب بدمه بعد مقتله ، وشهد صفين مع معاوية وسكن البصرة ومات فيها نحو سنة ٤٠ هـ . انظر المحرر : ٢٩٤ ، الاصابة : ٢ : ١٧٠ فما بعدها .

(٣) الحيوان ٤ : ٢٣٠ وانظر ايضاً الاصابة : ٢ : ١٧٠

(٤) ديوان جران العود : ١١ ، ديوان علقمة الفحل : ٤٢

قد اقترن بالأعاجم وخاصة الروم كذهب الزخشي من قبل (١) ، فكرهت لأنها تذكرهم بلون أعدائهم . وقد وردت الزرقة في الحديث النبوي دالة على البغض ، وعدم الارتياب ففي وصفه (ص) للمنكر والنكير أنها أسودان أزرقان (٢) . ولم ترد صفة الملائكة في صحيح البخاري إلا أن القسطلاني في شرحه الحديث النبوي *بيان* الحكمة من اجتماع الزرقة والسوداد في الملائكة ، وانها لتبشيع صورتها قال : (وانما صورا كذلك ليخاف الكافر ، ويتحير في الجواب ، وأما المؤمن فيثبته الله بالقول الثابت فلا يخاف) (٣) . وفي حديث الأسراء ان الرسول (ص) كان يرى أشخاصاً مختلفين فيسأل جبريل فيخبره عن أسمائهم ، وأحواتهم ، وذكر أنه رأى رجلاً أحمر أزرق جعدها شيئاً فسأل عنه فقبل انه عاشر الناقة (٤) . وفي حديث آخر انه (ص) وصف عيني رجل أزرق بأنها عيناً شيطاناً وانه قال لأصحابه : (يحيطكم بمن ينظر اليكم عيني شيطان ، فإذا رأيتموه فلا تكلموه ، فجاء رجل ، فلما رأاه النبي صلى الله عليه وسلم دعاه . . .) (٥) .

ففي هذه الأحاديث النبوية الشريفة تتبين لنا صورة الزرقة في الذهن العربي ، ومدى بغضه ونفوره منها ، فهي لون عيون المنكر والنكير ، وعاشر الناقة ، وأخيراً المناق الذي وصف الرسول (ص) عينيه بعيني شيطان . أما اطلاق الزرقة على الأعاجم فقد وردت في شعر الأعشى مادحه النعان بن المنذر حيث قارن وجوده بمجد جدول يسقي النبيط منه ديارهم

(١) الكشاف ٢: ٣١٣ .

(٢) الجامع الصحيح ٣: ٣٨٣ .

(٣) ارشاد الساري ٢: ٣٧٩ .

(٤) مستند الإمام أحمد ١: ٢٥٧ ، وانظر أيضاً جهرة أشعار العرب: ١٤ .

(٥) مستند الإمام أحمد ١: ٥٧ ، وانظر أيضاً تاج العروس ٦: ٣٦٨ .

وقد وصف النبيط بالزرق .

و يُروي النبيطُ الزُّرقُ مِنْ حَجَرَاتِهِ

دياراً تُروي بالآني المعمد (١)

وقال في قصيدة أخرى يصف زيارته لحانة ويدرك ماقبها :

تَنْخَلَهَا مِنْ بَكَارِ الْقِطَافِ أَزِيرقُ آمِينُ إِكْسَادِهَا (٢)

فالخمار هنا أعمامي ، والأعشى لم يصرح بذلك ، وإنما اكتفى بوصفه أزيرقا على عادة العرب في اطلاق الزرقة على الأعاجم . وفي الشعر الذي قيل في رثاء عمر بن الخطاب ، والذي ينسب الى الشماخ ، ورد وصف قاتل عمر - وهو أعمامي - ، بأنه أزرق قال :

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ وَفَاتُهُ

بِكْفَيْ سِبْنَى أَزِيرقِ الْعَيْنِ مِنْ طَرِيفِ (٣)

ولايُراد بهذا القول كون قاتل عمر أزرق لون العين حقيقة ، إنما يراد به الدلاله على كونه أعمامي . وقال ذو الرمة هاجيا قوماً بأنهم زرق العيون لا يؤمنون جارهم لأنهم يسرقونه :

زَرْقُ الْعَيْنِ إِذَا جَارُوكُمْ سَرَقُوا

مَا يُسْرِقُ الْعَبْدُ أَوْ نَا بِأَتَهُمْ كَذَبُوا (٤)

ونجد هذه الفكرة نفسها في الغزل أيضاً روى ابن قتيبة :

(١) ديوان الأعشى: ١٩٣ ، والآني : جدول نؤتيه الى أرضك ، والمحمد من عمد السيل اذا سد وجهه بتراب .

(٢) ن . م : ٦٩ ، تناخلها : تخبرها ، بكار القطاف ، من أول ما يقطف .

(٣) الأغاني: ٨: ٩٨ ، وتروى لأخيه المزرد ، انظر الخمسة البصرية الورقة

١٠٧ (أ) .

(٤) ديوان شعر ذي الرمة : ٣٦ .

فالشاعر هنا يبرر حبه ام خالد مع كونها زرقاء العين بأن يوجه الانظار الى زرقة عناق الطير ، وهو تبرير يذكروننا بتسهيل عترة لسواه . فالناس هنا يعيبون على الشاعر حبه امرأة زرقاء العين وهو يحاول ان يبرر حبه ويدافع عن زرقة عينيها :

ولما لم يستسغ العرب زرقة الغيون ، وقرنواها بعيون أعدائهم ، فقد أطلقاوا
الزرقة على معان عديدة تمثل كلها الشر والبغض كالحسد ، واللؤم ، والطمع
وقد عبروا عن اللؤم بالزرقة وقالوا عن اللثيم انه أزرق العين . قال مسويد

(١) عيون الأخبار ٤: ٥٨ ، والأبيات لم ينسبها ابن قتيبة ، إلا أن هناك أبياتاً للفرزدق من نفس البحر والقافية ورد فيها ذكر أم خالد وهي أم خالد القسرى الذي هجاه الفرزدق ، منها قوله :

رجوًنا هُدًاه لاهدى الله خالدًا فما أمه بالآم يهدي جنينها
انظر ديوان الفرزدق : ٣٣٤ ، الأغاني ١٩: ٦١ ، إلا ان الآيات التي رواها
ابن قتيبة لا توجد ضمن اشعاره ، فان كانت له ولم تصلنا في اشعاره فيمكن أن تكون
بالمجاز في معرض الغزل وان كانت من اشعار الحديث فانها تكون أدلة على
الذوق العربي ، ذلك لأن الأذواق قد تبدلت في العصر العباسي لاختلاط
العرب بالأعاجم ، ومع ذلك فان هناك من يعيّب عليه حبه امرأة زرقاء العين وفي
كل الحالتين تعكس لنا الآيات صورة واضحة للذوق العربي تجاه الزرقة .

ابن أبي كاهل :

لقد زَرِقْتَ عيناكَ يا ابنَ مُكَعْبَرٍ

كما كلُّ ضَبَيٍّ مِنَ الْلُّؤْمِ أَزْرَقُ^(١)

والبيت الذي يليه يبين ان ذكر الزرقة هنا جاء في مع-رض الدم ،

والهجاء قال :

زَرِي الْلُّؤْمَ فِيهِمْ لَا نَحَا فِي وَجُوهِهِمْ

كما لاحَ فِي وَجْهِ الْخَلَاثِ أَبْلَقُ^(٢)

وعن الفرزدق انه اعتبر هذين البيتين ما حطَّ من قدر ضَبَيٍّ وأخزاها^(٣) :

وفي شعر الأعشى ذكرت زرقة العيون حين يكون الناس في جوع ، وخصاصه
وذلك انه قال مادحًا :

كَذَلِكَ فَاقْفَلَ مَاحِيَتِ اذَا شَتَّوْا

وَاقْدِمَ اذَا مَا اُعِينَ النَّاسِ تَزَرَّقُ^(٤)

فالذى فسر قوله تعالى : (وَسَحَّرْشُرُ الْجَرَمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا)^(٥) ،

يأن الجرمين تَزَرَّقُ أعينهم من شدة العطش قريب من قول الأعشى حين
ذكر زرقة العين وقت الجوع ، لأن الإنسان حين يضعف وتهزل قوته يبدو
ضعفه على وجهه وعيشه اذ يختفي مواجهها ويغلب عليها البياض .

والعيون الزرق حسودة لا يُؤْمِنُ شرها قال بشار بن برد متغلاً بصاحبته :

(١) مجالس ثعلب ٢:٣٦٧ ، عيون الأخبار ٢:٢١٤ ، جمهرة اللغة ٢:٣٢٤.

الصحاج ٤:١٤٨٩ ، المخصص ٥:٣٣٢ .

(٢) الأغاني ١٩:٤٩ .

(٣) ن . م .

(٤) تاج العروس ٦:٣٦٧ ، وفي رواية الديوان تبرق أنظر الديوان : ٣٣

(٥) سورة طه ٢٠:١٠٢ .

تَرَاهُتْ فِي النَّعَمِ فَلَمْ يَنْأِيْهَا حِوَامِدُ أَعْيُنِ الزَّرْقِ الْقِبَاحِ (١)
وقول بشار له دلاته ، لأنَّه كان أعمى يوم المجالس - خاصة مجالس النساء - فكل ما يذكره ويصوره في شعره أنها جاءه عن طريق السماع ، ثم انه كان عربي التيقاف ، خيراً بالذوق العربي ، فوصفه للعيون الزرق بأنها حاسدة له دلالة على نظر المجتمع إلى العيون الزرق . ولبشار بيت آخر يذكر فيه الزرقة على أنها مما تتجهها الأذواق وذلك في وصفه البخيل :
وللبخيل على أمواله علل زُرْقُ العيونِ عَلَيْهَا أَوْجَهٌ سُودٌ (٢)
فسواد اللون غير مستساغ في الذوق العربي كما هو بنا (٣) . فإذا اجتمع السواد مع عيون غير محبيه وهي الزرقة ، فإنَّ الوجه يكون أبغض مما يتصوره الذهن العربي . وبشار لم ير الزرقة ، كما لم ير اجتماعها بالسواد ، ولكنَّه تخيل هذه الصورة غير المقبولة في الذوق العربي ليشنع علل البخيل على أمواله مستمدآً ذلك مما عرفه عن الذوق العربي .

وهكذا اقترنَت الزرقة بمعانٍ نفسية بغيضة . أما من الناحية المادية فانها اقترنَت بعدة صور تزيد من موحِيات الزرقة في الآية الكريمة . أما الذباب الأزرق فهو أشدُها أذى وايلاماً (٤) ، ولون عيون كلاب الصيد

(١) ديوان بشار ٢ : ١١٤ .

(٢) ديوان بشار بن برد ٣ : ١٢٨ ، وقد أخذ هذا المعنى مسلم بن الوليد ،
وان لم يبلغ جودة بشار في شعره قال :
اذا سَيَلَ عُرْفًا كَسَا وَجْهَهُ ثَيَابًا مِنَ الْبَخْلِ زُرْقًا وَسُودًا
أنظر الصناعتين : ٤٠٠ .

(٣) أنظر ص ١٣٩ فما بعدها .

(٤) الاشتقاء مجلة المجمع العلمي العربي . دمشق م ٢٨ ج ٤ : ٥٧١ ،
الغريب المصنف : الورقة (١٧٦) ، الحيوان ٣ : ٣٩٠ ، أدب الكاتب : ٢١٥ ،
مجالس ثعلب ١ : ٦٧ ، المؤتلف والمختلف : ٢٦٠ .

الشرسة زرقاء (١) :

وهكذا تتبين لنا المعاني المتعددة التي توحّي بها كلمة الزرقة ، وكيف انها اقتربت بمعانٍ يبغضها الفكر العربي . وتندّاعي هذه المعاني كلها فترسم في الذهن عند قراءة قوله تعالى : (ونَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً) (٢) فالمجرمون يوم القيمة عمي عن الحقيقة ، ضالّون عن الطريق الصحيح . وعبر عن هذا المعنى بتعبير تندّاعي فيه معاني اللؤم ، والبغض ، والبشاشة . وتتجتمع هذه الصور البشعة لزرقة الكافرين مع صفات الوجوه البغيض ، لتكون صورة واضحة لوصف الكافرين يوم القيمة ، وتقابل هذه الصورة بصورة المؤمنين المستبشرة وجوههم الفرحة بساعة اللقاء والتّواب .

ج - اشراق وجوه المؤمنين

في صفة وجوه الكافرين والمؤمنين نجد تصويراً رائعاً لسمات الحزن والفرح التي تكتسي بها وجوه الناس يوم القيمة . وقد مرت بنا صور اليأس والكآبة التي رسمتها الآيات الكريمة حال وجوه المجرمين يوم القيمة على حين وصفت وجوه المؤمنين بأنّها مشرقة مستبشرة : (وجوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ضاحكَةٌ مُّسْتَبِشَرَةٌ، وَوِجْهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ، تَرْهَقُهَا قَتْرَةٌ) (٣) ، وقال تعالى أيضاً : (كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ، وَتَذَرُّونَ الْآخِرَةَ، وَجْهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ)، وَوِجْهٌ يَوْمَئِذٍ

(١) ديوان امرىء الفيس : ١٠٣ ، المؤلف والمختلف : ٦٧ .

(٢) سورة طه : ٢٠ : ١٠٢ .

(٣) سورة عبس : ٨٠ : ٤١ - ٣٨ .

بِاسْرَةٍ ، تَسْطِينُ ان يَفْعَلَ بِهَا فاقرَةً) (١) ، فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ نَجِدُ صُورَتِينِ مُخْتَلِفَتِينِ ، صُورَةُ الْمُؤْمِنِينَ الْمُسْتَبَشِّرِينَ ، وَهُمْ يَتَأْمَلُونَ نَعْمَ رَبِّهِمْ وَرِضَاهُ ، وَصُورَةُ الْكَافِرِينَ ، وَقَدْ رَاعُوهُمْ هُولَ الْمَوْقَفِ ، يَتَوَقَّوْنَ الْعَذَابَ وَالْعِقَابَ .

فَالْمُؤْمِنُونَ وَجُوَهُهُمْ نَضْرَةٌ ، وَنَقْلٌ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اَنْهُ حِينَ تَلَاقَ قَوْلَهُ تَعَالَى : (وَجْهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرٌ) (٢) ، قَالَ بِالْبَيْاضِ وَالصَّفَاءِ) (٣) ، اُمَّا ابْنُ عَبَّاسٍ فَقَدْ قَالَ اَنْ مَعْنَاهَا : (حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ نَاعِمَةٌ) (٤) . وَنَقْلُ الطَّبَرِيِّ عَنْ مُجَاهِدِهِ تَفْسِيرَهُ النَّصْرَةُ بِأَنَّهَا مِنَ السَّرُورِ ، وَالنَّعِيمِ ، وَالغَبْطَةِ) (٥) . وَفَسَرَهَا الْفَرَاءُ بِأَنَّهَا اَشْرَاقُ الْوِجْهِ وَبِرِيقُهُ الْمُتَأْنِيُّ عَنِ النَّعِيمِ ، وَالسَّرُورِ) (٦) . وَبِحَلِيِّ الْطَّوْسِيِّ هَذِهِ الصُّورَةُ أَكْثَرُ فَأَكْثَرُ ، فَبِرِيِّ اَنَّهَا الصُّورَةُ الْمُشْرَقَةُ الْمُضَيَّةُ الَّتِي تَمَلَّأُ الْقَلْبَ سَرُورًا عِنْدَ رَؤْبَتِهَا) (٧) . اُمَّا الْحَسْنُ الْمَوْدُبُ) (٨) فَقَدْ اَنْجَسَهُ بِالنَّصْرَةِ آخَرُ ، وَلَمْ يَرِدْ فِيهَا

(١) سورة القيمة ٧٥: ٢٠ - ٢٥ .

(٢) ن . م : ٢٢ .

(٣) جامع البيان ٢٩: ١٩٣ .

(٤) تنوير المقياس ٣٧٥: ٣٧٥ ، التنبية والرد ٦٣: ٦٣ .

(٥) جامع البيان ٢٩: ١٩١ ، تفسير غريب القرآن ٥٠٠: ٥٠٠ ، الزجاج عن

لسان العرب ٧٠: ٦٩ ، مقاييس اللغة ٥: ٢٣٩ ، الكشاف ٣: ٢٤٩ .

(٦) عن لسان العرب ٧: ٦٩ .

(٧) التبيان ١: ١٩٧ ، متشابهات القرآن ١: ٩٤ .

(٨) لم أُعْثِرْ عَلَى تَرْجِمَةٍ كَامِلَةٍ لَهُ ، وَقَدْ ذَكَرَهُ الْحَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ بِأَنَّهُ الْحَسْنُ ابْنُ أَحْمَدَ أَبْوِ مُحَمَّدٍ الْمَوْدُبِ ، وَقَالَ بِأَنَّهُ قَدْ كَتَبَ عَنْهُ سَنَةٍ ٤١٧ هـ ، أَنْظُرْ تَارِيخَ بَغْدَادٍ ٧: ٤٧٨ .

باض الوجوه ولا حسنها واشرافها وإنما ذهب بها إلى الدلالة المعنوية ، وهو حسن الخلق والمنزلة والجاه ، قال : (ليس من الحسن في الوجه ، إنما معناه حَسَنَ اللَّهُ وَجْهُهُ فِي خُلُقِهِ أَيْ جَاهِهِ ، وقدره قال : وهو مثل قوله اطلبو الحوائج إلى حسان الوجوه يعني به ذوي الوجوه في الناس وذوي الأقدار) (١) .

ويبدو أنه لانعارض بين تفسير الحسن المؤدب الذي يرى النضارة في عظم المنزلة والجاه ، وبين الفريق الأول الذي يحملها الحمل المادي ، وهو حسن الوجوه واشرافها من النعيم والسرور ، وذلك لأن وجه المؤمنين إنما تنضر يوم القيمة لما تجده من النعيم والمرور الذي أعد للمؤمنين لعظم منزلتهم عند ربهم وللجهاد الذي خصهم الله به .

وإذا تبعينا معاني الكلمة واستنبطنا أصولها الحسنة فإننا ستتجدد في التعبير القرآني تعبيراً رقيقاً فصرت عنه هذه التفاسير . ويعكسن لنا صورة حبيبة في وصف وجوه المؤمنين . فقد اقتربت النصرة بأحب صورة إلى نفس العرب ، الا وهي صورة النبات الناضر وذلك أن يكون شديد الخضراء مع اشراق ولماع متأت من طراوة الزرع وعماه نمواً حسناً . قال ابن الاعربى : (وأنفس النبت نضر ورقه .. وقد أنفس الشجر اذا اخضر ورقه وربما صار النضر نعتاً بقال شيء نضر ، وناضر ، والنضر ، الأخضر ، الشديد ، الخضراء) (٢) وبين أبو حنيفة الدينوري (٣) ان العشب حين يكون

(١) عن لسان العرب ٧ : ٦٩ .

(٢) ن . م .

(٣) هو أحمد بن داود أبو حنيفة توفي نحو ٢٨٢ هـ ، كان مهندساً منجماً راوية ثقة فيما يرويه ، أخذ عن البصريين والكتوبيين ، وأكثر أخذته عن ابن السكيت أنظر ارشاد الأديب ١ : ١٢٣ - ١٢٤ .

في بدء نبته طريا غضا يكون لونه شديد الخضراء مع اشراق وجهال يطلق عليه النضرة . قال : (واذا كان " العشب " مع شدة خضرته مشرقا قبل " عشب " تضر) (١) .

وقد اقررت هذه النضره باللون الاخضر فيقال اخضر ناضر كما يقال ابيض ناصع ، واصفر فاقع (٢) . اما لماذا اقررت النضارة بالخضراء دون غيرها من الالوان مع ان النبات متنوع الاشكال والالوان ؟ فمن الجائز ان يكون هذا لكثره اللون الاخضر ، وغلبته على سائر النباتات . . فاطلاق النضرة جاء على التعميم لا التخصيص لما زرناه اطلق على كل نبات مشرق اشد ابو حنيفة : -

برشح نبتاً ناضراً ويزبنـهـ ندىـ وليلـ بعد ذاك طوالـ (٣)
ثم اقررت النضرة بالنبات الزاهي بصورة عامة ومن ثم تكرر ذكرها مع ذكر الربيع - اجل ايام العرب واحلاتها - قال الاعشى في مدحه
بانهم يكرمون الجائع حتى تعود له صحته ويقوى فيصير كالغضن الناضر :
والشافعون الجوع عن جارهـمـ حتى يرى كالغضـنـ الناضـرـ (٤)
وقال الآخر مفتخرـاـ : -

انـ ملوكـ حـيـاـ للتابـعينـ لـنـاـ مثلـ الرـبـيعـ اذاـ ماـ نـبـتـهـ نـضـرـاـ (٥)
وتغـيـ الشـعـراءـ بـذـكـرـ الغـصـونـ النـضـرـةـ لـماـ تـوحـيهـ فـيـ نـفـوسـهـمـ مـنـ الـبـهـجـةـ

(١) المخصص ١٠ : ١٩٥ :

(٢) الغريب المصنف الورقة : ١١٨ ، وانظر ايضاً الصبحاج ٢ : ٨٣٠ ،

المخصص ٢ : ١١٠ لسان العرب ٧ : ٧٠ .

(٣) المخصص ٩ : ٧٧ لم اعثر على قائله .

(٤) ديوان الاعشى : ١٤٥ .

(٥) الامالي للقالي ١ : ٩ والبيت انشده ابو بكر بن الاعرابي ولم ينسبه .

والسرور قال امرؤ القيس :

فقدمنا باشلاء الاجمام ولم نقدر الى غصن بان ناضر لم يحرق (١)

وقال ظالم بن البراء (٢) :

فيامَنْ لَدَهُرْ يَفْسِدُ الْمَرْءَ بَعْدَمَا يُرِي عَصْرُ آبِهِ تَزَّ كَالْغُصْنُ النَّضَرُ (٣)

وإذا كان اطلاق النمرة على النبات متأتٍ من اشراقه ، وحاله

فأنه أطلق مجازاً على كل شيء زاهٍ خالصٍ من الشوائب كالذهب والخشب والجهاز (٤) .

ومن هذا الاصل الحسي وهو نضارة النبات انتوير تعبيرهم عن حُسْنَ الوجهِ ورونقِهِ بالنضارة (٥) وأشار الزمخشري الى ان نضارة الوجه اطلقت مجازاً (٦) .

قال الاعشى متغلاً :

وَسَبَقْتُكَ حِينَ تَبَسَّمْتَ بَيْنَ الْأَرَاكَةِ وَالسَّتَّارَةِ

وَبِجَيْدِ مَغْزَلَةِ إِلَى وَجْهِ تَرِينَهُ النَّضَارَةِ (٧)

وبعد ان تبين لنا تطور دلالة الكلمة من معناها الحسي الاصلى الى

(١) ديوان امرئ القيس : ١٧٣ وانظر ايضا كتاب النبات : ١٤٤، ١٣ .

(٢) هو ظالم بن البراء بن قطن بن بكر شاعر من بني دارم . انظر المؤتلف

والختلف : ٢٢٤ .

(٣) ن . م . وانظر ايضا الطرائف الادبية : ١٠٢ .

(٤) الغريب المصنف الورقة (٢٢٠) : مجالس ثعلب ١ : ٤٩ ، جمهرة

اللغة ٢ : ٣٦٧ الصحاح ٢ : ٨٢٩ : فقه اللغة : ٦٢ : لسان العرب ٧ : ٧٠ .

(٥) الافعال ١٠٧ ، الصحاح ٢ : ٨٢٩ : المخصوص ٢ : ١٥٣ .

(٦) اساس البلاغة : ٣٦٥ .

(٧) ديوان الاعشى : ١٥٣ .

معانيها الجديدة المعنوية ، امكننا ان نرد على ابن فارس الذي اعتبر المعنى الاصلي للكلمة هو الحسن ، والجمال ، والخلوص ، وعنه تفرق بآي المعانى (١) . ذلك لأن معنى الجمال والحسن متظور عن المعنى الحسي الاول وهو نصرة النبات ، واشراقه كما مر بنا فحين نقرأ قوله تعالى : (وجوه يومئذٍ ناضرةٌ الى ربها ناظرةٌ ، ووجوهٌ يومئذٍ باسرةٍ تَنْظَنُ ان يُفْعَلُ بها فاقرةٌ) (٢) لا نفهم منه جمال الوجه ، واشراقها فحسب ، بل ترسم أمامنا صورة الغشب والنبات الزاهي تلك الصورة الخبيثة التي جعلت العرب يطلقونها على كل من حسن وجهه واشراق لشباهه ، او لتنعمه .

هذه هي صورة المؤمنين بوجوههم المشرفة ، وتقابلاها وجوه الكافرين الباسرة الخائفة التي تتوقع المصيبة ، والداهية (٣) .

ومن مجموع هذه التعبيرات التي تصور حال الناس يوم القيمة ، تتضح لنا تمام الوضوح صورة الفزع والذلة التي تشمل الكافرين ، تلك الصورة التي تسجم مع الاضطراب الكوني . فيبدو كل ما في الطبيعة مُسِيرًا لاستجابة امر الله في قيام الساعة والحساب ، الا ان هناك ملاحظة عامة نشهدها في الاجواء المختلفة التي تصور هول القيمة ، الا وهي صورة المؤمنين الرائعة التي تناسب بهدوء في هذا الخضم من الاضطراب والفزوع ، وقد شملتهم طمأنينة ، وراحة عظيمة غير مبالغة بالاضطراب الذي يسود الكون ، والمحرمين معا . قال الله تعالى : (واقربَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا إِنَّ كُنَّا ظَالِمِينَ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبٌ جَهَنَّمُ أَنْتُمْ هَا وَارِدُونَ ، لَوْ

(١) مقاييس اللغة ٥ : ٤٣٩ .

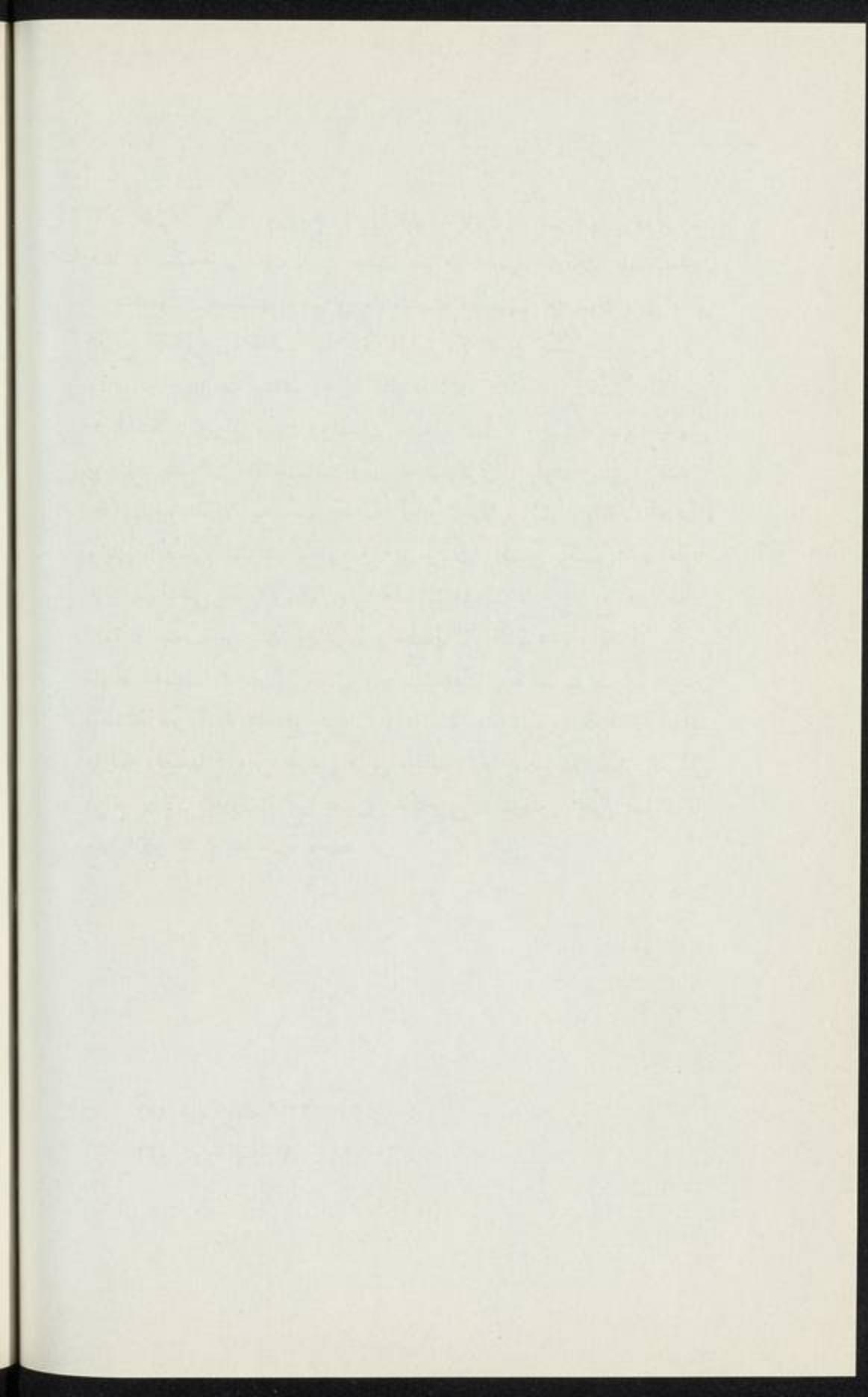
(٢) سورة القيمة ٧٥ : ٢٠ - ٢٥ .

(٣) انظر الفصل الثالث - بـ توقعهم العذاب .

كان هؤلاء آلةٌ ما وردوها وكلٌّ فيها خالدونَ ، لم فيها زفيرٌ وهم
 فيها لا يسمعونَ ، ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ، اوئلئك عندها مُبعدونَ
 لا يسمعونَ حسيسها وهم في ما اشتهرت انفسُهم خالدونَ ، لا يحزنونَ
 الفزع الاكبرُ وتنفاصهم الملائكةُ هذا يومكم الذي كُنتمْ توعدونَ)١()
 وقال تعالى عارضاً مشاهد القيمة المفزعة : (كلاً اذا دُكتَ الارضُ
 دَكَّا دَكَّا ، وجاءَ رَبُّكَ ، والملائكةُ صفاً صفاً ، وجييءُ يومئذ بجهنمَ
 يومئذ يتذَكَّرُ الانسانُ وانى له الذكرى ، يقولُ ياليقني قدمتُ
 لحياتي في يومئذ لا يُعذَبُ عذابهُ أحدٌ : ولا يُوثقُ وثاقهُ أحدٌ ،
 باليتها النَّفْسُ المطمئنةُ ، آرجعي الى ربِّك راضيةً مرضيةً ، فادخلني في
 عبادي وادخلني جنتي)٢(. ففي هذه المشاهد المفزعة التي تتبع فيها معاني
 القوة والضعف من دك الجبال ، وتحطيمها ، والشهود ، والملائكة وجهنم
 المهدأة لتعذيب الحرمين . خلال هذه المشاهد المفزعة تناسب صورة المؤمنين
 المطمئنة غير آبهة بالفزع حولها ، وانما تسير بشقة ورضى الله لتلقى التواب
 والجنة ونعمتها . ومن عرض هذين الجانبيين معاً يتجلى الاعجزاز القرآني
 الرائع ، لأن المقارنة بين صورتي الكافرين والمؤمنين تجلّي صورة كل
 منها اكثراً مما لو عرضت وحدها .

(١) سورة الانبياء ٢١ : ٩٧ - ١٠٢ .

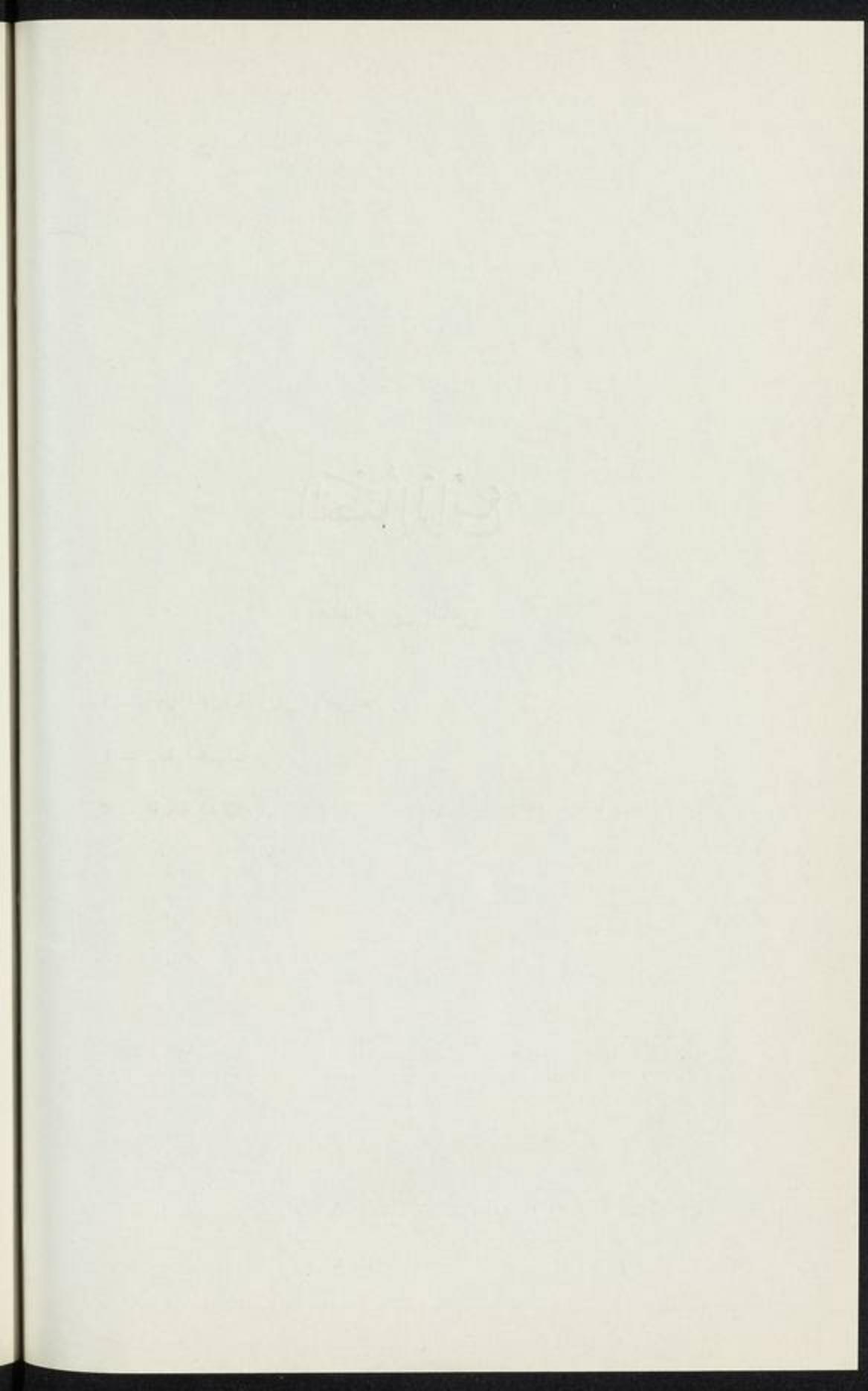
(٢) سورة الفجر ٨٩ : ٢١ - ٣٠ .



الفَصْلُ الرَّابِعُ

القضاء بين الناس

- ١ - القيم الجاهلية ونفي وجودها .
- ٢ - دقة الحساب .
- ٣ - نتيجة القضاء .



١- القيم الجاهلية ونفي وجودها :

ويستطيع الانسان ان يتخيّل هذه الصورة المثالية للقضاء العادل ، ويقارنها بالقضاء السائد في امته ، والذي يتّأرجح بين الحق والباطل . واذ نستعرض صور القضاء الجاهلي نجد انه صُورٌ في مشاهد القيامة ليبين الفرق العظيم بين الحكم الديني وما فيه من قيم اجتماعية ، وبين الحكم العادل يوم القيمة .

فلم يكن للقضاء الجاهلي قانون يحكمه ، أو دين يضبطه ، إنما كان المرجع فيه إلى رأي رجال عرموا بسلامة التفكير والحكمة قال العقوبي : (وكان للعرب حكام ترجع إليها في أمورها ، وتحاكم في مناقراتها ، ومواريثها ومخاالتها ، ودمائها ، لأنهم يكن دين يرجع إلى شرائعه ، فكانوا يحكمون أهل الشرف ، والصدق ، والأمانة ؛ والمجد ، والتجرية) (١) . وتعدد

(١) تاريخ العقوبي ١: ٢٩٩ ، وانظر أيضاً الأشيهار والنظائر ١: ١٤٤ ، ١٤٥

الذين كانوا يحكمونهم في المنازعات ، وبعضهم كان يحكم العرافة (١) ، وقد يلجأون إلى الكهان (٢) ، و Ashton رجال منهم سارت أنماطهم في الآفاق ، لما عرفوا به من الحكمة ، والحكمة في الأمور التي يحكمون فيها ومن هؤلاء أكثم بن صيفي (٣) ، وعامر بن الظرب العدواني (٤) ، وغيلان ابن سلمة (٥) ، وغيرهم من تناقلت الكتب أخبارهم .
وكانت العرب ترجع إلى أمثال هؤلاء للتحكيم بينهم في المنازعات ، أو في نقد رواية قتيل اختلفوا فيها (٦) .

ومع الأوصاف التي اقترنت بسير هؤلاء الرجال ، فمن الطبيعي أن تكون أحكامهم تقريرية بين الحق والباطل ، لأنهم لا يعتمدون على قانون واحد ، أو قاعدة عامة في جميع أحكامهم ، إضافاً إلى ذلك أن الطرفين المتنازعين غير ملزمين بقبول الحكم الذي يصدره الحكم ، وقد ينقض أحد الطرفين

(١) سيرة ابن هشام ١: ١٦٦ ، بلوغ الأربع ٣: ٧٥ .

(٢) المثالب: ٣١ ، سيرة ابن هشام ١٥٥: ١٥٥ ، المتنمية: ٢٠: ٢٢ ، ٢٢: ١٠٧ ، ١٠٩ ، ١١٠ ، ١١٥ ، أخبار الزمان: ٩٥ ، بلوغ الأربع ٣: ٢٦٩ ، تاريخ العرب لجود علي ٥: ٣١٥ .

(٣) المعمرون: ١٩ - ٢٤ ، المخبر: ١٣٥ ، البيان والتبيين ١: ٣٦٥ ، عيون الأخبار ١: ١٠٨ ، تاريخ اليعقوبي ١: ٢٩٩ ، الاشتراق لابن دريد ٢٠٧ ، أسد الغابة ١: ١١٢ - ١١٣ ، الاصادبة ١: ١١٨ ، وانظر أيضاً :

Ency. of Islam P. 345 .

(٤) سيرة النبي ١: ١٣٤ ، المعمرون: ٥ ، الخبر: ١٣٥ .

(٥) المؤتلف والمختلف: ٢٣٠ ، بلوغ الأربع ١: ٣١٦ .

(٦) الخبر: ١٣٥ ، تاريخ اليعقوبي ١: ٢٩٩ ، بلوغ الأربع ١: ٣١٩ .

الحكم ، فكان بعضهم اذا حكم بقضية ما ، لا يبدي رأيه الا اذا أعطاه الفريقان العهود والمواثيق بتطبيق ما يقضيه بينهما (١) . ومن هنا فيخر بعضهم بأن فيهم الحكام الذين لا ينقض حكمهم ولا يرد (٢) ، وانهم اذا حكموا بين القبائل فإن حكمهم هو الصواب وغيرهم على خطأ (٣) .

وفخر الشعراء بمثل هذه الأمور يعكس لنا من جانب آخر افتقار المجتمع للعدالة ، وضياع الحق إلا عند الحكام الذين مرستهم السنين وحنكتهم التجارب . ذلك لأن الشاعر اذا أراد ان يمتدح شخصاً ، فإما يصفي عليه قيمها ، وصفات لا يجد لها عنة غيره من الناس ، أو أنه عرف بها أكثر من غيره . فتفغى الشعراء بأن فيهم الحكام العادلين يعكس لنا افتقار المجتمع القبلي الى عدل يسود ، وحق يطبق .

١- الشفاعة والقضاء الجاهلي صورة للمجتمع العربي وتقاليده ، وأول ظواهره هو اليمان بوحدة القبيلة . والتبعصب لها في سلامها ، وحرابها ، وهي التي قال عنها ابن خلدون انها : (النعرة على ذوي القربي وأهل الأرحام ان ينالهم ضيم ، أو تصيبهم هلاكة ، والتي بها تشتد شوكتهم ، ويُخْشى جانبهم) (٤) : وقد أعطت هذه النظرة عيونهم ، فلم تترك لهم مجالاً يفرّقون فيه بين الحق والباطل ، إنما يهرون ملبين نداء أي مستغيث من أبناء قبيلتهم دون ان يستفسروا عن المعتدى . ولعل أجود قصيدة تبين لنا هذه الروح هي قصيدة قريط بن انيف التي يذكر فيها عصبيةبني مازن التي

(١) أنظر في هذا الأغانى ٣: ١٩ - ٢٢ ، الكامل لابن الأثير ١: ٧٧ .

(٢) الشعر والشعراء ٢: ٥٩٨ ، الخامسة البصرية الورقة: ١٤٤ (أ) .

(٣) أنظر ديوان عامر بن الطفيلي: ٢٠ ، ديوان حميد بن ثور: ١٣١ ،

ومفضليات: ١٧٤ .

(٤) المقدمة: ٧٣ .

حدوا عليهما . وانهم لا يسألون اخاهم عن المعندي اذا سالم النجدة
وانما يلبون زدائعه ظالما او مظلوما (١) .

واما اسر احد افراد القبيلة هرع وجوه القوم ، او شاعر من شعرائهم
ليشفعوا له عند غالبيه وآسريه (٢) واعل اكثرا ما يؤلم البدوي هو خذلان
قبمه له حين يعتدى عليه .

اما الجوار فانه رابطة اخرى تحمي الفرد ، وتشفع له في حياته .
فاذا قتل امرؤ او اجرم فان على مجبريه ان يدافعوا عنه ، ويشفعوا له
قال رجل من بنى عبد الله بن غطفان ، وقد جاور قبيلة طيء وهو خائف:
جزي الله خيرا طيبا من عشيرة

ومن صاحب تلقاهم كل مجمع
هم خلطوني بالنفس ودافعوا
ورائي بير كن ذي مناكب مدفوع
وقالوا تعالهم إن مالك إن يصب
نفديك وإن تحبسن نزرك ونشفع (٣)

هذه الشفاعة التي اعتادها البدوي في بيته كانت تقف حائل دون
تطبيق العدالة ، لأن الجناني سرعان ما يتثبت من له منزلة ، وجاه في قومه

(١) شرح ديوان الحماسة ١ : ٢٣ - ٣٢ وانظر ايضا ١ : ١٣٠ .

(٢) ديوان علقة الفحل ٤١ ، ٤٠ ، ٧١ ، ٢٨٨ وقد يطلبون شفاعة رجل له مكانة العظيمة في نفس القبيلة الغالية انظر امثال العرب ٨ ، ٩ .

(٣) الكامل للمبرد ١ : ٧١ ، وذكر ابو عام الایات في الوحشيات ونسبها ابن دارة احد بنى عبد الله بن غطفان ، انظر الوحشيات : ٢٤٩ .

ليشفعوا له ، وينخلصوه من جرميه واسره (١) . . . فاي شعور رهيب يجتاح العربي اذا سمع بأنه سيأتيه اليوم الذي يقف فيه وحده ضعيفاً متهاالكا وذنبه العظام لم يترك منها شيء تشهد عليه ، وتدينه . ثم يلتفت فيجد ان كل الوسائل التي كان يتوصلا بها الى النجاة في الحياة الدنيا قد تقطعت وانه ما من شخص يشفع له ، ويبينه على التخاض من العقاب لان (الكل امرىء يومئذ شان يُغنى به) (٢) . فلا شفيع ولا نصير ، قال الله تعالى : (وَهُلْ يَسْتَأْنِظِرُونَ إِلَّا تَوْلِيهِ ؟ يَوْمَ يَاتِي تَوْلِيهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسَوْهُ مِنْ قَبْلٍ : قَدْ جَاءَتِ الرُّسُلُ رَبُّنَا بِالْحَقِّ . فَهَلْ لَنَا مِنْ شَفَاعَةٍ فَيُشْفِعُونَا لَنَا ، أَوْ نُرَدَّ فَنَعْمَلُ غَيْرَ الَّذِي كَنَا نَعْمَلُ ؟ قَدْ حَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْسِدُونَ) (٣) .

وهكذا يتمنى المجرمون شفاعة احد لهم ، ويتمنون العودة الى الحياة الدنيا ليعملوا صاحلا ، الا ان الرد ياتيهم جازما مؤلما بان يوم القيمة لا يترك للمجرمين شفاعة ، ولا تقبل وساطة أحد ، فاعمالهم تشهد عليهم بما اقترفوه في الحياة الدنيا قال الله تعالى : (وَانْقُوا يَوْمًا لَا تَجِزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ، وَلَا تُنْقَبَّلُ مِنْهَا ، شَفَاعَةً ، وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ ، وَلَا هُمْ يُنْصَرَوْنَ) (٤) وقال ايضا : (يَا يَاهَا الَّذِينَ آمَنُوا انْفَقُوا مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبْعِثُ فِيهِ وَلَا خَلَةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ ، وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ) (٥)

(١) وшибه هذا عقيدة الذين اخذوا آلته ليشفعوا لهم عند الله وقد ذكرهم الله تعالى في سورة الانعام ٦ . ٩٤ : وانظر ايضا الروم ١٣:٣٠ ، يس ٣٦:٢٣ .

(٢) سورة عبس ٨٠:٣٧ .

(٣) سورة الاعراف ٧:٥٣ .

(٤) سورة البقرة ٢:٤٨ .

(٥) سورة البقرة ٢:٢٥٤ .

وفي سورة غافر يصف الله سبحانه وتعالى هول الموقف يوم القيمة والذي تبلغ فيه قلوب الناس الحناجر ، فلا يستطيعون الكلام ، لأنهم ايقنوا من الحساب الدقيق الذي لا يترك ذنباً كبيراً ، او صغيراً ، الا واحضره ، ويزيد ياسهم وخوفهم ان ليس لهم شفاعة ، لأنهم ظالمون بيمرون : (وَإِذْ رُهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ ، إِذَا الْقُلُوبُ لِدِي الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ ، مَا لِظَالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ ، وَلَا شَفَاعَةٌ يَطْعَمُ ، يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ ، وَمَا تَنْهَى الصُّدُورُ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بَشِيءٍ ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (١) .

هكذا تنفي الآيات القرآنية الكريمة وجود الشفاعة للكافرين يوم القيمة ، ذلك المفهوم الذي كان سائداً في البيئة الجاهلية ، لانه الحق المطلق الذي لا تشوبه شائبة ، ولا يعوقه مفهوم من المفاهيم الجاهلية كالشفاعة مثلاً.

ب - الفداء والعدل :

الفاء : وهناك وسيلة اخرى اعتقاد البدوي بواسطتها التخلص من اسره ، تلك هي وسيلة الفداء ، وذلك ان يدفع الاسير دية يفلت بها اسره ، والا فانه يصبح بحكم العرف ملكاً لاسره ، وتحتفل هذه الديمة حسب منزلة الشخص الاجتماعية ، فكان فداء الشخص المتوسط المنزلة مائة بعير (٣) وقد تبلغ خمساً مائة بعير . اما دية الملوك ، ومن يبلغ منزلتهم في

(١) سورة غافر ٤٠: ١٨ - ٢٠ .

(٢) النكائض ١: ٢٠ .

(٣) المعارف : ٥٥٥ .

العظمة فانها الف بعير (١) ، ومن هنا فخر اهل اليمن بالاشعشث بن قيس (٢) لانه افتدى نفسه بثلاثة الاف بعير اي بدية ثلاثة ملوك (٣) .

واذا كانت هذه الارقام تبين لنا دية الاشخاص ، واحتلالها حسب منزاتهم الاجتماعية ، فأنها من الناحية الآخرى تعكس لنا اهمية البيئة في نشوء العادات والتقاليد ، ذلك لأن انتشار الفوضى ، وكثرة الحروب ، والغارات ، وما يتبعها من الاسر ، كل ذلك ساعد على ايجاد الدية والفداء لفك الاسرى ، ولما كانت منزلة الاشخاص مختلف حسب مستواهم المعيشي ومنزتهم الاجتماعية فان ديتهم قدرت تبعاً لذلك . وقد وصف عوف بن عطية (٤) في قصيدة له الاسير يمتلك مالاً يستطيع ان يفك به قبود امره ، يقول :

وَمَكْبَلٌ يُفَدَّى بِوَافِرِ مَالِهِ إِنْ كَانَ صَاحِبَ هَجْمَةٍ أَوْ أَيْضَرَ (٥)
ويظهر الظلم الاجتماعي في هذا الجانب من المجتمع البدوي الذي قد يلحق الكثرين . فالحروب مستمرة ، والقتل والأسر يتمثل أمام ناظري المرء كل يوم ، ولكنه مختلف باختلاف الأشخاص فمن كان ذا مال وفير لم يعان

(١) نقايسن ١ : ٤٣٢ ، ٥٣٥ ، بلوغ الارب ٣ : ٢٢ .

(٢) هو الاشعث بن قيس بن معدى كرب الكندي امير كندة في الجاهلية والاسلام . كان شاعراً وسيداً كريماً وكانت اقامته في حضرموت ، ووفد على النبي (ص) بعد ظهور الاسلام . توفي نحو ٤٠ هـ . انظر المؤتلف والمختلف : ٥٥ خزانة الادب ٢ : ٤٦٥ .

(٣) المعارف : ٥٥٥ :

(٤) هو عوف بن عطية بن عمرو بن عبس بن وديعة بن مضر شاعر جاهلي فحل ادرك الاسلام معجم الشعراء : ٢٧٦ ، خزانة الادب ٣ : ٨٢ - ٨٣ .

(٥) ديوان المفضليات : ٦٣٥ .

من الأسر ، أو عقاب جرمـه شيئاً ، اذ انه سرعاً ما يـقدم مـاله ليغسل جـرمـه
وـاذا كان ذـا جـاه ، وـمزـلة كـبـرة فـان قـومـه يـسـرـعـون لـافتـادـه بـما يـمـلـكون
من مـال وجـاه . وـفي أخـبـار الشـفـري ان قـومـه قـتـلـوا رـجـلاً كـان في خـفـرة
بعـض الفـهـميـن فـرـهـنـوـهم الشـفـري (١) ، وـامـه ، وـأخـاه ، وـلم يـفـدوـهم (٢) ...
هـكـذا يـُرـهـن ثـلـاثـة أـشـخـاص مـقـابـل شـخـص وـاحـد ، وـمع ذـلـك لا يـحـاـول
قـومـهـم اـفـتـادـهـم وـفـكـأـسـرـهـم لـماـذا ؟ لـأـنـهـم يـاسـوـا سـادـة ، وـلا أـغـنـيـاء .
وـقد شـكـا طـرـفة مـوـلـاه في شـعـره بـأـنـه يـضـيقـ عـلـيـه الـأـمـرـ في كلـ حـالـ

سوـاء شـكـرـه ، او طـلـبـ منهـ أـنـ يـفـدـيـ نـفـسـهـ :

فـلـاو كـانـ مـوـلـايـ اـمـرـءـ هوـ غـيرـهـ
لـفـرـاجـ كـرـبـيـ ، او لـأـنـظـرـيـ غـدـيـ

وـلـكـنـ مـوـلـايـ اـمـرـءـ هـوـ خـانـقـيـ
عـلـى الشـكـرـ وـالـتـسـالـ اوـأـنـا مـفـتـدـ (٣)

وـالـفـداءـ المـادـيـ كـاـعـرـفـهـ الـجـمـعـ الـعـرـبـ وـرـدـ فيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ فـقـدـ
أـفـتـدـيـ اـبـنـ النـبـيـ اـبـرـاهـيمـ (عـ) بـكـبـشـ عـظـيمـ (٤) . كـاـحـدـ اللهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـيـ.
فـدـيـةـ الـأـسـرـيـ الـمـشـرـكـيـنـ ، فـاماـ انـ يـُمـنـ عـلـيـهـمـ باـطـلـاقـ حـرـيـتـهـمـ ، اوـ انـ

(١) هو عمرو بن مالك الأزدي من قحطان ، شاعر جاهلي من فناك العرب
وعدائهم ، وهو أحد أخلعاء الذين تبرأت منهم عشائرهم . قتلـه بنو سلامـان ، وهو
صاحب اللامية المشهورة بلامية العرب . أنظر الأغاني ٨٧:٢١ - ٩٣ ، خزانة الأدب
٢:١٦ - ١٧ .

(٢) ديوان المفضليات : ١٩٧ - ١٩٨ .

(٣) ديوان طرفة : ٥٧ .

(٤) سورة الصافات : ٣٧ : ١٠٥ .

قبل منهم فدية (١) .

هذا الفداء الذي اعتاده العربي في بيته ، وحربوه المستمرة ، صورته الآيات الكريمة عند تصويرها للحساب الدقيق يوم القيمة . فالبادي الذي اعتاد في الحياة الدنيا التخلص من جرمه ، وأسره ، بأن يفدي نفسه بمقدار من المال ، فإنه يوم القيمة لا يمكنه التخلص من العقاب الذي ينتظره ، حتى لو امتلك ملء الأرض ذهبًا ، قال الله تعالى : (ان الذين كفروا ، وما توا وهم كفار ، فلن يُقبلَ من أحدهم ملأ الأرض ذهبًا ، ولو افتدى به ، أولئك هم عذاب اليم ، وما لهم من ناصرين) (٢) وفي سورة الرعد يبين الله سبحانه وتعالى بأن الدين لم يستجيبوا لدعوة الحق لا يخلصون من العذاب يوم القيمة حتى لو قدموا ما في الأرض من الأموال فدية لهم (للذين استجابوا لربهم الحسنى ، والذين لم يستجيبوا له لو أن لهم ما في الأرض جميعاً ، ومثله معه ، لأفتدوا به ، أولئك لهم سوء الحساب ، وما واهم جهنتم وبئن المهداد) (٣) . وقال الله تعالى أيضًا : (فال يوم لا يؤخذ منكم فدية ، ولا من الذين كفروا ، ماواكم النار ، هي مولاكم وبئن المصير) (٤) .

وإذا كان في مقدور الأب ، أو أي فرد من أفراد القبيلة فداء ابنه أو قريبه ، وتقدم مaimلث في سبيل إنقاذه ، فإن هذه الأواصر تنقطع كلها يوم القيمة ، فلا يفدي الأب ابنه من العذاب فحسب ، بل يتمنى لو انه يستطيع ان يفدي نفسه بأعز أحبابه في الحياة الدنيا ، بابنه ، أو صاحبته

(١) سورة محمد ٤٧ : ٤ .

(٢) سورة آل عمران ٣ : ٩١ ، وانظر أيضًا سورة يونس ١٠ : ٥٥ .

(٣) سورة الرعد ١٣ : ١٨ .

(٤) سورة الحديد ٥٧ : ١٥ .

او اخيه ، ولكن هيهات له ذلك ، فلا يقبل فداء ، ولا يبدل عذاب امرىء بعذاب آخر ، فكل انسان يحاسب بما قدم في حياته الدنيا . قال الله تعالى واصفاً حيرة الانسان يوم القيمة حيث يقف وحيداً ، فرعاً خائفاً (يَبْصُرُونَهُمْ يَوْمَ الْجَرْمِ) او يفتدي من عذاب يومئذ بذاته وصاحبته ، و أخيه وفصيلته التي تزويه ، ومن في الأرض جميراً ثم ينجزيه ، كلا ، إنها لظى ، نزاعة الشوى) (١) .

هكذا تعكس الآيات الكريمة صورة الحياة العربية الجاهلية ، وتبين لنا كيف تنهار العناصر الأساسية التي تقوم عليها القبيلة ، إذ لا شفاعة ولا فداء ، بل قضاء عادل تنقسم فيه كل عرى القرابة والصداق ، وكل الروابط الإنسانية ، فيقف الغني والفقير ، ذو الجاه والصلوكة ، وحيدين امام قانون واحد حازم .

العدل : اما العدل فانه تعبير آخر له دلالته على البيئة العربية الذي نفت وجوده الآيات الكريمة يوم القيمة . (واقتوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ، ولا يُقبّل منها شفاعة) ، ولا يؤخذ منها عدلاً ولاهم ينصرُون) (٢) . وقال أيضاً : (وَذَرُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِعِبَادًا ، وَلَهُوَا ، وَغَرْتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَذَكَرَ بِهِ أَنْ تُبَسَّلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبُتْ لِيَسْ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِي) ولا شفيع ، وان تعامل كل عدل لا يؤخذ منها ، او لئك الذين أَبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا ، لهم شراب من حَمِيمٍ وعذاب اليم ، بما كانوا يَكْفُرُون) (٣) .

(١) سورة المعارج ٧٠: ١٢ - ١٦

(٢) سورة البقرة ٤٨: ٢

(٣) سورة الأنعام ٦: ٧٠

وقد قال المفسرون ان معنى العدل : الفداء (١) ، واذا كان هذا التفسير منسجماً مع الفداء الذي مر بنا بمحنه . الا اننا نجد في دلالات الكلمة المختلفة معنى جاماً لتفسير المفسرين من جهة ، وبعكسه لنا صورة من البيئة العربية من جهة أخرى ، وذلك انهم اطلقوا العَدْل على الحِيمَل يوضع على جانبي الدابة . قال الاصمسي : عَدْلُ الجوالق (٢) ، على البعير ، أَعْدَلُهُ عَدْلًا ، يحمل على جنب البعير ، وِعْدَلُ بآخر (٣) . وقال الأزهري : العَدْل يلتان : الغِرَارَتَان (٤) ، لأن كل واحدة منها تعادل صاحبتها (٥) . وقال ابن دريد : العِدْلُ الْعُكْمُ اذا عدل بعثله (٦) . والْعُكْمُ هو نفس عَدْل البعير كما يقول الزمخشري (٧) : وما سبق من أقوال اللغويين يتبيّن لنا ان العِدْل هو الحمل الذي

(١) تنوير المقياس : ٧ ، مجاز القرآن ١ : ٥٣ ، جامع البيان ١ : ٥٧

التبيان ١ : ٢١٥ الكشاف ، ١ : ٥١١

(٢) الجوالق : وعاء من الأوعية أَعجمي مغرب ، انظر جمهرة اللغة

٢ : ١١٠ ، الصحاح ٤ : ١٤٥٤ ، المغرب : ١١٠ ، لسان العرب ١١ : ٣١٨

(٣) عن لسان العرب ٣ : ٤٥٩ وانظر ايضاً جمهرة اللغة ٢ : ٤٥٩

(٤) الغرارة : قال الجوهري عنها انها واحدة الغرائر التي للتبين ، واظنه

مغرباً . ويبدو انها كلمة عربية الأصل لقولهم الغرارة شفروتا السيف ، وكل

شيء له حد فحدده غراره انظر جمهرة اللغة ٣ : ٤٥٨ ، لسان العرب ٦ : ٣٢٠

لان جانبي الحملين والعِدْلَيْن يمثلان حدَّهما ، ومن هنا سمي الحِيمَل غرارة .

(٥) لسان العرب ٣ : ٤٥٩ ، وانظر ايضاً مقاييس اللغة ٤ : ٢٤٧ ، الحكم

١١ : ٢

(٦) جمهرة اللغة ٢ : ٢٨١

(٧) اساس البلاغة : ٦٤٩

يوضع على جانبي الدابة يحمل عليه العربي ما يحتاج اليه في سفره ، وسيره على أن يكون ما في الحمل الأول موازيًا ومعادلاً للحمل الثاني ليتوازن سير الدابة . قال ابن الاعرابي : (يقال عَدَّلَتْ امْتُعَةُ الْبَيْتِ ، إِذَا جعلتها أعدالاً متساوية للأعتکام يوم الظعن) (١) . واذا ركب رجل على أحد جانبي الدابة ، فلابد من موازنته بوضع ثقل في الجانب الثاني من الحمل ، فيركب معه شخص آخر يساويه ومن هنا قالوا عدل الرجل في المحمَّلِ وعَدَّلَه ركب معه (٢) .

وقد ورد هذا المعنى المادي للكلمة في الشعر العربي ، من ذلك قول عوف بن عطية هاجياً :

ولقد أراكَ ولا تُؤْبَنْ هالِكَا

عَدَلَ الْأَصْرَةِ في سنام الأكوم (٣)

يريد انه لا يُبكي عليك ان مُتَّ ، وقد كانت امه راعية ، فكانت تحمله على بعير وتعُدله به الأصْرَةِ . وقال آخر مشبهًا الفتىان بالحمير يحملون أعدالاً قد أثقلها الحمل :

فِي فَتِيَةٍ مِنْ بَنِي هَنْدٍ كَانُوهُمْ

آذَانُ أَحْمَرَةٍ يَحِمِّلُنَّ أَعْدَالًا (٤)

أي أن هولاء الفتية خاملين لاحراك لهم ، ولا شهامة عندهم كأنهم آذان حمير قد تعبت من حمولة اعدالها . وقال آخر :

(١) لسان العرب ١٣: ٤٥٩ ، وانظر ايضاً أساس البلاغة : ٦١٦

(٢) الحسكم ٢: ١١

(٣) المعاني الكبير ١: ٤٦٩ ، والبيت لم ينسبه ابن قتيبة

(٤) نـ مـ ١٠: ٥٧٨

لَا غَدَوْتُ خَلِقَ الشَّيْبَ أَمْهَلُ عَنْدَكِنِ مِنَ التُّرَابِ (١)
 ومن هـذا المعنى المادي لكلمة العـدـل اطلقت الكلمة على العـادـلة
 والموازنة مطلقاً ، وعلى العـدـل القـسـطـ المراد به الاستقـامـةـ التي هي ضـدـ
 الجـورـ (٢) . قال عـلـقـمـةـ الفـحـلـ :

فـلا تـعـدـ لـي بـيـنـ وـبـيـنـ مـغـمـرـ
 سـقـنـكـ رـوـاـيـاـ المـزـنـ حـينـ تـصـوـبـ (٣)
 والمـغـمـرـ الـذـي لمـ يـجـربـ الـأـمـوـرـ . وـالمـزـنـ السـحـابـ الـأـيـضـ وـرـوـاـيـاـهـ
 ماـ حـمـلـ مـنـ الـمـاءـ : يـرـيدـ مـنـهـ الـآـتـدـلـهـ مـعـ مـنـ لـاـ حـكـمـ وـلـاـ خـبـرـ لـهـ
 وـقـالـ اـمـرـقـيـسـ :

فـقـدـلـتـ لـهـ وـقـولـ الـحـقـ مـاـ يـمـيلـ وـلـوـعـدـلـاتـ بـهـ الـجـبـالـ (٤)
 وـصـورـةـ عـدـلـيـ الدـابـةـ وـاضـيـحةـ فـيـ هـذـهـ المـوازـنـةـ ، وـمـنـ هـنـاـ اـطـلـقـواـ
 الـعـدـلـ عـلـىـ الـمـيـشـلـ قـالـ الـأـزـهـرـيـ : (ـالـعـدـلــ : الـمـيـشـلـ ، وـاـصـلـهـ فـيـ الـدـيـةـ
 يـقـالـ : لـمـ يـقـبـلـوـ مـنـهـمـ عـدـلـاـ وـلـاـ صـرـفـاـ . أـيـ لـمـ يـأـخـذـوـ مـنـهـمـ دـيـةـ ، وـلـمـ
 يـقـتـلـوـ رـجـلـاـ وـاحـدـاـ ، أـيـ طـلـبـوـ مـنـهـمـ أـكـثـرـ مـنـ ذـلـكـ) (٥) :
 وـبـيـدـوـ مـاـ مـرـ بـنـاـ مـنـ مـعـنـيـ الـعـدـلـ الـمـادـيـ اـنـ مـعـنـيـ الـفـسـادـ وـالـدـيـةـ
 لـيـسـ أـصـلـيـاـ بـلـ مـتـطـوـرـاـ عـنـ الـمـعـنـيـ الـمـادـيـ ، ذـلـكـ لـاـنـ الـعـدـلـ لـاـ يـعـكـنـ

(١) المعنى الكبير ١ : ٤٩٦

(٢) جـمـهـرـةـ الـلـغـةـ ٢ : ٢٨١ ، المـخـصـصـ ٦ : ١١٧ ، الـحـكـمـ ٢ : ١٠

(٣) دـيـوـانـ عـلـقـمـةـ الفـحـلـ : ١٠ ، وـانـظـرـ أـيـضـاـ دـيـوـانـ حـسـانـ : ١٨٢

(٤) دـيـوـانـ اـمـرـقـيـسـ : ٣٠٩

(٥) الـأـزـهـرـيـ عـنـ لـسـانـ الـعـربـ ١٣ : ٤٦٠ ، وـانـظـرـ أـيـضـاـ بـجـالـسـ ثـلـبـ

١ : ١١ ، الـحـكـمـ ٢ : ١٠ ، اـسـاسـ الـبـلـاغـةـ ٦٦٧ وـانـظـرـ

ان يوازن الا بحمل آخر مواز ، ومشابه له ومن هنا فهم معنى المماثلة ، والتشابه الذي أخذ منه معنى الفداء ، ذلك لأن الغرب قد اعتادوا في حياتهم ان ينتقموا لقتيلهم ، ولا يكتفون بعقاب قاتله بل جاوزوا ذلك الى ان يقتصوا من غير القاتل ، فيقتلوا نـدا له يعدهله في مقامه ، ومركزه . وما يروى في هذا الباب انه حين قتل جساس كلبيا عرض بنو تغلب علىبني بكر بن وايل ان يدفعوا لهم جسما ليقتلوه بصاحبهم أو يدفعوا لهم هـاما لانه نـد لكلب (١) وصورة حلي الدابة واضحة المعالم في هذه المعاني ، لأنهم لا يقتلون النـد الا اذا وازنوا بينه وبين قتيلهم . الا ان معظم اللغويين فرقوا بين معنى العـدل والـعـدـل قال الفـراء :

(العـدـل) : في قوله تعالى (او عـدـل ذلك صـيـاما) قال : ما عـادـل الشـيءـ من غـير جـنسـيهـ وـمعـناـهـ ، فـداء شـائـكـ اذا كـانـتـ شـاءـ ذلك ، والعـدـل ، المـشـلـ ، وذلك ان تقول عنـدي عـدـلـ غـلامـكـ وـعـدـلـ عـدـلـ شـاءـ او غـلامـ يـعـدـلـ غـلامـ . فإذا أردـتـ قـيمـتهـ من غـير جـنسـيهـ نـصـبـتـ العـيـنـ ، فـقلـتـ عـدـلـ ، وـرـبـعاـ كـسـرـهاـ بـعـضـ العربـ . قال بعض العربـ ، عـدـلـهـ ، وكـأـنهـ مـنـهـ غـلطـ ، اـنـقارـبـ معـنىـ العـدـلـ) (٢) . وما مرـيناـ يـدـوـ انـ المعـنيـنـ مـنـ اـصـلـ وـاحـدـ وـهـ عـدـلاـ الدـابـةـ إـلاـ انـ تـطـورـ معـانـيـ الـكـلـمـةـ ، وـدـلـالـتـهاـ جـعـلـ العـدـلـ يـفـتحـ العـيـنـ تـخـتـصـ بـعـنىـ المـشـلـ المـعـنـويـ ، وـالـعـدـلـ بـكـسـرـهاـ تـخـتـصـ للـدـلـالـةـ عـلـىـ

(١) خزانة الأدب ١ : ٣٠٢ ، الكامل لابن الأثير ١ : ٢١٨ سرح

العيون : ٩٧

(٢) لسان العرب ١٣ : ٤٥٩ ، وانظر أيضاً جامع البيان ١ : ٢٦٩

المِثْلُ المادي ، ويؤيد وجود الأصل الواحد قول الفراء في رواية بعض العرب العَدْلُ يكسر العين للدلالة على المِثْل . وقال الزجاج : (العَدْلُ والِعَدْلُ وَاحِدٌ) في معنى المِثْل . قال والمعنى واحد ، كأن المِثْل من الجنس أو من غير الجنس) (١) :

هذه المعاني المتعددة لمعنى العَدْل تستطيع ان نفهمها في الآيات الكريمة فقوله تعالى : (وَاتَّقُوا يَوْمًا لا تَجِزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئاً ولا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفاعة ، وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يَنْصُرُون) (٢) .

ان كل وسائل الشفاعة ، والتخلص من العقاب ينتفي وجودها يوم القيمة فلا يمكن ان يختص الانسان دفع الديبة ، والفساد ، ولا يؤخذ مكان الجرم عَدْلُهُ وَلَا نَدْهُ ، لأن (كل نفس بما كَسَبَتْ رَهِينَةً) (٣) :

وفي كل هذا نجد صوراً من البيئة العربية ، صورة مادية متمثلة في موازنة الدقيقة بين حلي الدابة ، وتنقلنا هذه الصورة الى العَدْلِ الدقيق في موازنة اعمال الشخص ، كما تجسد لنا صورة الفداء ، والديبة التي اعتادها العربي في بيته الحرية ، فنفت الآيات الكريمة وجودها ، لأن قضاء يوم القيمة عادل لا تشوهه شائبة من شوائب الظلم في الحياة الدنيا :

٢ - دقة الحساب :

أ - تصويرها بالموازين : إذا استعرضنا الآيات الكريمة التي تصور دقة الحساب يوم القيمة وجدنا فيها جانباً آخر من جوانب البيئة العربية فالقضاء يوم القيمة عادل ، لا يبخس الناس شيئاً تقاس فيه أعمال الخير

(١) لسان العرب ١٣ : ٤٥٩

(٢) سورة البقرة ٢ : ٤٨

(٣) سورة المدثر ٧٤ : ٣٨

والشر ، ويوازن بينهما بدقة بالغة ، وقد صورت هذه الدقة بالموازين والمعايير التي عرفها الغرب في بيئتهم ، وحياتهم الاقتصادية ففي سورة المؤمنون تصور الآيات الكريمة دقة الحساب وكيف ان الناس بعد نفح الصور يخشرون من قبورهم ، ثم توزن أعمالهم ويقارن بين السيء والصالح منها ، فتكون نتيجة الحساب اما الجنة واما النار : (فإذا نَفَخْ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ ، وَلَا يَتْسَاءَلُونَ ، فَنَّ تَقْرَبَتْ مَوَازِينُهُ فَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَمَنْ خَفَقَتْ مَوَازِينُهُ فَأَوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ) (١) . وقال تعالى ايضاً (والوزنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ، فَنَّ تَقْرَبَتْ مَوَازِينُهُ فَأَوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ، وَمَنْ خَفَقَتْ مَوَازِينُهُ فَأَوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِإِيمَانِهِ شَيْئاً يَظْلِمُونَ) (٢) . وهذه الموازنة عادلة لا تبخس أحداً شيئاً قال الله تعالى (وَنَصَّعَ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً ، وَانْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا يَهَا ، وَكُفِيَ بِنَا حِسَابَيْنَ) (٣) ،

واختلف المفسرون في تأويل هذه الآيات الكريمة هل المراد بالميزان وزن أعمال العباد حقاً في ميزان له كفتان ، يُعرف به المؤمن من الكافر والصالح من الحرام ؟ أم انه تصوير مجازي للعدالة والقضاء السوي ؟ . لقد ذهب ابن عباس وفريق من المفسرين المذهب الأول . أما التفسير الثاني فقد روى الطبرى عن مجاهد في تفسير قوله تعالى : (فَإِنَّا

(١) سورة المؤمنون ٢٣: ١٠١ - ١٠٣

(٢) سورة الاعراف ٧: ٨ - ٩

(٣) سورة الأنبياء ٢١: ٤٧

منْ كُفَّلَتْ موازينه) (١) . قال : (ليس ميزان انما هو مثل يضرب) (٢) . ونقل الطوسي عنه ايضاً : (الوزن عبارة عن العدل في الآخرة وانه لا ظلم فيها على أحد) (٣) . فمجاهد يرى في الميزان مثلا ضربه الله سبحانه وتعالى ليصور دقة الحساب بصورة ألفها الانسان في حياته .

وقد رد القاضي المعزلي عبد الجبار بن احمد على من اعترض على تفسير الموازين بالمحاجاة والحساب الدقيق قال : (وجوابنا ان المراد بذكر الموازين العدل في باب المحاجاة ، ولذلك قال تعالى بعدها (فلا تُنظِّلْ فُقْسَ شَيْئاً ، وَانْ كَانَ مِثْقَالَ حَبْيَةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) (٤) . وقال الزمخشري بعد ان نقل التأويل الأول (وقبل هي عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل فن ثقلت موازينه جمع ميزان او موزون ، أي فن رجحت اعماله الموزونة التي لها وزن وقدر ، وهي الحسنات ، او قانون به حسنةاتهم) (٥) .

فالله سبحانه وتعالى أراد ان يبين للبشر دقة الحساب الذي يحاسبون به يوم القيمة فصوره بهذه التصوير الرائع الذي لا ييمض احدا حقه . وحقيقة الموازنة لا تكون إلا بوضع شيء بكلفة ، يقابلها بالتكلفة الأخرى

(١) سورة القارعة ٦ : ١٠١

(٢) جامع البيان ٣٠ : ٢٨٢ ، وكذا فسر ابو عبيدة قوله تعالى في سورة

الحجر ١٥ : ١٩ ، انظر مجاز القرآن ١ : ٣٤٨

(٣) التبيان ٤ : ٣٧٩

(٤) تنزيه القرآن ، ٥٣٥ ، وانظر ايضاً أمالی الشريفي المرتضى ١ : ٩

تلخيص البيان : ١٤٢ ، متشابهات القرآن : ١١١

(٥) الكشاف ١ : ٥٤٠

شيء آخر ، فيوازن بينهما ، وهي نفس صورة الموازنة الدقيقة التي مرت
بنا في صورة عدلية الدابة . ومن هنا قالوا (فلان أوزنبني فلان أي
أوجههم) كما قال الخليل (١) . فكأنهم وزنوا بين رجاحة تفكيره وبين
تفكير قومه فوجدوه حكم منهم فقالوا هو أوزن منهم .
وإذا كان للكلام قيمة في نفس سامعه قالوا عنه انه يوزن وزناً (٢)
وإذا أراد شاعرهم ان يفخر بقبيلته قارن بينها وبين أعدائها بصورة تظهر
فيها رجاحة كفة قبيلته . قال الريبع بن زياد العبسي (٣) .
لئن رَحِلتْ جَمَالِي لَا إِلَى سُعَةٍ لَامْثُلُهَا سَعَةٌ عَرَضاً وَلَا طُولًا
بِحَيْثُ لَوْ وُزِّنَتْ لَخْمَهُ بِأَجْمَعِهَا
ما وَازَنَتْ رِيشَةً مِنْ رِيشِ سَمْوِيلَا (٤)

وهكذا تطور معنى الموازنة من الأصل المادي إلى المعنوي ، فالريبع
بن زياد حين أراد أن يبين عظمة قبيلة سمويل كفة ميزان فلم يجد
وقوتها تجاه نجم وضعفها صورها لنا بصورة مادية فكأنه وضع نجمًا في
ما يقابلها إلا ريشة من ريش سمويل ! إنها صورة متعلقة بالموازنة المادية
، والمعادلة بين اثنين متقابلين متماثلين .

وهناك معنى مادي آخر تطور عن معنى الموازنة الحسية إلا وهو
معنى الموازين المستعملة في الكيل والوزن ، وهي وإن كانت نتيجة للتطور

(١) عن المخصوص ٢ : ١٦٣

(٢) انظر البيان والتبيين ١ : ١١١ - ١١٢

(٣) هو الريبع بن زياد بن عبد الله بن سفيان بن زاذب العبسي ، أحد
دهاة العرب وشجاعتهم ورؤسائهم في الجاهلية نادم النعمان بن المنذر ثم أفسد
لبيد بينهما ، انظر الخبر ٢٩٩ - ٣٠٠ ، الأغاني ١٤ : ٩٢

(٤) شرح القصائد السبع : ٥٠٩

الاقتصادي والمعيشي في المجتمعات ، فإننا نجد فيها صورة مادية قوية الصلة بالموازنة البدائية المطلقة عن التحديد ، وذلك حين يوضع شيئاً في كفتين متوازيتين أو في عدلين متقابلتين . وقد عرف العرب الموازين ومعاييرها خاصة في البيئة المكية التي نزلت فيها الآيات الخمسة السابقة باعتبارها مركزاً دينياً يمحجه سنوياً عدد كبير من العرب ، وبذلك يتيمرون للمكيين سوقاً تجاريًّا للمبادلة والاستهلاك (١) . وقد عبر الباحثون على عدد من المثال المواتزين التي كانت مستعملة في اليمن وعدن وصنعاء (٢) وقد قالوا في اللغة وزنت الشيء وزناً ، والميزان معروف (٣) :

وفي القرآن الكريم آيات تأمر بايفاء الميزان والكيل ، وعدم الخسran في الوزن (٤) : مما يؤكد شيوع استعمال الموازين ومعرفة العرب لها . وهكذا صورت الآيات القرآنية الكريمة العدل المطلق يوم القيمة ورسمته بصورة مادية تنتقل إلى الذهن العربي صوراً عديدة من بيته . صورة الموازنة والمعادلة بين الأشياء ، وصورة الميزان الدقيق الذي لا يبخس أحداً حقه ، فاعمال العباد يوازن بينها موازنة دقيقة فيحاسب الإنسان على أعماله ان خيراً او شراً ، فإن كانت اعمال الخير اكثر من اعمال الشر ، كان جزاؤه الجنة والثواب ، وان غلت شرُوره حسنته لقي العقاب في جهنم ، وصور هذا الحساب الدقيق يكتفي الميزان لأنها اذا عودلت معادلة دقيقة لم تبخس الوزن شيئاً .

ب - المثال والذرة ، قال الله تعالى في سورة يونس : (وما تكون)

(١) محاضرات في تاريخ العرب لصالح العلي : ٩٤

(٢) التاريخ الجغرافي : ٥٠

(٣) الصبحاج ٦ : ٢٢١٣ ، وانظر ايضاً المخصص ١٢ : ٢٦٣

(٤) سورة المطففين ٨٣ : ١ - ٣

في شيء ، وما تollo منه من قرآن ، ولا تعمّلون من يحمل الا كنا
عليكم شهودا ، اذ نفیضون فيه وما يعزب عن ربک من مثقال ذرة
في الأرض ، ولا في السماء ، ولا اصغر من ذلك ولا اكبر الا في
كتاب مبين) (۱) . وقال الله تعالى ايضا : (يومئذ يصدّر الناس
أشتانا ليروا اعمالهم فن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، وَمَنْ
يُعَمِّل مثقال ذرة شرآ يره) (۲) :

فأعمال الانسان مهما كانت ضئيلة يجدها امامه يوم القيمة ، ويحاسب
عليها ان كانت خيرا او شرا ، وقد صورت هذه الدقة بمقابل الذرة .
والظاهر ان المثقال من معايير الاوزان الصغيرة وقد ذكر الجوهري انه
(واحد مثاقيل الذهب) (۳) . ومن الصعوبة يمكن ان نحدد مقدار هذا
الوزن ، لانه اختلف باختلاف البيئات والازمان (۴) . والمهم في هذا انه
اطلق مثلا في الصغر والضالة (۵) . ولا يهمنا كون المثقال من معايير
الاوzan التي استعملها البيزنطيون في امبراطوريتهم كما ذهب بعض الباحثين (۶)
انما المهم في ذلك ان المثقال كان معروفا في بلاد الشام ، وانتشر بين
العرب ، وخاصة في البيئة المكية على اعتبارها مركزا دينيا ، وممرا
للقوافل التجارية (۷) . مما يعطينا صورة لشروع استعمال المعايير عندهم

(۱) سورة يونس : ۱۰

(۲) سورة الزلزلة : ۹۹ - ۸

(۳) الصدح ۴ : ۱۶۴۷

(۴) انظر اغاثة الامة : ۴۹

(۵) الصدح ۴ : ۱۶۴۷ ، وانظر ايضا ديوان الشماخ : ۱۱۵

(۶) Ency . Of Islam . II . P . I023

(۷) انظر محاضرات في تاريخ العرب : ۹۴ وقد ذكر المثقال في الشعر مثلا

في الموازنة ، انظر البيان والتبيين ۳ : ۳۷۴ ، مجالس ثعلب ۱ : ۴۲۳

ثم فهمهم للآيات الكريمة التي ورد فيها ذكر الموازين والمعايير . وقد فسر المفسرون مثقال الذرة بأنه زنة ذرة ، واقتصر المثقال بالذرة بعطاينا صورة أوضح للدقة المقصود بيانها في الآيات الكريمة ، لأن الذرة هي النملة كما قال المفسرون (١) . وكذا قال اللغويون (٢) . وخصوصها باصغر النمل .

وهناك من فسر الذرة بان (كل جزء من أجزاء الهباء في الكوة ذرة) ، وفيه دليل على انه لو نقص من الاجر ادى شيء واصغره ، او زاده في العقاب لكان ظلماً ، وانه لا يفعله لاستحالته في الحكمة) كما قال الزمخشري (٣) . وكذا ورد المعنى في كتب اللغة (٤) :

واقتصر المثقال بالذرة بعطاينا صورة للدقة والعدالة التامة التي لا تترك للمرء حسنة قام بها في حياته الدنيا دون مجازاة ، ولا سيئة إلا ويحاسب عليها ، وقد قبل لعائشة رضي الله عنها وقد تصدق بحبة عنب ، أنتصدقين بحبة عنب ؟ قالت : ان فيها مثاقيل ذر (٥) . ويتصور لنا هذا القول دلالة الكلمة الذرة في الذهن العربي ، وكيف ان حبة العنبر الصغيرة فيها مثاقيل عديدة من الذر . وفي حديث الجاحظ عند ذكر قوله تعالى (فَسَنْ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلَ مِثْقَالَ

(١) تنوير المقيمان : ١٣٥ ، تفسير الخمسة آية : الورقة (٩٣) ، مجاز القرآن ١ : ٢٧٨ ، جامع البيان ١١ : ١٣٠ ، التبيان ٥ : ٤٦٠

(٢) مجالس ثعلب ٢ : ٤٧٥ ، جمهرة اللغة ١ : ٧٨ ، الصحاح ٢ : ٦٦٣ ، مقاييس اللغة ٤ : ٣٤٣ ، اساس البلاغة : ٢٩٦ ، لسان العرب ٥ : ٣٩١

(٣) الكشاف ١ : ٣٩٧

(٤) مقاييس اللغة ٢ : ٣٤٣ ، لسان العرب ٥ : ٣٩٠

(٥) الحيوان ٤ : ٣٢ ، نمار القلوب ٣٤٩

ـَذْرَةٍ شَرَّأَ يَرَهُ) (١) . قال : (فَكَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْغَيَايَاتِ فِي الصَّغْرِ ، وَالْقَلَةِ ، وَفِي خَفْفَةِ الْوَزْنِ وَقَلَةِ الرِّجْحَانِ) (٢) : وَقَالَ ثَعْلَبٌ أَنَّ مَائَةَ مِنْهَا وَزْنٌ حَبَّةٌ مِنْ شَعْبَرٍ فَكَانَهَا جَزْءٌ مِنْ مَائَةِ (٣) .

وَمِنْ هَذَا تَبَيَّنَ لَنَا صُورَةُ الْذَرَّةِ ، وَانْهَا اطْلَقَتْ عَلَى صَغَارِ الْأَشْيَاءِ مِنَ النَّمْلِ وَالْتَرَابِ الدَّقِيقِ النَّاعِمِ ، وَلَا يُوجَدُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَا مِنْ مَصَادِرِ مَا يُشَيرُ إِلَى اسْتِعْمَالِ الْعَرَبِ ذَرَاتِ التَّرَابِ أَوِ النَّمْلِ اسْسَاسًاً مَادِيًّاً لِلْمُوازِنَةِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ ، وَمَعَادِلَتِهَا ، إِلَّا أَنَّهُ يُعْكِنُ الْقَوْلَ بِأَنَّهُمْ رَبِّمَا اسْتَعْمَلُوهَا فِي الْمُوازِنَةِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ الدَّقِيقَةِ جَدًّا ، لَازْهُمْ ضَرَبُوا مِثْقَالَ الْذَرَّةِ مَثْلًا فِي الْقَلَةِ وَالْخَفْفَةِ (٤) :

وَمَا يَدْلِنَا عَلَى أَنَّ مِثْقَالَ الْذَرَّةِ فِي الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ ضَرَبَ مَثْلًا لِلدَّقَّةِ الْتَامَةِ فِي حِسَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ هُوَ وَرُودُ آيَاتِ كَرِيمَةٍ أُخْرَى فِي غَيْرِ مَجَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ . ضَرَبَ فِيهَا مِثْقَالَ الْذَرَّةِ مَثْلًا لِلدَّقَّةِ وَالْفَضَّالَةِ ، فَالْآللَةُ الَّتِي يَدْعُوهَا الْمُشْرِكُونَ لَا تَمْلِكُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ (٥) ، وَهَذِهِ الدَّقَّةُ نَفْسَهَا صُورَتْ بِتَعْبِيرِ آخَرِ افْتَرَنَ بِالْمِثْقَالِ إِيْضًا . قَالَ اللَّهُ سَبِّحَهُ وَتَعَالَى : (وَنَنْصُعُ الْمَوَازِينَ الْقَسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ . فَلَا تُظْلَمُ كُلُّ نَفْسٍ شَيْئًا ، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالًا حَبَّةٌ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ) (٦) . فَلَمْ تَكْتُفِ الْآيَاتُ الْكَرِيمَةُ بِذِكْرِ الْمَوَازِينِ الْعَادِلَةِ

(١) سورة الزلزلة : ٩٩ : ٨

(٢) الحيوان : ٤ : ٣٨

(٣) ثمار القلوب : ٣٤٩

(٤) ن : م

(٥) سورة ممبأ : ٣٤ : ٣

(٦) سورة الأنبياء : ٢١ : ٤٧

الى توزن بها أعمال العباد ، إنما ضربت حبة الخردل مثلا لدقة القضاء وعadalته : وحبة الخردل معروفة كما يقول الجوهري (١) . ومن كلمة الخردل جاء استعمال مادي آخر وهو قولهم **خُرَّدَلْتُ اللَّحْمَ** اذا قَطَعْتُه قطعا (٢) . وقال ابن فارس مفسرا العلاقة بين التعبيرين (**خُرَّدَلْتُ اللَّحْمَ** : قطعته وفرقتها ، والذي عندي في هذا انه مشبه بالحب الذي يسمى الخردل) (٣) :

ومن الواضح ان هذا التطور الجديد لمعنى الكلمة جاءها نتيجة لصغر حبة الخردل ومن هنا ضربت مثلا في الصغر والضآلة كما هو الحال مع الذرة (٤) :

ومع ان المصادر العربية لا تشير الى استعمال حبة الخردل في الوزن - كما هو الحال مع الذرة - فن المحتمل ان يكون العرب قد استعملوها عياراً صغيراً للموازنة بين الاشياء الدقيقة ، وضربت الآيات الكريمة حبة الخردل مثلا لدقة الحساب والموازنة بين اعمال البشر .

ومن هنا تنضح لنا الصورة المتعددة الجوانب التي تعكسها لنا الآيات الكريمة في تصوير الحساب الدقيق ليوم القيمة ، وذلك انه حساب عادل لا يقبل للكافرين وساطة احد ، ولا تقبل منهم فدية ، ولا عدل ، لأن

(١) الصحيح ٤ : ١٦٨٤

(٢) جمهرة اللغة ٣ : ٣٣٠ ، وانظر ايضاً الصحيح ٤ : ١٦٨٤ ، لسان

العرب ١٣ : ٢١٥

(٣) مقاييس اللغة ٢ : ٢٤٩ ، وانظر ايضاً :

Arabic English Lexicon . Book 1 . Part 2 . P . 721

(٤) الوحشيات : ٢١٦ ، الخمسة البصرية الورقة ٢٦٨ (أ) الأشباه

والنظائر : ٣٦

كل انسان محاسب على ما قدم وأخرين في حياته ، ويوازن بين أعماله موازنة دقيقة عادلة ، يضاف الى ذلك جوارح الانسان كشهود (١) عدل تشهد على ما اقترفه في الحياة الدنيا ، فلا تظلم نفس شيئاً ، ولا يضيع عمل احد أبداً .

٣ - نتيجة القضاء :

بعد ان توازن اعمال الناس ، وتتقاس حسناتهم وسيئاتهم تظهر نتيجة القضاء العادل ، ومعرفة الانسان لقضاء الله فيه صور بتعبير قرآني رائع له دلالته علي البيئة العربية ، والتفكير العربي ، الى جانب تعبيره عن الغرض الأصلي المراد منه بيان العدالة المطلقة لحساب يوم القيمة .

فالمؤمن يستلم نتيجة القضاء بكتاب يأخذه بيده اليمنى ، أما الكافر فانه يستلم كتابه بيده اليسرى قال الله تعالى : (يومَ نَدْعُو كُلَّ أَنْسَى بِمَا مِنْهُ ، فَنَ أُولَئِكَ كُتُبَهُ بِيَمِينِهِ ، فَأَوْلَئِكَ يَقْرَأُونَ كُتُبَهُمْ ، وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا) (٢) : وعند استلام الانسان كتابه بيديه يأخذنه الفرحة فلا يستطيع كتمانها فينادي الناس حوله ان تعالوا شاركوني فرحتي واقرأوا نتيجة قضاء ربى . . . : اما الكافر فلا حاجة له بقراءة كتابه لأن نتيجته معروفة ما دام قد استلمها بيده اليسرى . وفي سورة الحاقة نقرأ مشاهد عديدة ليوم القيمة حيث يمحاسب الناس بعد النفي فين استلم كتابه بيديه يجد النعيم والثواب ، ومن استلمه بشماله يجد العقاب والعقاب : (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً ، وُحِمِّلَتِ الْأَرْضُ وَالجَهَنَّمُ فُدِّكُتَ دَكَّةً وَاحِدَةً ، فِيهِ مِثْدُورٌ وَقَعَتْ الْوَاقِعَةُ ، وَانْشَقَتْ السَّمَاءُ

(١) انظر سورة فصلات ٤١: ٢٢

(٢) سورة الاسراء ١٧: ٧١

فهي يومئذ واهية ، والملك على ارجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثانية يومئذ تُعرَضون لا تخفي منكم خافية ، فاما من اوتى كتابة بيمينه فيقول : هاوم اقرأوا كتابيه ، اني ظننت اني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضيه ، في جنة عاليه واما من اوتى كتابه بشاليه فيقول ياليتني لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه ، ياليتها كانت القاضيه ... خلوه فغاوه ، ثم الجحيم صلوه ، ثم في سلسله ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه) (١) .

وبهذا التعبير نفسه اطلق اسم اهل اليمين على المؤمنين الذين فازوا برضا الله وثوابه . اما الكافرون فقد اطلق عليهم اهل الشمال قال الله تعالى : (واصحاب اليمين ، ما اصحاب اليمين ؟ في سدر مخصوص ، وطلع منضود ، وظل ممدو .. واصحاب الشمال ، ما اصحاب الشمال ؟ في سموم وسميم ، وظل من يحوم ، لا بارد ولا كريم) (٢) . وقد علل بعض المفسرين سبب تسمية المؤمنين باصحاب اليمين ، وتسمية الكافرين باصحاب الشمال فقال بعضهم لان الطائفة الاولى تستسلم كتابها بيمينها ، والثانية بشاليتها) (٣) او انهم يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة ، والذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار) (٤) . او يعني به اصحاب اليمين والبركة والثواب من الله تعالى واصحاب المشامة معناه الشر والنكد وعقاب الابد) (٥) .

(١) سورة الحاقة ٦٩: ١٣ - ٣٢ .

(٢) سورة الواقعة ٥٦: ٤٤ - ٢٧ ، وانظر ايضا سورة المدثر ٧٤: ٣٩ .

(٣) تنوير المقيامس : ٣٣٨ ، تفسير التسمرى : ٩٧ .

(٤) جامع البيان ٢٧: ١٧٠ ، التبيان ٩: ٤٨٩ .

(٥) التبيان ٩: ٤٨٩ .

وللمرء ان يتساءل : لماذا اصبحت اليمين دليل الخير ، والسعادة ، والشمال دليل الشر والعقاب المنتظر ؟ حتى اذا تسلم الانسان كتابه عرف نتيجة قضاء الله فيه من اليد التي يستلم بها كتابه .
 لقد ذكر الزمخشري توجيهها اديبا لهذه التسمية فقال مضيفا الى ما سبق ذكره من تعليل تسمية اهل اليمين واهل الشمال بقوله : (واصحاب الماشمة الذين يتوتونها بشمائهم او اصحاب المنزلة السنوية ، واصحاب المنزلة الدنيا ، من قوله : فلان مني باليمين ، وفلان مني بالشمال ، اذا وصفتها بالرفة والضفة ، وذلك لتعييدهم باليامين ، وتشاؤمهم بالشمائل ، وتفاؤلهم بالسانخ وتظيرهم من البارح ، ولذلك اشتقاو اليمن من اليمين ، وسموا الشمال الشؤمي : وقيل اصحاب الميمنة ، واصحاب الماشمة ، اصحاب اليمن والشوم ، لأن السعداء مبامين على انفسهم بطاعتهم والاشقياء مشائم عليها بمعصيتهم)(١) ومن هذا التعليل الاخير الذي يرى ان اهل اليمين سموا بذلك ، لأنهم مبامين على انفسهم ، وبالعكس اهل الشمال ، من هذا التعليل نعود الى الفكرة الاولى في اطلاق اليمين على الخير ، والشمال على الشوم ، ذلك اتنا اذا عدنا الى البيئة العربية وجدنا فيها صدى الآيات الكريمة واصحا في تفكير العربي ، وتوجيهه العربي ومثله . فالتشاؤم والتفاؤل لعبا دورا مهما في تفكير العربي ، وتوجيهه تصرفااته ، واعماله ، ولنبدأ باليمين والشمال لانها موطن بحثنا .
 واول ما يتبادر الى الذهن هو فكرة الزجر (٢) ، ذلك انهم كانوا

(١) الكشاف ٣ : ١٩٣ ، وانظر ايضا تفسير التسني : ١٢١ .

(٢) انظر حول فكرة الزجر الحيوان ٣ : ٤٣٨ فما بعدها ، الزينة : الورقة ٢٥٢ (أ) ، زهر الاداب ٢ : ٤٩٠ فما بعدها ، وقد ذكر ابن النديم الكتب المؤلفة في الفأل والزجر وما اشبه ذلك . انظر الفهرس ٤٥ ، وانظر ايضا تاريخ العرب لجواب علي ٥ : ٣٢٨ .

يصبحون على الطائر او الظبي اذا مر بهم ، فان انحرف الى جهة اليمين تفاءلاً به وهو السانح ، وان انحرف الى جهة اليسار تشاءموا منه وهو البارح (١) ، وقد ذكر بعضهم (٢) اختلاف القبائل العربية في التفاؤل ، والتشاؤم من البارح ، والسانح ، وليس لهذا الاختلاف اهمية كبيرة فيما نحن بصدده ، فالقرآن الكريم نزل بلغة قريش ، وتعابيرها ، واكثر ما وردنا من الشعر يمثل لنا الوجهة الاولى في التفكير العربي : وهى التفاؤل من السانح ، والتشاؤم من البارح . قال زهير بن ابي سلمى :

فَلَمَّا أَنْ تَحْمِلَ أَهْلُ لَيْلٍ جَرَّاتٌ بَيْنِي وَبَيْنَهُمُ الظِّبَاءُ
جَرَّاتٌ سُنْحَاحًا فَقَلْتُ لَهَا أَجِزِي نَوْيَ مَسْمُولَةً فِي الْمَقَاءِ (٣)

وهناك تعليل لطيف اشار اليه المبرد لفكرة التفاؤل من الطائر إذا مر الى جهة اليمين ، والتشاؤم منه إذا مر الى جهة اليسار قال : (والعرب تزجر على السانح وتبترك به ، وتذكره البارح ، وتشاءع به . (والسانح ما أراك ميسره فأمكّن صائدك ، والبارح ما أراك ميامنه فلم يمكّن الصائد إلا أن ينحرف له) (٤) . وذكر ابن الأثير هذا التعليل مفصلاً فيه : (والسانح ما مر من الطير والوحش بين يديك من جهة يسارك الى يمينك والعرب تینمن منه لأنه أمكن للرمي ، والصيد . والبارح ما مر من يمينك الى يسارك والعرب

(١) جمهرة اللغة ١ : ٢١٦ ، الصبحاح ٢ : ٦٦٨ ، مقاييس اللغة ١ : ٢٣٩ ، اساس البلاغة : ٣٩٤ .

(٢) جمهرة اللغة ١ : ٢١٦ ، المعاني الكبير ١ : ٢٧٣ ، وانظر ايضاً :

Ency. Of Religion : Vol. 4. P. 816 .

(٣) شرح ديوان زهير : ٥٩ ، وانظر أيضاً شرح ديوان لبيد : ١٤٤ .
ديوان عنترة : ٤١ ، ديوان جران العود : ٣ ، ٥٣ ، ديوان الحماسة : ١٧٩ .

(٤) الكامل للمبرد ١ : ٢٧٦ .

تتطير به ، لأنها لا يمكنك أن ترميه حتى تتحرف) (١) .

ويتبين لنا من هذا التعليل اللطيف مدى تأثير البيئة على تفكير الإنسان وسلوكيه سبل الحياة . فالبيئة العربية شحيحة بالمواد الغذائية ، مفتقرة إلى ما يقوّم حياة البدوي فهمه أن يحروب الفيافي يتبع ظبياً ، أو يخاطل طائرًا ليحصل على رزق يومه فإذا تمكّن من صيده فذلك فرحته وغبناته يرجع إلى أهله مسروراً ، وإن لم يتمكّن من صيده رجع خائباً ومن هنا جاءت فكرة تفاؤله ، وتشاؤمه ، لأن مرور الطائر إلى يمين الصائد معناه التمكّن من صيده ، وبعكسها ان ابتعاده إلى جهة اليسار ، فإنه بذلك يبتعد عن سلاح الصيد الذي يحمل عادة باليد اليمنى ، فيفلت الطائر من صيده .

هذه هي الفكرة الأساسية للتفاؤل من السانح ، والتشاؤم من البارح أو بالأحرى فكرة اليمين والشمال . وقد ظلت هذه الفكرة عالقة في ذهن العربي حتى في الحالات التي لا يروم فيها الصيد ، وأصبح يستدل من حركات الحيوانات على ما يستقبله من خير أو شر ، كما كانت حاله من قبل مع صيده إذا مر إلى اليمين ، أو الشمال) (٢) .

ويتبين مما مرّ بنا أن يدي الإنسان هما الأساس الأصليان في ظهور فكرة التفاؤل ، والتشاؤم . وكون اليدين اليمين هي القوية التي تعين الإنسان على صيده هو الذي أوحى لهم بالتفاؤل من الطائر ، أو الطيور إذا مر

(١) النهاية في غريب الحديث ١ ، ٨٥ .

(٢) انظر شرح ديوان كعب بن زهير : ٢٤٠ ، شرح أشعار المذلين

١ : ٤٢ . المعاني الكبير ١ : ٥٦١ . جهرة أشعار العرب : ٤٣ . وانظر أيضًا المخصص ٦ : ١٩٥ ،

سانحاً ، ومن هنا ايضاً جاء اطلاقهم اسم الشؤمى على اليد اليسرى (١) . وقد ورد ذكر اليمين في القرآن الكريم دالة على القوة ، وذلك في قصة النبي موسى (ع) (فَتُولُوا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ، فَرَاغَ إِلَى أَهْسَاهِمْ) . فقال : ألا تأكلون ؟ مالكم لاتنطقون فراغاً عليهم ضرباً باليمين (٢) فقد اقترن الضرب في الآية الأخيرة باليمين ، لأن فيها القوة وشدة البطش فأخبرنا في الآية عن شدة ضربه لها ، وإنما ذكر اليمين لأن قوة كل شيء في ميامنه (٣) . وقال تعالى أيضاً : « وَلَوْ تَقْتَوْلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَوِيلِ ، لَا خَيْرٌ نَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ » (٤) .

ومن ثم اقترن دالة اليمين في الذهن العربي على الخير ، والبركة ، لأنها مركز القوة ، والسيطرة اللتان تشكلان عmad حياة العربي في بيته المتخصصة ، المتطاحنة ، فإذا أرادوا بيان مكانة الرجل عندهم قالوا : انه بمنزلة اليمين ، وبعكسها إذا أرادوا تحقيقه قالوا هو بمنزلة الشمال ، قال ابن الدمينة (٥) :

(١) المخصوص ٢ : ٣ .

(٢) سورة الصافات ٣٧ : ٩٠ - ٩٣ .

(٣) مجالس ثعلب ٢ : ٤٦٩ . وانظر أيضاً اسرار البلاغة : ٤٠٢ ،
الخصائص ٣ : ٢٤٩ ، تلخيص البيان : ٢٨٧ ، الكشاف ٣ : ٣٩ .
متشابهات القرآن ١ : ٨٠ . وانظر الشعر في ديوان الشماخ : ٩٧ .

(٤) سورة الحاقة ٦٩ : ٤٤ - ٤٦ .

(٥) هو عبد الله بن عبيد الله بن أحمد من خشعم ، والدمينة أمّه ، شاعر بدوي كان رقيق الشعر ، وهو من شعراء العصر الأموي ، اغتاله مصعب بن عمر السلوبي ، وهو عائد من الحج نحو سنة ١٣٠ هـ . انظر معجم الشعراء : ٤٠٢ والأغاني ١٥ : ١٤٤ .

أبْنِي أَفِيْ يُمْنِيْ أَيْدِيكِ جَعْلُتْنِيْ فَأَفْرَحْ أَمْ صَبَرْتْنِيْ فِي شَمَالِكِ (١)
 أَيِّ هَلْ أَنَا مِنَ الْمَقْدِمِينَ عَنْكِ أَمْ مِنَ الْمَؤْخِرِينَ ؟
 وَمِنْ مَجْمُوعِ هَذِهِ الدَّلَالَاتِ اشْتَقُوا مِنَ الْيَمِينِ الْيَمِينَ لِلَّدَلَالَةِ عَلَى الْبَرَكَةِ
 وَالْخَيْرِ ، فَإِذَا امْتَدَحُوا شَخْصًا قَالُوا عَنْهُ أَنَّهُ مِيمُونَ (٢) وَمِنْ هَنَا نَرَى
 أَنَّ التَّعْبِيرَ الْقَرَآنِيَّ الْمَعْجَزِ يَعْطِي مِنَ الصُّورِ وَالْإِيمَاعَاتِ مَا تَعْجَزُ عَنِ التَّعْبِيرِ
 عَنْهُ صَفَحَاتٍ طَوِيلَةً .

(فَأَمَّا مَنْ أَوْتَ كَتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ : هَؤُمْ اقْرَأُوا كَتَابِهِ ، أَنِي
 ظَنَنْتُ إِنِّي مُلَاقٌ حِسَابِهِ ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَّةٍ ...
 وَأَمَّا مَنْ أَوْتَ كَتَابَهُ بِشَمَائِلِهِ ، فَيَقُولُ : يَا لَيْسَتِنِي لَمْ أَوْتَ كَتَابِهِ ، وَلَمْ
 أَدْرِي مَا حِسَابِهِ ، يَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَّةُ ... خُذُوهُ فَعَلَّوْهُ ، ثُمَّ الْجَحِيمُ
 صَلَّوْهُ ، ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرَّعُهَا سَبْعَوْنَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ) (٤) . فَالآيَاتُ
 الْكَرِيمَةُ لَمْ تَفْصِّلْ فِي كَيْفِيَّةِ مَعْرِفَةِ النَّاسِ نَتْيَاجَةِ قَضَاءِ اللَّهِ فِيهِمْ ، وَإِنَّا
 عَرَضْتُ فِي تَعْبِيرِ جَامِعٍ لِكُلِّ الصُّورِ وَالْإِيمَاعَاتِ الَّتِي يَتَصَوَّرُهَا الْذَّهَنُ الْعَرَبِيُّ
 لِلْيَمِينِ ، وَالْبَرَكَةِ وَالشَّوْمِ ، وَالشَّرِّ . فَإِذَا أَرَدْنَا الْمَعْنَى الْعَامَ الْمَقْصُودَ مِنَ
 الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ فَهُمْ نَعْلَمُ أَنَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَعْدَ أَنْ يَقْضِي بَيْنَ النَّاسِ قَضَاءَ
 عَادِلًا يَنْقُسمُ النَّاسُ إِلَى قَسْمَيْنِ نَتْيَاجَةِ أَعْمَالِهِمْ فَإِذَا كَانَتْ حَسَنَةٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
 وَأَثَابَهُمْ وَإِنْ كَانَتْ سَيِّئَاتِهِمْ كَثِيرَةً يَسْوِيُوا ، لَمَا يَنْتَظِرُهُمْ مِنَ الْعِقَابِ ، وَالْعَذَابِ .
 هَذَا الْمَعْنَى نَجْدَهُ فِي الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ مُحْلَّيًّا بِاطَّارَ مِنَ الصُّورِ ، وَالْإِيمَاعَاتِ

(١) دِيْوَانُ ابْنِ الدَّمِيْنَةِ : ١٧ .

(٢) وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْفَكِرَةُ فِي بَعْضِ الْأَسَاطِيرِ الْعَرَبِيَّةِ اَنْظُرْ تَارِيخَ

الْعَرَبِ لِلْأَصْمَعِيِّ : ١٤ ،

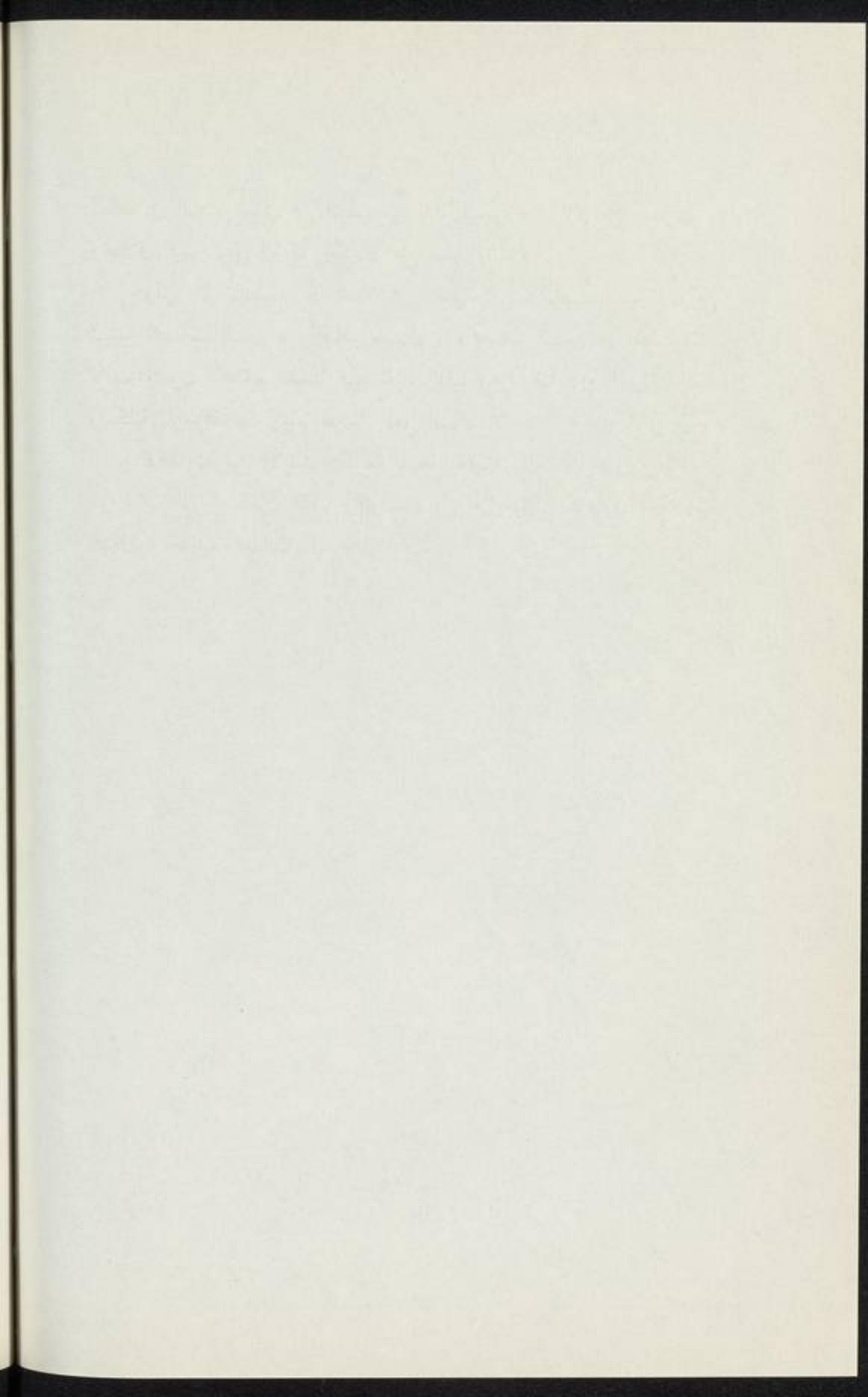
(٣) جَهَرَةُ الْلُّغَةِ ٣ ، ١٨١ ، لِسَانُ الْعَرَبِ ١٧ : ٣٥ .

(٤) سُورَةُ الْحَافَةِ ٦٩ : ١٩ - ٢٢ ، ٢٤ - ٣٢ .

العلاقة في الذهن العربي في التيمن من اليد اليمنى والتشاؤم من اليسرى ،
واطلاق اليمن على البركة والشمال على الشر والشؤم .

ومن هنا نستطيع أن نجمع كل المعاني التي ذكرها المفسرون في
تسمية أصحاب اليمن ، وأصحاب الشمال . فأصحاب اليمن هم المفضلون ،
لأنهم يثابون لأنهم الحسنة في الحياة الدنيا وهم أيضاً ذوي المزلة الحسنة
والمكانة المرموقة عند ربهم بعكس أهل الشمال .

هكذا تعرض الآيات الكريمة نتيجة القضاء بين الناس ، وإن المؤمنين
– أصحاب اليمن – يلقون النعم والثواب ، على حين يلقى الكافرون – أصحاب
الشمال – العقاب والعذاب .



الفَصْلُ الْخَامِسُ

العقاب

- ١ - عذاب النار
- ٢ - تسميتها
 - أ - جهنم
 - ب - الماوية
 - ج - الجحيم
 - د - السعير
- ٣ - طيب النار
- ٤ - شررها
- ٥ - شراب اهل النار
 - أ - الحمي
 - ب - الصديد
- ج - المهل
- ٦ - طعامهم
 - أ - الضريع
 - ب - الزقوم
- ٧ - صنوف اخرى من العذاب
 - أ - السلائل والاغلال
 - ب - طلاء القطران

171

عذاب النار :

بعد ان يحاسب الناس حساباً دقيقاً ، ويقضى بينهم ينقسمون الى فريقين : فريق المجرمين حيث العقاب والنار ، وفريق المؤمنين حيث الجنة والثواب . وفي المقابلة بين الصورتين يتجلّ الاعجاز القرآني في تصوير البون الشاسع بين عقاب المجرمين ، ونعم المؤمنين ، وكلتا الصورتين تشير في النفس احساس وصورة شتى تزاءد فيها ملامح البيئة العربية واضحة كل الواضح ، كما نجد فيها صوراً انسانية زاخرة بالحياة . يقرأها المرء فيفزع من صور العذاب ، ثم يعود ليطمئن ، ويرتاح عند قراءته لآيات النعيم . قال الخطابي ذاكراً بلاغة القرآن وتأثيره السحرى في النفوس (فانك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ، ولا منتشر ، اذا قرع السمع خلص الى القلب في اللذة ، والحلوة في حال ، ومن الروعة ، والمهابة في اخرى ما يخلص منه اليه ، تستبشر له النفوس ، وتنشر له الصدور ، حتى اذا اخذت حظها منه ، عادت مرتاحه ، قد عرها الوجيب ، والقلق وتشاهدا الخوف والفرق ، تشعر منه الجلود ، وتزوج له القلوب ...) (١) . قال الله تعالى : (فاما من اوت كتابه بسمينه فيقول هؤم اقرؤا كتابيه اني ظنتست اني ملاق حسابيه ، فهو في عيشة راضية ، في جنة عاليه ، قطوفها دانية) كلاوا واشربوا هنئا بما أسلفتم في الأيام الخالية واما من اوت كتابه بشهائه فيقول : يا ليتني لم اوت كتابيه ، ولم ادر ما حسابيه ، ياليتها كانت القاضية ، ما اغنى عني ماليه ، هلمك عني سلطانيه ، تحذوه فخاوه ثم الجحيم صلواه ثم في سلسلة ذر عها سبعون

(١) رسالة في بيان اعجاز القرآن ٦٤ .

ذراعاً فاسلكوهُ ، إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ . . .) (١) . انه الاعجاز القرآني الرائع الذي ينقل النفس في لحظات متعددة من المدح والشامل ، والنعيم الرائع ، تنساب فيه ، وتنتأمله باعجاب ، الى الخوف والرعب والعذاب الموجع ترتع من منه ، وتتصدع خوفاً وهلعاً قصور النار ، وعذابها الرهيب قد اذهلت المسلمين من عرب واعاجم ، كما اذهلت غير المسلمين ، فراحوا يبحثون عن تعليل يعللون به الرهبة العظيمة التي تشيرها التعبير القرآنية في وصف نار جهنم ولظاها :

لقد عال المتكلمون ترهيب زرادشت لاصحابه ، وتوعده لهم بعقاب الثلج دون النار بان زرادشت كان من اهل بلخ ، وهي منطقة لم يعرف سكانها (الا الاذى بالبرد ولا يضربون المثل الا به) ، حتى يقول الرجل لعبدة : لئن عدت الى هذا لازعنَ عنك ثيابك ، ولا قيمنتك في الريح ، ولا وقفتَكَ في الثلَجَ ، فلما رأى موقع البرد منهم هذا الموقع ، جعل الوعيد بتضاعفه ، وظن ان ذلك ازجر لهم عما يكره) (٢) .

وهذا التعليل صادر عن فكر عميق عارف باثر البيشة ، واهميتها ، بالنسبة لتفكير السكان ، وطبعي ان يناقش المحبوب وغيرهم عذاب نار الآخرة في القرآن الكريم من هذه الوجهة ايضاً ، فقال بغضهم : (فعلل ايضاً صاحبكم ائم توعد اصحابه ، لأن بلادهم ليست ببلاد ثلج ، ولا دمق واما هي ناحية الحررور ، والوهج ، والسموم ، لأن ذلك المکروه ازجر لهم) (٣) . وقد رد الباحث على هذا الادعاء بان العرب لم يعرفوا السموم

(١) سورة الحاقة ٦٩ : ١٩ - ٣٤ .

(٢) الحيوان ٥ : ٦٧ .

(٣) ن . م ٥ : ٦٩ والدمق : الثلَجَ مع الريح يغشى الانسان من كل أوب حتى يكاد يقتل من يصيبه .

والوهج القاتل فحسب ، إنما عرّفوا التطرف المناخي في بيئتهم من حر ، وبرد . قال : (فقلت له : ان أكثر بلاد العرب موصوفة بشدة الحر في الصيف ، وشدة البرد في الشتاء ، لأنها بلاد صخور ، وجبال . والصخر يقبل الحر والبرد ، ولذلك سمت الفرس بالفارسية ~~العرب~~ والأعراب « كهيان » والكل بالفارسية هو الجبل ، فتى أحببت ان تعرف مقدار برد بلادهم في الشتاء ، وحرها في الصيف ، فانظر في اشعارهم ، وكيف قسموا ذلك ، وكيف وصفوه ، لتعرف ان الحالين سواء عندهم في الشدة) (١)

ورد الجاحظ هنا مفهوم للزرادشتية ، ومن يذهب مذهبهم ، لأن النار التي يصفها الله سبحانه وتعالى في قرآن الكريم لم يصفها عقابا للعرب فحسب وإنما هي عقاب وترهيب للبشرية جماء ، يرهب منها الناس الذين عانوا لظى الحر الشديد ، كما يرهب منها من لم يعان الحر ، لانه عرفها من الوجهة الثانية حين أخذ النار وسيلة للتهدئة وقت البرد .

ونجد مصداق قول الجاحظ في تأمل مناخ البيئة العربية المتطرف ، ذلك لأن العرب عرّفوا التطرف المناخي في بيئتهم ، وساعدتهم هذه المعرفة على تصوّر الصور الرهيبة لعذاب الآخرة لأنهم عانوا بعض جوانبها أيام الحر والسموم ، كما ساعدتهم أيام البرد الشديد على معرفة النعم الرائعة الذي وعد به المتقون في جنة معتدلة الهواء ، وارفة الظلال :

فقد وصفت معظم اقاليم الجزيرة العربية بشدة الحر ، والسموم المؤذية (٢) . وفي الاحاديث النبوية الشريفة ما يعكس شدة الحر التي كان المسلمون يعانونها في بعض المواسم حتى امر الرسول (ص) بتأخير

(١) الحيوان ٥ : ٦٧

(٢) احسن التقاسيم : ٩٥ ، آثار البلاد : ٨٦ .

صلوة الظهر الى ان تمر الماجرة لانها كما يقول : (شدة الحر من فيح جهنم) (١) .

اما شدة الحر في مكة فيعكسه حديث نبوي اخر وهو قوله (ص) (من صبر على حر مكة تباعدت منه جهنم مائة عام ، وتقربت منه الجنة مائة عام) (٢) ، وعدم تحديد النبي (ص) لمدة الصبر يزيد في تصوير شدة الحر واظاه في مكة .

وكذلك صفة المدينة وحرها التي يكون فيها النبي (ص) شفيعاً لمن يصبر على لأواعها (٣) .

اما في الشعر العربي فاننا نجد فيه صور الحر يعرضها الشعراء بدقة وتفصيل لا نجدها في المعاجم الجغرافية . فقد وصفوا سيرهم وقت الماجرة ، وكيف ان شدة الحر تجاوز أذاتهم الى اذى حيواناتهم . فالناقة يصيبها المزال (٤) . وتحتقر الظباء والثيران ^{كُسْنَا} تتنقى فيها لفح الماجرة (٥) وفصلوا في وصف صورة الحيوانات حين تنزى من اذى الرمضاء كالضباب (٦)

(١) الموطأ ١: ١٦ ، سنن أبي داود ١: ٩٦ ، الجامع الصحيح ١: ٢٩٥

(٢) مختصر البلدان ١٧ ، معجم البلدان ٤: ٦١٩ .

(٣) مسندي الإمام أحمد ٢: ١١٣ ، ١١٩ ، ٢٨٨ ، ٣٤٣ ، ٣٩٧ ، وانظر

ايضاً اثار البلاد ١٠٨ ، وفاء الوفا ١: ٤ فما بعدها .

(٤) انظر ديوان الشماخ: ١٣ .

(٥) ديوان طرفة: ٣٨ ، ديوان سعيم: ١٥ ، ديوان الشماخ: ١٢ ، المفضليات

١٣٣ ، شرح القصائد: ١٦٢ .

(٦) انظر الحيوان ٦ ، ١٣٦ .

والخداب (١) ، والحرباء (٢) ، بل نرى بعضهم يبالغ في وصف هبب الحر فيقول عنه انه يكاد يشوى اللحم (٣) او ان ملابسهم تكاد تشتعل لشدة لفح الماجرة (٤) .

ووصفو ا أيام الحر باوصاف كثيرة واسماء عديدة (٥) . على ان شدة الحر هذه لا تؤيد قول من اعرض بان عذاب الآخرة كان بواسطة النار لان العرب اهل سهوم ، وحر شديد ، ذلك لأنهم مع معاناتهم الحر الشديد ، فقد عانوا البرد القارص في بيتهم ايضاً (٦) ، وذكروه في اشعارهم - وان لم يصلح مبلغ الحر في اذاه وشدته - وقد فسر بعض المفسرين الغساق الذي يسقاهم اهل النار (٧) ، بأنه السائل الذي لا يستطيعون ذوقه لشدة برده (٨) مما يدلنا على انهم عرفوا اذى البرد كما عرفا اذى الحر ، وانهم فهموا ان البرد يمكن ان يكون وسيلة من وسائل التعذيب . ومعرفتهم للحر والبرد هو الذي ساعدهم على تصور عذاب القيمة ، وتخيل نعيم الجنة ،

(١) انظر ديوان كعب بن زهير: ١٦ ، المفضليات : ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، الملاهي واسماؤها الورقة ٣٢ .

(٢) انظر ديوان امرىء القيس ٣٠٤ ، ديوان كعب بن زهير ، ١٤ ، ٢٥٢ ، ديوان شعر ذى الرمة : ٤٧ ، اراجيز العرب : ١٠ ، الحيوان ٦ : ٣٦٦ .

(٣) المفضليات : ١٩٩ شرح ديوان الحماسة ٤ : ١٨٠٣ .

(٤) ديوان القطامي: ٢٦ ، ٢٧ ، اراجيز العرب : ١٢١ .

(٥) العين : ١٥ ، الازمنة لقطرب : ٤٠ .

(٦) انظر الفصل السادس : الثواب بالجنة - ٢ - اعتدال جوها .

(٧) سورة ص ٣٨ ، ٥٧ ، النبأ ٧٨ : ٢٥ .

(٨) جامع البيان ٣٠ : ١٣ - ١٤ ، الكشاف ١٨٤٣ .

وما مر بنا تتبين لنا شدة الحرارة التي كان العرب يعانونها في بيئتهم
 وإنما جاوزت أذاهم إلى أذى حيوانهم ، ودواهم ومن هنا نستطيع ان نتصور اي
 إيحاء رهيب ترسمه الآيات الكريمة في وصف هول النار ، وعذاب هبها
 قال الله تعالى واصفا لظى النار الحرق : (يُبصرونَهُم بَوْدَ الْمُجْرُمُ)
 يفتدي من عذاب يومئذٍ بِسْتِيْهِ ، وصاحبتهِ وأخيهِ ، وَفَصِيلَتِهِ التي
 تُنْوِيهِ ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَيْعًا ثُمَّ يُنْجِيْهِ ، كَلَّا إِنَّهَا لَسَطْنَى ، كَنْزَاعَةٍ
 لاشَوَى ، تَدْعُو مِنْ أَدْبَرٍ وَتَوَلِّ) (١) . إنها صورة تعيد إلى الذاكرة
 أذى الحر ولفع الماجرة حتى إذا تجسدت هذه الصورة جاءت الآيات
 القرآنية الكريمة لتزيد إيحاء الرهبة ، والملع بان حر النار وعقابها لا يقارن
 بصورة من صور الحياة الدنيا ، ولا تدركه عقول البشر منها تخيلته ،
 (سَأُصْلِيهِ سَقَرًّا ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرًّا ، لَا تُبْقِي ، وَلَا تَذْرُ لَوْاحَةً
 لِلْبَشَرِ) (٢) . وقال تعالى أيضا : (كَلَّا لَيَنْبَذِنَ فِي الْحُحَطْمَةِ ، وَمَا
 أَدْرَاكَ مَا الْحُحَطْمَةُ ، نَارُ اللَّهِ الْمُوْقَدَةُ ، الَّتِي تَنْتَلَعُ عَلَى الْأَفْنَادِ) (٣)
 انه استبعاد للذهن من ان يتصور نار الآخرة كما يصفها الله سبحانه وتعالى
 ولكنه يستطيع ان يتصور بعض ملامحها فيما عاناه في حياته الدنيا من الازى
 والعذاب ، وما ترسمه الآيات القرآنية الكريمة من صور العذاب في البيئة
 العربية .

(١) سورة المعارج ٧٠: ١١ - ١٧ .

(٢) سورة المدثر ٧٤: ٢٦ - ٢٨ .

(٣) سورة الحمزة ١٠٤: ٤ - ٧ .

٢ - تسميتها :

ورد تعبير النار في احدى وعشرين ومائة آية في القرآن الكريم (١) على أنها دار العذاب التي يخل بها الحبرون يوم القيمة ، ويعذبون بلهبها ولظاها الحرق . وقد سميت بعدة أسماء تجتمع كلها لرسم صورة العذاب ، الرهيبة . فقد أطلق عليها اسم جهنم ، والجحيم ، وهي نار الحريق (٢) ، واللاضي (٣) وهي السعير وستقر .

١ - جهنم :

أما جهنم فقد اختلف المفسرون في أصلها ، فقال بعضهم أنها عربية وأنها مشتقة من قولهم بئر جهَنَّم ، لل بعيدة الفَعْرُ (٤) . وقال بعضهم أنها عربية مأخوذة من التَسْجِنَهُمْ والتَكَرُّهُ ، ويقال جهنم الوجه أي كريه الوجه (٥) .

(١) انظر المعجم المفهرس ٧٢٣ - ٧٢٥ .

(٢) سورة آل عمران ٣ : ١٨١ . الأنفال ٨ : ٥٠ ، الحج ٩ : ٢٢ .

البروج ٨٥ : ١٠ :

(٣) المعارج ٧٠ : ١٥ ، سورة الليل ٩٢ : ١٤ .

(٤) وقد وردت في سبع وسبعين آية انظر المعجم المفهرس ٧٧ : ١٨٤ - ١٨٥ .

(٥) انظر الاشتقاء : ٣٥٤ ، جمهرة اللغة ٣ : ٤٠٤ ، المخصص ١٠ : ٣٦ .

لسان العرب ١٤ : ٣٩٦ ، المهاية في غريب الحديث ١ : ١٩٢ ، الألفاظ السريانية ، مجلة الجمع العلمي العربي م ٢٣ ج ٣ : ٣٤٥ .

(٦) الزينة : الرازي ٢١٢ .

أما الفريق الثاني فقد قالوا بأعميتيها ، وختلفوا في أصلها أيضاً ، فقال بعضهم أنها فارسية (١) ، وقال آخرون بل هي سريانية (٢) . ويبدو أن أرجح الأقوال هو قول من قال بأنها عبرية الأصل . قال يونس بن حبيب وقبل هو تعریب كهنتام بالعبرانية (٣) ، ويرى . كارادي فو : إن الكلمة مشتقة من اللفظ العربي جِيحوْن ، أو وادي هِينَوْم (٤) وكان وادياً بالقرب من بيت المقدس تُقَدَّم فيه القرابين (٥) . ومع ترجيحنا كون جهنم عبرية الأصل ، فإننا نجد فيها دلالة واضحة للبيئة العربية ، وذلك أن الألفاظ الأعمية حين تطلق على مسمياتها ، إنما تعكس سبب اختيار العرب لها ، وتعكس لنا تفكير من أطلقها ، ودلائلها في ذهنه . فجهنم حين عرفت في العبرية بالوادي العميق ، وجد العربي فيها صورة لظاهر من مظاهر بيته ، ألا وهي صورة الآبار التي اعتمدت عليها في حياته إلى جانب الأمطار . فكان منها العميقa الفعر ، وكان منها الصغيرة الضحلة ، فاستعار لفظة جهنم للدلالة على البشر العميق (٦) ومن هنا جاء التعبير القرآني ليربط بين المعنى المادي المستمد من البيئة العربية وبين أصل الكلمة الذي عرفته العبرية بالوادي العميق ومع ان الكلمة عبرية الأصل فمن الممكن أن نضيف إلى معناها قول من قال إنها عربية

(١) الصلاح ٥ : ١٨٩٢ ، المغرب : ١٠٧ ، المفردات : ١٠١ .

(٢) الألفاظ السريانية ، مجلة الجمع العلمي العربي م ٢٣ ج ٣ : ٣٤٥ .

(٣) انظر لسان العرب ١٤ : ٣٩٧ .

(٤) انظر الكلمة في قاموس الكتاب المقدس ٢ : ٤٥٤ .

(٥) دائرة المعارف الإسلامية ٧ : ١٩٥ ،

(٦) راجع الصفحة السابقة .

الأصل ، وأنها مشتقة من التجهم والتكره (١) ، ذلك لأن هذا المعنى يعطينا فكرة عن الصورة التي رسّها العربي في ذهنه لجهنم . وكيف أنها شديدة على الكافرين ، تخطّمهم ، وتأخذهم بقوّة (٢) . وهي عميقـة القعر بعيدة الأغوار ، يهوي فيها المجرم ، فلا يجد له قراراً ، وهو معنى ، رسّه تعبير قرآنـي آخر وهو :

ب - الهاوية :

قال الله تعالى : (فَأَمَّا مِنْ ثَقْلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ راضِيَةٍ ، وَأَمَّا مَنْ خَفَقَتْ مَوَازِينُهُ فَأُمَّمَ هَاوِيَةً ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ ؟ نَارٌ حَامِيَةٌ) (٣) . فقد قالوا في تفسير الهاوية بأنّها سميت كذلك لأنّها عميقـة يهوي من يرمي بها إلى قعرها العميق (٤) .

(١) راجع الصفحة السابقة .

(٢) وقد تعسف كارادي فوفي شرحه لتصور المسلمين في جهنم حين زعم أن الرسول (ص) تمثّلها في بعض الآيات على صورة حيوان . فهي في نظره أشبه بوحش هائل فغر فاه ، وكشف عن أنبياته وتأهّب لالتهام المغضوب عليهم . انظر دائرة المعارف الإسلامية مادة جهنم ٧ : ١٩٦ . وهذا تعسف من الكاتب لأنّ الأسلوب القرآنـي المعجز قد سار في معظم آياته - خاصة في الترهيب والترغيب - برسم صور مجازية تثير الذهن ، وتهزه هزاً ، وهي معانٍ لا يدركها إلا من عرف أسرار العربية ، وروعتها في التعبير ، والمحاجز .

(٣) سورة القارعة ١٠١ : ٦ - ١١ .

(٤) انظر تنوير المقاييس : ٣٩٤ ، جامع البيان ٣٠ : ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢١٢ ، التبيان ١٠ : ٤٠١ . وقد ورد في قاموس الكتاب المقدس أن =

وذهب بعضهم بتعبير الأم إلى معناها الحقيقي المشهور . روى الطبرى عن ابن عباس قوله : (وإنما جعل النار أمه ، لأنها صارت مأواه ، كما تؤوي المرأة ابنها) (١) . وقال ابن قتيبة : (كانت الأم كافلة الولد وغاذيته ومأواه ، وقربيته ، وكانت النار للكافر كذلك ، جعلها أمه) (٢) . وبؤيد هذا التفسير قوله تعالى واصفا الجنة والنار بالملائكة : (فأمّا من طغى ، وأثر الحياة الدنيا ، فإن الجحيم هي المأوى ، وأمّا من خاف مقام ربّه ، ونهى النفس عن الموى ، فإن الجنة هي المأوى) (٣) ، وكون جهنم منزلة الأم للكافر ، وإنها هاوية اعتمد في فهمها على استعمال لغوي وهو قوله : هوت أمه أي هلستك (٤) ، وهوت أمه فهي هاوية أي ثاكلة (٥) .

ويمكن القول أن هذا المعنى متظور عن المعنى الحسى الأول وهو السقوط والتردى لأن من يهلك أو تصيبه مصيبة تشكل امه ، وفي ذلك هلاك لها لعظم مصيبتها . ونقل أبو حاتم الرازى تفسيرا آخر وهو قوله أن النار

= (هاوية ترجمة لكلمة شبول العبرانية ، ومعنى هذه الكلمة في الأصل موضع الموتى ، وتوصف الهاوية بالعمق) انظر قاموس الكتاب المقدس ٤٥٨: ٢ ، ومع أن دلالة الكلمة في العربية هي نفسها في العربية إلا أن هذا لا يعني أنها أعممية لأن دلالتها في العربية مشهورة ، واستعمالها اللغوى معروف . انظر الصحاح ٦: ٢٥٣٨ ، لسان العرب ٢٠: ٢٤٨ .

(١) تأويل مشكل القرآن ٧٧ ، انظر أيضاً جامع البيان ٣٠: ٢٨٣ .

(٢) انظر جامع البيان ٣٠: ٢٨٢ ، وانظر أيضاً تنوير المقاييس ٣٩٤ .

(٣) سورة النازعات ٧٩: ٣٧ - ٤١ .

(٤) لسان العرب ٢٠: ٢٥٠ .

(٥) الصحاح ٦: ٢٥٣٩ ، وانظر لسان العرب ٢٠: ٢٥٠ .

سميت كذلك لأنهم يهون فيها أبداً (يعدبون لا يستقرُون ، ولا يجدون قراراً فهم يهون ، وهو مأخوذ من الهواء بين السماء والأرض ، كأنهم أبداً في الهواء لا قرار لهم) (١) . ويبدو أن التفسير الأول ، وهو أن الهاوية وصف لنار الآخرة بأنها عميقه يهوي فيها المحرمون ، هذا التفسير ارجح التفاسير الأخرى ، لأنَّه ينسجم مع الوصف العام للنار ، وكيف أنها رهيبة مخيفة عميقه ، يهوي فيها المحرم فلا يجد لها قراراً ، وهو معنى ورد في اللغة حين قالوا : هو في البئر إذا سقط فيها وتردى (٢) ومن الطبيعي أن ينتشر هذا الاستعمال اللغوي نظراً لكثره الآثار ، وما يطرأ للعربي في سيره في الصحراء من تعرضه إلى السقوط والزلل في حفرة ، أو بئر قديمة ويعيد هذا التفسير قوله تعالى : (انَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدُّرُكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا) (٣) .

ج - الجحيم (٤) :

قال الله تعالى : (والذين كفروا بآياتنا أولئك أصحابُ الجحيم) (٥)
وقال ايضاً : (فَامَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمَقْرِبِينَ ، فَرَوْحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّاتٌ نَعِيمٌ . وَامَّا إِنْ كَانَ مِنْ اصحابِ اليمينِ ، فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ اصحابِ اليمينِ)

(١) الزينة ٢ : ٢١٢ .

(٢) الصباح ٦ : ٢٥٣٨ ، لسان العرب ٢٠ : ٢٤٨ .

(٣) سورة النساء ٤ : ١٤٥ .

(٤) وقد وردت في ست وعشرين آية انظر المعجم المفهرس: ١٦٤ - ١٦٥ .

(٥) سورة المائدة ٥ : ١١ .

وأما إن كانَ من المكذبينَ الضالِّينَ ، فنُزُلٌ^١ من حَمِّمْ ، ونصلية جَحِّمْ) (١) فالجَحِّمُ في الآيات السابقة ، تعبير آخر وصفت به نار الآخرة لشدة تأججها وحرها (٢) ، من قولهم جَحَّمَتِ النَّارُ اذا اضطرمت (٣) ، وحجر جاحِم اذا اشتد اشتعاله (٤) . قال الاعشى :

بُمُشَعِّلَةٍ يَغْشِيُ الْفَرَاشُ رَشَّاهَهَا بَيْتٌ لَهَا ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ جَاحِمٌ (٥)

اي ضوء نار متقد شديد الحرارة . وقال قيس بن الخطيم :

وَنَصْدُقُ فِي الصَّبَاحِ إِذَا التَّقِيناً وَلَوْ كَانَ الصَّبَاحُ جَحِّمٌ جَمْرٌ (٦)

فقد اطلق الجَحِّمُ هنا على شدة الحر والتهابه ، واستعاروا هذا اللفظ في التعبير عن شدة الحرب واستعارها (٧) .

فلفظة الجَحِّم تصور شدة الحر في البيئة العربية ، وتعكس لنا أهمية البيئة في إيجاد التعبير واللفاظ ، وكيف ان شدة الحر جعلتهم يديرون في كلامهم تعبير عديدة تصف شدة الحر والتهابه . وتسمية النار بالجَحِّم تشير إلى مع التعبير الأخرى في رسم صورة لهيب النار وعذابها الموجع .

(١) سورة الواقعة ٥٦: ٨٨ - ٩٤ .

(٢) جامع البيان ١: ٥١٧ ، الزينة ٢: ٢١١ ، التبيان ١: ٤٣٧ المفردات:

٨٦ النهاية في غريب الحديث ١: ١٤٥ .

(٣) الصبح ٥: ١٨٨٣ ، المفردات : ٨٦ ، اساس البلاغة : ١٠٩ .

(٤) جهرة اللغة ٢: ٥٩ .

(٥) ديوان الاعشى : ٨١ .

(٦) ديوان قيس بن الخطيم : ٦١ تحقيق ابراهيم السامرائي .

(٧) انظر شرح ديوان الحجاستة ٢: ٤، ٥٠٠، ١٨٦٢ .

د - السعير (١) :

قال الله سبحانه وتعالى : (كَتَبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مِنْ تَوَلَّهُ ، فَإِنَّهُ يُضَلَّهُ ، وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ) (٢) . وَفُسِّرَ السَّعِيرُ بِالنَّارِ الْمُوْقَدَةِ (٣) : (بَلْ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمْرٌ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ، يَوْمَ يُسَحَّبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ) (٤) وَفُسِّرَ بَعْضُهُمُ السَّعِيرُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَاتِ بِالْحَرِيقِ وَالْتِيْرَانِ : (٥) وَخَصَّ بَعْضُهُمُ السَّعِيرَ بِالْعَنَاءِ (٦) فَقَطْ ، وَيُمْكِنُ أَنْ يَجْمِعَ هَذِينَ التَّفْسِيرَيْنِ بِإِنَّ الْحَرِيقَ الَّذِي يُعَذَّبُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ يَتَرَكَّمُونَ فِي عَنَاءٍ ، وَنَصْبٍ .

وَهُنَّاكَ مِنْ فَسِّرِ السَّعِيرِ بِالْجَنُونِ رُوَا السُّجْسْتَانِيُّ : (سَعِيرٌ جَمِيعُ سَعِيرٍ) فِي قَوْلِ أَبِي عَبِيدَةَ . وَقَالَ غَيْرُهُ : فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ، فِي ضَلَالٍ وَجَنُونٍ ، يَقَالُ : نَاقَةٌ مَسْعُورَةٌ إِذَا كَانَ بِهَا جَنُونٌ) (٧) . وَقَالَ الزُّخْشَرِيُّ (السَّعِيرُ الْجَنُونُ) . يَقَالُ : نَاقَةٌ مَسْعُورَةٌ قَالَ :

كَانَ بِهَا سَعِيرًا إِذَا العِيْسُ هَزَهَا ذِيْمِيلٌ وَإِرْخَاءٌ مِنَ السَّيْرِ مَتَعِيبٌ) (٨)

(١) وَقَدْ وَرَدَتْ فِي سِتِّ عَشَرَةَ آيَةً اِنْظُرْ إِلَى المَعْجمِ الْمَفَهُورِ : ٣٥٠ - ٣٥١ .

(٢) سُورَةُ الْحِجَّةِ ٢٢:٤ .

(٣) تَنْوِيرُ الْمَقِيَاسِ : ٢٠٦ ، مَجَازُ الْقُرْآنِ ١: ١٣٠ ، جَامِعُ الْبَيَانِ ١٧: ١١٦ .

(٤) سُورَةُ الْقَمَرِ ٥٤: ٤٦ - ٤٨ .

(٥) مَجَازُ الْقُرْآنِ ٢: ٢٤١ ، جَامِعُ الْبَيَانِ ٢٧: ١٠٩ ، الْكَشَافُ ٣: ١٨٦ .

(٦) تَنْوِيرُ الْمَقِيَاسِ : ٣٣٥ ، الْفَرَاءُ عَنْ لِسَانِ الْعَرَبِ ٦: ٣١ ، جَامِعُ الْبَيَانِ ٢٧: ١٠٩ .

(٧) غَرِيبُ الْقُرْآنِ : ١٣٦ ، وَكَذَا قَوْلُ الْفَارَسِيِّ فِي الْحُكْمِ ١: ٢٩٩ .

(٨) الْكَشَافُ ٣: ١٨٤ .

وكذا ورد معنى السعر في كتب اللغة (١) . وتفسير السعر بالجنة واقرائه بالنافقة المسغورة يشير الانتباه ، لانه ابتعد عن معنى الحرث ولأنه اقرن بالنافقة التي اعتادها العربي وجعلها صديقته في سيره الطويل فخبر كل حركاتها ، وسكناتها ، وعرفها في حالات مرضها وصحتها ، فإذا اصابها السعر ركضت على غير هدى ، واسرعت في سيرها ، ومن هنا فسر بعضهم السُّعْرُ بالجنة في قوله تعالى : (ان المجرمين في ضلالٍ وسُعْرٍ) (٢) لأن المجرمين في النار يفقدون رشدهم ، وتفكريهم ، لشدة العذاب وهول النار ، ويكونون في ضلالٍ وحيرة ، فيشبهون بذلك النافقة المسغورة التي اصابها الجنون ، فسارت على غير هدى . اما في المجال اللغوي فنجد ان الكلمة اطلقت في الاصل على اشتعال النار وشدة حرارتها (٣) ، فإذا كانت الريح شديدة الحرارة قوية - وهي التي يسمونها السموم - اطلقوا عليها اسم السُّعَار (٤) ، لأن شدة حرارتها شبيهة بشدة حرارة النار ، واشتعالها . وإذا كان المفسرون لم يشاروا إلى معنى السموم في تفسيرهم الآية الكريمة فإننا نفهمه من دلالة الكلمة اللغوية ، ومن ورود السموم في

(١) انظر قول الخليل في المخصوص ٣:٥٥ ، ٧:١٢٢ ، وانظر ايضاً غريب

القرآن: ١٣٦ ، الصحيح ٢:٦٨٥ ، لسان العرب ٦:٣٠ .

(٢) سورة القمر ٥٤:٤٧ .

(٣) جهرة اللغة ٢:٣٣٠ ، الصحيح ٢:٦٨٥ ، مقاييس اللغة ٣:٢٧٥ ،

الزينة ٢:٢٠٨ ، الحكم ١:٢٨٩ ، اساس البلاغة : ٤٤٠ ، النهاية في غريب

الحديث ٢:١٦٢ . وانظر الشعر في شرح ديوان زهير : ٢١٤ ، المفضليات : ٨٤

الوحشيات : ١٢١ .

(٤) الخليل عن المخصوص ٩:٩٠ ، جهرة اللغة ٢:٣٣٠ ، الصحيح ٢:

٦٨٥ مقاييس اللغة ٣:٧٥ ، الحكم ١:٢٩٩ .

القرآن الكريم ، فقد وصف الله سبحانه وتعالى عذاب النار بأنه عذاب السموم ، حيث يفرح المؤمنون بنجاتهم من النار فيتباهرون ببنهم (وأقبل بعضهم على بعض يتسلون) : قالوا إنّا كنا قبل في أهلنا مشفيقين ، فنَّ الله علينا ، ووكانا عذابَ السموم) (١) : وقال الله تعالى واصفاً أصحابَ الشَّمَالِ ، ما أصحابُ الشَّمَالِ ، في سَمْوٍ وَحِيمٍ ، وظَلَّ مِنْ يَحْمُومٍ لَبَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ) (٢) لقد عانت البيئة العربية من لفح السموم الحارة ما عانت ، ولم يقتصر اذها على الانسان بل جاوزته الى الحيوان ، فذكر ذلك الشعراء في اشعارهم ووصفو الصور التي اعتادوها عند هبوب السموم ، وارتفاع الحر (٣) ، حتى اذا جاء التعبير القرآني واصفاً عذاب الكافرين : (بل الساعة موعدهم والساعة ادهى وأمر ان المجرمين في ضلالٍ وسُعْرٍ ، يوم يسحبون في النار على وجوههم ذوقوا مس سَقَرَ) (٤) تذكر العربي السعار وتمثل له لاظاه الحارة فاستطاع ان يتصور الابحاث الرهيبة التي توحيها الآية الكريمة في تصوير عذاب المجرمين .

وهناك معنى اخر للكلمة ، وهو قوله اذا اشتد العطش والجوع . استعر : قال ابن السكريت (٥) (رجل مسحور وبه سعّار اي جوع

(١) سورة الطور ٥٢ : ٢٧ - ٢٥ .

(٢) سورة الواقعة ٥٦ : ٤١ - ٤٤ .

(٣) انظر شرح ديوان لييد : ١٠٢ ، ديوان الشماخ : ٨٣ ، المفضليات ١٨٢
شرح ديوان الحماسة ١٨٠٣:٤ ، الجبال والامكنة : ٤٦ ، ذيل النادر : ٢٠٧
الطرائف الادبية : ٦٢ معجم البلدان ١ : ١٥٥ .

(٤) سورة القمر ٥٤ : ٤٦ - ٤٨ .

(٥) ابن السكريت في المخصوص ٥ : ٣٥ ، وانظر ايضاً مهرة اللغة ٢ : ٢٣٠ =

وشهوة) . وقال الزمخشري ، (ومن المجاز . . . وبه سعار وهو توهج العطش) (١) ، فكأن شدة العطش تلهم في جوف الانسان حرارة شبهاها بالنار . ونستطيع ان نفهم هذا المعنى اللغوي في الآية الكريمة السابقة ، لأن معنى العطش معنى عاشه البدوي في بيته ، واحسسه به في اسفاره الطويلة ، حين يتשוק الى قطرة من الماء تروي ظاهه ، ومع انهم قالوا ان السعار شدة العطش او الجوع ، الا ان دلالة العطش على البيئة العربية اوضح من دلالته على الجوع (٢) ومع ذلك يمكن اضافة المعنى الاخير الى التفاسير السابقة لتجتمع صور العذاب والحرمان في عذاب النار فإذا جمعنا كل هذه التفاسير عرفنا اي اعجاز عظيم تحمله كلامة واحدة في تسمية نار الحرمين يوم القيمة ، لأنها تجمع عدة صور رهيبة عاشهها البدوي في حياته وعاني من اذاها ما عانى ، فيكون معناها ان الحرمين في ضلال ، وحيرة من حر النار ، ولاظها المؤذى . وتتفق هم هذه الصورة الى صورة السموم الحارقة التي عانوها في بيتهما ، ومع عذاب النار يجتمع الحرمان من الماء والطعام ، بكل ما يحمله معنى العطش من معان رهيبة لها دلالتها على النفس العربية . ثم هم فاقدو الوعي حائرون ، تائهون يشبه حالم حال الناقة المسغورة التي تركض على غير هدى ، وتسير الى غير غاية ، هم حيارى ، عطاشى ، تفحهم السموم بحرها ، وتحرقهم النيران بالاظها كل هذه الصور يعكسها التعبير القرآني في تسمية النار ووصفها بالسر (٣)

= الصباح ٢ : ٦٨٥ ، فقه اللغة : ٥٠ .

(١) اساس البلاغة ٤٤ ، وانظر ايضا لسان العرب ٦ : ٣٠ .

(٢) انظر الفصل الخامس - ٦ - طعامهم - ب - الزقوم .

(٣) انظر في هذا موضوع الاشتراك من اسباب البلاغة في التعبير في كتاب دروس في البلاغة : ١٩٧ .

ه سقر :

وسقر اسم اخر من اسماء النار التي يعذب بها الكافرون يوم القيمة .
قال الله تعالى : (سَأَصْلِيهِ سَقَرَ ، وَمَا ادْرَكَ مَا سَقَرَ ، لَا تَبْقَى
وَلَا تَذَرُ ، لِوَاحَةٍ لِلْبَشَرِ) (١) . وقال ايضاً : (الا اصحاب
اليمين ، في جناتٍ يتساءلون عن المجرمين ، ما سَلَكُكُمْ في سَقَرَ ؟
قالوا لم نك من المصلين) (٢) وقال تعالى ايضاً : (ان المجرمين في
ضلالٍ وُسْعِي ، يوم يُسْتَحْبَونَ في النار على وجوهِهِمْ ذوقوا مَسَّ
سَقَرَ) (٣) .

قال المفسرون في سقر انها علم من اسماء النار (٤) ، وخصها ببعضهم
بالباب الرابع من النار (٥) .

وقال بعض المفسرين ان سقر اسم اعجمي (٦) . ويبدو ان للكامنة
استعمالاً عربياً من قولهم سقرته الشمس تسقره سقرا بالسين والصاد اذا
آلمت دماغه (٧) . وقالوا الصقرة : شدة الحر (٨) ، وكذا وردت

(١) سورة المدثر ٧٤:٢٦ - ٢٩ .

(٢) سورة المدثر ٧٤:٣٩ - ٤٣ .

(٣) سورة القمر ٥٤:٤٧ - ٤٨ .

(٤) التبيان ١٠:١٨٠ ، وانظر ايضاً المفردات : ٢٣٤ ، الكشاف ١٨٦:٣ .

(٥) تنوير المقياس : ٣٧٣ ، وانظر ايضاً جامع البيان ٢٩ - ١٥٨ .

(٦) النهاية في غريب الحديث ٢: ١٦٨ .

(٧) الزينة ٢: ٢١٤ التبيان ١: ١٨٠ ، المفردات : ٢٣٤ ، الكشاف

١٨٦:٣ وانظر اللغة في جمهرة اللغة ٢: ٣٣٤ ، المخصص ٩: ٦٩ .

(٨) الغريب المصنف الورقة (٢٧٦) .

في الشعر (١) .

وشدة الحرارة وايامها للانسان اوحت للغرب استعمالا اخر للكلمة وهو قوله : الصقر الضرب على اعلى الرأس (٢) ، وسموا الفأس العظيمة التي تكسر الصخر والحجارة القوية بالصاقور (٣) .

ومعاني الكلمة المختلفة تساعدنا كلها على فهم الجو المرعب الذي تثيره الآيات الكريمة (يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ، ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ) (٤) . او قوله تعالى (سَأَصْنَلِيهِ سَقَرَ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرَ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ، لَوَاحَةً لِلْبَشَرِ) (٥) . فالنار التي يعذب بها الحبرون شديدة الحر تلحف المعندين بظاهرها الحرق ، فتفلق رؤسهم ، وتذيب ما في بطونهم ، وتنقل لنا هذه التسمية شدة حر الماجرة في الحزيرة الغربية الذي يكاد فيه الحجر ان يذوب ويبلق الصخر ، الا ان هذه الصورة لا يمكن ان تقارن بشيء من صورة نار الاخرة التي لا تبقي ولا تذر . ويلاحظ في تعبير سقر في سورة المدثر انها محاطة بالابهام والغموض فكأن سقر مجهرة للسامع فتكررها الآية لتزيد من ايحاء الرعب

(١) ديوان شعر ذى الرمة : ٥٠٤ ، امالي اليزيدي ١ : ١٤٤ ، الحيوان

. ٢٣٢ : ٥

(٢) المخصص ٦ : ٩٦ .

(٣) جمهرة اللغة ٢ : ٣٥٧ ، الصحاح ٢ : ٧١٥ ، المخصص ١٠ : ١١ ،

لسان العرب ٦ : ١٣٦ ، اسامن البلاغة : ٥٣٥ ، النهاية في غريب الحديث ٢:٦٨:٢

وانظر الشعر في مجالس ثعلب ٢ : ٤٥٨ ، المؤتلف وال مختلف : ١١٩ .

(٤) سورة القمر ٥٤ : ٤٧ .

(٥) سورة المدثر ٧٤ : ٢٦ .

(سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ؟ لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ) (١)
 انك لا تعرف معنى سقر ، فليست كالي عرفتها في الحياة الدنيا الماهي شديدة
 قوية ، لا تبني ولا تذر وفي هذا استبعاد لذهن الانسان بأنه منها تخيل
 سقر ، فإنه لن يستطيع ان يتصورها حق تصورها ، الا ان العربي يستطيع
 ان يجد فيها ايجاء واضح الملائم للبيئة العربية ، فترسم في ذهنه صورات
 شمس الجزيرة ، وحرها المؤذى الذي يذكرهم بالفتوس القوية تفلق الصخر ،
 ولكن هيئات لهم ان يقارنوها بين الصورتين ، لأن الآية الكريمة تقول وما
 ادراك ما سقر ؟ انه المول الذي يتجسد امام الكافرين يوم القيمة ويغكسه
 عبر سقر في الآيات الكريمة .

٣ - هبيب النار :

اما هبيب النار فإنه تارة يكون لها خالصا لايشهده دخان ، وتارة
 يلف المعذبين بدخان قاتم . قال الله تعالى : (يا معاشر الجن والانس
 إن استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض لا تنفذون الا
 بسلطان فباي آلاء ربكم تكذبان ؟ يرسل عليكم شواطئ مين نار
 ونحاس فلا تنتصران ، فباي آلاء ربكم تكذبان) (٢) :
 فالآيات الكريمة تصور هبيب النار بتعبر الشواطئ ، وقد قال المفسرون
 عن الشواطئ بأنه الهبيب بلا دخان (٣) . وفي المسائل التي سألهما نافع بن

(١) سورة المدثر ٧٤ : ٢٧ .

(٢) سورة الرحمن ٥٥ : ٣٣ - ٣٦ .

(٣) تنوير المقياس : ٣٣٧ ، مجاز القرآن ٣ : ٢٤٤ ، جامع البيان ٢٧ : ١٣٩

التبيان ٩ : ٤٧٤ .

الازرق لابن عباس انه سأله عن الشواط (فقال : اللهب الذي لادخان له ، قال : فهل كانت العرب تعرف ذلك قبل ان ينزل الكتاب على محمد ربك ؟ قال : نعم اما سمعت بقول أمية بن خلف (١) : الا من مبلغ حسان يعني مغلغلة تدب الى عكاظ اليه ابوك فيما كان قينا لدى القينات (فسلاما) (٢) في الحفاظ عانيا يظلل يشد كيرا وينفع داثا لهب الشواط قال : صدقت) (٣) وفي رواية اخرى انه تمثل بآيات حسان التي رد فيها على أمية :

فتايه قصائد محكمات وتشهد بالمجاز الى عكاظ مر تلك فاخضعتك بذات ذل ففائق تاجيئ كالشواط (٤) ومن هنا يتضح لنا ان الشواط عرفه العرب في بيتهم ، وعرفوا ان النار اذا كانت على اشدها فانها تكون لها خالصا لادخان له ، وكذا

(١) أمية بن خلف بن وهب ، منبني اؤي احد جباراة قريش في الجاهلية ومن ساداتهم ، ادرك الاسلام ولم يسلم ، وهو الذي عذب بلا لا الحبشي عند ظهور الاسلام ، اسره عبد الرحمن بن عوف يوم بدر ، فراح بلال ، فصاح بالناس يحرضهم على قتلها فقتلوه . انظر سيرة النبي ٧٢١:٢ ، عيون الارث ١ : ٢٥٩ الكامل لابن الاثير ٢ : ٤٨ .

(٢) في المخطوط ضيلا ، والصواب كما هو مثبت اعلاه ، وهكذا رويت الآيات في ديوان حسان بن ثابت : ١٤١ ، وكذلك ورد في الصحاح ١١٧٣:٣ لسان العرب ٩ : ٣٢٦ .

(٣) مسائل نافع بن الازرق الورقة ٨ (ب) .

(٤) ن . م الورقة ٦ (أ) وانظر الآيات في ديوان حسان : ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ مع اختلاف في رواية البيتين .

قال اللغويون (١) .

اما النحاس فقد قالوا في تفسيره انه الصفر المذاب (٢) . وقال بعضهم انه الدخان (٣) وحين سئل ابن عباس عن معرفة العرب له قبل الاسلام تمثل بقول النابغة :

تُضيِّنُكُمْ مِنْ سَرَاجِ السَّلِيلِ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ فِيهِ نُحَاسًا (٤)
والسليل هو دهن الزيت (٥) . وقد استدل ابن عباس بهذا البيت على معرفة العرب لهذا المعنى القرآني . ويبدو ان هناك علاقة متينة بين النحاس الذي هو الدخان ، وبين النحاس ذلك الجوهر المعروف من المعادن والظاهر ان المعden هو الاساس في التسمية ، لأن النحاس او اي معدن من المعادن اذا اذيب سبب دخانا قاتما ، ومن هنا اطلق على كل دخان قاتم اسم النحاس . . . ومن الطبيعي ان يعرفه العرب في بيتهم على اعتباره من المعادن المتوفرة في الصحراء العربية (٦) .
وقد فسر اليهود بالدخان الاسود ايضا في قوله تعالى : (وأصحاب

(١) الكامل المبرد ١ : ٣٢٤ ، جمهرة اللغة ٣ : ٦٠ ، الصحاح ٣ : ١١٧٢

مقاييس اللغة ٣ : ٢٢٣ .

(٢) جامع البيان ٢٧ : ١٤٠ ، الكشاف ٣ : ١٩٠ .

(٣) تنوير المقياس : ٣٣٧ ، مجاز القرآن ٢ : ٢٤٤ ، جامع البيان ١٤١ : ٢٧

المفردات : ٥٠٣ ، الكشاف ٣ : ١٩٠ .

(٤) مسائل نافع بن الازرق الورقة ٨ (ب) والبيت منسوب للنابغة الذبياني في الخطوط وجامع البيان ٢٧ : ١٤١ ، والصواب انه للنابغة الجعدي كما هو مذكور في ديوانه : ٨١ ، وانظر ايضا التبيان ٩ : ٤٧٥ .

(٥) الصحاح ٣ : ١١٤٩ .

(٦) انظر زكاة المعادن في الموطأ ١ : ٢٤٩ .

الشَّمَالِ ، مَا أَصْحَابُ الشَّمَالِ ؟ فِي سَمْوُمٍ وَّهَمِّ ، وَظِيلٌ مَّنْ . يَحْمُومُ
لَا بَارِدٌ وَّلَا كَرِيمٌ) (١) . فَجُوَّ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ يُسَاعِدُنَا عَلَى تَصْوِيرِ هَذَا
الْمَعْنَى ، لَأَنَّ السِّيَاقَ الْعَامَ يُوحِي بِهِولِ الْعَذَابِ ، فَقَدْ ذَكَرَ الْمُجْرُمُونَ وَهُمْ
أَصْحَابُ الشَّمَالِ ، ثُمَّ تَبَعَّهُ اسْتِفَاهَمٌ يُثْبِرُ فِي الْذَّهَنِ جَوَّا مِنَ الْغَمْوُضِ وَالرَّهْبَةِ
حَتَّى إِذَا اتَّضَحَ هَذَا الْإِبَاهَمُ ظَهَرَ عَنْ سَمْوُمٍ لَافْحَةٍ تَلُوحُ الْمُجْرُمِينَ وَتَخْرُقُهُمْ
بِلَظَاهَا ، وَلَكِنَّهَا لَيْسَتْ كَالسَّمْوُمِ الَّتِي عُرِفَوْهَا فِي بَيْتِهِمْ ، فَاحْتَاطُوا لَهَا
بِوَسَائِلٍ ، وَاحْتَمُوا مِنْهَا بِنَخْلَهُ أَوْ خِيمَةً . . . مَثَلًا .

إِنَّهَا سَمْوُمٌ حَارَّةٌ لَافْحَةٌ لَا يُوجَدُ مَعَهَا ظَلٌّ ، فَإِذَا وَجَدُوهُ فَإِنَّمَا هُوَ
ظَلٌّ مِنْ دُخَانٍ قَاتَمَ تَثِيرَهُ النَّارُ الرَّهْبَيَّةُ ، فَلَا يَجِدُونَ فِيهِ الْبَرْدَ الَّذِي وَجَلَوْهُ
فِي ظَلِّ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَلَا الطَّهَانِيَّةَ الَّتِي يَحْتَاجُونَ إِلَيْهَا ، فَهُوَ ظَلٌّ ، وَلَكِنَّهُ
يُثْبِرُ السُّخْرِيَّةَ عَلَى كُلِّ مَنْ يَخْتَمِي بِهِ ، لَأَنَّ أَذَاهُ أَشَدُ وَاضْطَنى مِنْ أَذْى النَّارِ
وَلَظَاهَا !! هَذِهِ السُّخْرِيَّةُ تَذَكَّرُ الْعَرَبُ بِالظَّلِّ الْبَارِدِ الَّذِي فَاعَوْا إِلَيْهِ فِي
حَيَاةِهِمُ الدُّنْيَا ، لَيَتَقَوَّلُوا بِهِ صَقَرَاتُ الْمَجِيرَةِ ، وَلَفْحَ سَمْوُمِهَا ، وَكَيْفَ إِنَّ
شَاعِرَهُمْ مَثَلًا يَحْيَنُ إِلَى نَخْلَةٍ اسْتَظْلَلَ تَحْتَهَا يَوْمًا ، وَجَعَتْهُ مَعَ مَنْ يُحِبُّ ،
فَيَرِدُ حَنِينَهُ إِلَيْهَا ، وَيَبْعَثُ لَهَا سَلَامَهُ ، وَاشْوَاقَهُ ، كَمَا لَوْ أَنَّهَا كَائِنَ حَيٌّ
يَبَادِلُهُ الشَّعُورَ :

أَلَا يَأْخُلُّهُ مِنْ ذَاتِ عَرْقٍ بَرُودَ الظِّيلِ شَاعِرَكُمُ السَّلَامُ) (٢)
وَذَاتِ عَرْقٍ : مَوْضِعٌ بِالْحِجَازِ) (٣) ، وَقَدْ نَهَى الرَّسُولُ (ص) عَنْ
كُسرِ اغْصَانِ السَّدْرِ أَوِ التَّنْصِبِ ، لَأَنَّهَا مِنْ ذَوَاتِ الظَّلَالِ يُسْكِنُ النَّاسَ

(١) سورة الواقعة ٥٦: ٤١ - ٤٤ .

(٢) مجالس ثعلب ١: ١٩٨ ، وقيل انه كفى بالنخلة عن المرأة ، وحتى لو
كان هذا القول كناية ، فإنه يعكس لنا الصورة الحبيبة .

(٣) انظر معجم البلدان ٣: ٦٥١ .

اليها في البرد ، والحر (١) ، وفي هذا دليل واضح على شدة تعاقب العرب بالأشجار ، والنخيل التي تُنحِّم الظل اذا اشتد الحر ، او داهمهم البرد ، والمطر ، وهي من الناحية الاخرى تساعدننا على فهم الآيات الكريمة التي تصور نار جهنم ، وظلها القائم ، وكيف يتصورها العربي الذي عانى من الحر ، وعرف طيب الظل ، والبرودة ، فاذا به في الآخرة يلتجأ الى الظل الذي يتراءى له ، فلا يجد فيه الامان ، ولا البرودة التي ينشدها . قال الله تعالى : (لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظَلَلٌ مِنْ النَّارِ ، وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظَلَلٌ ذَلِكَ يَخْوُفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادِهِ يَعْبُدُونَ) (٢) . وقال تعالى مخاطبا الكافرين باسلوب يسخر منهم وذلك بدعوتهم الى الالتجاء الى ظل من النار يزيد هيبة اذى النار ، وعذابها : (انطلقوا الى ما كنتم به تكتذبون ، انطلقا الى ظل ذي ثلث شعوب ، لا ظليل ، ولا يعني من اللَّهُبَ ، لِئَنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرِ كَالْفَصْرِ كَانَهُ جَهَنَّمْ صَفَرَ ، وَيُلْيَ يَوْمَئِذٍ لِلْمَكَذِّبِينَ) (٣) واذا قارنا هذه الصورة الرهيبة بصورة ظلال الجنة الوارفة اكتملت لنا الصورة الرائعة واتضح الاسلوب المعجز في بيان عذاب المجرمين ، ونعم المؤمنين : (وَالَّذِينَ آمَنُوا ، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنَدِّخُلُّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ، لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ ، وَنَدْخِلُهُمْ ظِلَالًا ظَلِيلًا) (٤) . وقال تعالى ايضا واصفا نعم المؤمنين بين الظلال الوارفة ، (إِنَّ اصحابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكِيهُونَ ، هُمْ وَازْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ ، عَلَى الأَرَائِكِ مُتَكَبِّرُونَ ، لَهُمْ

(١) انظر سنن أبي داود ٢: ٦٥٠ .

(٢) سورة الزمر ٣٩: ١٦ .

(٣) سورة المرسلات ٧٧: ٢٩ - ٣٤ .

(٤) سورة النساء ٤: ٥٧ .

فيها فِي كَهْةٍ ، وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ، سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ) (١) .
 هذه الفلال الوارفة ، والنعيم الرائع يوضح لنا معالم الاذى الذي يلاقيه الم Harmون في النار ، والمقارنة بينها تزيد الصورة وضوحا ، فال Harmون لا يجدون ظلاً يفيئون تحته ، ويختهون به من هبيب النار وشررها ، فإذا وجدوه فانما هو ظليل من دخان اسود ، وهبيب من خناس يتعالى فوق رؤسهم .

٤ - شررها :

ولم تكتف الآيات الكريمة بتصوير النار ، ولظاها ، انما وصفت الشر الذي يتطاير منها ، فشرر النار الذي عهده الناس في حياتهم الدنيا صغيراً ، قصير الامد نجده في وصف نار الآخرة صور تصويراً رهيباً طوله ، واستمرار قدحه ، ثم اونه القائم . قال الله تعالى : (انطلقوا الى ما كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ انطلقوا الى ظلِّ ذي ثلث شَعَبٍ ، لَا ظَلِيلٌ ولا يُغْنِي من اللَّهَبِ ، إِنَّهَا تَرْمِي بَشَرَّاً كَالْقُنْصُرِ ، كَأَنَّهُ جَهَنَّمَ صَفَرٌ وَيْلٌ يَوْمَ ذِي الْمَكَذِبِينَ) (٢) .

فقد شبَّهَ شرر النار بالقصر ، وختلف المفسرون في تفسيره تبعاً لاختلافهم في قراءته ، فمن قرأه بإسكان الصاد فسره بالبناء المشيد ، المسمى بالقصر (٣) . وفسره ابن قتيبة بالقصر من قصور مياه الاعراب (٤)

(١) سورة يس ٣٦: ٥٥ - ٥٨ .

(٢) سورة المرسلات ٧٧: ٢٩ - ٣٤ .

(٣) جامع البيان ٢٩: ٢٣٩ ، التبيان ، ١٠: ٢٣١ ، المفردات : ٤١٤ ،

الكاف ٣: ٣٠٢ .

(٤) تأويل مشكل القرآن : ٢٤٥ .

والملاحظ في التفسير الأول انه لا ينقل صورة من صور البيئة العربية ، فالقصر – وان ذكره بعض الشعراء في اشعارهم – (١) قليلا ما عرفته البيئة العربية في فنانيها الواسعة ، واطنانها المضروبة ، وإنما سمي هذا البناء قصرا ، لأن جذوع النخيل ، والخشب هي اساس بنائه ، وهي التي يطلق عليها القصر كما سماه ذكره .

اما القصر من قصور مياه الاعراب الذي فسر به ابن قتيبة الآية الكريمة فإنه لا يعطينا صورة واضحة عن قصده ، ولا يوجد في الشعر العربي ما يصوّره ، الا اذا كان المراد منه تلك العريشة التي تُبنى حول البئر يُحبسُ الماء فيها ، ويُقصَرُ ، وذلك انهم قالوا في صفات البئر المعروفة بانها التي تطوى قدر قامة من اسفلها بالحجارة ، ثم يطوى سائرها بالخشب وحده ، وذلك الخشب هو العرش (٢) . ولكننا ايضا لا نجد بين هذه الصورة وشرر النار في الآية الكريمة وجه شبه قوي ، مما يبعدنا عن تفسير ابن قتيبة السابق . اما قراءة من قرأ القصر بفتح الصاد ، فإنها تعطينا تفسيرا هو اقرب الى البيئة العربية ، من القراءة الاولى . قال ابن عباس كالقصَر كاسافل الشجر العظام (٣) . وقال ابن قتيبة ، ومن قرأ بالقصَر شبهه باعناق النخل ، ويقال بأصوله اذا قطع (٤) . وهنا يندو اختلاف بسيط فهل القصر لغة اعناق الابل ام اعناق النخل واصوله ؟

(١) ديوان الاعشى : ٤٣ .

(٢) الغريب المصنف الورقة : (٢٤١) ، الصحاح ٣: ١٠١٠ ، المخصص ٤٢ ، اساس البلاغة ٦٢٢ ، لسان العرب ٨: ٢٠٤ .

(٣) تنوير المقياس : ٣٧٧ .

(٤) تأويل مشكل القرآن : ٢٤٥ ، وانظر المفردات : ٤١٤ ، الكشاف ٣: ٣٠٣ ، النهاية في غريب الحديث ٣: ٢٥٦ ، وانظر اللغة في العين : الورقة (١٥) .

الا اننا نجد في الشعر الجاهلي صورا طالما رسمها الشعرا في اشعارهم الا وهي صورة الناقة التي يشبهونها بجذع النخلة (١) ، وصورة الظعائين التي وصفوها وشبهوها بمجموعة النخيل (٢) مما يرجع كون القصر ، اطلاق في الاصل على النخلة ، ومنه على الناقة ، ومن ثم اطلاق بصورة عامة على اصل العنق سواء كان للشجرة ، او النخل ، او الابل (٣) . وفي كلتا الصورتين نجد دلالة واضحة للبيئة العربية ، فقد اعتاد العربي رؤية اعناق ابله الطويلة ، كما اعتاد رؤية النخيل ، وجذوعها السامقة ، فاستمد منها مادة لتشبيهاته ، وخيالاته .

ومن هنا يبدو ان التفسير الاخير اقرب التفاسير الى البيئة العربية فقوله تعالى : (إِنَّهَا تَرْمِي بَشَرَرَ كَالْقَصْرِ) (٤) يرسم لنا صورة لشرر النار يوم القيمة ، وكيف انه مختلف عن الشرر القصير الامد في الحياة الدنيا ، لانه طويل الامد ، بعيد المدى ، ينقال الى ذهن العربي صورة اعناق الابل الممتدة الطول ، او صورة جذوع النخل الجباره . ويتبع هذا التشبيه تشبيه اخر للشارارات يقصد منه تبيان لونها وهو قوله تعالى : (إِنَّهَا تَرْمِي بَشَرَرَ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهُ جِلَالَاتٌ صَفَرٌ) (٥) . قال بعض

(١) ديوان كعب بن زهير : ١٣ ، ٨١ ، ٢١٧ ، ديوان كعب بن زهير : ٦٩ .

(٢) انظر ديوان كعب بن زهير : ١٢٢ ، ١٩١ ، ٢٥٢ ، ديوان علامة الفحل : ٣١ ، ارجيز العرب : ٤٤ ، الاصمعيات : ٢١٧ .

(٣) الخصوص ١١ : ١٠ .

(٤) سورة المرسلات ٧٧ : ٣٢ .

(٥) ن . م .

المفسرين إنَّ معنى الجِمَالات الجَمَال (١) . فيكون معنى الآية ان الشرر الذي يتظاهر بكثرة وقوه شديدة يشبه الجمال السود ، وخصّ بها الجمال او التوْقُ الضخمة التي شبهت بالجمال اضياعتها (٢) ليدل على عظم الشرارات بالإضافة الى لونها القائم . فاللون الاصفر كثيراً ما اطلقه العرب على لون السواد (٣) . وقد علل ابن قتيبة هذه التسمية وسبب تخصيص الله سبحانه وتعالى للجمال السود . قال : (وَأَنَا سُبِّيتُ السُّوْدَ مِنَ الْأَبْلَى صُفْرَا ، لَأَنَّهُ يُشَوَّبُ سُوَادَهَا شَيْءًا مِنْ صَفْرَةِ كَمَا قِيلَ لِبَيْضِ الظَّبَابِ أَدْمُ) ، لأن بياضها تعلوه كُثُرَة ، والشرر اذا تطير فسقط وفيه بقية من لون النار اشبه شيء بالإبل السود لما يشوبها من صفرة) (٤) .

وهذاك تفسير اخر لمعنى الجمالات الصفر في الآية الكريمة وهو قولهم انها جبال السفن الضخمة ، معتمدين في ذلك على استعمال لغوي عرفه العرب . قال الخليل : (الْجَمَلُ : حَبْلُ السَّفِينَةِ) (٥) .

(١) تنوير المقاييس : ٣٧٧ ، تأويل مشكل الحديث : ٢٤٥ ، المفردات : ٩٦ ، الكشاف ٣ : ٣٠ .

(٢) غريب الحديث : ٢٨٠ ، مقاييس اللغة ١ : ٤٨١ ، وانظر الشعر في ديوان الشماخ : ٤٠ ، ٥٤ ، المفضليات : ٢٢٩ ، الحيوان ٦ : ٧٠ .

(٣) انظر الغريب المصنف الورقة (٢٢) ، الصحيح ٢ : ٧١٤ ، مقاييس اللغة ٣ : ٢٩٤ ، المخصوص ٧ : ٦ ، ٥٥ .

(٤) تأويل مشكل القرآن : ٢٤٥ .

(٥) عن المخصوص ١ : ٢٥ ، الصحيح ٤ : ٦٦١ ، وانظر ايضا النهاية في غريب الحديث ١ : ١٧٩ وفسر بعضهم قوله تعالى (وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلْجُجَ الْجَمَلُ فِي سُمَّ الْخَيَاطِ) سورة الاعراف ٧ : ٤٠ بأنه حبل السفينه انظر تنوير المقاييس : ١٠١ ، الكشاف ١ : ٥٤٨ وقد ذكر الاب مار اغناطيوس =

وإذا كانت صورة الشر الذي يتظاهر بقوة من نار الآخرة يشبه إلى حد ما صورة الحال الغليظة الممتدة ، فإن تفسير الجمالات في قوله تعالى (إنها ترمي بشرٍ كالقَصْرِ ، كأنه جِمالاتٌ صَفْرٌ) (١) بالجمال السود أقرب إلى البيئة العربية التي اعتمدت على الأبل في حياتها اليومية اعتناداً كلياً ، على حين نجد أهمية السفينة عند العرب لا تصل إلى مستوى الضروريات ، نظراً للصحاري الواسعة التي انعدمت فيها البحار والانهار الدائمة ، ويفكك هذا القول ما نراه في كتاب المخصوص ، وإن ما استغرقه بحث السفينة من هذه الموسوعة الكبيرة لا يتجاوز الست صفحات ، على حين كاد البحث عن الجمل يشكل جزءاً كاملاً بذاته (٢) :

٥ - شراب أهل النار :

تصور الآيات الكريمة العطش ، والحرمان من الماء على أنها وسيلة من وسائل التعذيب التي يعانيها المجرمون يوم القيمة . فشراب أهل النار ، وتعذيبهم بالعطش صور بصورة رائعة يظهر فيها الاعجاز القرآني متجلياً ويقف أمامها الإنسان ذاهلاً . وفي اللحظة التي تصدر فيها نتيجة الحساب يبدأ عقاب المجرمين فيساقون سوقاً شديداً إلى جهنم ، وهم عطاشى محروميين من الماء . أما المؤمنون فإنهم يخسرون إلى الجنة بعزة وكراهة . قال الله = الجمل على أنه لفظ سرياني ، وفي هذا دلالة على بعد الكلمة عن البيئة العربية .

انظر مقال الألفاظ السريانية مجلة المجمع العلمي العربي م ٢٣ ج ٣ ص ٣٤٣ .

(١) سورة المرسلات ٧٧ : ٣٢ - ٣٣ .

(٢) انظر المخصوص عن الأبل ١ : ٧ - ١٧٤ ، السفينة ١٠ : ٢٩ - ٣٣ .

وانظر أيضاً نظام الغريب ١٣٢ - ١٥١ .

تعالى : (يومَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْنِ وَفِدَا ، وَنَسُوقُ الْجُنُّوْمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرُدَا) (١) . وقد فسر المفسرون الورد في الآية الكريمة بمعنى العطاشى (٢) . ومن المشهور أن معنى الورد في اللغة هو اتیان الماء وهو خلاف الصدر (٣) . وإنما اطلق تعبير الورد في الآية الكريمة على العطاش ، لأن من يرد الماء لا يرده الا لعطش كما يقول الزمخشري (٤) الا ان الجرميين لا يرثون بوردهم جهنم ، بل تبدأ مرحلة اخرى للتعذيب والعقاب . . فع شدة ولهيها الحرق - الذي مرت بنا صوره - يعاقب الجرميون بلون اخر من صنوف التعذيب ، وهو حرمانهم من الماء . وقد صور هذا الحرمان بشكل محاورة جرت بين اهل الجنة واهل النار : (ونادي اصحابُ النار اصحابَ الجنةِ : أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مَا رَزَقْكُمْ اللَّهُ قَالُوا : أَنَّ اللَّهَ حَرَمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ أَخْذُوا دِينَهُمْ لَهُمَا وَلَعَلَّهُمْ وَغَرْتُهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، فَالْيَوْمَ تَنْسَاهُمْ كَمَا تَنسُوا لقاءَ يوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَحْمِدُونَ) (٥) . ف بهذه الآيات الكريمة ترسم صورة رهيبة لحرمان الجرميين من الماء . وقد فهم العرب والمسلمون هذه الصورة ، واستطاعوا ان يتمثلوها بما وجدوه في بيئتهم ، ولم يكتفوا بتصور الآيات الخاصة بالحرمان من الماء بل فسروا بالعطش الآيات التي تبدو بعيدة عن

(١) سورة مریم ١٩:٨٦ .

(٢) اللغات في القرآن: ٣٦ . جامع البيان ١٦: ١٢٩ ، ١٣٠ ، التبيان ٧: ١٥٠ .

(٣) انظر جهرة اللغة ٢: ٢٥٨ ، الصحاح ١: ٢٥٨ ، مقاييس اللغة ٦: ١٠٥ .

المخصوص ٩: ١٥٥ ، وانظر شواهد الشعر في المفضليات: ٢٢٥؛ الامالي للقالي ٢٤٥: ٢ .

(٤) الكشاف ٢: ٢٩٢ .

(٥) سورة الاعراف ٧: ٥٠ - ٥١ .

الماء ، والعطش في مفهومها العام (١) وقد فسر النعيم في قوله تعالى (كلا
لو تعلمون علم اليقين لترؤن الجحيم ثم ترونها عين اليقين ، ثم
لتُشَلُّن يومئذ عن النعيم) (٢) . مما يعطينا صورة عن أهمية الماء
عندهم وكيف انهم احسوا ان حرمانه عذاب لا يدانيه عذاب ، وان
توفره في الجنة نعيم وثواب فالعربي الذي طالما احس بأذى العطش والظماء
في بيته الصحراوية ، ثم عرف اللذة في الحصول عليه بعد ظمآن قاتل .
هذا العربي يستطيع ان يتصور في الآيات الكريمة مدى العذاب الذي يعذب
به المجرمون في النار بحرمانهم من الماء ويستطيع ان يتصور الآيات التي
تعرض عطش المجرمين ، وحرمانهم . ومن هنا جاء التأثير العظيم في نفوس
العرب من مسلمين ومشركين .

لقد عانى العرب من حرمانهم الماء في بيئتهم الحارة ما عانوا ، تلك
البيئة التي يلاقي فيها الحيوان ما يلاقيه الانسان من شدة القبيظ ، والأذى
فقد روى الأصمي انه قيل لأعرابي ما لوح جسمك ؟ قال الأداوى
والنجم . يريد انه كثير الأسفار فهو يراعي أدواته كم فيها من الماء (٣) .
فن الطبيعي اذن ان نجد هم متلهفين الى الماء في مثل هذه الأجواء الشديدة
الحر وان يجدوا فيه اعظم النعيم ، وأحسنها ، يفرح العربي ويبلغ غاية سعادته
اذا تيسر له شيء من الماء ، ويعتبر الحصول عليه بشارة يبشر بها وفرجاً
يعنى الله عليه . قال الراجز :

تبشّري بالرّفّهِ والماءِ الرّوّى وَ فَرْجٌ مِنْكِ قَرِيبٌ قَدْ أَنِّي (٤)

(١) راجع ص ١٤٩ .

(٢) سورة التكاثر : ١٠٢ : ٨ - ٥ .

(٣) معاني الشعر : ٢٦ .

(٤) شرح القصائد السبع : ١٩٨ ، لسان العرب ١٩٦٣ : ٦٣٦ والبيت غير منسوب الى قائله

ويحن العربي الى الماء حينه الى اهله ، ووطنه ، ومرتع صباه . ولا يجد اجل من تمنيه شربة ماء يشربها بعد عطش (١) وفخروا بكرمه الذي لا يمنعه جوع ، ولا عطش ، وانهم يجودون بما لديهم في الحالتين (٢) . ولندرة الماء عندهم صار اعظم ما يمدح به الرجل هو الصبر على تحمل العطش ، وقرنوه بالحمل ذلك الحيوان الذي احبوه لتحمله العطش الشديد في الصحاري الواسعة من ذلك ما يذكر في خبر عامر بن الطفيلي حين توفي ، ونصب حول قبره حمى ، ان احد ابناء قومه قال لهم : (خصيقم على أبي علي أنَّ ابا علي بان في الناس ثلاث : كان لا يعْطاش حتى يعطش الجمل ، وكان لا يصل حتى يصل النجم ...) (٣) . كل هذا يعكس اهمية الماء في البيئة العربية ، لأنهم عانوا من فقدانه ما عانوا ، فاستطاعوا ان يعرفوا لذة الماء البارد بعد اوجة شديدة وعطش مرض ، وشبوا به الحديث الجميل الذي يترك اثراً طيباً في نفوس سامعيه قال القطامي :

فِئُنَّ يَسْبِدُنَّ مِنْ قَوْلٍ يُصْبِنَّ بِهِ

مَوْاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغُلَةِ الصَّادِي (٤)

واما اراد الشاعر ان يبين شدة وجده ، وولته بصاحبته شبهه بوجود الظمآن للاء اذا حرم منه . قال امرؤ القيس :

(١) انظر الحيوان ٦: ٨٦ ، الوحشيات ٢٠١، ٢٠٢ ، ثمار القلوب :

٤٤٥ ، الحماسة البصرية : الورقة ٣٠٨ (أ).

(٢) منتهی الطلب : الورقة ٢٤٧ ().

(٣) الاغاني ١٥: ١٣٩ ط بولاق وانظر حول حمى الماء مجمع الامثال

. ٣٤ : ٢

(٤) ديوان القطامي : وانظر ايضا الحيوان ٥: ٤١ .

لَعْمَرُكَ إِنِّي لَأُحِبُّ مَيْتًا كَحُبُّ مُحَلَّمٍ ظُمَانَ رَيْتَا (١)

وانشد ابن دريد لاعرابي قوله :

وَانِي لَاهُواهَا وَاهُنِي لِقَاءهَا كَمَا يَشْتَهِي الصَّادِي الشَّرَابُ الْمُبَرَّدًا (٢)
وشدة الشوق الذي يشعر به المحب لا يتصوره الا حرًّا يأكلُ
احشاءه ، فإذا أراد المبالغة في اظهار ألمه قال : انه حرّ لا برد فيه (٣)
وقال الشعالي : برد الشراب يتمثل به في كل محظوظ وعند كل مشتهي (٤)
وأخيراً فقد سئل الإمام علي عن حب المسلمين للرسول (ص) فقال :
(كان والله احب اليها من اموالنا ، واولادنا ، وابائنا وأمهاتنا ، ومن
الماء البارد على الظماء) (٥) .

هذه الصورة المحببة للماء ، وما يلاقيه العرب في بيئتهم الصحراوية
الشحيحة تساعدنا على تصور الجو الرهيب الذي تثيره الآيات الكريمة :
(ونادي اصحابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنْ الْمَاءِ أَوْ
مَا رَزَقْنَاكُمُ اللَّهُ، قَالُوا: إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهَا عَلَى الْكَافِرِينَ) (٦) .
فهذه الآيات وحدها كافية لأثارة الجو الرهيب في نفس الانسان ، فكيف

(١) ديوان امرىء القيس : ٢٥٩.

(٢) الامالي للقالي ١ : ٣٣ ، وانظر ايضا اراجيز العرب : ٦٧ ، والبيت

منسوب للاحوال الشاعر الاسلامي المعروف في الاغاني ١١ : ٢٢ وانظر ايضا
زهر الاداب ٢ : ٣٧٢ ، التنبية على اوهام أبي علي : ٢٧ .

(٣) الحيوان ٥ : ١٩٢ ، الصناعتين : ٧٧ ، الكامل للمبرد ٢ : ٦٠٦ ،

الأمالى للقالي ٢ : ١٩٢ .

(٤) ثمار القاوب : ٤٩٩ ، وانظر ايضا النهاية في غريب الحديث ١ : ٧١ .

(٥) الكامل للمبرد ٢ : ٦٠٧ ، ثمار القاوب : ٤٩٤ .

(٦) سورة الاعراف ٧ : ٥٠ .

بالعربي الذي يرى في حرمان الماء عذاباً لا يداينه عذاب؟ ان الآيات الكريمة تثير في ذهنه معلم بيته القاسية التي عرف فيها أهمية الماء ، وما يهيب الانسان من الأذى والحرمان حين يُحُرِّم منه او يفتقره في مجاهل الصحراء وفيها ، ، ،

انها مشاهد رهيبة تثيرها الآيات الكريمة في رسم صور العذاب بالعطش والحرمان من الماء حين يطلب اهل النار من اهل الجنة ان يفيضوا عليهم شيئاً من الماء يروي عطشهم ، ولكن الرد يأتهم قاسياً رهيباً ، اذ لارحة اهل النار ، ولا يفيسن اهل الجنة عليهم بشيء من الماء ، حتى اذا بلغ بـم الظماً مداه ، وقطعت اعماوْهُم لفرا على الماء ، سقوا شراباً حاراً واي شراب؟ انه شراب صور بعده تعبير ، كل منـا يعطي صورة مفزعة ، فهو تارة الحميم ، وآخر الغساق ، ويُشَبَّه مرة بالمهـل ، وبالصـيدلـة مـرة اخـرى .

أ - الحميم :

ورد الحميم في الآيات الكريمة محاطاً بـسياق عام يعرض عذاب جهنم الأيام ، ولظاها المحرق ، ففي سورة الدخان عرضت الآيات الكريمة طعام اهل النار الذي يغلي في بطونهم ويؤذـهم ، فيأتي الشراب ليغلي هو الآخر في بطونـهم ، ويزيد عذابـهم (ان شجرة الزَّقَوم طعامُ الأئم ، كالمـهـل يـغـليـ فيـ البـطـونـ كـغـلـيـ الحـمـيمـ ، خـذـوـهـ ، فـاعـتـلـوـهـ إـلـىـ سـوـاءـ الـجـمـيمـ ثم صـبـوـاـ فـوـقـ رـأـسـهـ منـ عـذـابـ الحـمـيمـ ، ذـقـ إـنـكـ أـنتـ العـزـيزـ)

(1) ورد في حمس عشرة آية انظر المعجم المفهرس : ٢١٢ .

الكريم) (١) ، وقال تعالى ايضاً : (أَذْلَكَ حَسِيرٌ نُزُّلًا أُمُّ شَجَرَةٍ
 الرَّقُومِ ؟ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ إِنَّمَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ
 طَلَعُهَا كَأَنَّهُ رُؤْسُ الشَّيَاطِينِ ، فَإِنَّمَا لَا كَلُونَ مِنْهَا ، فَالشَّيْطَانُ مِنْهَا
 الْبَطْوَنَ ، ثُمَّ إِنَّ لَهُ عَلَيْهَا كَشُوبًا مِنْ حَمِيمٍ ، ثُمَّ إِنَّ مَرْجَعَهُمْ لِإِلَى
 الْجَحِيمِ) (٢) . وفي سورة الرحمن صور المحرمون وهم يطوفون في جهنم
 بين الحميم ، والماء الحار الذي بلغ أقصى درجات الحرارة : (يُعْرَفُ
 الْمُحْرَمُونَ بِسِيَاهِهِمْ فَيُوَدَّلُونَ بِالسَّنَوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ، فَبِايَّ أَلَاءِ رَبِّكُمْ
 تَكْذِبُونَ ؟ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُحْرَمُونَ ، يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ
 حَمِيمٍ آنِ) (٣) . وفي سورة الواقعة نجد وصفاً دقيقاً لهذا الشراب المؤذى
 الذي يلتجأ إليه المحرمون بعد أن يحرقون الزقوم بطنهم ، فيشربون من الحميم
 فلا يرتون ، بل يزيد اذاهم ، ويعطشهم ، وبشهون بذلك الابل الحميم :
 (ثُمَّ لَا تَكُمُ اِيَّاهَا الضَّالُولُونَ الْمَكْذُوبُونَ ، لَا كَلُونَ مِنْ شَجَرَةٍ مِنْ زَقُومٍ
 فَالشَّيْطَانُ مِنْهَا الْبَطْوَنَ ، فَشَارِبُوْنَ عَلَيْهِ مِنْ الْحَمِيمِ ، فَشَارِبُوْنَ شُرْبَ
 الْحَمِيمِ ، هَذَا نُزُّلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ) (٤) . ونجد في صفة هذا الشراب
 ايضاً انه يقطع الاماء لشدة حرارته : (وَسُقُوا ماءً حَمِيمًا فَقَطَعَ
 امْعَاءَهُمْ) (٥) .

لقد فسر بعض المفسرين الحميم في الآيات السابقة بأنه الماء الحار

(١) سورة الدخان ٤٤ : ٤٣ - ٤٩ .

(٢) سورة الصافات ٣٧ : ٦٢ - ٦٨ .

(٣) سورة الرحمن ٥٥ : ٤١ - ٤٤ .

(٤) سورة الواقعة ٥٦ : ٥١ - ٥٦ .

(٥) سورة محمد ٤٧ : ١٥ .

المغلي الذي تناهى حرّه ، وبلغ أقصى الدرجات (١) : وقال آخرون ان الحميم دموع اعين المجرمين في النار ، تجتمع في خنادق فُيُسْقَوْنَه (٢) : وكلا التفسيرين يعطي معنى واحداً هو أن ما يُسقى منه المجرمون شراب شديد الحرارة ، سواء كان مغلياً او كان دموع المجرمين الحارة . ومن الضروري تتبع دلالة الكلمة ، ومعانٍها في الذهن العربي لمعرفة الایحاء الذي تثيره الآيات الكريمة .

فالحر في الصحراء العربية - وقد مرت بنا صوره - جعل العرب يكثرون من وصف شدة القبيظ والايام الحارة ، فسموا القبيظ الحميم (٣) وقالوا حمّة الحر وشده (٤) . وقد وردت بهذا المعنى الحسي في القرآن الكريم ايضاً حين ذكرت "اموال الباطل" ، وكيف أنها يُخْمِي عليها في نار جهنم ، ويُكوى بها أصحابها (٥) ، ووصفت النار بالحامية لشدة حرارتها (٦) وكذلك وردت في الحديث النبوي الشريف (٧) .

ومن هنا اطلق الحميم على كل ما اشتتد حرارته ، فاطلق مثلاً

(١) تنوير المقياس : ٨٩ ، مجاز القرآن ١: ٢٧٤ ، جامع البيان ١٧ : ١٣٣ ، ٣٠ : ١٣ ، تفسير القمي: ٣٤٦ ، التبيان ٨: ٥٠٣ ، الكشاف ١: ٥١١ .

(٢) جامع البيان ٣٠ : ١٣ .

(٣) الازمنة لفطرسب: ٤٥ ، النوادر ١: ١٥ ، الصبحاح ٥: ١٩٠٥ ، لسان العرب ١٥: ٤٣ .

(٤) الصبحاح ٥: ١٩٠٤ ، لسان العرب ١٥: ٤٢ .

(٥) سورة التوبة ٩: ٣٥ .

(٦) سورة الغاشية ٨٨: ٤ .

(٧) مستند الإمام احمد ١: ٢٦٢ ، ٢٠٧ ، ٨٣: ٢٦٢ .

على الميرون الحارة التي وجدت في بعض أنحاء الجزيرة العربية وسمّوها
الحُمُّة (١) .

ومن ثم اطلق الحميم على كل ماء حار (٢) . أما العرق الذي اطلق
عليه الحميم (٣) فقد سمي بذلك على التشبيه ولأنه لا يخرج من مسامات
جسم الإنسان إلا عند اشتداد الحر أما الحميم الذي هو القريب أو الصديق
والذي ورد في القرآن الكريم أيضاً (٤) فقد علل الراغب تسميته بأنه
يتحدد لطبيعة ذويه (٥) .

وفي كل هذه المعاني المتعددة الكلمة تجده إنها تعني شدة الحر وبلوغه
أقصى الدرجات وهو المعنى الذي فسرت به الآيات الكريمة بأن المجرمين حين
تشويههم النار باظواها فيتمنون ماء يطفئون به غليلهم ويخففون به شدة الحر
وعذاب النار ، فإذا بهم يسقون ماء يبلغ في غليه أقصى درجات الحرارة
فيقطع أمعاءهم ، ويزيد عذابهم .

وورد الحميم في آياتين على أنه وسيلة من وسائل التعذيب الجسدية
بالإضافة إلى اعتباره شراباً قاسياً (هذان خصمان اختصما في رَبِّهم

(١) صاحب العين عن الخصوص ١٠ : ٢٣ ، جمهرة اللغة ١ : ٦٤ ، الصحاح

١٩٠٤ : ٥ .

(٢) أبو عبيدة وابن السكينة عن الخصوص ١٠ : ٣٣ ، جمهرة اللغة ١ : ٦٤ ،

الصحاح ٥ : ١٩٠٤ .

(٣) صاحب العين عن الخصوص ٩ : ١٣٩ ، جمهرة اللغة ١ : ٦٤ ، المسلسل:

٢٨٧ ، المفردات ١٢٩ وانظر الشعر في شرح ديوان ليبد ١٣٢ ، ديوان النابغة

الجعدي ١١ ، ديوان المزركش بن ضرار ٤١ ، شعر المثقب العبدى ٢٥ .

(٤) انظر المعجم المفهرس ٢١٢ .

(٥) المفردات ١٣٩ .

والذين كفروا قطعَتْ لهم ثياب من نارٍ يُصَبُّ من فوق رؤسهم الحميم ، يُصْهِرُ به ما في بطونهم والجلود ، ولهُم مقام من حديد)١(ففي هذه الآيات نجد تصويراً ممجزاً لشدة حرارة الحميم ، فهو اذا صب على رؤسهم صهر جلودهم ، وبطونهم ، ومع ذلك يعادون الى خلقتهم الاولى ، ليعاد عذابهم ، وقوله تعالى لهم مقام من حديد يزيد تصوير شدة حرارة الحميم الذي يصب على رؤوس المجرمين ، وقد قنعوا بالحديد ، فيهب بحرارته رؤسهم ، وينفذ الحميم الى بطونهم فيذوبها ، فتشكل الصورة الكاملة لعذاب الحريق مع الشراب الحار الذي يسقوه ، ويصب على رؤوسهم .

ب - الصديد :

اما الصديد فقد وصف به الماء الذي يغاث به المجرمون في النار حين يشتد عطشهم (واستفتحوا ، وخارب كل جبار عنيد ، من ورائه جهنم ويسقى من ماء صديد ، يتجرعه ، ولا يكاد يسيغه ، ويأتيه الموت من كل مكان ، وما هو بيت ، ومن ورائه عذاب غليظ))٢(.

فقد فسر الصديد بأنه ما يخرج من اجسام المعدبين في النار من قبح ودم)٣(. وهكذا عرفه العرب في حياتهم ، وتعابيرهم

(١) سورة الحج ٢٢ : ٢٠ - ٢١ .

(٢) سورة ابراهيم ١٤ : ١٥ - ١٧ .

(٣) تنویر المقیاس : ١٦١ ، مجاز القرآن ١ : ٣٣٨ ، جامع البيان ١٣ : ١٩٥ .

البيان ٦ : ٢٨٣ ، الكشاف ٢ : ١٧٥ ، التهایة في غریب الحديث ٢ : ٢٥٤ .

اللغوية (١) ، وهذا المعنى الذي فسرت به الآية الكريمة يعطي إيحاء رهيباً
إضافة إلى إيحاء العطش ، والحرمان من الماء ، لأنه يوحى بالاذى والالم
الشديد ، فهو يخرج من أجساد المعدبين ، وحروقهم في النار ، ومع ذلك
لا يجدون شراباً غيره فيضطرون إلى شربه وتجرعه ، ولكنهم لا يستطيعون
احتفاله ، لأنه لا يشفي غليلهم أولاً ، ولأنه يثير التقوز في النفوس ثانياً
فيتمون الموت ، ولكنهم لا يموتون ، لأنهم قد كتب عليهم العذاب
الأزلي الدائم .

ج - المهل :

ومثل الصدید فسر بعضهم المهل في قوله تعالى : (وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ
رَبِّكُمْ قَفَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ) ، ومن شاءَ فَلَيُكَفِّرْ ، إِنَّا اعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ
نَاراً احاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ، وَانَّ يَسْتَغْيِثُوا بِعَذَابِ الْمُهَلَّ يَشْوِي
الْوَجْهَ ، يَشْسَسَ الشَّرَابَ ، وَسَاعَةً مُرْتَفَقاً) . (٢) الا ان في الآية
الكريمة إيحاء آخر غير معنى الجروح والقرح ، وهو معنى المهل الذي
فسره معظم المفسرين بالتحاس الذائب كما مر بنا سابقاً (٣) . فهذا المعنى
يزيد الآية إيحاء آخر ، ذلك أن الماء الذي يغاث به المجرمون يغلي كغليسان
النحاس والمعدن ، ولشدة غليانه يحرق الوجوه ، ويшибها ، فكيف بهم
اذا أجبروا على شربه وتجرعه ! وهو في هذه الحالة مقوز غير قادر

(١) الغريب المصنف الورقة : (١١٢) ، جمهرة اللغة ٣ : ١٩٠ ، الصحاح

١ : ٤٩٣ ، مقاييس اللغة ٣ : ٢٨٢ ، المخصص باب الجراح والقرح ٥ : ٩١

(٢) سورة الكهف ١٨ : ٢٩

(٣) راجع : ص ٨٣

كالصديد والقيح ، ومثل هذا فسر بعضهم الغساق في قوله تعالى : (إنْ جَهَنَّمْ كَانَتْ مِرْصَادًا ، لِلظَّاغِينَ مَآبًا ، لَابْشِنَ فِيهَا أَحْقَابًا ، لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرًّا ، وَلَا شَرَابًا ، إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا) (١) ، فقالوا انه ما يسئل من جلودهم من الصديد ، والقيح (٢) . وقالوا في تفسير البرد في الآية الكريمة بأنه سبحانه وتعالي حرام على الكافرين الشراب البارد الذي يبرد حر العuir (٣) ، فهم لا يسوقون إلا الحميم والغساق . وقد اجتمعت في هذا الشراب شدة الحرارة ، وتنق الرائحة . وقال بعضهم البرد هنا النوم . ويفيدوا ان المعنى الأول اكثر انسجاماً مع سياق الآيات العام الذي يعرض شدة العطش والحرمان من الماء البارد الا الشراب الذي يزيد عطشهم ويحرق ابدانهم . هذه التعبيرات تجتمع كلها لنصور شراب أهل النار على انه وسيلة من وسائل التعذيب اضافة الى معاناتهم لحب النار ، ولظاهرا المحرق ومن الواضح ان اطلاق الشراب على هذا الضرب من العذاب انما صدر عن سخرية لاذعة بال مجرمين ، حين تقطع امعاؤهم عطشا ، فيفاثون بماء لا يروي غلتهم ، ولا يفيدهم فائدة الماء ، ولكنهم يشربون منه ، لأنهم لا يجدون شرابا غيره ، ولأن الطعام الذي يتجرعونه يزيد عطشهم ويحرق

(١) سورة النبأ ٧٨: ٢١ - ٢٥

(٢) جامع البيان ٣٠: ١٣ ، الكشاف ٣: ١٨ ، وكذا قال اللغويون انظر شوادر الشعر في المفضليات : ٢٩ ، الوحشيات : ٢٢٦

(٣) تنوير المقياس : ٣٧٩ ، جامع البيان ٣٠: ١٢ ، تزويه القرآن : ٣٦١
الكشاف ٣: ٣٠٦

(٤) تنوير المقياس : ٣٧٩ جامع البيان ٣٠: ١٢ ، الكشاف ٣: ٣٠٦ ،
والنظر ايضاً المدخل : مجلة الجمع العلمي العربي ٩٢: ٨: ٤٦٠

بطونهم ، فيشربون من هذا الشراب دون ان يجدوا فيه لذة الشراب
ونعيم الماء :

وعذاب العطش والحرمان من الماء صور في آية أخرى بتعبير رائع
يجعل من صورة العطش لوعة دائمة التجديد ، تتجسد فيها صور في البيئة
العربية قال الله سبحانه وتعالى : (ثُمَّ إِنَّكُمْ إِنَّهَا الصَّالُونَ الْمَكْذُوبُونَ لَا كُلُونَ
مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُومٍ ، فَالثَّوْنَ مِنْهَا الْبَطْوَنَ) فشاربون عليه من الحميم .
فشاربون شربَ الْهَيْمِ ، هَذَا نُزُّلُكُمْ يَوْمَ الدِّينِ) (١) .

ففي هذه الآيات الكريمة ترسم لنا صورة العطش الدائم ، والحرمان
الأزلي من الماء ، وشبه شربهم المتواصل الذي لا يجد لهم بشرب الْهَيْمِ :
وقد اختلف المفسرون في تفسير الْهَيْمِ ، فقال بعضهم ان الْهَيْمِ
(هي الابل الظماء اذا اخذها الداء الْهَيْمِ لا تقاد ان تروى) (٢) :

وقال آخرون بان الْهَيْمِ هي الابل العطاش ، ولم يخصوها بالمرضى
قال ابن عباس : (وقيل كشرب الابل العطاشى اذا اكلت الحمض) (٣)
وكذا قال اللغويون (٤) . وقد اعتمد المفسرون في هذا التفسير على معنى
عرفوه في بيئتهم ، وكثير استعماله في لغتهم وتعابيرهم ، ذلك انهم اعتادوا

(١) سورة الواقعة ٥٦ : ٥١ - ٥٦

(٢) تنوير المقاييس : ٣٣٩ ، جامع البيان ٢٧ : ١٩٥ ، التبيان ٩ : ٥٠٢

الكاف ٣ : ١٩٥

(٣) تنوير المقاييس ٣٣٩ ، وانظر ايضاً جامع البيان ٢٧ : ١٩٥ - ١٩٦

(٤) جمهرة اللغة ٣ : ١٨٢ ، الصحاح ٥ : ٢٠٦٣ ، اساس البلاغة ١٠٧١

لسان العرب ١٦ : ١١٠ ، ديوان الشماخ ٨٥

ان يراقبوا ابلهم في حاله صحتها ، ومرضها ، فعرفوا فيها داء اسموه الهيام وهو (داء يصيب الابل من ماء تشربه مستنقعاً) (١) . وقال ابن السكري (الهيام داء يأخذ الابل عن بعض الماء بهامة) (٢) . وقد عرف الجغرافيون العرب هذا الضرب من الماء في وصفهم لانهاء الجزيرة العربية فذكره عرّام في وصفه لواдов شس في تهامة فقال وهو بلد مهمّة موبأة ، لا تكون بها الابل ، يأخذها الهيام عن نفوع بها ساكرة لا تجري قال الشاعر :

كأنكَ مرْدوعٌ شسَ مَطْرُدٌ
يفارقُه منْ عَقْدَةِ الْبَعْنِ هِيمَهَا (٣)

أي كأنك جمل مبعد عن وادي شس مصاب باوجاع مؤلة ، يريده ان يفارقه ، وخصت هذه المنطقة بالذكر ، لأنها موبأة بمرض الهيام ؛ واذا كان هذا الماء الذي يسبب مرض الابل قد عرف بعيته في منطقة تهامة ، وعرفوا نتائجه الوخيمة على ابلهم فن الجائز ان نجد ماء راكدا مثله في مناطق أخرى من الجزيرة الغربية يسبب مرض الهيام ايضاً ، ومن هنا نجد شيوع استعمال كلمة الهيام في اشعارهم ، ووصفهم لابلهم . قال الحادرة (٤) :

(١) الغريب المصنف : الورقة (٤٠٢)

(٢) عن الخصص ٥: ٣٧ . وانظر ايضاً ٧: ١٧٠

(٣) اسماء جبال تهامة : ٢٩ ، والبيت غير منسوب لقائله ، وانظر أيضاً

معجم البلدان ١: ٦٧٢

(٤) الحادرة لقب غالب عليه ، والحوادرة ايضاً اسمه قطبة بن اوس بن محضن من شعراء قيس ، شاعر جاهلي مقل ، وانما سمي الحادرة لقول زبان بن صبار الفزارى كأنك حادرة المتنكبين رصعاء تنقض في حائر

انظر ديوان المفضليات : ٤٨ - ٤٩ ، الآغاني ٣: ٧٩

أودى السُّفَارُ بِرْمَهَا فَتَخَالُهَا هِيمًا مُقْطَعَةً حِبَالَ الْأَذْرُعِ (١)
أي ذهبت كثرة الاسفار بلحوم هذه الابل ، وشحومها ، واصابتها
الهيام فقصدت عروقها وقطعها ، لانها تشرب من الماء فلا تزوى . وقال لبيد :
أَجَزَتُ إِلَى مَعَارِفِهَا بُشْرَتِي وَاطْلَاحَ مِنَ الْعِيدِي هِيمٌ (٢)
هذه الصورة للأبل العطاشى المريضية قد علقت في اذهان العرب
وشعراهم ، فجعلوا منها مادة لانتispes لتشبيهاتهم ، واحتيلتهم . قال اعرابي :
فَإِنْ جَدَ مِلَوَاحٍ مِنَ الْهِيمِ حُلِّيَّتْ عَنِ الْمَاءِ حَتَّى جَوْفُهَا يَتَصَلَّصِلُ
تَحْوُمُ وَتَغْشَاهَا الغصِّيُّ وَحَوْلَهَا أَقَاطُعُ أَنْعَامٍ تُعَلُّ وَتُسْهَلُ
بِأَكْثَرِ مِنِي غُلَةً وَتَعَطَّفُنَا إِلَى الْمَاءِ إِلَّا أَنِّي أَتَجَمَّلُ (٣)
فصورة الأبل المصابة بمرض الهيام ، المشوقة الى الماء الدائمة العطش
الا انها محرومة يمنعها اصحابها عن الورد بالضرب والعصي ، ومع ذلك
ترى امامها الانعام ترد الماء وترتوى منه ، فيزيد وجدها وتشوقيها الى الماء
هذه الصورة شبه بها الاعرابي حاله في شدة عطشه الا انه اكثر صبرا
وتحملها من الأبل الهيم . والاعرابي في هذه التشبيهات انا استند على صورة
اعقادها في الصحراء الواسعة .

ومن هنا جاء تفسير المفسرين لقوله تعالى : (ثُمَّ إِنَّكُمْ إِيَّاهَا الضَّالُّونَ
الْمَكْذُوبُونَ ، لَا كَلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقَوْمٍ ، فَالثُّوْنَ مِنْهَا الْبَطُونَ)

(١) المفضليات : ٤٧ ، وانظر ايضاً قول ربيعة بن مقرئ : ١١٨

(٢) شرح ديوان لبيد : ١٠٣

(٣) الحيوان ٣ : ١٠٤ ، وانظر شواهد شعرية أخرى في ديوان عامر بن

الطفيل : ٣٢ ، ديوان شعر ذي الرمة : ٥٨٨ ، تاريخ العرب للاصمعي : ١٠٣

الصحاح ٥ : ٦٠٣

فشاربونَ عليهِ من الحميمَ ، فشاربونَ شرب الهمِ) (١) وذلك ان عطشن اهل النار الشديد يجعلهم يشربون من الماء المغلي فلا يرتوون ، بل يزداد عطشهم ، وألمهم ، ومثلهم في هذا مثل الأبل الهميم التي مرت بنا صورها ، والتي اعتادها العرب في بيتهما .

اما التفسير الثاني للابة الكريمة فقد ذهب به بعضهم بعيدا عن معنى الأبل العطاشى فقالوا (الهم هي الأرض السهلة) (٢) . وقال الطبرى (يقال ان الهم الرمل ، بمعنى ان اهل النار يشربون الحميم شرب الرمل الماء) (٣) : وقد استمد المفسرون هذا المعنى من استعمال لغوی الكلمة عرفه العرب ، وشاع استعماله ايضا ، وهو اطلاقهم للهیام على نوع من الرمل . قال الاصمعي (الهیام الذي لا يقالك ان يسفل من اليد من لينه) (٤) ، قال لبيد :

تجاف أصلًا قاصداً متنبلاً بمحبوب أنقاء يميل هیامها (٥)

يقول ان هذه البقرة تدخل نفسها في جوف شبرة كبيرة ، بعيدة عن المسالك نابتة في اطراف كثبان تهال رمادها بسرعة وقال ايضا :

(١) سورة الواقعة ٥٦:٥١ - ٥٦

(٢) تنوير المقاييس : ٣٣٩ .

(٣) جامع البيان ٢٧:١٩٥ ، الكشاف ٣:١٩٥ .

(٤) عن الغريب المصنف : الورقة ٢١٤ ، وانظر ايضاً مجالس ثعلب

٢:٤٦٨ ، جهرة اللغة : ٣:١٨٢ ، الصبحاح ٥:٢٠٦٣ ، اساس البلاغة : ١٠٧١
لسان العرب ١٦:١١٢ .

(٥) شرح ديوان لبيد ٣٠٩ ، والشطر الثاني من شواهد الخليل في العين ١٤
والاصمعي في المخصوص ١٠:١٤٥ .

يَرَعُ الْهِيَامَ عن التُّرْى وَيَدَهُ **بُطَاحٌ تَهَاوِلُهُ عَلَى الْكَثْبَانِ** (١)
 هذا الرمل الذي يتسلط بسرعة ، ويسلل منها لادني حركة لا يمسك
 الماء اذ سرعان ما تتبعه ذراته ، وتغور به ، فلا يبقى له اثر ، وهي
 صورة تشبه صورة الابل الهميم التي لا يحدها الماء شيئاً ، فهنا شربت عادت
 الى حالها الاولى من لوعة العطش والتשוק الى الماء وفي كلا الصورتين
 نجد معنى ماديا وثيق الصلة بالبيئة العربية بحيث يصعب علينا تحديد دلالة
 الكلمة الاولى .

وهكذا يعرض لنا تعبير الهميم في الآيات الكريمة صورة الفطش الدائم
 واللوعة المستمرة التي يعنيها الجرمون يوم القيمة ، كما يعكس لنا صورا
 من البيئة العربية . صورة الابل المريضة بالهميم تشرب الماء فلا ترتوي ،
 وصورة الرمل المنهال الذي لا يمسك الماء ، ولا يحفظه ، وهي صورة
 تكمل ملامح عذاب الجرميين في النار حين يسقون الطعام المؤذن الذي يلهب
 بطونهم ، فيشربون فوقه شرابا حارا يزيد عطشهم ويلهب احشاءهم .

٦ - طعامهم :

اما طعام اهل النار فقد صور في القرآن الكريم بعدة تعبيرات تجتمع
 كلها لاثارة جو رهيب لصنف آخر من صنوف عذاب الجرميين في النار:

أ - الفreib

قال الله تعالى : (وجْهٌ يَوْمَئِذٍ خَائِسَةٌ ، عَامِلَةٌ نَاصِبةٌ ، تَصْلِي

(١) شرح ديوان أبيد: ١٤٤ .

ناراً حاميةٌ ، تُسقى من عينٍ آليةٍ ، ليسَ لهم طعامٌ الا من ضريرٍ
 لا يُسمِّنُ ولا يُغْنِي من جوعٍ) (١) . فقد سمى طعام المجرمين بالضرير
 ووصف بأنه لا يُسمِّنُ ولا يُشبع كـما هو معروف في طعام الناس : وقد
 اختلف المفسرون في تفسيره ، فقال بعضهم : (لا ادرى ما الضرير ، لم
 اسمع عن اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فيه شيئاً) (٢) ، وقال
 آخرون ان الضرير شجر من نار) (٣) .

وقرن فريق من المفسرين الضرير بنبات عهدوه في البيئة العربية ،
 وعرفوا ميزاته وصفاته قال ابن عباس : (شوك يكون في البدية) (٤)
 وقال ابن قتيبة مفسراً الضرير بأنه (نبت يكون في الحجاز ، يقال لرطبه
 الشبرق ، لا يُسمِّنُ ، ولا يُشبع ، قال امرؤ القيس :
 فاتبعتهمْ طَرْفَيْ وَقَدْ حَالَ دُونَهُمْ غَوَارُبَ رَمْلَ ذِي أَلَاءِ وَشِبَرْقِ
 وَالْعَرَبِ تَصْفَهُ بِذَلِكَ) (٥) . وقال ابن قتيبة ايضاً ان (الضرير
 من اقوات الانعام ، لا من اقوات الناس ، واذا وقعت فيه الابل لم تشبع
 وهلكت هزلاً قال الهمذاني يذكر ابلاً وسوء مرعاها :
 وُحِسِّنَ فِي هَزْمِ الضَّرَّيرِ فَكُلُّهَا حَدَباءُ دَامِيَّةُ الْبَدِينِ حَرَودُ) (٦)

(١) سورة الغاشية ٨٨: ٢ - ٦.

(٢) هو قول الحسن البصري في التبيان ١٠: ٣٣٤ - ٣٣٥.

(٣) تأويل مشكل القرآن : ٤٨ ، والبيت في ديوان امرئ القيس ١٦٩ ،
 متشابهات القرآن ٢: ١١٦ .

(٤) اللغات في القرآن : ٥٤ .

(٥) تأويل مشكل القرآن : ٤٨ ، والبيت في ديوان امرئ القيس ١٦٩ ،
 وانظر ايضاً النهاية في غريب الحديث ٣: ١٨ .

(٦) تأويل مشكل القرآن : ٤٩ .

وهذا البيت لقيس بن خوبيلد بن العizarة (١) في أبيات يرثي بها

أخاه وروايته في الديوان :

وُحِسْنَ فِي هَزْمِ الضَّرِيعِ فَكُلُّهَا حَدِباءً دَامِيَّةً الْيَدِينِ جَدُودُ (٢)
وهي ارجح من رواية ابن قتيبة ، لأنها تبين صورة الأبل التي شبه
بها الشاعر القوم الذين يقتاتون مالا يشعرون به ، باهتم كالابل التي حبس ،
ومنعت الا من أكل الضريح - وهو الشرق - فهزلت وبدت عظامها ،
وانقطع لبها .

وقال آخرون ان الضريح هو الحجارة (٣) ، ولا يوجد في
استعمال الكلمة اللغوي ما يساعدنا على فهم الضريح باهته الحجارة . أما
الذين قالوا بان الضريح شجر من نار (٤) ، فأنما ردوا بقولهم على من
اعتراض على وجود طعام في النار التي تحرق كل شيء .

ويبدو ان اقرب هذه التفاسير هو قول من قال ان الضريح نبت
المعروف في الجزيرة العربية ، وليسقصد من هذا اطعامهم ، ضربا من
الطعام ، انما المراد السخرية بال مجرمين ، ذلك لأن الناس تأكل لتزيد قوتها
وتشبع ،اما طعام اهل النار فإنه لا يعني من جوع ولا يسمى ابدا ، وله
صورته الواضحة في البيئة العربية ، فقد اعتاد العرب النباتات المتوفرة في
بيئتهم ، وخبروا انواعها ، وما يفيد حيوانها ، وما يضره ، فكان من بينها

(١) شاعر جاهلي من بني هذيل ، والعizarة امه ، وبها يعرف ، وهو قيس
ابن خوبيلد ، اسرته فهم فافت منهم ، وانحد سلاحه تأبط شرا . انظر شرح
اشعار المذالين ٢ : ٤٨٩ .

(٢) شرح ديوان المذالين ٢ : ٥٩٨ ، وانظر ايضا الصبحاج ١٠٨:١ ، ٤٦١ .

(٣) جامع البيان ٣٠ : ١٦٢ .

(٤) انظر : ص ٢٤٧

ضرب خاص من النباتات اذارعت فيه حيواناتهم ساءت حالها وتدهورت صحتها ، وذلك هو الشبرق اليابس الذي اطلقوا عليه اسم الفريج (١) . ومن هنا فخرروا بخيوطهم القوية ، واعتنائهم بها ، وكيف انهم لا يطعمونها الا الطعام الجيد لا الفريج المؤذى :

ألا منعَتْ ثَالَةً بِطْنَ وَجْهِ بِجُرْدِ لَمْ تُبَاحِتْ بالفَرِيجِ (٢)
ومن هذا النبت الذي يهزل الابل ويضعفها اطلقوا تعبير الفسرَعَ
على الضعف والذل بصورة عامة (٣) . لأن من يضعف ، ويهزل تدل
نفسه ، وتسكن ومن هنا فسر بعضهم الفريج بقولهم : (الفريج بمعنى
المُضْرِعُ أي يضرعهم) .

وهذا المعنى المنظور من الاصل المادي يساعدنا على فهم الآية الكريمة
وذلك انه ما دام طعام اهل النار لا يسمن ، ولا يغنى من جوع ، وانه
الفريج الذي اذا اكلته الابل هزلت قواها ، فان هذا الطعام يؤدي حتماً
الى ضعف قواهم وهزتهم ، وانما سمي طعاماً (من حيث يستطعم) (٤)

(١) انظر الفاخر : ١٠٧ ، جمهرة اللغة ٢ : ٣٦٢ ، فقه اللغة : ٤٧

الحكم ١ : ٢٥٠

(٢) الفاخر : ١٠٧ ، والبيت منسوب لمالك بن عمرو الغامدي في اسامي

البلاغة : ٣٢

(٣) جمهرة اللغة ٢ : ٣٦٢ ، الصحاح ٣ : ١٢٤٩ ، عام فصيح
الكلام : الورقة ١٥ ، مقاييس اللغة : ٣٩٥ ، الحكم ١ : ٢٤٩ ، وانظر شواهد
الشعر في ديوان الاعشى ٣٩ : ١٠٩ ، المفضليات : ٢٠١ ، الوحشيات : ٢٣
١٢٢ الحماسة البصرية : الورقة (ب) . وكذا وردت في القرآن الكريم

انظر سورة المؤمنون ٢٣ : ٧٦

(٤) تنزيه القرآن : ٣٥٣

أو (اريد انه لا طعام لهم اصلا ، لأن الضريح ليس بطعم للبهائم فضلا عن الانس ، لأن الطعام ما اشبع ، او اسمن ، وهو منها بمعدل كما تقول ليس لفلان ظل الا الشمس ، تزيد نفي الظل على التوكيد) (١) : وهذا الجوع المهزل الذي يعذب به المجرمون تصاف اليه شدة العطش ، والحرمان من الماء ، فتكتمل صورة المعدبين في النار وما يلاقونه من صنوف العذاب والأذى .

ب - الزقوم :

وهناك تعبير آخر يخص طعام اهل النار ونجده فيه وصفاً للشجرة التي يأكل المعدبون منها . قال الله تعالى : (الا عباد الله الخالصين أولئك لهم رزق معلوم) ، فواكهه وهم مكرمون ، في جنات النعيم على سرر متقابلين ، يطاف عليهم بكأس من معين ... أذلك خير نُزلاً أم شجرة الزقوم ؟ انا جعلناها فتنـة للظالمين ، انها شجرة تخرج في اصل الجحيم ، طعنـها كأنه رؤوس الشياطين فانهم لا كلون منها فالثـون منها البطون ، ثم ان لهم عليها لشوـبا من حمـيم ، ثم إن مرجـعـهم ، لإلى الجـحـيم) (٢) ، وقال تعالى ايضاً واصفاً ثواب أهل الجنة معدداً نعمـهم (واصحـابـ الـيـمـينـ ، ما اـصـحـابـ الـيـمـينـ ؟ في سـدـرـ مـخـضـودـ وـطـلـاحـ منـضـودـ وـظـلـمـ مـدـدـوـدـ وـمـاءـ مـسـكـوـبـ وـفـاكـهـةـ كـثـيرـةـ لـاـ مـقـطـوـعـةـ وـلـاـ مـنـوـعـةـ وـفـرـشـ مـرـفـوـعـةـ) (٣) . وقال سبحانه وتعالي واصفاً عذاب المجرمين وطعامـهم : (ان شـجـرـةـ الزـقـومـ طـعـامـ الـاثـيمـ ، كـالـهـلـ يـغـليـ فيـ الـبـطـوـنـ

(١) الكشاف ٣ : ٣٣٢

(٢) سورة الصافات ٣٧ : ٤١ - ٦٨

(٣) سورة الواقعة ٥٦ : ٢٦ - ٣٤

كَعَلِيُ الْحَمِيمٌ ، خُذُوهُ فَاعْتُلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَهَنَّمِ ثُمَّ صَبُوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ) (١) ففي هذه الآيات الكريمة مقابلة رائعة بين شجرة الزقوم التي يأكل الخبرمون منها فتملاً بطونهم ، وتنفث فيها كغلي الحميم ، وبين صورة المؤمنين الآمنين في جنائزهم حيث الفاكهة المتنوعة ، ولحوم الطير ، وكل ما تشتهيه أنفسهم .

وطعام الخبرمين في هذه الآيات الكريمة عبر عنه بشجرة الزقوم ، إلا ان المفسرين لم يفسروا لنا ما هي هذه الشجرة ، لأنهم لم يعرفوا شجرة بعينها في بيتهما تسمى الزقوم ، ولكن في أذهانهم صورة لها ، ذلك لأنهم اعتادوا ان يسموا كل طعام ثقيلاً بالزقوم (٢) . وقد اعترض ناس على وجود شجرة في النار التي تحرق كل شيء ، وإن هذه الشجرة لا يعرفها العرب فكيف خاطبهم الله سبحانه وتعالى بما يجهلون ؟ قال القاضي عبد الجبار بن احمد راداً على هؤلاء : (وجوابنا أنه اذا وصف حمالها صحي التخويف بها ، ولذلك قال الله تعالى (كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم) (٣) . وقال ايضاً (وربما قبل في قوله تعالى (ثم لانكم ايها الضالون المكذبون لاكلون من شجري من زقوم) كيف يصح التوعيد بما لا يعرف من جملة الأشجار ؟ وجوابنا ان لفظة الزقوم معروفة بأنها تستعمل في الكريمه من الأشياء فجاز ان يتوعد الله تعالى بذلك) (٤) : روی انه لما نزلت الآيات الكريمة بذكر الزقوم لم يعرفه العرب فقال ابو جهل : هذا شجر لا ينبت بأرضنا فمنكم يعرفه ؟ فقال رجل

(١) سورة الدخان ٤٤ : ٤٣ - ٤٨

(٢) لسان العرب ١٥ : ١٦١ ، النهاية في غريب الحديث ١ : ١٢٨

(٣) تنزيه القرآن : ٣٥١

(٤) ن . م

من افريقيا الزقوم بلغة افريقيا الزبد والتمر : فقال ابو جهل يا جارية
هات نمراً وزيداً نزد قمه ؟ فجعلوا يأكلون ويترقرون ويقولون : ابهذا
يعرفنا محمد في الآخرة ؟ فبين الله تعالى في آية أخرى الزقوم يقوله
(الها شجرة تخرج في اصل الجحيم) . ومن هذه الرواية يتبين لنا
ان العرب لم يعرفوا شجرة يعندها تسمى الزقوم . واذا كان هذا الأفريقي
- ان صحت الرواية - قد ادعى انها عندهم التمر والزبد ، وان أبو جهل
استغل قوله للسخرية من الرسول الكريم (ص) فقول الأفريقي هذا
يؤكد لنا جهل العرب في بيتهما بالزقوم ، أما دلالتها على الطعام التقبيل
او المكروره فانما عرفت بعد نزول الآيات الكريمة :

وتأتي بشاعة الزقوم من الآيات التي تليها ، وتصفها وصفاً رهيباً تضع
سخريه ابي جهل في صورة شاحبة سرعان ما تتلاشى لتحول محلها صورة
الرهبة من هذه الشجرة (أذلك خيرٌ نُزِّلَ أَمْ شَجَرَةُ الْزَّقُومُ ، إِنَّا
جَعَلْنَاهَا فَتَنَّةً لِلظَّالَمِينَ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحَيمِ ، طَلَعُهَا
كَانَهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ، فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا فَالثُّلُونَ مِنْهَا الْبَطُونَ) (٢) :
وتشبيه طلع شجرة (الزقوم برؤوس الشياطين اثار نقاشاً بين المفسرين
فقال بعضهم الشياطين هنا الحيات وذكر هنا ابن قتيبة حين قال :
(والشياطين حبات خفيفات الأجسام قبيحات المناظر . قال الشاعر ذاكراً ناقته :
تُلَاءِعُ مُثْنِي حَضْرَمِي كَانَهُ

تَمْجِ شَيْطَانٍ بِنْدِي خَرْوَعْ قَفْرْ (٤)

(١) تنزيه القرآن : ٣٢١ .

(٢) سورة الصافات ٣٧ : ٦٢ - ٦٨ .

(٣) تنوير المقياس : ٢٧٨ .

(٤) لم ينسبه ابن قتيبة الى قائله ، وكذلك قال الجوهري في الصحاح -

يعني زماماً ، شبه تلويه بتلوي الحياة . وقال آخر :
 عجيز تحلف حين أحلف
 كمثل شيطان الحماط أعرف^(١)
 والحماط شجر ، والعرب يقول ذلك اذا رأى منظراً قبيحاً كأنه
 شيطان الحماط ، يريدون حية تاوي في الحماط)^(٢) :
 وتفسير المفسرين هذا صادر عن معرفتهم ضرباً خاصاً من الحيات
 اطلقوا عليه اسم الشيطان كما ورد في كتب اللغة^(٣) .
 وقال آخرون : ان رؤس الشياطين شجر معروف في البيئة العربية ،
 وذكر الاصمعي انه يسمى الصوم^(٤) ، واطلق عليه بعضهم اسم الاستن
 وقالوا عنه انه شجر بشع ، منكر الصورة ، يقال لثمرة رؤس الشياطين ،
 وهو الذي ذكره النابغة ،
 تحييد عن استئن سود أسفله^{*}
 مثل الأماء الغوادي تتحمل الحز ما^(٥)
 - ٥ : ٢١٤٤ ، وهو منسوب لطرفة بن العبد في الحيوان ٤ : ١٣٣ ، والبيت غير
 موجود في ديوانه .

(١) البيت غير منسوب وانظر ايضاً التبيان ٨ : ٥٠٣ .

(٢) تاویل مشکل القرآن : ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، وانظر ايضاً ادب الكاتب :

٢٢١ ، جامع البيان ٢٣ : ٦٤ ، التبيان ٨ : ٥٠٣ ، الكشاف ٢ : ٦٠٣ .

(٣) الغريب المصنف : الورقة (١٧٩) ، الصحاح ٥ : ٢١٤٤ ، مقاييس
 اللغة ٣ : ١٨٤ :

(٤) عن الكامل للمبرد ٣ : ٨٢١ ، وانظر ايضاً جامع البيان ٢٣ : ١٦٤ ،
 التبيان ٨ : ٥٠٣ .

(٥) الكامل للمبرد ٣ : ٨١٨ ، الحيوان ٤ : ٦٠٣٩ : ٢١١ ، الصناعتين ،
 ٨٥ : والبيت في ديوان النابغة ١٠٣ .

وهذاك تفسير اخر يجمع التفسيرين السابقين ، وهو اقرب التفاسير الى الناحية الادبية يرى بأن الله سبحانه وتعالى اراد ان يصور بشاعة شجرة الزقوم فشبه طلعها برؤس الشياطين لان الناس رسموا في اذهانهم صورة منكرة لها ، واول من ذكر هذا التفسير - فيما قرأت من مصادر - هو ابو عبيدة حين سئل في مجلس الفضل بن الربيع عن قوله تعالى : (طلعوا كأنه رؤس الشياطين) (١) (بان الوعد والوعيد انا يقع بما عرف مثله وهذا لم يعرف قال فقلت انا كلم الله تعالى العرب على قدر كلامهم اما سمعت قول امرئ القيس :

أَبْسَقْتُلَنِي وَالْمَشْرِقُ مَضَاجِعِي وَمَسْنُونَةُ زُرْقُ كَأْنِيَابِ أَغْوَالِ (٢)

وهم لم يروا الغول قط ، ولكنهم لما كان امر الغول بهولم أوعدوا به) (٣) :

وقال الجاحظ معللا هذا التشبيه ايضا بانه سبحانه وتعالى (قد جعل في طباع جميع الامم استباحة جميع صور الشياطين ، واستساجه ، وكراهيته واجرى على السنة جهفهم ضرب المثل في ذلك) (٤) . وقال ايضا رادا على من انكر هذا التشبيه لان الناس لم يروا الشيطان ، ولا وصفت لهم صورته فقال : (قلنا : وان كنا نحن لم ز شيطانا قط ، ولا صور رؤسها لنا صادق بيده ، ففي اجماعهم على ضرب المثل بقبح الشيطان ، حتى

(١) سورة الصافات ٣٨: ٦٤.

(٢) البيت في ديوان امرئ القيس : ٣٣.

(٣) معجم الادباء ٧: ١٦٧ ، وذكر انه بعد ان رأى استحسان الفضل لقوله واستحسان السائل ايضا عزم على ان يضع كتابا في القرآن الكريم ثم وضع كتاب مجاز القرآن ، الا ان الملاحظ انه لم يذكر هذا التفسير في مجازه .

(٤) الحيوان ٤ : ٩٤.

صاروا يضهرون ذلك في مكائن احدهما ان يقال : هو اقبح من الشيطان ، والوجه الآخر ان يسمى الجميل شيطانا على جهة التطير . . . ففي اجماع المسلمين العرب ، وكل من لقيناه على ضرب المثل بقبح الشيطان دليل على انه في الحقيقة اقبح من كل قبيح والكتاب اثما انزل على هؤلاء الذين قد ثبت في طبائعهم بغایة التثبت) (١) .

ويبدو هذا التفسير اقرب التفاسير الى الناحية الادبية ، ذلك لأنهم جروا في تشبيهاتهم على ما عهدهم اذهانهم ، ومثلته اخيلتهم ، وللشياطين في اذهانهم صورة واضحة الملامح لل بشاعة والقبح ، وتعكس لنا هذه الفكرة نادرة يرويها الجاحظ عن امرأة اخجلته ، وذاك انها انته يوما وهو على باب داره فقالت له : (لي اليك حاجة ، واريد ان تمشي معي ، ففقطت معها الى ان انت بي الى صائغ يهودي فقالت له : مثل هذا ، وانصرفت فسألت الصائغ عن قوله فقال : انها انت الى بفص وأمررتني ان انقض لها عليه صورة شيطان فقلت : ياستي ما رأيت الشيطان ، فاتت بك ، وقالت ما سمعت ! !) (٢) وإذا كانت هذه النادرة تعكس لنا روح النادرة والنكتة التي عرف بها الجاحظ ، والتي استدل بعضهم بها على بشاعة خلقه ، فان فيها انعكاساً لصورة الشيطان كما تمثله الذهن العربي ، ومن هنا شبهوا به كل شيء كريه المنظر يشع الصورة) (٣) . كما سموا كل خبيث مهلك بالغول) (٤) . ومن هنا ايضاً نفهم سبب تسميتهم بذلك الضرب من

(١) الحيوان ٦: ٢١٣ وانظر ايضاً تاويل مشكل القرآن ٣٠٢ ، الكامل

للمبرد ٣: ٨١٨ - ٨٢١ ، جمهورة اللغة ٢: ١٥٠ .

(٢) سرح العيون ٠: ٢٥٠ .

(٣) الحيوان ١: ٣٠٠ ثمار القلوب ٦٠ :

(٤) الصحاح ٥: ١٧٨٦ ، لسان العرب ١٤: ٢١ .

الحيات بالشياطين ، لأن رؤسها كرمه المنظر ، أو لأنها شديدة الاذى ، وكذلك القول في النبات الذي اسموا ثمره بالشياطين ل بشاعة منظره فصدر تفسير القائلين في وصف شجرة الزقوم بان طلعها كأنه رؤس الشياطين او رؤس الحيات .

اما التفسير الجامع لكل هذه الصور فهو الذي مر بنا سابقاً بان طلع شجرة الزقوم شبه في القرآن الكريم برؤس الشياطين الحقيقية . لأن كفار قريش حينما استهزأوا واستهانوا بشجرة الزقوم نزلت الآيات بعدها لتصف صورة هذه الشجرة الملعونة بانها ليست كما تتصورها اذهانهم انما هي بشعة مؤذية كصورة الشياطين التي تخيلتها اذهانهم ، ومع ذلك فان التفسيرين الاولين يصفيان على شجرة الزقوم ايماء اخر لل بشاعة ، والرهبة مقترباً برؤس الحيات المنكرة ، ورؤس ثمار الشجر البشع الصورة المسماة بالشياطين .

ومما مرّ بنا نجد ان طعام اهل النار وصف في كل الآيات الكريمة بانه ليس كالطعام الذي اعتاده الناس ، فهو لا يسمون ، ولا يشبع ويتجرعه المحرمون على مضض لأنهم مجبرون على اكله (انَّ لِدِينَا أُنْكَالًا) ، ويجعلها وطعاماً ذا غصَّةً وعداً (أَلِيمَا) (١) ، وهم في هذه الحالة كأنهم قد حرم عليهم الطعام ، اذ كيف تستطيع النفس ان تتدنو من طعام هذه صفتة واذاه ؟ ومن هنا جاء قوله تعالى (فليس له اليوم ه هنا حم ، ولا طعام الا من غسلين) (٢) في نفي وجود الطعام لاهل النار الا ما يخرج من جروحهم من الدَّم ، والصدى (٣) . وقال ابن عباس : أن الغسلين

(١) سورة المزمل ٧٣: ١٢ - ١٣ .

(٢) سورة الحاقة ٦٩: ٣٦ .

(٣) مجاز القرآن ٢: ٢٦٨ : تأویل مشکل القرآن : ٤٨ ، الكامل للمبرد

٢ ، ٤٥ ، تزییه القرآن : ٣٥٣ الكشاف ٣: ٢٦٦ .

هنا معهه الحار (١) وكذا قال اللغويون (٢) وطبعي ان يكون الصديد الذي يخرج من ابدانهم حاراً ، لأن كل ما يحيطهم هو اللهب ، والاظى المستعر بالإضافة الى ان شرائهم شديد الحرارة مغلق . ولا يمكن ان نفهم ان **الغسلين** ضرب آخر من الطعام ، وان المذنبين في النار على طبقات ، و منهم من يأكل الزقوم ، و منهم من يأكل **الغسلين** ، و منهم من يأكل الضريح ، كما ذهب بعض المفسرين (٣) ، وذلك لأن الغسلين ليس ضرباً من الطعام ، و اعما اريد به نفي وجود الطعام الذي يسمى ، ويشع كالهو مصور في الزقوم ، والضريح . فليس لهم طعام الا من الصديد الذي تفرزه اجسادهم ، وفي ذلك تشبع حالم .

ويلاحظ في كل التعبيرات التي تحدثت عن طعام اهل النار في القرآن الكريم انها اقتصرت على وصف بشاعة الطعام ، فلو قارنا هذه الآيات بالآيات التي تخص الشراب والتي ورد ذكرها سابقاً لوجدنا في الطائفة الاولى تصويراً ل بشاعة الطعام الذي يُكره على استئانته المحرمون دون الحديث عن عناء الجوع ، والحرمان من الطعام ، على حين نرى الآيات التي تخص الشراب تحدثت عن العطش وما يلاقيه المذنبون من اذى حرمانه . ولعل خبر ما يعلم به هذه الظاهرة القرآنية هو تخرج العربي ، واباؤه الذي يحول دون وصف جوعه ، وما يلاقيه من حرمان الطعام ، او ما يسد رمقه . قال الاستاذ جميل سعيد في حديثه عن وصف الطعام عند العرب : (على انتا حين ننظر في الشعر العربي - ولا سيما الجاهلي منه - نجد الشعراء قد كتبوا احساسهم بالجوع كثيراً ، وفخروا به وجعلوا التصريح بهذا الاحساس امراً

(١) اللغات في القرآن : ٥٠ ، وانظر ايضاً متشابهات القرآن : ١٠٦ .

(٢) الصحيح : ٥ : ١٧٨٢ ، لسان العرب : ٧ ، ١٤ .

(٣) تأویل مشكل القرآن : ٤٨ الكشاف : ٣ : ٣٣٢ .

يُخزي الانسان منه ، ويلام عليه . . والشعراء الاسلاميون تابعوا الشعراء الجاهليين في هذا ، وعدوا شكاة الجوع منقصة توجب اللوم) (١) . على ان هذا القول لا يعني ان العرب لم يعانون من شدة الجوع ما عانوه من العطش ، ذلك لأننا نعرف ان الجزيرة العربية أرض جدب وفقر في معظم اجزائها وقد كثرت فيها المجاعات ، واشتلت فيها الحاجة الى الطعام في كثير من الاحيان ، ومن هنا ذكرت هذه المجاعات في اشعارهم في موضوع فخرهم (٢) حين يفضلون ضيفهم وجارهم على أنفسهم عند المسحة ، وانهم لا يدنون الى الطعام ، وان كانت بهم حاجة اليه يؤثرون به غيرهم على أنفسهم (٣) ، كما هجوا اعداءهم بخبيتهم الطعام (٤) :
 هذا الاباء النفسي يجعل العربي يأنف من ذكر جوعه ، وحاجته الى الطعام بل نراه يفخر بتحمله الجوع : قال الشنفرى في لاميته المشهورة :

(١) الوصف في شعر العراق : ٤٠٠

(٢) وهذا لا يعني انعدام ذكر الجوع في الشعر الجاهلي في غير موضوع الفخر ، فقد وجدت اشارات اليه ، الا انهم لم يقصدوا فيها اظهار الالم من الجوع ، وال الحاجة الى الطعام انظر في هـذا اعجب العجب : ٣٢ ، ٣٦ وشعر السليمي في أمثال العرب : ١٤ .

(٣) انظر ديوان عروة بن الورد : ٦٢ ، منتهاء الطلب : الورقة (٣٤٦)
 في شعر عروة بن الورد ايضاً ، ديوان علقمة الفحل : ٥٢ ، ٧٢ ، ديوان عدي ابن زيد : ١٤٧ ، وانظر ايضاً اعجب العجب : ٢٠ ، مجالس ثعلب ١ : ٦٨ ، ٦٩
 امامي الزجاجي : ٢٠٤ ، أمماء المغتالين : ٢٤٢

(٤) انظر ديوان المزرد بن ضرار : ٥٠ - ٥١

أَدِيمُ مطالِ الجمْوعِ حَتَّى أَمْيَهُ
 وَاضْرِبُ عَنِ الْذِكْرِ صَفْحًا فَأَذَهَلُ^(١)
 ومثل هذا قول أبي خراش الهمذلي (٢) :
 وَإِنِّي لَا نُويَ الجمْوعَ حَتَّى يَمْلَئِي
 فِيهِبُ لَمْ تَدْنُسْ ثَيَابِي ، وَلَا جَرْمِي^(٣)
 أَرْدُ شَجَاعَ الْمَوْتِ قَدْ تَعْلَمَيْنِي
 وَأَوْثَرُ عَبْدِي مِنْ عَالَكِ بِالْطَّعْمِ
 فَهُوَ هُنَا يَفْخَرُ بِأَنَّهُ لَا يَبْلِي بالْجَمْوعِ الَّذِي يَؤْذِيَهُ ، وَيرْبَأْ بِنَفْسِهِ عَنِ
 الْحَصُولِ عَلَى الطَّعَامِ الَّذِي يَدْنُسْ سِيرَتَهُ ، وَابْعَادَهُ ، وَانْتَغَلَ بِعَلَى جَمْوعِهِ
 وَيَؤْثِرُ عَبْدَهُ ، وَعِيَالَهُ عَلَيْهِ مِنَ الطَّعَامِ ، هَذَا هُوَ الْمَثَلُ الْأَعْلَى الَّذِي رَسَمَهُ
 الْعَرَبِيُّ لِنَفْسِهِ حِينَ تَرَكَعَ عَنْ ذَكْرِ حَاجَتِهِ إِلَى الطَّعَامِ ، أَوْ وَصْفَ أَنْفَهُ
 مِنْ شَدَّةِ الْجَمْوعِ ، وَهُوَ يَخْتَافُ عَنْ وَصْفِهِ لِعَطْشِهِ ، وَشَدَّةِ تَشْوِقِهِ إِلَى المَاءِ
 كَمَا مَرَّ بِنَا سَابِقًا^(٤) . وَمِنْ هُنَّا لَمْ تَتَحَدَّثِ الْآيَاتُ الْكَرِيمَةُ عَنْ حَرْمَانِ
 الْمُجْرِمِينَ مِنَ الطَّعَامِ الَّذِي يَشْعُهُمْ جَرِيًّا عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ فِي تَخْرِجِهِمْ مِنِ
 الْحَدِيثِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، عَلَى حِينَ زَرَى عَكْسَ ذَلِكَ فِي الْحَدِيثِ عَنِ
 الْمَطْشِ الَّذِي صَوَرَهُ الْآيَاتُ الْكَرِيمَةُ أَرْوَعَ تَصْوِيرًا ، وَذَلِكَ جَرِيًّا عَلَى عَادَةِ

(١) اعْجَبُ الْعَجَبِ : ٣٢

(٢) هُوَ خُويَيلُ الدَّيْلِ بْنُ مَرْيَمَ بْنِ بَنْيِ هَذِيلِ مِنْ مَضْرِ . شَاعِرٌ مُخْضَرٌ مُوفَّارِسٌ
 فَاتِلُكُ مُشْهُورٌ بِالْعَدَدِ وَفِكَانٌ يَسِيقُ الْحِيَلِ . اسْمُهُ وَهُوَ شِيخٌ كَبِيرٌ تَوْفَى
 نَحْوَ ١٥٥ . انْظُرْ الشِّعْرَ وَالشِّعْرَاءَ ٢ : ٥٥٤ ، الْأَغْنَى ٢١ : ٣٨ فَإِذَا بَعْدُهَا ، الْأَصَابَةَ
 ١ ، ٤٥٧ ، خِزَانَةُ الْأَدْبِرِ ١ : ٢١٣ ، الْأَصَابَةَ ١ : ٤٥٧

(٣) الأَشْيَاوَ وَالنَّظَائِرَ : ١٥٧

(٤) انْظُرْ ص ٢٣٢

العرب في وصف شدة العطش الذي عانوه في أسفارهم ، وآوقات الماجرة الحارة وسنجد هذه الفكرة أيضاً في الحديث عن شراب أهل الجنة وطعامهم (٥) .

٧ - صنوف أخرى من العذاب :

وبالإضافة إلى وسائل التعذيب التي مرت بنا صورها نجد في القرآن الكريم صنوفاً أخرى تعرض جوانب جديدة لتعذيب الخربين في النار وتنعكس فيها أيضاً بعض ملامح البيئة العربية .

أ - السلاسل والأغلال :

فالسلاسل والأغلال من الصور التي تؤكد الآيات الكريمة وجودها حيث يقىد المعدبون : (إِنَّا اعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلاسِلًا وَاغْلَالًا وَسُعِيرًا) (٢) . ووصفت الآيات الكريمة هذه القيود بأنها تغلّف أعناق الكافرين فيسبّبون بالنار على وجوههم : (الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرَسَلْنَا بِهِ رُسُلًا فَسُوفَ يَعْلَمُونَ إِذَا الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلاسِلُ يُسْجِبُونَ فِي الْحَمِيمِ ، ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ، ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْنُتُمْ تُشْرِكُونَ) (٣) . وقال تعالى أيضاً : (وَانْتَعْجِلْبْ قَوْلَهُمْ : إِذَا كُنْنَا تُرَابًا إِنَّا لَنَا خَلْقٌ جَدِيدٌ ؟ أَولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ، وَأَوْلَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ، وَأَوْلَئِكَ

(١) انظر ص : ٣٠٧

(٢) سورة الإنسان ٧٦ : ٤

(٣) سورة غافر ٤٠ : ٧٠ - ٧٣

أصحابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (١) . والاغلالُ جمعُ غُلَّ : وهي الجديدة التي تجمع يد الأسير الى عنقه (٢) . اما السلاسلُ فهي جمع سلسلة وهي حلقة منتظمة من جهة الطول مستمرة (٣) . وكذلك قولهم في الاصفاد (٤) . هذه القيود الرهيبة تثير في النفس تساؤلاً ما اذا كان العرب يعرفون القيود ، والسلسل ؟ . ام انهم بمجرد سماع الآيات الكريمة يستطيعون تخيلها من الجو الرهيب الذي يرسمه سياق الآيات العام . واذا بحثنا عن هذه الصورة في البيئة الجاهلية وجدناها واضحة كل الوضوح فقد فخر الشعراة بقبائلهم ، وبطولائهم التي ينتصرون فيها على أعدائهم . ويكتبونهم بالأغلال ، وقد كررها الشعراة الفرسان في اشعارهم ، وكيف انهم يعودون من الغارات ، وقد قبلوا أسراهم بالاصفاد ، والقيود .

قال عنترة :

أَرَكَنْتُ ضرَارًا بَيْنَ عَانِي مُكَبَّلٍ وَبَيْنَ قَبْلِي غَابَ عَنْهُ النَّوَافِحُ (٥)
وقال أيضاً :

وَعَدْنَا بِالنَّهَابِ وَبِالسَّبَايا وَبِالْأَسْرِي تُكَبَّلُ بِالصِّفَادِ (٦)

(١) سورة الرعد ١٣ : ٥ وانظر ايضاً سورة سباء ٣٤ : ٣٣

(٢) الصحاح ٥ : ١٧٣٢ ، لسان العرب ١٤ : ١٣

(٣) التبيان ٩ : ٩٥ ، وانظر اللغة في الصحاح ٥ : ١٧٣٢ ، لسان

العرب ١٣ : ٣٦٧

(٤) الفصيح : الورقة ١٧ ، الصحاح ١ : ٤٩٥ ، لسان العرب ٤ : ٢٤٣

(٥) ديوان عنترة : ٤٥

(٦) ن . م : ٥٥ وانظر ايضاً ٦٤ ، ٧١ ، ٩٧ ، ديوان ملامة

ابن جندل : ١٨ ، ٤٧ ، ٤٨ ، الثنائض ١ ، ٧٦ ، ١٥٣ ، اسماء

المغتالين : ٢٢٧

وقال يزيد بن عمرو بن الصعق (١) في يوم المروت (٢) مفتخرا
وَضَرَّ جِنَّا عَيْدَةَ بِالْعَوَالِي فَأَصْبَحَ مُوفَّقًا فِينَا أَسِيرًا (٣)
ونجد ذكر القيد مصورا في جانب شعرى آخر ، حين وصفها
الشعراء الذين عانوا ثقلها واحسوا بوطئها الشديد على أيديهم ، واقدامهم
قال المهلل بن ربيعة ذاكرا القيد التي أوثق بها في الحال دون حراكه :
وَاللَّكَ ابْنَةَ الْجَنَّلَ عَنِ لَا يُوَاتِيَ الْغَنَاقَ مَنْ فِي الْوِثَاقِ (٤)
وقال ابو محجن الثقفي ، وقد اوثق بالحديد والسلسل التي حالت
دون حركته وسيره قال :

اذا قُمْتُ عَنِي الْحَدِيدُ وَأُغْلَقْتُ مَصَارِعُ دُونِي قَدْ تُصْمِّمُ الْمُسْنَادِيَا (٥)

(١) يزيد بن عمرو بن الصعق من وجوه قيمن . ذكر انه كان يحضر
مجلس ابن جفنة ، وهو الذي امر رؤبة بن رومانس اخا المنذر لامه . انظر
الأغاني ١ : ١٣٨ معجم الشعراء : ٢٣٧

(٢) هو يوم بينبني تميم وعامر بن صعصعة . وكان سببه انه التقى قعنبر
ابن عتاب الرياحي وبجير بن عبد الله العامري بعكاظ . فقال بجير لقعنبر :
ما فعلت فرسك البيضاء ؟ قال هي عندي وما مؤاكث عنها ؟ قال : لأنها نجتك
في يوم كذا وكذا . فانكر قعنبر ذلك وتلاعنا وتداعيا ، فكانت بعدها غارات
وامری بين الطرفین . انظر الكامل لابن الاثير : ٢٦٤ - ٢٦٥

(٣) النقاء ١ : ٧٢ .

(٤) اسماء المعتالين : ٢٠٨ : وانظر ايضاً شرح ديوان عنترة : ٩٧ ،
ديوان عدي بن زيد : ٢٤٠ ديوان النابغة الجعدي : ١٠٣ : ديوان النساء :
١٢ . ٢٢ وانظر ايضاً الشعر والشعراء ٢ : ٥٨٣ ، امثال العرب : ٦٢ غريب
الحدث ١ : ٣٢٢ - ٣٢٤

(٥) ديوان : أبي محجن ٦٧

فchorة القيود والسلسل الواضحة الملامح في البيئة الهرية تمثل في الذهن العربي حين يتلو الآيات الكريمة : (خَذُوهُ فَقْلُوهُ ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صُلُوهُ ، ثُمَّ فِي سِلْسَلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْكُووهُ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ) (١) . ففي هذه الآيات الكريمة تتبع مشاهد التعذيب ، والعقاب ، حيث يوثق المحرمون بالسلسل ، والأغلال تلف أجسادهم فلا يطيقون الحركة ، ثم تتشالش هذه الصورة لتحول محلها صورة أشد رهبة ، ورعبا ، وهي صورة الأصفاد التي يوثقون بها : فتفهم لفـا ، لأن سياق الآيات العام يساعدنا على تصور هذه الرهبة حين يوجه الخطاب إلى الملائكة بأخذ المجرمين عنوة وقوة (٢) ، وتضييق وثاقهم بالسلسل والقيود .

اما تحديد طول السلسلة التي يقييد بها المحرمون في النار : والتي ذكرت الآيات الكريمة انها سبعون ذراعاً ، فقد ذهب فريق من المفسرين الى العدد الحقيقي فقالوا : (سبعين ذراعاً من ذراع الملك) (٣) . وروي عن نوف البكري (٤) انه قال : كل ذراع سبعون باعاً كل باع أبعد مما بينك وبين مكة ، وهو يومئذ في مسجد الكوفة (٥) .

(١) سورة الحاقة ٦٩ : ٣٠ - ٣٤

(٢) ويؤكد معنى القوة في اخذ المجرمين قوله تعالى : (يُؤْخَذُ الْمُحْرَمُونَ بِالنَّاصِيِّ وَالْأَقْدَامِ) سورة الرحمن ٥٥ : ٤١

(٣) تنوير المقياس : ٣٦٦ ، جامع البيان : ٢٩ : ٦٣

(٤) هو نوف بن فضالة البكري . كان اماماً لأهل دمشق . ذكره ابن حبان في الثقة وقال : كان راوية للقصص استشهد مع محمد بن مروان في الصائفة وتوفي نحو سنة ٥٩٥ هـ انظر تهذيب التهذيب ١٠ : ٤٩٠

(٥) جامع البيان ٢٩ : ٦٣

هكذا فهم بعض المفسرين طول السلسلة وتحديدها ، إلا ان الذي يتبع الاستعمال اللغوي للعدد سبعة ، والأسلوب القرآني الكريم يجعل انه سبحانه وتعالى نهج في بيانه البلاغي منهج العرب في أسلوبهم ، وتعابيرهم فقد ذكرت السبعة والسبعون في التضعيف ، والتکثیر . وهكذا وردت في القرآن الكريم (١) ، والحديث النبوی الشريف (٢) في مواضع عديدة لا يراد منها العدد حقيقة ، وإنما مجازاً على سبيل المثل والکثرة لا العد والحصر .

ومن الذين اشاروا إلى هذه الناحية الازھري بقوله : (وأرى قول الله عز وجل لنبيه صلی الله علیہ وسلم ان تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعَينَ مَرَّةً ، فلن يغفر الله لهم) (٣) . في باب التکثیر والتضعيف ، لا باب حصر العدد ، ولم يرد الله عز وجل ان زاد على السبعين غفر لهم ، ولكن المعنى ان استکثرت من الدعاء ، والاستغفار للمنافقين ، لم يغفر الله لهم) (٤) . وقال الزمشري مؤكداً هذه الفكرة : (وجعلها سبعين ذراعاً اراده الوصف بالطول كما قال (ان تستغفر لهم سبعين مرّة) (٥) : يريد مرات كثيرة ، لأنما اذا طالت كان الارهاق اشد) (٦) .

(١) المعجم المفهرس : ٣٤٠ .

(٢) النهاية في غريب الحديث ٢ : ١٤٣ :

(٣) سورة التوبة ٩ : ٨٠ :

(٤) عن اسان العرب ٨ : ١٠ .

(٥) سورة التوبة ٩ : ٨٠ .

(٦) الكشاف ٣ : ٣٦٤ .

ب - طلاء القطران :

قال الله تعالى : (يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ وَتَرَى الْجَنَّمِينَ يَوْمَئذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ سَرَابِيلُهُمْ مِّنْ قَطْرَانٍ ، وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ، لِيَجْزِي اللَّهُ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسْبَتْ . إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) (١).

ففي هذه الآيات نجد وصفاً لملابس أهل النار ، وكيف أنها تصيب صوراً رهيبة أخرى تزيد ملامح العذاب هولاً ورعباً .

فالسرابيل هي القمعن كما قال المفسرون (٢) واللغوبون (٣) . أما القطران فإنه ثلاثة لغات قطران ، قطران ، قطيران (٤) . وقد اختلف المفسرون في تفسيره فقال بعضهم أنه الهباء الذي تهنا به الأبل الجربى (٥) . وقال بعضهم بل هو الصفر المذاب (٦) . وبمثل هذا التفسير الأخير

(١) سورة إبراهيم ١٤ : ٤٨ .

(٢) تنوير المقياس : ١٦٣ ، مجاز القرآن ١ : ٣٤٥ .

(٣) جمهرة اللغة ٣ : ٣٠٥ ، الصحاح ٥ : ١٧٢٩ ، لسان العرب ٦ : ٣٥٦ وانظر شواهد الشعر في ديوان عامر بن الطفيلي : ١٤ ، شرح ديوان أبي ليبيد : ٣٥٨ ، المفضليات : ١٤٥ ، الوحشيات : ٢٢٦ ، وانظر أيضاً الصناعتين : ٥٩ .

(٤) جامع البيان ١٣ : ٢٥٥ ، التبيان ٦ : ٣١٠ ، الكشاف ٢ : ١٨٥ .

(٥) جامع البيان ١٣ : ٢٥٥ ، التبيان ٦ : ٣١٠ .

(٦) تنوير المقياس : ١٦٣ ، جامع البيان ١٣ : ٢٥٦ .

قال من قرأَ قَطْرَانٍ (١) اي من صفر مذاب قد تناهى حره (٢)
 ومع ان القراءتين تقدم لنا معنى مشتركا واحدا وهو السائل المذاب
 الشديد الحر سواء كان من صفر مذاب ، او من ال�باء الذي تهنا به الابل
 فالذى ييدو ان القراءة الاولى واعتبار الكلمة اسمها واحدا (القطران) هي
 الارجع ، لأن اكثُر القراء عليها (٣) . ولاتهم تقدم لنا صورة واضحة
 الملائم للبيئة العربية ، شديدة الصلة بخيوانها ، وذلك ان ابلهم كثيرا
 ما كانت تصاب بالجرب فاضطروا الى معرفة دواء يعالجونها به فكان ال�باء
 او القطران . وقد قالوا عنه (انه عصارة الابل ، والارز ، ونحوها ،
 يطبع فيتجلب منه ، ثم تهنا به الابل) (٤) . وقال ابو حنيفة : (زعم من
 ينظر في كلام العرب ان القطران هو عصير الصنوبر ، وان الصنوبر هو
 اسم لوزة ذاك ، وان شجرته به سميت صنوبرا) (٥) . ولا يهمنا في هذا
 الباب اختلافهم في استخراج مادة القطران (٦) . وانما المهم معرفة صفة
 القطران ، ثم دلالته على البيئة العربية ، ومعرفة العرب له قال علقة
 الفحل واصفا ناقة :

(١) وبهذا المعنى ورد القطر في قوله تعالى : (حتى اذا جعلته نارا وقال
 اتواني افرغ عليه قَطْرَا) سورة الكهف ١٨: ٩٦ .

(٢) تنوير المقياس : ١٦٣ ، جامع البيان ١٣ : ٢٥٧ . وانظر ايضا ادب
 الكاتب : ٢٢١ لسان العرب ٦: ٤١٧ .

(٣) التبيان ٦: ٣١٠ .

(٤) لسان العرب ٦: ٤١٦ ، الابل حل شجر العرعر ، انظر الصحاح
 ٤: ١٦٤٣ .

(٥) لسان العرب ٦: ٤١٧ .

(٦) قد يكون هذا الاختلاف صادر عن اختلافهم في استخراجه ، فيصنفه =

قدْ أَدْبَرَ الْعُرُّ عنْهَا وَهِيَ شَامِلُهَا

من نَاصِعِ الْقَطْرَانِ الصِّرْفِ سِيمٌ (١)

يقول قد ذهب الجرب عن هذه الناقة ، ولكن بقايا القطران مازال مطليا على جسدها ، ومع اننا لا نستخلص من هذا البيت صفة من صفات القطران ، الا انه يعكس لنا دلاته في الذهن العربي ، ومعرفة العرب له قال الزمخشري مفسراً القطران ، ذاكراً صفاتاه بانه : (ما يتغلب من شجر يسمى الابهل فيُطْبَخُ فتُهَنَّا به الابل الجربى ، فيحرق الجرب بحره وحدته ، ومن شأنه انه يسرع في اشتعال النار ، وقد يستدرج به ، وهو اسود اللون ، نتن الريح ، فتطلى به جلود اهل النار حتى يعود طلاوه كالسرابيل وهي القمص انتجم عليهم الاربع : لذع القطران ، وحرقة ، واسراع النار في جلودهم ، واللون الوحش ونتن الريح) (٢) : فالزمخشري هنا يجمع كل اليماءات التي تدل عليها كلمة القطران ، فهو شديد الحر تطلى به اجساد الكافرين ، فتسرع النار اليها وتحيطهم من كل مكان : وقول الزمخشري بأنه اسود اللون منسجم مع صفة الخبرمين يوم القيمة ، وانهم يكونون سود الوجه (٣) ومن هنا يبدو ان قوله تعالى : (وترى المُجْرَمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ، سَرَابِيلُهُمْ مِّنْ قَطْرَانٍ ، وَنَفْشَى وَجْهَهُمُ النَّارُ ، لِيَجْزِي اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ) ، ان

= بعضهم من مادة ، ويصنعه اخرون من مادة اخرى .

(١) ديوان علقمة الفحل : ٦ ، وانظر ايضا شرح ديوان كعب : ١٦٠ ،
والنظر ص ٨٤ ،

(٢) الكشاف ٢ : ١٨٥ .

(٣) انظر ص ١٣٩ فما بعدها :

الله سَرِيعُ الْحِسَابِ) (١) لا يراد به وصف لباس حقيقي لأهل النار (٢)
 وأنا رسم صورة رهيبة لعذاب النار ، حيث تطلي أجسادهم عادة يسرع
 فيها لحيف النار ، وتحرق جلودهم حتى يصل اللحيف إلى داخل أجسادهم . وقد
 عبر عن هذه الصورة بتعبير القطران الذي ينقلنا إلى صور اعتقادها العرب
 في بيتهنهم . واطلاق اسم السراويل على هذه المادة يزيد من هول الوصف ،
 ذلك لأن الناس قد عهدوا الملابس تقليم أذى الحر ، والبرد (٣) ، فإذا
 بالخربفين في النار يُسَرِّبُلُونَ عادة لا تمنع عنهم الأذى ، بل تزيد في
 سرعة اشتعال أجسادهم ، وأذاهم . هذه المادة اعتقادها العربي في بيته ،
 وأليف أن يطلي بها أبناء الجريء ، فعرف صفتها ، وخبر شدة حرارتها ،
 فكيف به إذا قيل له أنها ستكون بمثابة السرير للمجرم يوم القيمة !!
 وبمثل هذا التعبير جاء قوله تعالى : (هذانَ خَصْمَانٍ أَخْتَصَمُوا
 في ربِّهِمْ ، فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطْعَاتٌ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ ، يُصَبَّ
 مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمْ الْحَمِيمُ ، يَصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ ، وَالْجَلُودُ ،
 وَلَهُمْ مَقَامٌ مِنْ حَدِيدٍ ، كَلَّا مَا أَرَادُوا إِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمَّ
 أَعْبَدُوا فِيهَا ، وَذُوقُوا عذابَ الْحَرِيقِ) (٤) فكأنَّ شمول النار واحتاطها
 باجساد الكافرين تشكل لباسا لهم .

إنها صورة رهيبة تكمل جوانب العذاب حين تجتمع مع لظى النيران ،
 والقيود والأصفاد التي تشنَّل حركتهم ، فلا يستطيعون الحرب ، أو التخلص

(١) سورة إبراهيم ١٤: ٤٨ .

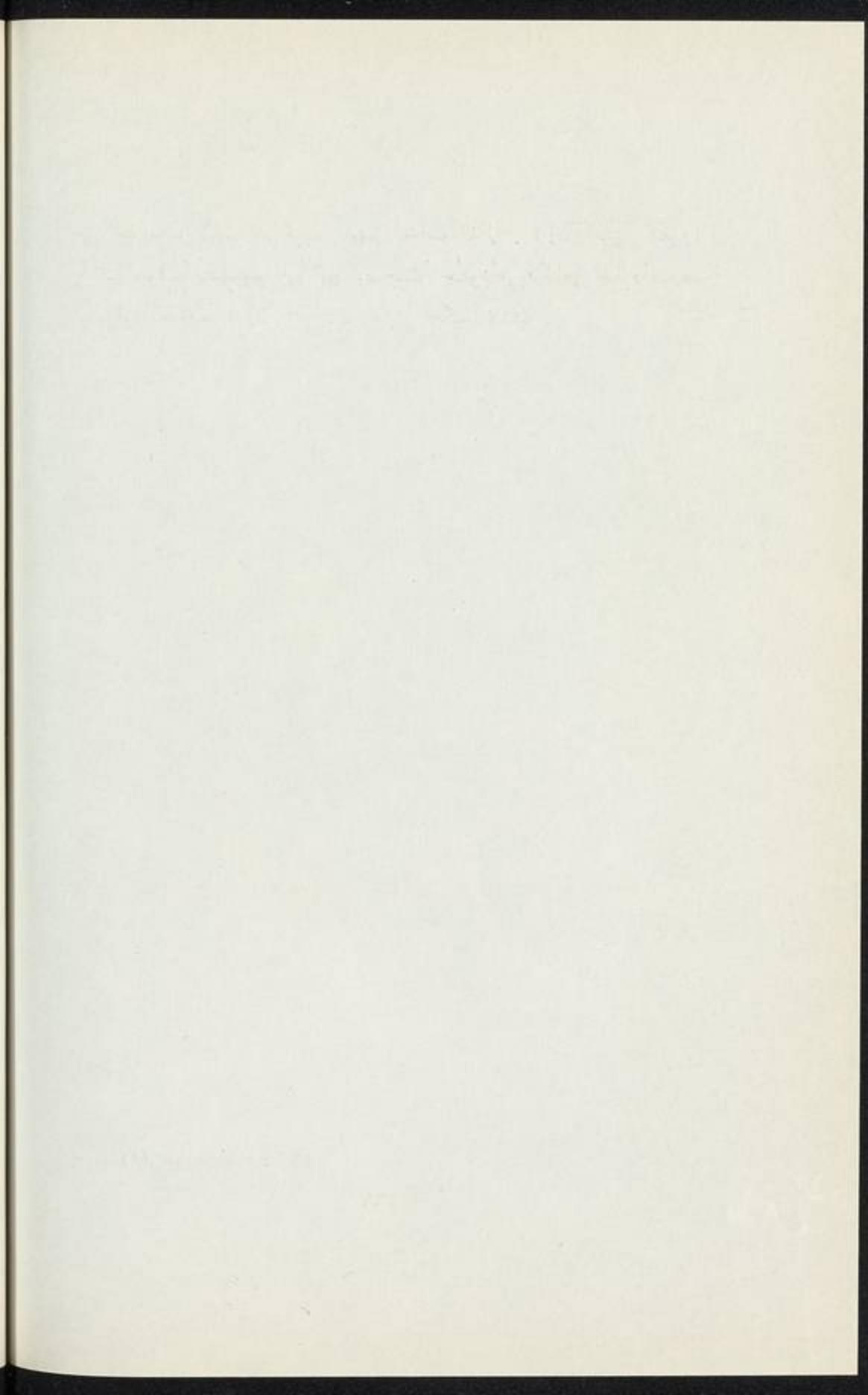
(٢) تلخيص البيان : ٢٣٨ .

(٣) وبهذا المعنى ورد اللباس في قوله تعالى (وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيمَكُمْ
 الْحَرِّ ، وَسَرَابِيلَ تَقِيمَكُمْ بِأَسْكَمٍ ...) سورة النحل ١٦: ٨١ .

(٤) سورة الحج ٢٢ - ١٩ : ٢٢ .

من العقاب ، لأنهم قد كتب عليهم العذاب الدائم . (إنَّ الَّذِنَّ كَفَرُوا
بِآيَاتِنَا سُوفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كَمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَلَانِهِمْ جُلُودًا غَيْرُهَا
لِيَنْتُوقُوا العَذَابَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا) (١) .

(١) سورة النساء ٤ : ٥٦ .



الفَصْلُ السَّادِسُ

الثواب بالجنة

١ - وصف طبيعتها

٢ - اعتدال جوها

٣ - أنهارها وشرايبها

أ - أنهار الماء

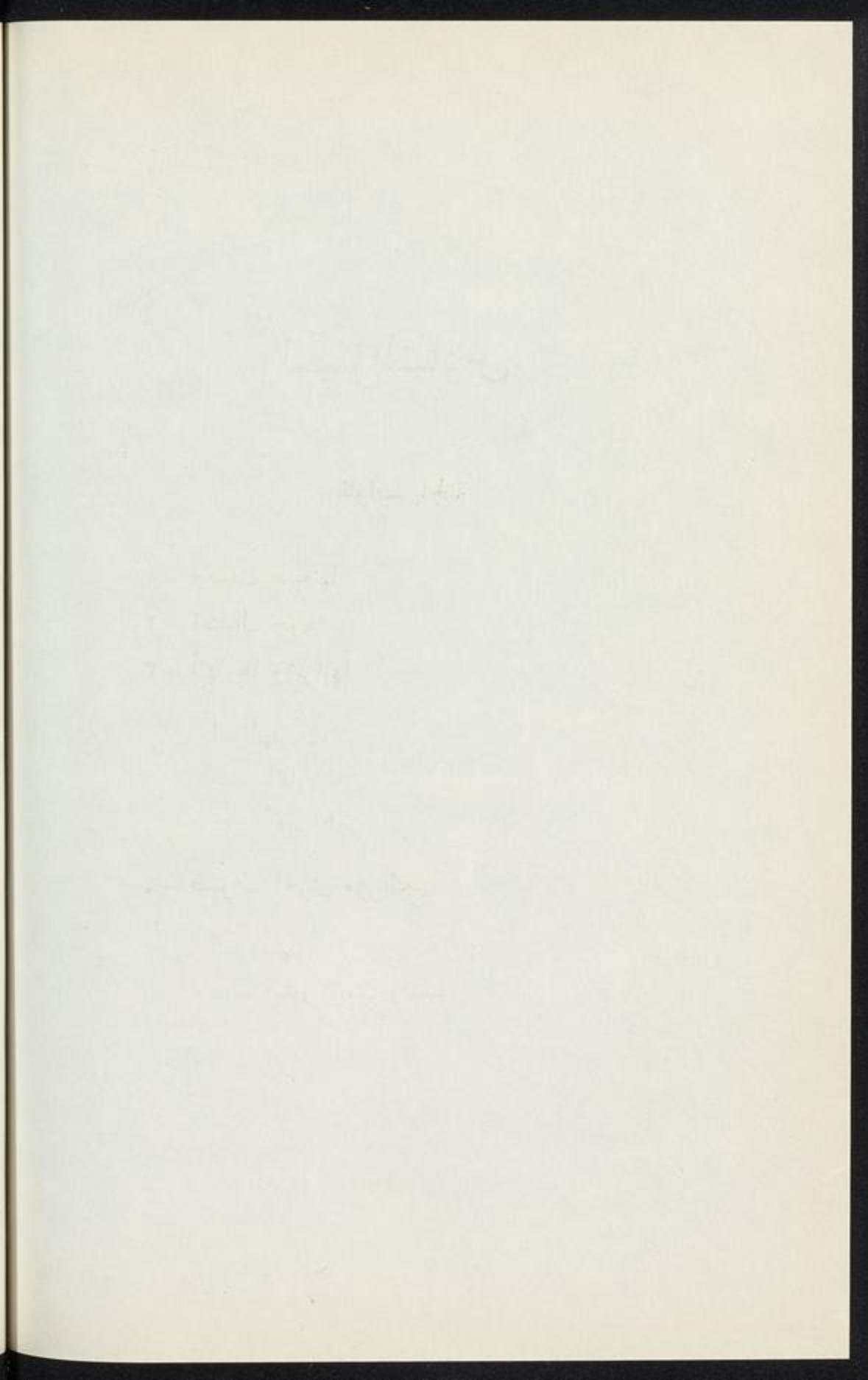
ب - أنهار اللبن

ج - أنهار الخمر

٤ - صنوف أخرى من النعيم

أ - لباسهم

ب - أساور الذهب والفضة



١ - وصف طبيعتها

لقد مرّت بنا سابقاً صور العذاب في النار . ودلائلها على البيئة العربية ولنقارنها الآن بصور النعيم التي يثاب بها المؤمنون . فالنار الحامية التي يعذب بها المجرمون ، ويُسقون من شرابها الحار المحرق ، تقابلها صورة الجنة العالية والعيون والأنهار الجارية ، والفرش الجميلة المنصوبة . قال الله تعالى : (وجوه يومئذ خاشعة ، عاملة ناصبة ، تَصْنُلِ نارا حامية) . تُسْقى مِنْ عَيْنٍ آتِيَّةٍ ، لِيُسْقَى لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرَبِعٍ ، لَا يُسْمِنُونَ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ وَجْوَهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ، لِيُسَعِّيَهَا رَاضِيَّةٌ ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَّةٍ ، لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَّةٌ ، فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَّةٌ ، فِيهَا سُرُرٌ مَرْفُوعَةٌ ، وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١) وفي سورة التكوير نجد العرض السريع لمشاهد القيامة المتالية من اضطراب السماوات والأرض ، ثم موقف الحساب ، والقضاء حيث يصدر بعدها قرار الحكم في النار أو الجنة : (إِذَا الشَّمْسُ كُوْرَتْ ، وَإِذَا النَّجُومُ انْكَدَرَتْ ، وَإِذَا الْجِبَالُ سُيَرَتْ ، وَإِذَا الْعِشَارُ عُطَلَتْ .. وَإِذَا الْمَوْدَدُ سُئِلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ؟ وَإِذَا الصَّحْفُ نُشِرَتْ ، وَإِذَا السَّمَاءُ كَشِطَتْ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ، وَإِذَا الْجَنَّةُ أَزْلَفَتْ ...) (٢) وقد ورد ذكر الجنة في (١٢١) آية (٣) على أنها المثلوي الأخير للمؤمنين ، وتناسبها النار قرار المجرمين الأبدي .

(١) سورة الغاشية ٨٨: ٢ - ١٤ .

(٢) سورة التكوير ٨١: ١ - ١٣ .

(٣) انظر المجمع المفهوس ١٨٠ - ١٨١ .

وقد فسرت الجنة بأنها البستان المحفوف بالشجر ، المتكافف بالنخيل (١) وكذلك قال اللغويون (٢) . وقد وردت في الشعر الجاهلي دالة على هذا المعنى . قال امرؤ القيس :

تَبَصِّرُ خَلِيلِيْ هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَانِيْ
سَوْالِكَ نَقْبَا بَيْنَ حَزَمِيْ شَعْبَعِيْ
عَلَيْنَا بَانْطَاكِيَّةَ فَوْقَ عَقْمَةَ
كَجِيرَةَ تَخْنِلُ أَوْ كَجَنَّةَ يَشْرِبُ (٣)

فيجموعة الظعاين في سيرها ، وارتفاعها ، تشبه عند الشاعر مجموعة النخيل ، او جنة يشرب بنخيلها واسجارها العالية ، مما يعطينا صورة واضحة لدلالة الجنة في الذهن العربي ، واطلاقها على البستان المتكافف الأشجار . وكذلك فسروا الفردوس بالجنة (٤) ، الا انهم اختلفوا في اصلها (٥) .

(١) معاني القرآن الورقة ١٨ (ب) تفسير الخمسينية آية : الورقة ٥٠
البيان : ١٣٧ التبيان ٦ : ٢٤٦ : حقائق التأويل ٥ : ٢٤٦ : الكشاف ١ : ١٩٨

(٢) الصدحاج ٥ : ٢٠٩٣ ، لسان العرب ٦ : ٢٥٣

(٣) ديوان امرئ القيس : ٤٣ ، ٥٨ ، ١١٥ ، شرح ديوان عنترة

٨٠ : المفضليات : ١٠٦

(٤) جامع البيان ١٦ : ٣٦ : التبيان ٧ : ٩٨

(٥) قال بعضهم أنها عربية مأخوذة من الفردوس وهي السعة . الفراء عن لسان العرب ٨ : ٤٣ - ٤٤ ، جمهرة اللغة ٣ : ٣٣٣ ، المعرف : ٢٤١
وقال بعضهم بل هي رومية - جامع البيان ١٦ : ٣٦ : التبيان ٧ : ٩٨ ،
الاتفاق ٢ : ١٣٩ ، شفاء الغليل : ١٩٩ ، وذهب آخرون - وهو الأرجح -
انها كلمة توافقت فيها اللغات القديمة السامية والشرقية بصورة عامة انظر ذيل =

وإذا قارنا صورة الجنة كما وصفها القرآن الكريم بالبيئة العربية استطعنا أن نتصور الإيحاءات الجميلة التي توحّي بها الآيات الكريمة في الذهن العربي ذلك لأننا نجد للزرع ، والأشجار بصورة عامة أهمية عظيمة في حياة العرب وتعابيرهم وتفكيرهم . ونظرًا لتعلقهم بصور التخييل فقد أداروها في اشعارهم وتشبيهاتهم فكثروا ما وصفوا الضعاين في ارتفاع هoad جهن ، واختلاف الوانهن ، وشبهوها بالتخيل ، وطلعه مختلف الألوان . قال أمرو القيس :

فَشَبَهْتُمْ فِي الْأَلِّ مَا تَكَمَّشُونَ
حَدَائِقَ دَوْمٍ أَوْ سَفِينَا مُقَبِّراً
أَوْ الْمَكْرَعَاتِ مِنْ تَخْيِلِ ابْنِ يَامِنِ
دَوْيِنَ الصَّفَا الْلَّاثِي يَلِينَ الْمُشَقَّرَا
سَوَامِقَ جَبَارٍ اثِيثَ فُرُوعَهُ
وَعَالَيْنَ قَنَوانَا مِنَ الْبُسْرِ أَهْرَا

فسرعة الاطعان ، وسيرها في الصحراء الواسعة تشبه عند الشاعر التخييل التي تتعالى ساقفة في السماء . وتغتنوا بوصف الناقة وشبهوها بالنخلة في امتداد صلبها . (١) كل هذه التشبيهات تعطينا صورة لأهمية الشجر ، والتخييل في الذهن العربي (٢) ، وكيف أنها وجدت في بيئتهم واحبوها كل الحب ، الا ان وجودها كان محدود النطاق اذ افتقرت اليه

=اللافاظ السريانية ، مجلة الجمع العلمي العربي م ٢٦ ج ٣ ص ٣٣٦ ، الدخيل في اللغة العربية ، مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول م ١١ ج ٢

(١) راجع في هذا تشبيه شرر النار بالحملات ص ٢٢٨

(٢) لقد بلغ تعلقهم بالأشجار ان بعضهم قدسها وعبدتها . انظر الميثولوجيا

عند العرب : ١٠٩ فما بعدها

كثير من المناطق ، نظراً للبيئة الصحراوية التي تفتقر في كثير من أماكنها إلى العشب إضافة إلى الشجر والنخيل .

هذه الصورة تعكس في الذهن العربي نعيم الجنة ، وجمالها الطبيعي الرائع الذي طالما تاقت إليه نفوسهم فنجد في وصف الجنة النخيل ، والأشجار المتداينة القطف الوفيرة الأثمار ، والاعناب : (وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ، فَبِأَيِّ الَّاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ ذَوَاتاً أَفَنَانٍ ، فَبِأَيِّ الَّاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَسْجُرَانِ ، فَبِأَيِّ الَّاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ، فَبِأَيِّ الَّاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّاتٌ فَبِأَيِّ الَّاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ مُدَهَّامَاتٌ ، فَبِأَيِّ الَّاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَاحَاتٌ ، فَبِأَيِّ الَّاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ ، وَنَخْلٌ ، وَرُمَانٌ . . .) (١) وقال تعالى مددداً نعمَ الجنة الكثيرة ، والفاكهه المتنوعة ، والطعام اللذيذ ، والظل الوارف الجميل مع وفرة المياه ، والنخل ، والأشجار : (وَاصْحَابُ السَّيِّئِينِ ، مَا اصْحَابُ الْيَمِينِ ، فِي سُدْرٍ مَخْضُودٍ ، وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ ، وَفَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ لَا مَقْطُوعَةٌ ، وَلَا مَمْنُوعَةٌ) (٢) . لقد أحب العرب العشب الذي ترعاه ما شيتهم ، واحبوا المطر ، وترقبوه لأن في انعدامه افتقاراً للعشب وموتاً لحيوانهم ، وماشيتهم . ولما كان لون العشب اخضر فقد تعلقوا بهذا اللون ، واعتبروه احب الالوان الى نفوسهم ، فهو لون الشباب الحبيب ولذلك قيل اذا توفي الرجل شاباً قد اختضر (٣) ، ذلك لأنه توفي في ريعان شبابه كالغصن حين يكون

(١) سورة الرحمن ٥٥ : ٤٦ - ٥٣ ، ٦٢ - ٦٨

(٢) سورة الواقعة ٥٦ : ٢٧ - ٣٣

(٣) الصدحاج ٢ : ٦٤٧ ، لسان العرب ٥: ٣٢٧ .

على أحسن حال ، واجمله ، أيام خضرته ، ونضارته .

اما اذا ارادوا الدعاء على قوم ، فانهم يدعون عليهم بالجلد ، والحرمان من الخصب فيقولون : اباد الله خضراءهم (١) . لان الخضرة مقرنة بالخير والنعيم ، واذا ارادوا التعبير عن دوام المحبة قالوا : (الامر بينما اخضر اي جديد لم تخلق المودة بينما) (٢) . ومن هنا قال ذو الرمة واصفا الوصال بالخضرة :

أزابُّ مِيْ وَالوصالُ أخْضَرُ وَلَمْ يَغِيرْ وَصَلَّهَا الْمَغِيرُ (٣)
فِيَامِ الوصالِ وَصَفَهَا بِالخضرةِ بِجَاهِهَا ، وَاقْتَرَانِهَا بِالْجَسْدَةِ وَالْبَهْجَةِ
اما وصف الاشخاص بالخضرة ، فقد ذهب بعضهم الى ان المراد به الفخر
وانهم اذا ارادوا مدح الرجل نعتوه بالاخضر (٤) كقول اللثبي (٥) .
وأنا الأَخْضَرُ مَنْ يَعْرِفِنِي أَخْضَرُ الْجَادَةِ فِي بَيْتِ الْعَرَبِ (٦)
ويبدو ان هذا النعت لا يراد به الفخر من حيث دلالة اللون على

(١) الفراء عن لسان العرب ٣٢٩ : ٥ ، ادب الكاتب : ٥٠ ، مجمع الامثال

١ : ١٠٩ .

(٢) اساس البلاغة : ٢٣٦ .

(٣) ديوان شعر ذي الرمة : ٢٠٢ ، اراجيز العرب : ١٠ .

(٤) احسان الشعراء العرب بالالوان والاصوات ، مجلة كلية الاداب العدد الاول لسنة ١٩٥٦ ص ٨ ، الوصف في شعر العراق : ٩٧ .

(٥) هو الفضل بن عباس بن عتبة بن ابي هلب احد شعراءبني هاشم وكان من قدم على عبد الملك بن مروان انظر المعارف : ١٢٦ ، الاغاني ١٥ : ٨ - ١٠ . المؤتلف وال مختلف : ٤١ .

(٦) الحيوان ٣ : ٢٤٨ ، المؤتلف وال مختلف : ٤١ ، اسامن البلاغة : ٢٣٦
لسان العرب ٥ : ٢٨ ، فخر السودان : رسائل الجاحظ ١ : ٢٠٧ .

النعمة ، والخير ، وأعا اريد به لون البشرة . قال ابن قتيبة معلقاً على
البيت : (الخضراء السواد اراد الأدمة) (١) .

وروى ابن منظور تفقيها على البيت (يقول ان لون العرب السمرة) (٢)
وقال المبرد شارحاً ابياتاً لحسان ، ورد فيها ذكر خضر بنى خلف قال:
(يريد سواد جلودهم كما قال الفضل بن العباس) (٣) (البيت) . وقال
(فهذا على القول الاول) . وقال اخرون شبههم في جودهم بالبحار ، لما
يرى من لون الخضراء في مياهها) (٤) . وكون الشاعر مدحهم لانه
شبههم بالبحار التي وصفت بالخضراء غير واضح المعنى ، الا اذا اريد به
اللون القائم الذي يرى في مياه البحر حين تربد ، وتضطرب بشدة : ومن
هنا يبدو لنا ان الشاعر اراد الفخر بكونه من العرب الخالص الذين لم تتشبهم
حرة الاعاجم (٥) . وهذه التسمية هي التي تفسر لنا وصفه جملة من
سائل الجنة بالدهمة : (ومن دونها جنتان ، فبأي الاء ربكم تكذبان ؟
مُدْهَا مَتَان) (٦) . وذلك وصف لخضرتها بأنها لشدة ريهما ، ونضرتها

(١) المعارف : ١٢٦ .

(٢) لسان العرب ٥ : ٣٢٥ .

(٣) الكامل للمبرد ١ : ٢١٧ .

(٤) ن . م .

(٥) واطلاق الخضراء على السمرة او السواد ناتج عن طبيعة الالوان ،
وصغرية تحديدها وقد مر بنا سابقاً ان الذوق العربي اعتبر البياض المشوب بالصفرة

اجمل الالوان واحلامها انظر ص ١٤١ .

(٦) فخر السودان : رسائل الجاحظ ١ : ٢٠٤ .

تبعد زاهية ، وتقرب الى لون السواد . قال الماحظ . (واحسن الخضرة ما ضارع السواد . قال الله عز وجل ومن دونها جنتان ، ثم قال لما وصفهما وشوق اليهما مدهامتان) .

هذا اللون الحبيب الى نفس العربي هو الذي يتمثل في الذهن عند قراءة الآيات الكريمة التي تخص ثواب الجنة ، وانجذابها ورياضتها . وهناك آيات اخرى تجسد صورة الخضراء الحبيبة الى نفس العربي ، وذلك ان لون ثياب اهل الجنة وصفت بالخضراء دون الالوان الباقية لما لهذا اللون من ايمان جميل في نفوس العرب ، وذوقهم العام . قال الله تعالى (أولئك لهم جنات عدن تجري من تحتهم الانهار) ، يحملون فيها من اساور من ذهب ويلبسون ثيابا خضراء من سندس واستبرق ، متكمين فيها على الارائك نعم الثواب ، وحسنست مرتفقا (١) . وقال تعالى . (متكمين على رفوف خضراء) (٢) . هذا اللون الجميل الحبيب يتجده في وصف ملابس الملوك ، وذلك انهم كانوا يوشونها باللون الاخضر (٣) . كما يجد في وصف الملابس ان بعضها لا تكون الا خضراء اللون (٤) . مما يعكس لنا اهمية هذا اللون ، وحب النون العربي له (٥) .

(١) سورة الكهف ١٨ : ٣١ .

(٢) سورة الرحمن ٥٥ : ٧٦ ، وانظر الكشاف ٣ : ١٩١ .

(٣) انظر ديوان النابغة الذبياني : ١٢ .

(٤) انظر في هذا مقال الأنسجة في مجلة الأبحاث ج ٤ كانون الأول السنة ١٤

١٩٦١ ص ٥٦٦ ، ٥٧١ .

(٥) انظر في هذا مقال البيئة العربية في القرآن الكريم مجلة البيئة السنة الأولى

العدد ١٠ - ١٩٦٣ - ١٣٨٢ هـ .

ومن هنا يتضح لنا ان الخصرة في القرآن الكريم تمجسيد للذوق العربي الذي احبا وشغف بها ، لأنها تمثل في نظره الخير ، والرفاهية ، والحياة الدائمة . وكل هذه الصور ترسم في الذهن عند قراءة وصف الجنة ، وطبيعتها المشرقة الزاهية .

٢ - اعتدال جوها

ان لفظ النار ، وحرها الشديد تقابله في الجنة صورة معاكسة إذ وصف جوها بالاعتدال ، وطيب الهواء : (لَا يَرُونَ فِيهَا شَمْسًا ، وَلَا زَمْهَرِيرًا) (١) أي انهم في الجنة في جو معتدل لا يعانون الحر الشديد الذي يعانيه أهل النار ، ولا البرد القارص المؤذى . وفي هذا رد لاعتراض الزرادشتية الذي مر بنا ذكره (٢) . فكما نفي عن الجنة الحر الشديد الذي عاناه العرب ، فكذلك نفي عنها البرد الشديد القارص ، وهو أيضاً مما عاناه العربي في بيته لأن بلاد العرب لم تكن أرض سوم وحر فقط ، إنما عانت البرد والحر على اختلاف فصول السنة ، وان كانت صور الحر أوضح ملامح في الشعر الجاهلي من صور البرد ولعل مرد ذلك الى ان الحر يصحبه عطش مضنى يؤلم العربي ويؤذيه . أما في البرد فقد اكتفوا بوصف شدة البرد ، و حاجتهم الى الدفء .

ومعرفة العرب للبرد هو الذي أوحى لبعض المفسرين تفسير الغساق في قوله تعالى : (لَا يَتَذَوَّقُونَ فِيهَا بَرًّا ، وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا) (٣)

(١) سورة الانسان ٧٦ : ١٣ .

(٢) أنظر ص ٢٠٥ .

(٣) سورة النبأ ٧٨ : ٢٥ .

وذلك لأنهم قالوا بأن ما يسقاهم أهل النار إنما هو شراب لا يستطيعون ذوقه لشدة برد़ه (١) . مما يدلنا على أن العرب عانوا من أذى البرد ، مثلما عانوا الحر ولظاه حتى فهموا أن البرد يمكن أن يكون وسيلة من وسائل التعذيب يوم القيمة .

لقد عرفت الطائف باعتدال هواها ، وطيب جوها ، ومع ذلك فقد ذكر أن درجة البرودة تصل فيها أحياناً إلى درجة يجمد فيها الماء (٢) ، وكذلك الحال مع باقي جبال الجزيرة العربية . قال المقدسي : (وأماماً كان من ناحية الجبال فهي باردة) (٣) ، وسميت كام بلاد الأزد (آل قراس لكثرة ثلوجها) (٤) .

وكما وجدنا صورة الحر واضحة الملامح في الشعر الجاهلي ، فكذلك نستطيع ان نجد فيه وصفاً لشدة البرد ، ورياحه القارصه . قال حاتم الطائي : أوقِدْ فانَّ اللَّيْلَ لَيلَ قَرَّ والرِّيحُ يَامُوقِدُ رِيحُ صَرُّ (٥) وقال آخر (٦) :

اذا كانَ الشِّتَاءُ فَادْفِئُونِي فانَّ الشِّيخَ يَهْدِمُ الشِّتَاءَ (٧)
ومن هنا كثُر وصفهم لنار الاصطلاء ، وقربهم منها ، وحبهم لدفئها

(١) جامع البيان ٣٠ : ١٣ - ١٤ ، الكشاف ٣ : ١٨ .

(٢) صورة الأرض : ٣٢ ، احسن التقاسيم : ٧٩ ، آثار البلاد : ٩٨ ، قطعة من كتاب في الجغرافية : الورقة ٦٦ (ب) .

(٣) احسن التقاسيم : ٧٠ .

(٤) معجم البلدان ٤ : ٤٦ ، معجم ما استعجم ١ : ٩٢ .

(٥) ديوان حاتم الطائي : ٥٩ .

(٦) حقائق التأويل ٥ : ٢١٧ ، ولم أغير على نسبة البيت .

(٧) غار القلوب : ٤٦٠ .

وما يحكي في هذا الباب ان اعرابياً اشتد عليه البرد ، فأصاب ناراً ، فدنا منها ليصطلي وهو يقول : (اللهم لا تحرمني في الدنيا والآخرة) (١) . ومع ان الطابع الاسلامي واضح في هذه الحكاية الطريفة ، فان لها دلالتها على البيئة العربية وقت الشتاء وكيف ان البرد يشتد فيها الى درجة يتمنى فيها المصطلح الناري في دنياه وآخرته ! ومن هنا وصفوا أذى البرد الذي تعانيه حيواناتهم (٢) .

ومع ذكرهم لصور البرد ، ومعاناتهم له في البيئة العربية إلا انه لا يبلغ مبلغ تصويره الحر الشديد ، ومعاناتهم العطش فيه ، ومن هنا كان تخويف القرآن الكريم بالحر اضعاف ما خوف بالبرد .

ومن هنا يستطيع العربي ان يتمثل الصورة المشرقة للجنة في انعدام الحر ، والبرد الشديدين ، ويستطيع ان يتصور السعادة المتناهية التي يتاب بها المؤمنون في الجنة .

٣ - انهارها وشرابها :

أ - انهار الماء .

والى جانب الخضراء الخبيبة ، والأشجار الجميلة نجد في وصف الجنة صورة أخرى تزيد المشهد روعة وجمالا ، الا وهي صورة الانهار الجارية

(١) ثمار القلوب : ٤٦٠

(٢) ديوان جران العود : ٧ شرح اشعار المذلين ١ : ٦٨ ، المفضليات :

١٢٦ ، ١٧٧ اسماء المغاليين : ٢٤٢ ، الحيوان ٥ : ٧٥ ، الأزمة والأمكانة

٢ : ٢٤٢ ، ارجيز العرب : ١٠٩

الوفيرة المياه . وقد وردت في (٣٨) آية (١) : كلها تصف الجنة التي تجري من تحتها الانهار (وَبَشَّرَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلُّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلِهِ وَاتَّوْا بِهِ مِتَّسِابِهَا ، وَهُنَّ فِيهَا ازْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (٢) . وقال تعالى أيضاً : (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَّ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلُّهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا : تَلْكَ عَقِبَ الَّذِينَ انْفَقُوا ، وَعُقِبَ الْكَافِرِينَ النَّارَ) (٣) وفي سورة محمد (ص) نجد صورتين متعاقبتين احداهما صورة الجنة التي تجري فيها الانهار وقد عدد الله سبحانه وتعالى انواع هذه الانهار فبعضها من ماء صاف وبعضها من لبن ، او حمر ، او عسل كلها اعدت لينعم بها المؤمنون . هذه الصورة تقارن بأخرى تليها ، وهي صورة العذاب وما يلاقيه المجرمون في النار حين يسقوهم الماء الحميم الشديد الحرارة ، فتقطع امدادهم (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَّ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ ، وَانْهَارٌ مِّنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ، وَانْهَارٌ مِّنْ تَحْمِيرٍ لَذَّةِ الْشَّارِبِينَ ، وَانْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفَّى ، وَهُنُّ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ، وَمَغْفِرَةٌ مِّنْ رَبِّهِمْ كَمْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ ، وَمُسْقُوا مَاءَ حَمِيمًا) (٤) :

واذا بحثنا الماء في القرآن الكريم في غير الآيات التي تخص القيمة

(١) انظر المعجم المفهرس ٧١٩ - ٧٢٠

(٢) سورة البقرة ٢ : ٢٥

(٣) سورة الرعد ١٣ : ٣٥

(٤) سورة محمد ٤٧ : ١٥

نجد له أهمية كبيرة ، فقد ورد في (١) آية (٣٤) تصور الماء على انه من النعم العظيمة التي اسبغها الله سبحانه وتعالى على البشر ، فهو أساس الحياة : (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا) (٢) ومع ذلك نجد شح الماء ، وقلته في البيئة العربية ، وحيثما نقرأ ذكر الماء ، والعطش ذلك ان الصحراء العربية لا توجد فيها انهار دائمة الجريان ، وإنما وديان تسير فيها المياه وقت الامطار ، ومراعان ما تتلاشى ، وتغور (٣) : فلا يوجد في مكة مثلا ماء جار ابداً (٤) ، الا ما يختلفونه من الآبار والعيون (٥) : فالمدينة حياتها على السيل وقت الامطار ، وعلى الآبار سائر السنة (٦) . اما جدة فان اهلها في تعب دائم ، من الماء كما يقول المقدسي (٧) . اما سائر الجزيرة العربية فان اعتمادها الكلي على الامطار التي قد تشح احياناً فتتركهم في يأس من الحياة والمراعي (٨) . وقد

(١) المعجم المفهرس : ٦٨٤

(٢) سورة الأنبياء : ٢١ : ٣٠

(٣) صورة الأرض : ٢٧ ، وانظر ايضاً هذا العالم : ٣٣٣ . اما ما يذكر عن سد مأرب والمياه التي تجري في انهاره ، فاما احتضر العرب هذه الانهار ليوجهوا اليها السيل التي تسيل من الجبال . انظر الاعلاق النفيضة :

٩٥ ، احسن التقاسيم :

(٤) اسماء جبال هامة : ٤٤

(٥) البلدان : ٣١٦ ، صورة الأرض : ٢٩ المسالك والممالك : ١٣٤ ،

معجم ما استعجم ١ : ٢٦٩ ، معجم البلدان ٤ : ٦٢٢

(٦) البلدان : ٣١٢

(٧) احسن التقاسيم : ٧٩

(٨) هذا العالم : ٣٣٣

تخلو بعض المناطق من الآبار ، والعيون ، فتنعدم فيها الحياة (١) . وحول الماء وحفر الآبار دارت الأساطير الغربية ، وكلها تصور التقديس الذي احيط به الماء (٢) .

وقلة المياه ، والحرمان منها عرضت العرب في كثير من أسفارهم إلى المخطر الخدق حيث يعانون من أذى العطش والظماء ما يعرضهم إلى الالاّك : ومن هنا أوجدوا طريقة يقسمون بها الماء ، وذلك انهم يضعون حصة في آناء ، ثم يصب فيه من الماء قدر ما يغمر الحصاة ، فيعطيها كل رجل منهم ، واسموا هذه الحصاة بالملقة (٣) . وهذه الطريقة تطلعنا على شح الماء في بيئتهم إلى درجة يقسمونه فيها ، بقدر ما يغمر الحصاة .
واذا كانت البيئة العربية قد حرمت الأنهر ، وشحت فيها المياه فمن الطبيعي ان يكون اعتمادهم الكلي على الأمطار ، ومن هنا صارت لهم خبرة عظيمة في تتبع موقع المطر ومعرفة السحاب المطر ، أو الحادع (٤) . فإذا انقطع عنهم المطر واحتبس فان هناك فروضاً

(١) صورة الأرض : ٣٤ ، جزيرة العرب لبيربي : ٢١

(٢) المثالب : الورقة ٣٠ - ٣١ ، المنمق : ٤١٣ فما بعدها ، المحسن والأصداد : ٧٨ ، المحسن : ٤١٥ ، ثمار القلوب : ٤٤٤ . وقد خص العرب القدماء الماء بأحاديث طويلة ، فدحروا الماء البارد ، وذكروا منافع الماء و Mizwa بين العذب والردىء كل ذلك نتيجة خبرتهم به . انظر الدلائل والاعتبار : ٦١
المحسن : ٤٧٠ مختصر البلدان : ٢٢٠ أحسن التقاسيم : ١٠١

(٣) امثال العرب : ٦١ ، الغريب المصنف : الورقة (٢٤٨)
مجالس العلماء : ٢١٦ ، ٢١٧

(٤) انظر الأشياء والنظائر ١ : ٥٥ ، امالي القالي ١ : ٨٤

عديدة يقدمونها لاستنزال المطر ، و منها صلاة الاستسقاء (١) ، أو النيران التي يوقدونها (٢) ومن هنا عبد بعضهم الكواكب التي لا يمطرون عندها رهبة منها ، وخوفاً (٣) . كما عبد آخرون النجوم التي اذا طلعت عليهم توقعوا نزول الأمطار ، وكثرة الخيرات (٤) .

ومن هنا نرى أي صورة جميلة ، تلك التي ينقلها لنا الاعرابي حين يشبه صوت حبيبته بالقطار الذي يسمعه الراعي بعد سنتين طويلة مجدبة وقد أصاخ سمعه ، وملأت الفرحة قلبه في انتظار المطر :

وَحَدِّيْشُهَا كَالْقَنْطَرِ يَسْمَعُهُ رَاعِي سَنِينَ تَتَابَعُهُ جَدِبًا
فَأَصَاخَ يَرْجُو أَنْ يَكُونَ حَيَا وَيَقُولُ مِنْ فَرَحٍ هَيَا رِبَا (٥)
وَمِنْ هَنَا كَانَ دُعَاؤُهُمْ لِلْمَيْتِ أَنْ يُسْقَى قَبْرَهُ الْمَطَرُ (٦) : كَمْ نَجَدْ

(١) انظر صحيح مسلم ٣ : ١٢١٢ : الأذمنة والأنواع : ١٣٦

بلغ الأربع ٢ : ٣٠١

Ency of Religion . Art Religion of the Semitic (2)

1 : 669

(٣) من ذلك عبادتهم للبران انظر بلوغ الأربع ٣ : ٢٣٩ : الميثولوجيا

عند العرب : ٧٨

(٤) من ذلك عبادتهم للثريا انظر بلوغ الأربع ٢ : ٢٤٠ ، الميثولوجيا

عند العرب : ١٠٠ ، ٨٤

(٥) الأشباح والنظائر ١ : ٥٥ ، الامالي للقالى ١ : ٨٤ . وانظر

ايضاً المنازل والديبار : الورقة ٣٧ ، اسرار البلاغة : ١٢٤

(٦) ديوان الخنساء : ١٥ ، امالي البزيدي : ٢٢ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٤

الأشباح والنظائر : ٦

في ذكر إيمانهم انهم كانوا يقسمون بالمطر ، وبعذل المطر (١) . وقال الجاحظ : والماء قد يكون القسم كقول الشاعر :

غُصَبَيْ لَوْلَا وَاللَّهِ يَا أَهْلَهَا لَا أَشْرَبُ الْبَارَدَ اَوْ تَرْضَى
وَيَقُولُونَ لَوْلَمْ فَلَانَ إِنَّ شَرْبَ الْبَارَدَ يَضُعُ مِنْ مَرْوِعَتِهِ لَمَا ذَاقَهُ (٢)
وقال طفيلي مقتضاً بالماء .

وَلَا أَقُولُ وَجْمَ الْمَاءِ ذُو تَنَفُّسٍ مِنَ الْحَرَارَةِ إِنَّ الْمَاءَ مَشْغُولٌ
وَلَأَهْمَيْهِ الْمَاءِ فِي نَفْوِهِمْ سَمِوا بَعْضَ الْأَشْخَاصِ بِاسْمِ مَاءِ السَّمَاءِ (٣) .
ونجد أهمية الماء في البيئة الغربية متمثلاً في الشعر العربي في كافة أغراضه ،
فنجد في الفخر والمديح والغزل وغيرها من فنون الشعر ، فإذا أراد شاعرهم
الفخر ، فاعداً يفخر بشرب قومه الماء الصافي على حين يشرب غيرهم الكدر
قال الحارث بن حلزة اليشكري :

وَإِنَّ الشَّارِبَوْنَ الْمَاءَ صَفْنُوا وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدْرَا وَطِينَا (٤)
ويفخر شاعرهم بأنه يمنع نفسه لذة الشراب ، لأنَّه يؤثِّر رفيقه

(١) من ذلك قولهم لا وقطع القطر ، أنظر الأمالي للقالي ١ : ٥٠ ، إيمان العرب : ٢٠ ، وتروي لا وقطع القطرة . أنظر المخصص ١١٨:١٣ ، المزهر ٢٦٢:٢

(٢) الحيوان ٥ : ١٤٨ ، وقد علق محقق الكتاب على قول الجاحظ بقوله :
(والحق ان الماء مقسم عليه لامقسم به ، وأما المقسم به فهو لفظ الجلالة) ويبدو انه حتى في حالة كون الماء مقسم عليه فإن له دلالته على أهميته في البيئة العربية .

والبيت غير منسوب ، وانظر أيضاً مختصر البلدان : ٢٢٢ .

(٣) الحيوان : ١٤١ ، وانظر أيضاً شرح القصائد السبع : ٤٧٥ .

(٤) شرح القصائد السبع : ٤١٩ .

بالشراب قبله ، مما يظهر لنا قلة الماء ، وحاجتهم اليه ، قال أبو دؤاد (١) :
 لا يَخَافُ النَّدِيمُ جَهْنَمٌ عَلَى الْكَأْسِ ولا يَحْذَرُ الصَّدِيقُ عَقْوَقِي
 أَمْنَعُ النَّفَسَ لَذَّةَ الْمَاءِ ظَمَانَ إِذَا لَمْ يَتَلَهُ قَبْلَ رَفِيقِي (٢)
 أَمَا فِي الْهَجَاءِ الَّذِي تَعْكَسُ فِيهِ مِثْلُ الْفَخْرِ وَالْمَدْحُ ، فَنَجَدُهُمْ إِذَا
 أَرَادُوا هَجَاءَ شَخْصٍ شَبَهُوهُ بِالْمَاءِ الْكَدْرِ الْمَالِحِ .

لو كُنْتَ مَاءً كُنْتَ لَا عَذْبَ الْمَنَادِقِ وَلَامَسَوْسَا (٣)
 وَمِنْ اقْيَانِ الْمَاءِ وَوَرَودِهِ صَدَرَتْ عَنِ الْعَرَبِ أَمْثَالٌ عَدِيدَةٌ تَعْكِسُ
 كُلَّهَا أَهْمَيَّةَ الْمَاءِ (٤) . وَأَثْرُهُ الْعَظِيمُ فِي نَفْوِهِمْ وَلِغَتِهِمْ ، وَمِنْ هُنَا لَوْنَ
 الْمَاءِ تَعَابِيرُهُمْ ، وَاَكْتَسَتْ بِهِ الْفَاظُوْهُمْ فَقَالُوا : (صَبَغَ لَهُ مَاءُ ، وَفَلَانْ لَيْسَ
 فِي وَجْهِهِ مَاءً) (٥) .

هَذِهِ الصُّورَةُ الْخَبِيبَةُ لِلْمَاءِ ، وَالْأَهْمَيَّةُ الْعَظِيمَةُ الَّتِي تَجْسِدُهَا فِي حَيَاةِ الْعَرَبِ
 هِيَ الَّتِي تَجْسِدُ لَنَا الصُّورَةَ الرَّائِعَةَ لِلْمَجْنَةِ الَّتِي أَعْدَاهَا اللَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ ، وَأَجْرَى

(١) هو أبو دؤاد الأبيادي اختلقو في اسمه فقال بعضهم هو جاري بن الحجاج ، وقال غيرهم هو حنظلة بن الشري ، شاعر جاهلي كان من وصاف الخيل وكان في عصر كعب بن امامه الأبيادي الذي آثر بنصيبيه من الماء رفيقه التمري فمات عطشاً . انظر الشعر والشعراء ١ : ١٦١ ، الأغاني ١٥ : ٩١ ، خزانة الأدب

٤ : ١٩٠ .

(٢) الخامسة البصرية : الورقة ١٧٢ (ب) .

(٣) ديوان المسؤول : ٩٣ ، ديوان النابغة الجعدي : ٧ شرح القصائد السبع : ٢٧٣ ، الأمالي للقالي ١ : ٣ ، ثمار القلوب : ٤٤٥ ، الجبال والأمكنة : ٦٦ .

(٤) أمثال العرب : ٢٢ .

(٥) ثمار القلوب : ٤٤٥ ، ٤٤٧ ، ٤٤٨ ، وانظر في هذا ، الماء في الأدب العربي : ٧ .

فيها الأنهر الواسعة ، والمياه الوفيرة . وكما استطعنا من قبل ان نتصور مدى التصوير المعجز الذي رسّمته الآيات الكريمة للعطاش : (ونادى أصحاب النار أصحابَ الجنةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ ، أَوْ مَارَزَ قَكْعُمُ اللَّهُ ، قَالُوا أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ) (١) . فـعـ انـ الآياتـ الكـريـمةـ تـصورـ لناـ العـطاـشـ المؤلمـ الذيـ يـعـانـيهـ أـهـلـ النـارـ ، فـيـتـمـنـونـ قـليـلاـ مـنـ المـاءـ ، فـانـهـاـ مـنـ النـاحـيـةـ الـأـخـرىـ تعـكـسـ لـنـاـ نـعـيمـ الـجـنـةـ ، فـتـجـمـعـ الصـورـتـانـ لـتـكـلـ الـاعـجازـ الرـائـعـ فـيـ تصـوـيرـ عـذـابـ النـارـ ، وـنـعـيمـ الـجـنـةـ . فـصـورـةـ الـجـنـةـ الـوـارـفـةـ الـظـلـالـ الـمـتـنـوـعـةـ الـأـشـجـارـ معـ الـأـنـهـارـ الـوـفـيـرةـ وـالـعـيـونـ الـمـتـفـجـرـةـ ، تـقـابـلـهـاـ صـورـةـ النـارـ وـلـظـاهـاـ ، وـالـحـرـمانـ مـنـ المـاءـ .

وصورة الأنهر الجارية هي التي تكمل صورة الطبيعة الرائعة في القرآن الكريم وقد ذكر هذا الزمخشري بقوله : (ولولا ان الماء الجاري من النعمة واللذة الكبرى ، وان الجنان والرياض وإنْ كـانـتـ آنـقـ شـيـءـ وـأـحـسـنـهـ لـأـتـرـوـقـ النـواـظـرـ ، وـلـأـتـبـهـجـ الـأـنـفـسـ ، وـلـأـتـجـلـبـ الـأـرـيـحـيـةـ وـالـنـشـاطـ حـتـىـ يـجـرـيـ فـيـهاـ المـاءـ . وـالـاـ كـانـ الـأـنـسـ الـأـعـظـمـ فـائـتـاـ وـالـسـرـورـ الـأـوـفـرـ مـفـقـودـاـ . وـكـانـتـ كـثـائـيلـ لـأـرـوـحـ فـيـهاـ ، وـصـورـ لـأـحـيـاءـ هـاـ لـمـ جـاءـ اللـهـ بـذـكـرـ الـجـنـاتـ مـشـفـوعـاـ بـذـكـرـ الـأـنـهـارـ الـجـارـيـةـ مـنـ تـحـتـهـاـ مـسـوقـينـ عـلـىـ قـرـآنـ وـاحـدـ كـالـشـيـئـينـ لـأـبـدـ لـأـحـدـهـاـ مـنـ صـاحـبـهـ) (٢) .

وفي الآيات التي وردت فيها الجنة غير مقترنة بالأنهر نجد لها مقرنة بالعيون المنفجرة بـالمـاءـ وـالـجـانـبـاـ صـورـةـ أـخـرىـ هيـ صـورـةـ الـجـنـرـمـينـ معـ المـاءـ الـحـارـ قال الله تعالى : (هـذـهـ جـهـنـمـ اـتـيـ يـكـذـبـ بـهـاـ الـجـرـمـونـ ، يـطـوـ فـونـ بـيـنـهـاـ ،

(١) سورة الأعراف ٧ : ٥٠ .

(٢) الكشاف ١ : ١٩٩ - ٢٠٠ .

وَبَيْنَ حَمِيمٍ أَنِّ ، فَبِأَيِّ الَّأَمِّ رِبَّكُمَا تَكذِّبَانِ ؟ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّ
جَنَّتَانِ ، فَبِأَيِّ الَّأَمِّ رِبَّكُمَا تَكذِّبَانِ ؟) (١) . وَقَالَ أَيْضًا : (هَلْ أَنَاكُمْ
حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ، وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَائِشَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِيَةٌ ، تَصْلِي نَارًا حَامِيَةً
تُسْقِي مِنْ عَيْنٍ آنِيَةً ، لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ، لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي
مِنْ جُوعٍ ، وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاعِمَةٌ ، لَسْعَبِهَا رَاضِيَةٌ ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ،
لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ، فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةً) (٢) .

وَإِذَا كَانَتْ عَيْنُونَ وَآبَارَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَعْرَضَةً لِلْجَفَافِ وَالتَّفَادِ ، فَانْ
عَيْنُونَ الْجَنَّةِ وَفِيرَةُ الْمَاءِ دَائِمَةُ التَّفْجِيرِ (عَيْنًا يَشَرَّبُ بِهَا عَبَادُ اللَّهِ يَفْجُرُونَهَا
تَفْجِيرًا) (٣) . فَاقْتَرَانُ عَيْنِ الْجَنَّةِ بِالْمَصْدَرِ (تَفْجِيرًا) تَبَيَّنَ مِيزَتُهَا ، وَبِحَمَالَاهَا
بِأَنَّهَا دَائِمَةُ التَّفْجِيرِ غَيْرُ مَقْتَرَنَةٍ بِزَمْنٍ مُعِينٍ .

وَفِي كُلِّ هَذِهِ الْآيَاتِ تَرَسِّمُ فِي الْذَّهَنِ الصُّورَةُ الْخَبِيَّةُ لِلْمَاءِ ، وَالْجَهَالِ
الَّذِي تُثِيرُهُ الْآيَاتُ الْكَرِيمَةُ فِي تَصْوِيرِ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ وَوَفْرَةِ الْمَاءِ فِيهَا) (٤) .
وَقَدْ وَصَفَتْ كُؤُوسُ شَرَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ بِأَنَّهَا مِزْوَجَةُ بَطْعَمِ الزَّنجِبِيلِ
فَالَّهُ تَعَالَى : (وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بَأْنِيَةً مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٌ كَانَتْ قَوَارِيرًا
قَوَارِيرًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا ، وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأسًا كَانَ مِزاجُهَا
زَنجِبِيلًا عَيْنًا فِيهَا تَسْمَى سَلَسِيلًا) (٥) فَالزَّنجِبِيلُ مَا يَنْبَتُ فِي بَلَادِ الْعَرَبِ
بِأَرْضِ عُمَانِ ، وَهُوَ عَرْوَقٌ تَسْرِي فِي الْأَرْضِ .. وَأَجُودُهُ مَا يَقُولُ فِيْهِ مِنَ الزَّنْجِ.

(١) سورة الرَّحْمَن ٥٥: ٤٤ - ٤٥ .

(٢) سورة الْغَاشِيَةِ ٨٨: ٢ - ١٢ .

(٣) سورة الْإِنْسَانِ ٧٦: ٦ .

(٤) أَنْظُرْ فِي هَذَا مَقَالَ الْبَيْتَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مجلَّةُ الْبَيْتَةِ السَّنَةُ الْأُولَى

العدد العاشر ١٩٦٣ ص ٣٣ فَمَا بَعْدَهَا .

(٥) سورة الْإِنْسَانِ ٧٦: ١٤ .

او بلاد الصين (١) . وكانت العرب تستلذ طعمه ، و تستطييه . قال الطوسي (الزنجيل) ضرب من القرفة طيب الطعام ، يلذع اللسان ، يربى بالعسل ، يستدفه به المضار اذا مزج به الشراب فاق في الالذاذ . والعرب تستطيب الزنجيل جداً قال الشاعر :

كأنَّ القرنفلَ والزنجبيلَ باتا بفيها وأُريَا مشورا (٢)
فالزنجبيل مما استلذته العرب ، واستطابته ، وقد شبهوا به ريق

المرأة في تغزلهم بها ، قال امرؤ القيس :

كأنَّ المُسَدَّمَ بائِسًا بها وصوبَ السَّغَامَ بباءَ غَلَّ
وَطَعْمَ السَّسَفَرَ جَلَّ والزنجبيل عَلَّ به ، وبصافي العَسَلَ (٣)
وقال الأعشى متغلاً :

كأنَّ طَعْمَ الزنجيلِ وتَفَا حَمْ على أري الدَّبُورِ نَزَل (٤)
اما رائحة الشراب فانه معطر بالكافور قال الله تعالى : (انا اعْتَدْنَا
للكافرين سَلَاسِلاً وَأَغْلَالاً وَسَعِيرَا ، انَّ الْأَبْرَارَ يَشْرِبُونَ مِنْ كَأسِ
كَانَ مَزَاجَهَا كَافُورًا ، عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عَبَادُ اللَّهِ يُقَبِّحُونَهَا
تفجيرًا) (٥) . قال الطوسي : (كان مزاجها كافورا قيل ما يُتَشَمُّ من

(١) لسان العرب ١٣ : ٢٣٢ . وقيل ان الكلمة اعجمية . انظر شفاء الغليل : ١٤٠ وقد قال فؤاد حسنين الزنجيل (بقلة يقال لها فلفل الماء الدخيل .

في العربية مجلة كلية الآداب ، جامعة فؤاد الأول مايو ١٩٤٩

(٢) التبيان ١٠ : ٢١٤ : والبيت للأشعشى في ديوانه : ٩٣ مع اختلاف

في الرواية ، وانظر ايضاً الكشاف ٣ : ٢٩٨

(٣) ديوان امرئ القيس : ٢٩٨

(٤) ديوان الأعشى ص ٢٧٧

(٥) سورة الانسان ٧٦ : ٤ - ٦

ريخها لا من جهة طعمها ، والكافور في اللغة ضرب من الطيب) (١) . وقد ذكر ابن دريد انه ليس بعربي مخصوص مستدلا بقولهم **الكافور** والقافور) (٢) . وليس في هذا القول دليل قاطع على اعمجمية الكلمة ذلك لأن هناك نباتاً معروفاً يسمى الكافور قال الحديث : (الكافور : نبات له نور ابيض كنثور الاچوان) (٣) . فن الجائز ان يكون الكافور مستخرجاً منه .

ومن هنا نرى ان القرآن الكريم بعد ان وصف وفرة المياه ، وتنوع الشراب اللذيد الذي ينعم به المؤمنون في الجنة ، وصف لنا طعمه بأنه مخلوط بطعم الزنجبيل الذي احبه العرب واستطاباته نفوسهم ، ثم ان رائحته طيبة كطعم الكافور الذي اعجبوا به واستلذوا رائحته .

ب - أنهار اللبن :

وإلى جانب انهار المياه التي تجري في الجنة نجد وصفاً آخر لانهار من اللبن والماء ، قال الله تعالى : (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَّ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّنْ مَاءٍ غَيْرِ آسَنٍ وَأَنْهَارٌ مِّنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ سَخْرَيْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ، وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفَّى) (٤) . وذكر اللبن ضمن انهار الجنة يثير صورة في الذهن العربي ، صورة

(١) جمهرة اللغة ٢ : ٤٠١ ، الصماح ٢ : ٨٠٨ ، لسان العرب

٤٦٦ : ٦

(٢) جمهرة اللغة ٢ : ٤٠١ ، وانظر ايضاً المعرف : ٢٨٦ ، ٢٨٤

(٣) لسان العرب ٦ : ٤٦٦

(٤) سورة محمد ٤٧ : ١٤ - ١٥

البيئة التي عاشهـا العربي : فاللبن من منتجات حيوانـهم ، وهو شرابـهم المفضل الا ان شح البيئة العربية بالكـلاـء ، والزرع في اكـثر ايـام السنـة كان يؤدي الى قلة الحـيرـات ، وانعدـام اللـبن في اثـدائـها ، ومن هـنا نجـد ندرـة اللـبن - وخاصـة في الشـتـاء - فـتنـبعـت من ندرـته نـفـحـات جـديـدة يـبعـها الشـاعـرـ في فـخـره وحـاسـته ، فقد خـصـوا بـشرـبـ اللـبنـ اعزـ منـ فيـ منـازـلـهـمـ : الصـيفـ والـفـرسـ .

اما الصـيفـ فقد عـرفـنا عـادـةـ العـربـ ، وـماـ حـتـمـتـهـ البيـئةـ العـربـيةـ الشـحـيـحةـ منـ تـعـودـ الـكـرـمـ وـيـذـلـ الـمـالـ ، وـالـنـفـسـ لـهـ ، فـكـانـواـ يـؤـثـرونـ الصـيفـ بـالـلـبـنـ وـتـلـكـ سـمـةـ مـنـ سـمـاتـ الـكـرـمـ : قالـ الحـارـثـ بنـ حـلـزـةـ مـخـاطـبـ صـاحـبـهـ ليـقـدـمـ اللـبـنـ الـخـالـصـ لـلـاضـيـافـ :

لـأـنـكـسـعـ الشـولـ باـغـبـاـ رـهـاـ اـنـكـ لـاـ تـدـرـيـ مـنـ النـازـيجـ^{١)}
وـأـصـبـبـ لـاـضـيـافـكـ مـنـ رـسـلـهـاـ فـانـ شـرـ اللـبـنـ الـوـالـيجـ (٢)
وقـالـ الحـطـيـةـ :

قـرـوـاـ جـارـكـ الـغـمـيـانـ لـاـ جـفـوـتـهـ
وـقـلـاصـ عنـ بـرـدـ الشـرـابـ مشـافـرـهـ
سـنـاماـ وـمـحـضـاـ أـبـتـ الـحـمـ فـاكـتـستـ

عـظـامـ اـمـرـىـءـ مـاـ كـانـ يـشـبـعـ طـائـرـهـ (٢)

يـقولـ لـقـدـ قـلـصـتـ مشـافـرـ جـارـكـ عنـ بـرـدـ المـاءـ ، فـلمـ يـقـدـرـ عـلـىـ شـربـهـ لـشـهـوـةـ اللـبـنـ ، وـانـهـ لـشـدـةـ هـزـالـهـ اـذـاـ وـقـعـ عـلـيـهـ طـائـرـ وـهـوـ مـيـتـ لـمـ يـشـبـعـ مـنـ

(١) المعاني الكبير ١ : ٤٠ ، وانتظر ايضاً ١ : ٣٩٨ ، والكسع ان ينضـحـ
الضرـعـ بـالـمـاءـ الـبـارـدـ ثـمـ يـضـرـبـهـ بـالـكـفـ صـعـداـ . ارادـ فـشـرـ اللـبـنـ ماـ حـقـنـ فيـ الـضـرـعـ .

(٢) نـ. مـ ١ : ٤٠٤ - ٤٠٥ ، والـبـيـتـ الـأـوـلـ غـيـرـ مـوـجـودـ فيـ دـيـوـانـ

الـحـطـيـةـ : ١٧٧ .

قلة حمّه ، وهزله ، فكونه متشوقاً إلى اللبن بدرجة عافت نفسه الماء ، مما يدلنا على تعلق نفس العربي باللبن ، واهميته في حياته .
اما في الهجاء فانهم كانوا يعكسون هذه الناحية التي اعتبروها من اهم صفات المدح فقالوا عن المهجو انه يخصل نفسه باللبن ، ولا يسقيه اهله وجيرانه . قال الشاعر :

وَيُشَرِّبُهُ مَحْضًا وَيُسْقِي أَبْنَهُمْ

سِجَاجًا كَأَقْرَابِ الْعَالَبِ أُورَفَا (١)

والسجاج الذي مدق حتى تغير طعمه .

اما سقي الفرس اللبن ، فاننا نجد صداته واضحاً عند شهادة الفروسيه الذين اولوا الفرس حياتهم ، ونزل في نفوسهم منزل العزيز الكريم وذلك لكونها الاساس الذي يعتمد عليه العربي في الدفاع عن شرفه ، وقبيلاته حين يغار عليه ، ومن هنا اعتنوا بالخيول اعتناءهم باولادهم ، ونسائهم بل جاؤوا ذلك الى تفضيله على عيالهم جميعاً . قال عنترة بن شداد : (٢)
فَفُنِّيَكُ سائِلاً عَنِ فَلَانِي وَجَرْوَةَ لَا تَرُودُ لَا تُعَارُ
مُقْرَبَةَ الشَّتَاءِ وَلَا تَرَاهَا وَرَاءَ الْحَيِّ يَتَبَعَّهَا الْمِهَارُ (٣)
لَهَا بِالصِّيفِ أَصْبِرَةُ وَجِيلٌ وَنِيبٌ مِنْ كِرَائِمِهَا غِيزَار (٤)

(١) المعاني الكبير ١ : ٤٠ .

(٢) شرح ديوان عنترة : ٧٨ والشعر منسوب الى شداد بن معاوية العبسي

انظر امثال العرب : ٣٦ .

(٣) لقد خصن الشتاء هنا لانه زمن المحن ، والجذب ، فالكرم فيه امدح

اي اهـ لـ لـ رـ كـ ربـ لـ لـ للـ نـ سـ لـ .

(٤) الاصرة من الغنم والابل التي تروح وتغدو على اهلها لا تعزب عنهم

والجلـ بالكسر البعير ، والنـيب المسنة من الـبلـ ، وانظر ايـضاً شـرح اـشعار =

وفي الشتاء حين تهزل الماشية وتجف البانـةـا يخـصـون الفـرسـ بالـلـبـنـ
الـخـضـ وـيـعـيـرـونـ غـيرـهـ بـسـوءـ صـيـانـتـهـ الـخـيلـ ؛ـ وـاـذـلـاهـ هـاـ (١)ـ .ـ يـقـولـ
مـالـكـ بـنـ نـوـيـرـةـ :

أـعـلـلـ أـهـلـيـ عـنـ قـلـلـ مـتـاعـهـيمـ
وـأـسـقـيـهـ مـحـضـ الشـوـلـ وـالـحـيـ هـاتـيفـ (٢)

فـهـوـ هـنـاـ يـقـولـ بـاـنـهـ يـحـرـمـ اـهـلـهـ شـرـبـ اللـبـنـ ،ـ وـيـعـلـلـهـمـ ،ـ وـبـلـهـمـ ،ـ
لـيـسـقـيـ فـرـسـهـ اللـبـنـ الشـوـلـ الـخـالـصـ وـيـخـصـهـ بـهـ .ـ وـتـبـلـغـ نـدـرـةـ اللـبـنـ اـحـيـانـاـ
اـلـىـ دـرـجـةـ لـاـ يـسـقـيـ الرـجـلـ عـيـالـهـ الاـ مـاـ فـضـلـ مـنـ شـرـبـ فـرـسـ قـالـ مـتـمـ

ابـنـ نـوـيـرـةـ :

فـلـهـ ضـرـيبـ الشـوـلـ الـاسـوـءـ رـهـ وـاـجـلـ فـهـوـ مـرـبـ لـاـ يـخـلـ (٣)
يـرـيدـ بـاـنـهـ يـسـقـيـ فـرـسـهـ اللـبـنـ الخـضـ ،ـ وـمـاـ بـقـىـ سـوـرـهـ لـاـ يـرـدـ عـلـيـهـ
بـلـ يـشـرـبـهـ هـوـ وـاـهـلـهـ .ـ

وـمـنـ هـنـاـ نـجـدـ فـيـ اـخـبـارـ الشـعـرـاءـ ،ـ وـاـشـعـارـهـ اـشـارـاتـ اـلـىـ انـ النـسـاءـ
كـانـواـ يـلـومـونـ اـزـوـاجـهـمـ بـخـرـمـاـنـهـمـ اللـبـنـ ،ـ وـخـصـصـهـمـ فـرـسـنـ بـهـ ،ـ وـهـمـ فـيـ
اـشـدـ اـحـاجـةـ اـلـىـ اـيـامـ الـخـيلـ ،ـ وـالـجـدـبـ .ـ فـيـذـكـرـ عـنـتـرـةـ زـوـجـتـهـ ،ـ وـلـوـمـهـاـ
لـهـ ،ـ مـظـهـرـاـ قـلـةـ اـكـتـرـاـتـهـ بـاـنـيـهـاـ ،ـ وـتـوـجـعـهـاـ ،ـ وـيـنـذـرـهـاـ بـالـهـجـرـانـ اـنـ اـسـتـمـرـتـ
عـلـىـ لـوـمـهـ :

= الـهـذـلـلـينـ ١: ١١٣ـ ،ـ الشـعـرـ وـالـشـعـراءـ ١: ٢٢٧ـ .ـ

(١) انـظـرـ الـخـيلـ :ـ ١٢ـ ،ـ نـخـبـةـ عـقـدـ اـلـجـيـادـ :ـ ٢٢٣ـ ،ـ وـانـظـرـ هـذـاـ فـيـ اـخـبـارـ عـنـتـرـةـ
الـاـغـانـيـ ٨: ٤٤٣ـ طـ دـارـ الـكـتبـ .ـ

(٢) الـخـيلـ :ـ ١٢ـ ،ـ حـلـيـةـ الـفـرـسـانـ :ـ ١٨٢ـ ،ـ وـالـشـوـلـ مـنـ الـاـبـلـ ماـ اـتـىـ عـلـيـهـاـ
مـنـ حـلـهاـ سـبـعـةـ اـشـهـرـ فـخـفـ لـبـنـهاـ .ـ

(٣) الـمـفـضـلـيـاتـ ٥٢ـ .ـ

لا تذكري مهري وما أطعمته
 فيكون جلدك مثل جلد الأجرب
 إن الغبوق له ، وأنت مسوقة
 فناؤ هي ما شئت ثم تحوفي (١)
 ويقول الأعرج المعنى (٢) ذاكرا زوجته ولوتها لايثاره الفرس عليها
 بشرب اللبن :
 أرى أم سهل ماتزال تفجع
 تلوم وما تدرى علام تواجه
 تلوم على أن أعطي الورد لقمة وماتستوي والورد ساعة تفزع (٣)
 ونجد أهمية اللبن في الحديث النبوى الشريف ، وذلك انه كان (ص)
 يحب اللبن (٤) وانه أوصى بالدعاء عند شرب اللبن . قال : (اذا أكل
 أحدكم طعاماً فليقل اللهم بارك لنا فيه ، وأطعمتنا خيراً منه ، وإذا سقي لينا
 فليقل ، اللهم بارك لنا فيه ، وزدنا منه ، فما زادنا شيئاً يجزئ من
 الطعام والشراب إلا اللبن) (٥) . فالرسول (ص) أوصى هنا أن يدعوا الإنسان
 ربه اذا أكل الطعام بأن يرزقه خيراً منه ، على حين انه إذا شرب اللبن
 لم يطلب خيراً منه ، وإنما يدعو الله ان يزيده منه ، لأنه لا يوجد طعام ولا
 شراب يكفي الإنسان ، أو يغطيه مثل اللبن .
 ومن الطبيعي أن يكون اهتمامهم باللبن صادراً عن كونه من أهم

(١) ديوان عنترة : ١٩ ،

(٢) هو عدي بن سعيد بن ريان الأعرج الطائي المعنى وقيل اسمه سعيد بن عدي وهو محضرم . أنظر معجم الشعراء : ٢٥١ .

(٣) شرح ديوان الحماسة ١ : ٣٤٩ .

(٤) الحسان : ٤٠٩ ، الطب النبوى : ٨٠ .

(٥) سنن أبي داود ٢: ٣٠٤ ، سنن أبى ماجة ١١٠٣: ٢ ، الطب النبوى : ٨٠ .

منتجات حيوانهم . ويبدو ان هناك سبباً آخر لهذا الاهتمام ، ذلك لأن اللبن عندهم يمثل الفطرة ، فهو أول ما يسوق منه رضيعهم ، وحيوانهم بالفطرة فإذا رضع رضيعان من ثدي واحد ربطهما اللبن بالأخوة الطبيعية . وان اختلف نسبهما وأصلهما .

فاللبن هو الخير الطبيعي الذي يلازم الإنسانية في وجودها . وقد دار الفكر العربي حول هذه الفكرة يحب اللبن ويقدسه ، حتى تبلورت في ذهنه فكرة الخير المطلق ، وارتبط اللبن *باليمن* والبركة فقالوا ايمان من اللبن (١) ، لهذه الدلالة المقترنة بالخير الدائم . وما يروى ان رسول الله(ص) قال عن عمار بن ياسر : (أبو اليقظان على الفطرة لن يدعها حتى يموت ، أو ينسيه المرض) (٢) . وعنده (ص) انه قال عن عمار أيضاً بأن آخر شربة يشربها من الدنيا شربة لبن ، وانه قد شرب اللبن قبل مقتله فصدق قول الرسول الكريم (٣) . ويمكن أن نقرن بين الروايتين بأن عمار بن ياسر عاش حياته على الطبيعة والسلبية ، فكان اللبن قوام طعامه وشرابه ، حتى ختم حياته الفطرية باللبن الذي يمثل شراب الفطرة ، وفارقته إلى الجنة حيث يلقى هناك شراب الخير الطبيعي الدائم .

ومن هنا تتضح لنا الصورة الجميلة لأنهار اللبن في الجنة بالإضافة إلى كونها توفر لهم الشراب المفضل للذبىد ، لأنها تؤكد لهم فكرة الخير المطلق والبركة الدائمة التي تظلل المؤمنين ، لأن اللبن شراب الفطرة ، الشراب الميمون المبارك الذي يجدونه في الجنة متوفراً ، بل يمتهون أنظارهم بعشود جريه في أنهار جليلة رائعة .

(١) أساس البلاغة : ٨٤٤ .

(٢) الطبقات الكبرى ج ٣ ق ١ : ١٨٨ .

(٣) ن . م : ١٨٤ ، مستند الإمام أحمد ٤ : ٣١٩ .

ج - أنهار الخمر

أما أنهار الخمر التي ذكرتها الآيات الكريمة : (مثلُ الجَنَّةِ الْيَوْمَ وَعِدَ الْمُتَقُولُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّنْ ماءٍ غَيْرِ اسْنَ ، وَأَنْهَارٌ مِّنْ لَبَّانٍ لَمْ يَتَغَيِّرَ طَعْمُهُ ، وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لِذَلِكَ لِلشَّارِبِينَ) (١) . فانها تعطينا صنفآ آخر من أصناف شراب أهل الجنة ، واذا عدنا الى البيئة العربية وجدنا للخمرة صدى عميقا في نفوس العرب وحياتهم (٢) .

فقد ذكرت الحمرة في الشعر العربي ، ذكرها الشاعر ليغمور في كأسه أحزانه ، ويدفن فيها قلقه . وقد تغنى الشعراء بشربها ، ووصفوا تأثيرها السحري على نفوسهم . قال عمرو بن كلثوم :

ألا هبَّي بِصَحْنِكِ فَاصْبِحِينَا
مُشَهَّدَةً كَانَ الْحَصِّي فِيهَا
تَسْجُورُ بَذِي الْلَّبَانَةِ عَنْ هَوَاهُ
وَلَا تُبْقِي خُمُورَ الْأَنْدَرِينَا
إِذَا مَا مَاءَ خَالَطَهَا سَمَّخِينَا
إِذَا مَا ذَاقَهَا حَتَّى يَلَيْنَا (٣)

وقد فخرنا بشربها . قال طرفة بن العبد :
إن تَبَغِّنِي في حَلْقَةِ الْقَوْمِ تَلْقِنِي
وإنْ تَقْتَصِنِي في الْحَوَانِيْتِ تَصْطَدِد

. ١٥ : ٤٧ سورة محمد (١)

(٢) انظر في هذا تطور الخمريات : ٢٨ فما بعدها .

(٣) جمهورة أشعار العرب : ١١٧ ، وانظر أيضاً ديوان ابن مقبل ، ٢٨٧

^١ : دیوان حید بن ثور : ٥٩ ، شرح أشعار المذلين ١ : ٤٨ ، ٤٩ ، ٢٩٢

مني تسألي أصيبحناك كأساً رَوِيَّةً
 وإنْ كنْتَ عَنْهَا غائباً فاغْنِ وازدَادْ (١)
 ووصفووا أواني الشراب وكؤوسه . قال عنترة بن شداد واصفاً زجاجة
 الحمر :

ولقَدْ شَرِبْتُ مِنْ المُدَامَةِ بَعْدَ ما
 رَكَدَ الْهَوَاجِرُ بِالْمَشْوَفِ الْمُعْلَمِ
 بِزُجَاجَةٍ صَفْرَاءَ ذَاتِ أَسْرَةٍ
 قُرِنَتْ بِأَزْهَرَ فِي الشَّهَالِ مُفَدَّمْ (٢)
 وقد شبها ريق المرأة بالحمرة (٣) . ولم يكتفوا بوصف مجالس الحمر
 بل نجد عندهم نظرات تأميمية يعللون بها شربهم الحمر ، وانغمارهم في الملذات .
 يقول طرفة بن العبد مخاطباً الذين يلومونه على كثرة شربه ، وطروه ، بأنه
 مادام لا يستطيع دفع منيته فإن عليه أن يسادر إلى اشباع رغبات نفسه ،
 تلك المنية التي تهدده في كل لحظة في بيته الحرية المتطاولة :
 الا أَيُّهُنَا الْأَئْمَى احْضَرْ الْوَغْرِي

وإنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ انتَ مُخْلِدِي
 فإنْ كنْتَ لَا تُسْطِعُ دُفْعَ مُنْتَيِي

فَدَعَنِي أَبَا دِرْهَا بِعَا مَلَكَكْتُ يَدِي
 فَلَدَرْنِي أُرُوْهَا مَقِي فِي حَيَّاتِهَا سَخَافَةَ شَرْبِ فِي الْحَيَاةِ مُصَرَّدِ

(١) ديوان طرفة : ٤٧ ، جمهرة اشعار العرب : ١٣٨ ، وانظر ايضاً ديوان

النابغة الجعدي : ٨٦ .

(٢) شرح ديوان عنترة : ١٤٨ ، ديوان علقة الفحل : ٦٩ .

(٣) ديوان جران العود : ١٥ ، ٤٥ ديوان سلامة بن جندل : ١٤ ، شرح

اشعار الذهلين ١ : ١٤١ ، جمهرة اشعار العرب : ٨٥ ، ١٤١ .

كَرِيمٌ يُروي نَفْسَهُ فِي حَيَاةِ
سَعْلَمْ إِنْ مَتَّنَا غَدًّا إِبْنَ الصَّدِّي (١)

انها البيئة التي حَتَّمت على العربي هذا الضرب من العيش حين اعزته الاستقرار ، والامان . فكان العربي فيها مهددا في كل لحظة بغارقة مفاجئة تُكله بأعز الناس اليه ، أو تقتله . ومن هنا عكفوا على شربها وقضوا لياليهم وأيامهم ينهلون منها قبل أن تصيبهم يد الظروف القاسية . يقول الاستاذ جميل سعيد (فالقبيلة تصبح وكل شيء فيها هادئ ثم تُحْسِي ، فإذا هي قد أغير عليها ، وفقدت نعمها ورجاحتها ، فلا يبقى أمامها إلا أن تبحث عن الخمر تغرق فيها أحزانها) (٢) .

وجاء الإسلام ومعه نظام دقيق لصلاح البشرية ، ودفع دفة الحياة بالعمل ، والتفكير ، دون الانغماض بالملذات والكبائر ، ولم يشأ الله سبحانه وتعالى ان يحرم الخمرة على المسلمين فجأة ، بل كانت مشيشة الربانية في معاملة النفوس البشرية بالرقة ، واللطف ، فكان تحريم الخمر على مراحل بدأت بذكر أثر الخمر ، وانه أكثر من نفعها (٣) ، وانه لا يجوز الصلاة في حالة السكر (٤) ، وأخيراً كان التحريم المطلق لشرب الخمر ، وحد

(١) ديوان طرفة : ٥ ، جمهورة أشعار العرب : ١٤١ .

(٢) الوصف في شعر العراق : ٦٢ ، وانظر أيضاً تطور الخمريات : ٢٩ ،
فما بعدها .

(٣) قال الله تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ، قُلْ فِيهِمَا لِثْمٌ
كَبِيرٌ ، وَمِنَافِعٌ لِلنَّاسِ) سورة البقرة ٢ : ٢١٩ .

(٤) قال الله تعالى : (وَلَا تَنْقُرُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ، حَتَّى تَعْلَمُوا
مَا تَقولُونَ) سورة النساء ٤ : ٤٣ .

شاربها (١) . ومع ذلك نجد في وصف أنهار الحنة ان فيها أنها من الخمر
وان هذه الخمرة تقدم بكأس يضاء جميلة ، ووصفت بأنها ليست كخمر
الدنيا : (أولئك لهم رزق معلمون فواكه وهم مُكرمون ، في جناتِ
النعم على سُرُرٍ مُتَقابلين ، يُطاف عَلَيْهِم بِكَاسٍ مِنْ مَعِينٍ ، يُضاء
لذة للشاربين ، لا فيها غول ولا هم منها يُنْزَفُون) (٢) . قال ابن عباس
مفسراً الغول بأنه (وجع البطن ، وذهب العقل والأذى) (٣) . ونقل الطبرى
عن ابن عباس أيضاً بأنه فسر الغول هنا بالصداع (٤) . أما أبو عبيدة فقد
شخص الغول بأنه ما يغتال العقل ، ولم يعمه على وجع البطن ، واللام قال :
(ليس فيها غول) والغول ان تغتال عقوتهم قال الشاعر :

وما زالت الكأس تَغْتَالُنَا وتذهب الأول بالاول (٥)

وقال الزمخشري : (الغول ماغاله يغوله اذا اهلكه وأفسده ، ومنه
الغول الذي في تكاديب العرب ، وفي أمثلهم الغضب غول الظليم) (٦) .
وفي الاستعمال اللغوي ما يوكله هذا المعنى فالغول (المهلكة ، وكل

(١) قال الله تعالى : (انا نحمرُ والميسِرُ والانصابُ والازلامُ رجسٌ
من عَمَّكَ الشيطان فاجتنبوه) سورة المائدة ٥ : ٩٠ .

(٢) سورة الصافات ٣٧ : ٤٧ .

(٣) تنوير المقياس : ٢٢٧ .

(٤) جامع البيان ٢٣ : ٥٣ ، وكذلك قول الحليل كما نقله ابن سيدة في
المخصوص ٥ : ٧٤ ، وانظر أيضاً التبيان ٨ : ٤٩٦ ، وهو معنى أكدته آيات أخرى
بقوله تعالى (لا يَصْدِعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ) سورة الواقعة ١٩ : ٥٦ ، فقيل ان
معنى يصدعون يصيدهم الصداع انظر مجاز القرآن ٢٤٩:٢ ، الكشاف ٣ : ١٩٤ .

(٥) مجاز القرآن ٢ : ١٦٩ ، جامع البيان ٢٣ : ٥٣ .

(٦) الكشاف ٢ : ٦٠١ .

ما أهلك الانسان فهو غول) (١) . قال طفيل الغنوبي :
 ولا أخاليفُ جاري في حَلَيلِتِهِ ولا ابنَ عَمِّيْ غَـالـتـنـي إـذـاـغـوـلـ (٢)
 أي أصابتي داهية أهلكتني ، ومنته سبب الصحراء البعيدة المرامي
 بالغول (٣) . لأنها تغتال الانسان بمجاهلها ، وبهذا تكون الآية الكريمة قد
 نفت بتعبير واحد معظم عيوب الخمر ، وذلك ان المتعمين في الجنة لا يصيّبهم
 صداع ، ولا ألم في بطونهم ، إذ لا تؤذهم الخمر ، ولا تهلكهم ، إنما هي
 خمر من ضرب آخر أعدت للمؤمنين في الجنة .

ويتبع هذا النعت وصف آخر لخمر الجنة ، وهو انها لا تنزف
 اذا شربوها ، (لا فيها غَوْلٌ) ، ولا هم عنها يَسْتَرْفُونَ) (٤) . قال ابن
 عباس مفسراً هذا التعبير بقوله : (ينزفون ينفدون وبقال ولا هم يسكون
 ولا تصدع رؤسهم) (٥) . وقال ابو عبيدة (لا يسكون) (٦) .
 وقد ذكر الطبرى ان سبب الاختلاف في تفسير التزف هو اختلافهم في
 قراءة الكلمة قال : (والصواب في ذلك ان أهل الجنة لا ينفدو شرابهم
 ولا يسكون شربهم اياه فيذهب عقولهم) (٧) .
 فان الخمر حين حرمت في الحياة الدنيا على المسلمين ، إنما حرمت

(١) فقه اللغة : ١٩ ، المخصص ٦ : ١٢٨ ، لسان الغرب ١٤ : ٢٠ .

(٢) ديوان طفيل : ٣١ ، وانظر أيضاً المفضليات : ٥٩ .

(٣) المخصص ١٠ : ١١٥ ، وانظر شاهد الشعر في مجالس ثعلب ١ : ٨ .

١١٨ ، ١٠ .

(٤) سورة الصافات ٣٧ : ٤٧

(٥) تنوير المقياس : ٢٧٧

(٦) مجاز القرآن ٢ : ٢٤٩

(٧) جامع البيان ٢٣ : ٥٥

لعيوبها ، ومضارتها . وقد عرف العرب عيوبها من قبل ، ونجد ذكرها في الحديث عن أيام هولهم ، ووصف مجلس شرفهم . قال عدي بن زيد :
 إِذْ غَبَقَتْهُ حِمَرَاءَ صَافِيَةً وَالْخَمْرَ وَهُنَّ يَهِيمُ شَارِبَهَا (١)
 أي ان الخمر تذهب بلب شاربها فيهم ، ولا يستطيع التفكير الصحيح .
 قال ابو ذؤيب واصفاً مجلس الندامى ، بأنهم لكترا شرفهم بدون ، وكأن
 بروسمهم جراحًا :

تَرَى شَرَبَهَا حُمَرَ الْعَيْوَنَ كَأَهْمَمْ أَسَاوِي إِذَا مَا سَارَ فِيهِمْ سَوَارَهَا
 وَالْأَسَاوِي جَمْعُ آسٍ وَأَسِيَانٍ . يَرِيدُ كَأَنْ شَرَبَهَا بِهِمْ جَرَاحٌ فِي
 رُؤْسِهِمْ قَدْ دُوِّيَتْ . شَبَهَ السَّكَارَى بِذَلِكَ لَا نَكْسَارَ أَعْيُنَهُمْ ، (٢)
 وقد فقد الخمر لب الانسان ، وتفكيره ، مما يؤدي به الى مشاكل
 عديدة (٣) . ومن هنا نفي الشعراء في اشعارهم ان تذهب المخمرة عقولهم
 قال عنترة بن شداد :

فَإِذَا سَكَرْتُ فَأَنْتَيْ مُسْتَهْلَكٌ مَالِيْ ، وَعَرْضِيْ وَافِرٌ لَمْ يَكُلْمَـ
 وَإِذَا صَحَّوْتُ فَأَقْصَرُ عَنْ زَدِيْ

وَكَمَا عَلِيْمَتْ شَمَائِلِيْ وَتَكَرُّمِيْ (٤)

ومن هنا نرى أي اعجاز عظيم ذلك الذي نجده في الآيات الكريمة حين
 تصف نحر الجنة ، وانهارها الحاربة ، بان نحرها خالص المتعة قد نفيت
 عنه كل عيوب نحر الحياة الدنيا . فهي لا تسكر ، ولا يصيب شاربها
 الصداع ، أو أي الم كان ، ثم ان نحر الجنة مخلوط بالمساك قال الله تعالى :

(١) ديوان عدي بن زيد : ٤٨

(٢) المعاني الكبير ١ : ٤٢٢ .

(٣) انظر ديوان أبي مججن : ٦٧

(٤) شرح ديوان عنترة : ١٤٩

(إنَّ الْإِبْرَارَ لِفِي نَعِيمٍ ، عَلَى الْأَرَايَةِ يُسْتَنْظَرُونَ ، تَعْرِفُ فِي
وَجْهِهِمْ نَصْرَةَ النَّعِيمِ ، يُسْكَنُونَ مِنْ رِحْيقِ الْمَخْنُومِ ، خَتَّاً مِنْ مَسْكٌ
وَفِي ذَلِكَ فَلْيَقْنَعَا فِي الْمُتَنَافِسِينَ) (١) . فَخَمْرُ الْجَنَّةِ صَافِيَةٌ مُخْلُوطَةٌ
بِالْمَسْكِ ، وَهُوَ طَيْبُ الرَّائِحةِ (٢) . وَكَانَ الْعَرَبُ يَتَطَبَّبُونَ بِهِ (٣) . وَيُخْفَظُ
عَادَةً فِي قَوَارِيرٍ ، وَهُوَ مِنْ الطَّيْبِ التَّمِينِ الَّذِي يَبَاعُ بِأَثْمَانٍ عَالِيَّةٍ كَمَا يَقُولُ
الْأَسْتَاذُ جَوَادُ عَلَيْهِ (٤) .

ج - انها العسل :

وَآخِرًا فَهُنَّاكَ انْهَارٌ مِنْ عَسلٍ تَجْرِي إِلَى جَانِبِ انْهَارِ الْمَيَاهِ وَالْخَمْرِ
وَالْبَلْنِ ، وَإِذَا كَانَ العَسلُ شَرَابًا مُتَوَفِّرًا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبَيْتَاتِ ، فَانْ مَعْرِفَةُ
نَظَرَةِ الْعَرَبِ إِلَيْهِ تَشَكَّلُ لَنَا صُورَةً لَاهِمَيَّةً فِي بَيْتِهِمْ ، وَنَفْوَسَهُمْ ، فَقَدْ
ذَكَرَ وَجُودُ العَسلِ فِي بَعْضِ اِنْحِيَاءِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ حَتَّى صَارَ مِنْ أَهْمَّ مَوَادِ
تَجَارِيَّهُمْ ، قَالَ ابْنُ الْمَاجَورِ : (كَانَ لِبَنِي سَلِيمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ نَحْلٌ عَظِيمٌ
يَشْتَرِيهُ الْحِجَاجُ ، وَأَهْلُ الْحِجَازُ ، وَبَعْضُ أَهْلِ الْيَمَنِ) (٥) . اِمَّا فِي بَاقِي

(١) سورة المطففين : ٨٣ : ٢٢ - ٢٦

(٢) وقد قال الجوهري انه فارسي مغرب . انظر الصحاح : ٤ : ١٦٠٨ ،
العرب : ٣٢٥ ، لسان العرب : ١٢ : ٣٧٧ . وصيغة الكلمة لا توحى بكونها
اعجمية ، الا انهم ذكروا انها مادة متوفرة في الصين ، والتبت ، موجودة في
قرون ظبائتها انظر آثار البلاد : ٧٩

(٣) ديوان الأعشى :

(٤) تاريخ العرب بلجود علي : ٨ : ٩٣ ، ١٣٥

(٥) صفة بلاد اليمن : ١٥

انجاء الجزيرة العربية ، فقد ذكر العسل في اشعار الشعراء ، ووصفووا
 الاماكن التي يكثر فيها ، ووصفووا معاناة المشتار في اشتياره العسل^(١) .
 ولم يحب العرب العسل لأنّه شراب حلو فحسب ، بل لأنّهم اعتقادوا
 فيه ما لا يعتقدون بغيره من انواع الشراب ، وذلك انّهم اعتبروه من
 الادوية التي يعالجون بها امراضهم ، بالإضافة الى كونه شراباً لذيداً حلواً
 وقد اكّد القرآن الكريم هذه الناحية بذكر نعمَ الله الوفيرة التي انعمها على
 عباده ومنها العسل (وأُوحى ربِّكَ إِلَيَّ النَّحْلَ إِنِّي أَنْهَاذُكَيْ مِنَ الْجَبَالِ
 بِيُوتَنَا ، وَمِنَ الشَّجَرِ ، وَمِمَّا يَعْرُشُونَ ، ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الشَّمَراتِ
 فَاسْلَكِي سُبُّلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ، يَخْرُجُ مِنْ بَطْوِنِهَا شَرَابٌ مُخْلِفٌ
 الْوَانَهُ ، فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)^(٢))
 كما اوصى به الرسول الكريم (ص) بقوله : (عليكم بالشفائن العسل
 والقرآن)^(٣) . وقد طبق الرسول (ص) قوله هذا في حياته ، فقد
 روي انه كان يشرب كل يوم قدر مزوج بالماء على الريق^(٤) .
 وروي عن عائشة امّها قالت : (كان احب الشراب الى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم العسل)^(٥) . وقالت ايضاً (ان النبي صلى الله عليه وسلم
 كان يحب الحلوى والعسل)^(٦) .

وهذا الاهتمام بالعسل مرده الى الفكرة التي رسخت في اذهانهم ،

(١) شرح اشعار الهدلتين ١ : ١٤١ .

(٢) سورة النحل ١٦ : ٦٩ - ٧٠ .

(٣) سنن ابن ماجة ٢ : ١١٤٢ ، الطب النبوى : ٦٩ .

(٤) الطب النبوى : ٧٠ .

(٥) ن . م : ٦٩ .

(٦) الحasan : ٤١٥ ، سنن الدارمي ٢ : ١٠٧ ، الطب النبوى : ٦٩ .

وتجربوها في حياتهم ، باعتبار العسل شفاء لكثير من الامراض . هذا من ناحية ومن الناحية الأخرى ، فان طعمه الحلو يجعل الشارب يستزيد منه ، ويستلذه ، ومن هنا تغزو بالمرأة وشبواريقها بالعسل . قال النابغة الذبياني : **كَانَ مَسْهُمَوَاتَهُ صَرْفًا بِرِيقَتِهَا** من **بَعْدِ رَقَدِهَا** او **شُهُنْدَهُ مُشْتَارِهَا** (١) وقالوا في مدح الرجل ، ورثائه بأنه كالعسل الخالص في لينه ، وعموم نفعه . (٢) وكان شاعرهم اذا ذكر العسل استطرد الى وصف النحل الذي يجمعه ، والى وصف ما يعايه المشتار حين يجمع العسل ، معروضا نفسه الى اذى النحل ، لاجل الحصول على هذا الشراب اللذيذ (٣) .

ومن هاتين الناحيتين جاء اهتمام القرآن الكريم بالعسل ، فذكرت انوار العسل الجارية في الجنة لتزيد متعة المؤمنين بعد النساب ، تلك المتعة التي تشارك فيها الناحيتان النفسية في كون العسل شفاء ، وعافية ، والمادية يكونه شرابا لذينا يتمتع به المؤمنون الى جانب النعم الأخرى التي يوفرها الله سبحانه وتعالى في الجنة .

هذه هي صورة الانمار المتعددة التي تجري في الجنة ، فيتمتع بشرها ومنظرها المؤمنون ، واذا قارنا هذه الصورة بصورة التعذيب بالعطش وجدنا فرقا شاسعا بين الصورتين ، فرقا بين من يتسلل ، ويتنمي شربة ماء صاف ، وبين المؤمن الذي يجد امامه نعما متوفرا من خر وبن وعسل . وقد اورد القرآن الكريم هاتين الصورتين معا ليزيد ملامح كل صورة وضوحا ، وبيانا : **(وَجْهٌ بِوَمَذِي خَاشِعَةٍ، عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ، تَصْلِي**

(١) ديوان النابغة : ٥٠ ، جهرة اشعار العرب : ٧٩ ، وانظر ايضا الغريب

المصنف : الورقة (٩٨) .

(٢) جهرة اشعار العرب : ٢٧٥ ، الشعر والشعراء ١ : ١٠٧ .

(٣) اشعار المذليين ١ : ٤٨ - ٤٩ .

ناراً حاميةً ، تُسقى مِنْ عَيْنٍ آنيةً ، كَلَّيْسَنَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيع
 لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ، وَجُوهٌ يَوْمَ شَذٌ نَاعِمَةً ، لِسَعْيِهَا
 رَاضِيَةً ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَّةٍ ، لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغْبَةً ، فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَّةٌ
 فِيهَا سُرُورٌ مَرْفُوعَةٌ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ (١) . وَقَالَ تَعَالَى أَيْضًا :
 (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَقْبَلُونَ ، فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسَنِ ،
 وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْنَمُهُ ، وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ ،
 وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مَصْفَىٰ ، وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الشَّمْرَاتِ ، وَمَغْفَرَةٌ
 مِنْ رَبِّهِمْ ، كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وُسْقُوا مَاءً حَسِيْمًا فَقَطَّعَ
 امْعَاهَهُمْ) (٢) . وَتَكَرَّرَ لَفْظَةُ الْأَنْهَارِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ يَزِيدُ جَهَالُ الْآيَةِ
 وَيَرْسِخُ الصُّورَةَ الرَّائِعَةَ لِلْأَنْهَارِ ، وَالشَّرَابِ الْمُتَوَفِّرِ فِي الْجَنَّةِ ، حَتَّى إِذَا
 اكْتَمَلَتْ هَذِهِ الصُّورَةِ جَاءَتْ صُورَةُ الْحَمْرَمَيْنِ الْخَالِدَيْنِ فِي النَّارِ الَّذِينَ
 لَا يَسْقُونَ إِلَّا الْحَمْمَ الْحَارِ الَّذِي يَقْطَعُ امْعَاهُمْ وَيَخْرُقُ بَطْوَنَهُمْ :
 وَتَحْبِطُ الْأَنْهَارُ الْمُتَوَفِّرَةُ فِي الْجَنَّةِ الْأَشْجَارُ وَالنَّخْلُ بِظَلَالِهَا الْوَارِفَةُ ،
 وَجُوهُهَا الْمُعْتَدَلُ الطَّيِّبُ . امَّا الْعَطْشُ وَالْحَرْمَانُ مِنَ الْمَاءِ ، فَتَحْبِطُهُ صُورَةُ
 النَّارِ ، وَلَظَاهِرُهَا الْحَرَقُ وَصَنْوُفُ عَذَابِهَا . وَبِهَذَا تَجْمَلُ الصُّورَتَانِ فَتَغْمُرُ
 الرَّاحَةُ ، وَالسَّهَادَةُ نَفْسُ الْمُؤْمِنِ حِينَ يَقْرَأُ وَصْفَ الْجَنَّةِ ، عَلَى حِينَ يَقْسُمُ
 جَسْدَهُ ، وَتَمْلِكُهُ الرَّهْبَةُ حِينَ يَقْرَأُ وَصْفَ عَذَابِ النَّارِ (٣) .

(١) سورة الغاشية ٨٨ : ٢ - ١٤ .

(٢) سورة مُحَمَّد ٤٧ : ١٥ - ١٦ .

(٣) مِنْ حَدِيثِ الْمَاءِ فِي الْأَدَبِ الْعَرَبِيِّ : ٨ ، وَقَدْ اهْمَلَتِ الْحَدِيثُ عَنْ طَعَامِ
 أَهْلِ الْجَنَّةِ ، لَأَنَّ دَلَالَتَهُ عَلَى الْبَيِّنَةِ الْعَرَبِيَّةِ غَيْرُ وَاضْعَافَةٍ كَامِرَةً بِنَا فِي الْحَدِيثِ عَنْ طَعَامِ
 أَهْلِ النَّارِ انْظُرْ ص ٢٥٧ امَّا ذِكْرُ أَشْجَارِ الْفَاكِهَةِ الْمُقْتَوِعَةِ فَانْهَا تَدْخُلُ صَمْنَ الْحَدِيثِ
 عَنْ وَصْفِ الْجَنَّةِ وَأَشْجَارِهَا الْوَارِفَةِ . انْظُرْ ص ٢١٤ :

٤ - صنوف اخرى من النعيم :

أ - لباسهم :

لقد مر بنا وصف الوان لباس المؤمنين في الجنة ، وكيف انها اقررت بالخضرة احب الالوان الى نفوسهم . اما نسيجها فهو من الحرير الناعم الخالص (ان الله يدخلُ الذين آمنوا وَعَملوا الصالحات جناتَ تجري من تحتها الانهار ، انَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَرِيدُ . . . يَحْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ، وَلُؤْلُؤًا ، وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ) (١) . وقال تعالى (وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ، مُتَكَبِّشِينَ فِيهَا عَلَى الارائكِ ، لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا ، وَلَا زَمْهَرَيْرًا) (٢) .

و اذا عدنا الى البيئة العربية وجدنا الحرير قد شاع استعماله في العصر الاحالي خاصة عند الاغنياء منهم . اما النساء فقد كثُر وصف ملابسهن المصنوعة من الحرير (٣) . ولبسه الرجال ايضا الى درجة بالغوا فيه ، حتى جاء الاسلام فاراد ان يحد من هذا الترف فحرم لبسه على الرجال دون النساء (٤) . ومن هنا ابا الحسن علي بن ابي طالب رضي الله عنه وعلي للمؤمنين في الجنة ، فالحرير محروم على الرجال في الدنيا ، لانه يمثل الترف المبالغ فيه ، اما في الجنة فان الله سبحانه وتعالى لا يحرم عباده هذه النعمة .

(١) سورة الحج ٢٢ : ١٤ - ٢٣ .

(٢) سورة الانسان ٧٦ : ١٢ .

(٣) المفضليات : ٤١١ : الشجر والشعراء ١ : ٣١٧ .

(٤) سنن ابي داود ٢ : ٣٦٩ ، ٣٧٢ .

ب - أساور الذهب والفضة

وهناك صورة أخرى تعرضها الآيات الكريمة للترف الذي ينعم به المؤمنون في الجنة تلك هي صورة تزيينهم بأساور الذهب والفضة (يُسخّلون فيها من أساورَ من ذَهَبٍ ، ويلبسونَ ثياباً خُضْرَا) (١) وقال تعالى أيضاً : (عَالِيهِمُ ثِيَابٌ سَنْدَسٌ خُضْرٌ وَاسْتَبْرٌ ، وَحَلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فَضْلَةٍ ، وَسَقَاهُمْ رِبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً) (٢) . وللقارئ ان يلاحظ ان الآية الكريمة لا تحدد لبس الأساور بالنساء دون الرجال ، وإنما قد يفهم منها ان الرجال يخلون بها أيضاً . ومن هنا نتساءل ما اذا كان الرجال في الجاهلية يخلون بالخل والأساور؟ ان ما وصل اليانا من المصادر لا يعيننا على فهم هذه الصورة إلا اننا نجد في الحديث النبوى ما يعكس لنا ذلك فالرسول عليه الصلاة والسلام قد نهى الرجال ، وشدد في منع لبس الذهب والتختم به (٣) وأباح لهم الفضة لأنها أقل رفأً من الذهب . وهناك حديث شريف يقول : (من أراد ان يُسوزَ حبيبه بسوار من نار ، فليسوره بسوار من ذهب) (٤) . ولا يمكن ان يوجه هذا الحديث الى منع لبس المرأة الذهب والأساور لأن حكم الاسلام معروف فيه ، وقد أحل لها لبس الذهب على أن تؤدي

(١) سورة الكهف ١٨:٣١ .

(٢) سورة الانسان ٧٦:٢١ .

(٣) سنن أبي داود ٢:٤٠٦ ، مسنن الإمام أحمد ١:١٦٩ ، ٣٣٤:٢٠ .

. ٣٧٨

(٤) مسنن الإمام أحمد ٢:٣٣٤ ، ٣٧٨ ، ٤٤:٤١٤ .

زكاته (٥) . إلا إننا يمكن أن نفهم أن بعضهم كان يتسرّر في الإسلام فشدد الرسول (ص) يمنع هذه الخلية ، لأنها تجعل لابسها في رُف مبالغ فيه ، قد يبعده عن العمل الجدي .

(٥) سنن الترمذى ٣: ٢٩ ، سنن ابن ماجة ٢: ١٢١ ، مستند الإمام أحمد

. ٢٠٤ ، ٢٠٨ .

الفاتحة

واخيرا وبعد ان مرت بنا فصول الرسالة تبين لنا ان صور الحساب التي وردت في مواضع متفرقة من القرآن الكريم قد تجلت لنا بصورة واضحة في هذا البحث ، وتبين لنا انه سبحانه وتعالى عرض لنا يوم الحساب في مشاهد متتابعة ما ان يكتمل مشهد حتى يليه اخر يكمل صورته ويقدم ساعة الحساب مرحلة جديدة ابتداء من ساعة النفيث حتى ساعة القضاء ثم الثواب ، والعقاب ، وفي كل مشهد من هذه المشاهد وجدنا صورا عديدة متحركة تجتمع كلها لتكميل لنا ملامح الموقف وفي كل تعبير نجد جانبا من البيئة العربية .

و اذا استعرضنا هذه التعبيرات نستشف منها اهمية البيئة الغربية في وفرة بعض الالفاظ دون غيرها نجد ان الامور التي كانت لها علاقة وثيقة بحياة العربي قد دارت حولها الالفاظ في مفرداتها اكثر من غيرها .

فالجزيرة الغربية صحراء مترامية الاطراف في معظم اجزائها ، كادت تخرب من المياه في كثير من المناطق . ومن هنا نجد ان القرآن الكريم اولى هذه الناحية اهميتها العظيمة ووجدناها واضحة تماماً الواضح في مشاهد القيامة : فال مجرمون يساقون الى النار عطاشي محروميين من الماء (ص ٢٣٠) وهي اول وسيلة من وسائل التعذيب بالنار . وتتجلى هذه الصورة اكثر في التعبير الذي تصور شراب اهل النار (ص ٢٣٠ فما بعدها) والآيات التي تعرض وصف الجنة ووفرة المياه فيها ، والانهار الجارية فيها (٢٨٢ فما بعدها . هذه الاهمية العظيمة للماء تأثر بها المفسرون ايضا ففسروا بعض التعبيرات التي تبدو بعيدة عن معنى الماء في سياقها العام كقوله تعالى (نخسر المجرمين يومئذ زرقا) سورة طه ٢٠ : ١٠٣ (وانظر ص ١٤٩) . وهناك

تعبير لها علاقة بالماء ، وصفاته كالكدرة (ص ٩٢) والقصر (ص ٢٢٧) ولما كانت الانهار الجارية قليلة تكاد تتعدم في البيئة العربية لذا وجدنا قلة التعبير التي تخص السفينة الا تعبيرا واحدا يخص جبالها (ص ٢٢٩) وهناك تعبير عكست لنا صورا من الصحراء العربية كالسراب (ص ٦٧) والكثيب المهلل (ص ٧٨) وتداعي الكثيب (ص ٢٩) ثم مور التراب (ص ٨٦) والرمال الهم السهلة (ص ٢٤٩) . اما النبات فقد اولاه القرآن الكريم أهمية كبيرة في تعبير عديدة كالنضرة (ص ١٥٩) والفتر وهو شق النبات وخروجه من الأرض (ص ٨٩) واخيرا في اوضح مشهد يعرض لنا صفة الجنة وخضرتها الخبية واسجارها المتنوعة (ص ٢٧٣) فما بعدها . اما التعبير التي تخص الحيوانات فوجدنا ان مجموع الالفاظ التي مر بحثها قد وفرت حول الحيوانات التي لها علاقة كبيرة في حياة العربي . فالبعير حيوان الصحراء المعتمد احبه العربي ولازمه في اسفاره ، ورحلاته ، ونجاجه مناجاة الصديق . هذا البعير وفرت حوله التعبير سواء كان في خلقه او صفاتة ، او مايعرض له من عوارض من ذلك تعبير الفاقرة : الدهاية التي قال بعضهم انها مشتقة من فقر انف البعير حين يبح (ص ١٢٢) وكذلك تعبير الفطر في قوله تعالى (اذا السماء انفطرت) سورة الانفطار ٨٢ : ١ التي نفهم منها فطر ناب البعير اذا شق (ص ٨٩) . لو قوله تعالى (انها ترمي بشرر كالقصر) سورة المرسلات ٧٧: ٣٢ الذي فسره بعضهم بأنه اعتناق الابل (ص ٢٢٧) او قوله تعالى (كانها جلات صفر) سورة المرسلات ٧٧ : ٣٢ ، بأن شرر النار يشبه الجحالة وهي النافقة الضخمة (ص ٢٢٩) وفي صفة الناس يوم القيمة (مهطعين مفتعلي رؤسهم) (سورة القمر ٥٤: ٨) بان الاهطاع مشتق من اهطاع البعير اذا كان في رأسه ميل خلقة (ص ١٢٩) او المور في قوله تعالى (يوم ثور السماء مورا) (سورة

الطور ٥٢ : ٩) بان المور هو الاضطراب من مارت الناقة اذا سارت ونثر التراب على جانبها (٨٦) او قوله تعالى (ويوم تقوم الساعة يلمس الخبرون) (سورة الروم ٣٠ : ١٢) من اblas الناقة اذا اصابها عارض فتألمت ويشتت (ص ١١٦) وفي صفة الخبرمين حين يشربون فلا يرتوون (فشاربون شرب الهم) (سورة الواقعة ٥٦ : ٥٦) بان الهم الايل العطاش المريضه اما ما يطلق به البعير حين يصاب بالجرب او ايام الشتاء الباردة فقد ورد في تعبيرين هما المهل (ص ٢٤١) والقطران (ص ٢٦٥) هذه هي التعبيرات التي خصت الايل اكثر من غيرها من الحيوانات على حين نجد بعض الحيوانات لم يرد حولها الا تعبير واحد او تعبيران كالذئب (١٠٤) والحيات (١٠٥) والكلاب (١٠٥) وغيرها من الحيوانات التي قلت اهميتها عن البعير كما وجدنا تعبيرات خصت بها الدابة بصورة عامه كالعدل (ص ١٧٩) والبس (ص ٧٢) والصور الذي فسر بالقرن (ص ١٨) والناقوس المقترن بنقر الخيل (ص ٢٣) : اما الناحية الاجتماعيه فقد وفرت حولها تعبيرات عديدة عكست لنا جوانب من الحياة العربيه فالغارات مثلا كانت سائدۃ في المجتمع العربي يفاجيء بها الحي فيعلو الصريح ، ويبدأ القتال ومن هنا وجدنا في التعبير القرآنية الفاظا لها دلالتها على هذه الناحية كالداعي (ص ٣١) والمنادي (ص ٤١) والهمس الذي فيه ايماء صفة ليلة الهمس التي يخشى فيها السير من هوا (ص ١٣٨) والرجة التي قرنت برجة السهم (ص ٦٢) و (اblas وجوه القوم عند الحروب وياأسها (ص ١١٧) ثم المور في مور الدماء بعد القتال (ص ٨٧) والسلسل والقيود التي تعكس لنا جوانب الاسر (ص ٢٦٠) وآخرها ما يتبع القتال من اسر وفداء ودية (ص ١٧٨) وعدل (ص ١٨٢) .

وهناك تعبير خصت طعامهم وشرابهم كالبس الذى يذكرنا بالبسيةة (ص ٧٢) والبن (ص ٢٩٢) ، والعسل (ص ٢٧٨) ، وغيرها مما ذكرناه في فصول الرسالة .

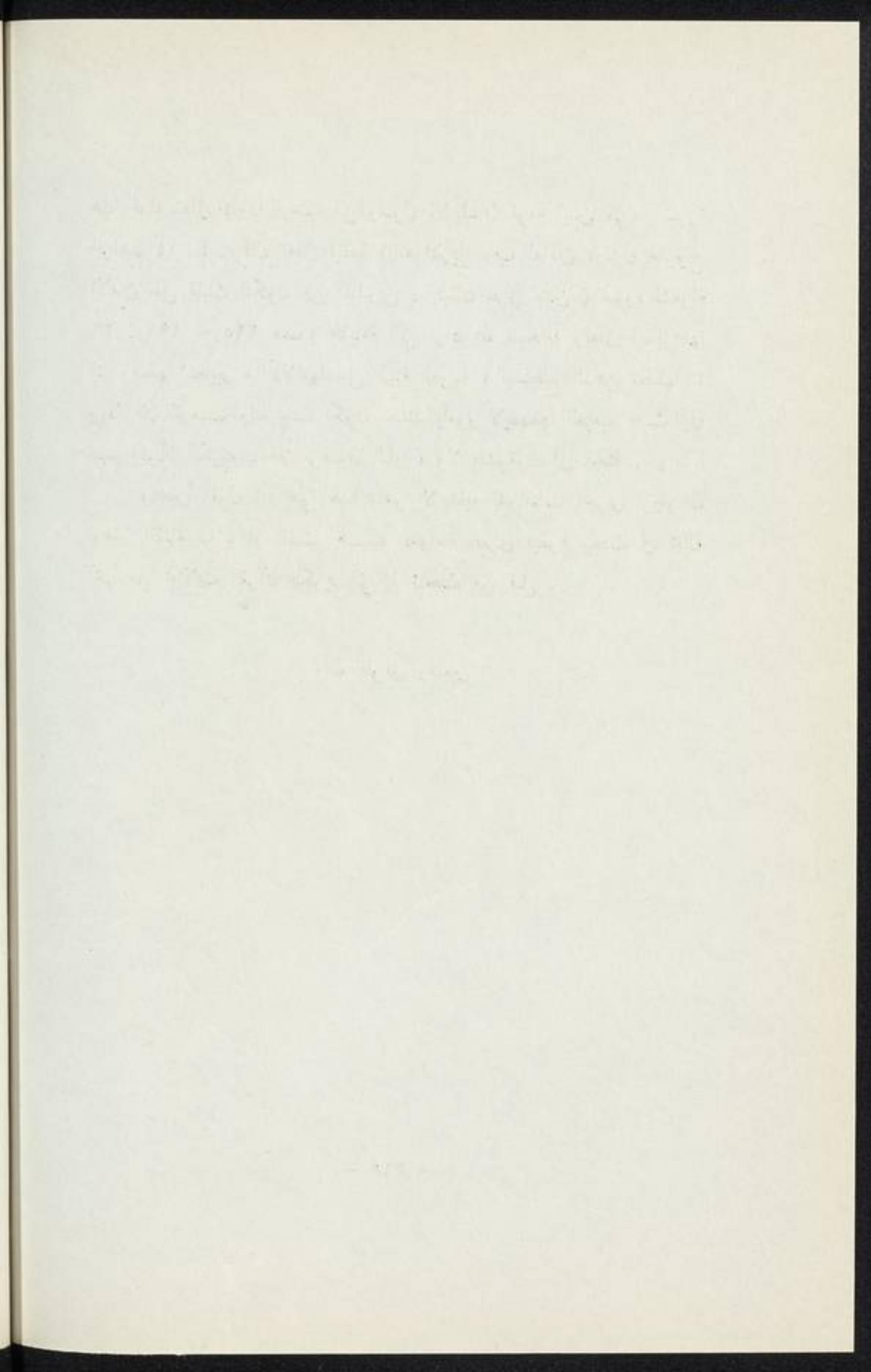
أما الذوق العربي فقد وجدناه في عددة تعبيرات واضحةً غاية الوضوح وذلك في تصوير الآيات الكريمة لصفة وجوه المؤمنين يوم القيمة وكيف أنها تكون على اللون الذي أحبه الذوق العربي وهو البياض (ص ١٣٩) على حين تكون وجوه الكافرين على اللون الأسود الذي كرهه العرب وتشاءموا منه (ص ١٤٢) وكذلك وجدنا في صفة الجرميين حين يخسرون زرقة بما يحمله تغير الزرقة من إيحاءات دالة على الذوق العربي ، وكرهه للزرقة وتشاؤمه منها اذا كانت في العيون (ص ١٥٠) ثم فكرة التشاوؤم والتفاؤل التي وجدناها واضحةً تمام الوضوح في تصوير نتيجة القضاء باستسلام للنتائج باليدين وما تحمله من معانٍ التفاؤل والبركة ، أو بالشمال بما تحمله من معانٍ الشر والتشاؤم (ص ١٩٢) ،

ومما مر بنا تتضح لنا أهمية البيئة العربية في توجيهه تفكير العربي وفي وفرة بعض التعبير دون الآخرى تبعاً لأهميةها في شؤون حياته ومن هنا أيضاً تبيّن لنا أهمية هذا البحث في تعميق الدراسات اللغوية لأنّه يعطينا من المعاني والإيحاءات الرائعة عند قراءة الآيات الكريمة مالا نفهمها حين قرأتنا لها قبل تطبيق هذا المنهج فيتجلى لنا اسلوب القرآن الكريم المعجز مما يقرب النفوس إلى النص القرآني فنفهم منه معانٍ عميقة رائعة .

ومن دراستنا لهذه التعبيرات ولدالتها على البيئة العربية ، وما تعكسه الآيات الكريمة من إيحاءات رائعة مقتربة بالحياة العربية ، من هذه التعبيرات نستخلص حقيقة واضحة أخرى وهي أن المشاهد التي عرضها الله سبحانه وتعالى إنما صورها بكلام العرب وأساليبهم البلاغية وفنونهم في التعبير ويؤكد

هذا قوله تعالى (وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) . سورة
ابراهيم ١٤:٤ . وقال تعالى ايضا (انه لتنزيل رب العالمين ، نزل بهالروح
الامين على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين) سورة الشعرا
٢٦ : ١٩٥ - فصور القيمة التي اراد الله سبحانه وتعالى ان يرسمها
لنا وصفها بتعابير لها دلالتها على البيئة العربية ، ليستطيع الذهن تخيلها ،
ولألا فان الترهيب والترغيب يكون حينئذ بأمور لايفهمها العرب حيث نزل
فيهم القرآن الكريم ، فلا يرعبون النار ، ولا يتشوقون الى الجنة .
وأخيراً اقول ان بحثي هذا ما هو الا باداية لدراسات اخرى ارجو ان
اوافق بالقيام بها ، او تلقت هذه الدراسة غيري فيقوم ببحث في مجال
آخر من مجالات القرآن الكريم التي لم تبحث من قبل .

والله الموفق والمعين



المراجع والمصادر

- أ - المخطوطات
- ب - المطبوعات
- ج - المقالات
- د - الكتب الاجنبية

May 2nd

- 1 - 100
- ~ 100
- ~ 100
- ~ 100

أ - المخطوطات :

- ١ - تفسير ابن أبي حاتم الرازي - أبو محمد عبد الرحمن بن حاتم محمد ابن ادريس الرازي المتوفى سنة ٢٢٧ هـ دمشق المكتبة الظاهرية برقم ٧٣١٢ .
- ٢ - تفسير الحمسة آية من القرآن - مقاتل بن سليمان الخراساني ١٥٠ هـ المتحف البريطاني برقم Or. 8033 .
- ٣ - عمام فصيح الكلام - ابن فارس ابو الحسين احمد بن فارس ابن زكريا ٣٩٥ هـ . بغداد مكتبة المتحف العراقي برقم ٢١٩٤ .
- ٤ - التهذيب في اللغة ج ١ - الأزهري ، ابو منصور . بغداد معهد الدراسات الاسلامية العليا برقم ١٨٣ .
- ٥ - الحاسة البصرية . صدر الدين علي بن ابي الفرج بن الحسن البصري . اسطنبول . راغب باشا : برقم ١٠٩١ (نشر هذا الكتاب في حيدر آباد الدكن في الوقت الذي تم فيه طبع هذه الرسالة فلم يتسع لي مقابلته مع المخطوط) .
- ٦ - الزينة - محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن بهران الرازي . بغداد . مكتبة المتحف العراقي برقم ١٣٠٦ .
- ٧ - العين - القسم الثاني - الخليل بن احمد الفراهيدي . بغداد مكتبة المتحف العراقي برقم ٥٠٩ .
- ٨ - الغريب المصنف - أبو عبيد القاسم بن سلام . بغداد مكتبة المتحف العراقي برقم ٦٢٨ .
- ٩ - الفصيح - ثعلب ، ابو العباس احمد بن يحيى ٢٩١ هـ بغداد

- معهد الدراسات الاسلامية العليا برقم ١٧٣ .
- ١٠ - قطعة من كتاب في الجغرافية - مجهول (من اهل القرن السادس للهجرة) . بغداد . مكتبة معهد الدراسات الاسلامية العليا برقم ٣٢٤ .
- ١١ - المثالب - ابن الكلبي ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب ٢٠٤ هـ بغداد مكتبة معهد الدراسات الاسلامية العليا برقم ١٢٤ .
- ١٢ - مسائل منثورة - القاسم بن ابراهيم الرسي - ٢٤٦ هـ . نسخة مصورة عن مخطوطه المتحف البريطاني ٢٠٣ .
- ١٣ - مسائل نافع بن الازرق - (سأله عبد الله بن عباس عن معانى كلامات من القرآن الكريم) . دمشق ، المكتبة الظاهرية برقم ٢٨٤٩ (١١٣ المجاميع) .
- ١٤ - معانى القرآن - الزجاج ، ابراهيم بن السري - ٣١١ هـ . نسخة مصورة عن مخطوطه جامعة الدول العربية برقم ٢٤٨ ، ٢٤٧ . تفسير .
- ١٥ - منتهى الطلب في اشعار العرب - محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون . القاهرة . دار الكتب المصرية برقم ٥٣ س .
- ١٦ - نزهة العيون والنواظر في الاشباه والنظائر . ج ٢ - ابن الجوزي جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن علي - ٥٩٧ هـ . مكتبة الأوقاف بغداد مجموع برقم ٦٥٧٦ .

ب - المطبوعات :

- ١٧ - آثار البلاد واخبار العباد - القزويني ، ذكر يا بن محمد بن محمود - ١٢٨٣ م . دار صادر . دار بيروت . بيروت ١٣٨٠ هـ ١٩٦٠ م .
- ١٨ - ادب الكاتب - ابن قتيبة ابو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ٢٧٦ هـ تحقيق ماكس غريونت . ليدن . مطبعة برييل ١٩٠٠ .
- ١٩ - الاتقان في علوم القرآن - السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن ٩١١ هـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بصر ١٣٧٠ هـ ١٩٥١ م .
- ٢٠ - احسن التقاسيم في معرفة الاقاليم - المقدسي محمد بن احمد بن ابي سكر ٣٧٥ هـ ديفويه مطبعة برييل ١٩٠٦ .
- ٢١ - اخبار الزمان - المسعودي : ابو الحسن علي بن الحسين بن علي - ٣٤٦ هـ مطبعة عبد الحميد احمد حنفي بصر ١٣٥٧ هـ ١٩٣٨ م .
- ٢٢ - اراجيز العرب - البكري محمد توفيق الصديق . القاهرة ١٣١٣ .
- ٢٣ - ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب : المعروف بمجمع الأدباء او طبقات الأدباء - ياقوت الحموي . شهاب الدين ابو عبد الله الرومي البغدادي - ٦٢٦ هـ تحقيق دس . مرجليوث ، مطبعة هندية بالموسكي بصر ١٩٢٣ - ١٩٢٥ .
- ٢٤ - ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري - القسطلاني ، احمد بن محمد بن ابي عبد الملك - ٩٢٣ هـ .
- ٢٥ - الازمنة - قطربي ، ابو علي محمد بن المستير - ٢٠٦ هـ نشر -

في مجلة الجمع العلمي العربي بدمشق ج ١ كانون الثاني المجلد
الثاني سنة ١٩٢٢ م

٢٦ - الأزمنة والأمكنة - المرزوق ، ابو علي الأصفهاني - ٤٥٣ هـ

مطبعة دائرة المعارف العثمانية بميدان آباد الدكن ١٣٣٢ هـ

٢٧ - الأزمنة والأنواع - ابن الأجدابي ، ابو اسحاق ابراهيم بن اسماعيل
٦٥٠ هـ ، تحقيق الدكتور عزة حسن ، دمشق ، وزارة الثقافة
والارشاد ١٩٦٤ م

٢٨ - اساس البلاغة - الزمخشرى ، ابو القاسم جار الله بن عمر - ٥٣٨ هـ
دار ومطابع الشعب بالقاهرة

٢٩ - اسد الغابة في معرفة الصحابة - ابن الاثير ، عز الدين ابو الحسن
علي بن محمد بن عبد الكري姆 الجزرى - ٦٣٠ هـ ، تصحیح مطبعة
مصطفی وهی ، طهران ، المطبعة الاسلامية ١٢٨٠ هـ

٣٠ - اسرار البلاغة - الجرجاني ، عبد القاهر - ٤٧١ او - ٤٧٤ هـ ،
تحقيق احمد مصطفی المراغي ، القاهرة ، مطبعة الاستقامة
١٣٥٢ م | ١٩٣٢

٣١ - اسماء جبال تهامة وسكانها - عرام بن الاصبع السلمي (القرن
الثالث المجري) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ،
مطبعة امين عبد الرحمن ١٣٧٣ هـ

٣٢ - اسماء المقاتلين من الاشراف في الجاهلية والاسلام - ابن حبيب ،
محمد بن حبيب البغدادي - ٢٤٥ هـ ، تحقيق عبد السلام هارون
سلسلة نوادر الخطوطات المجموعة السادسة والسابعة ، القاهرة ، مطبعة
لجنة التأليف والترجمة والنشر | ١٣٧٣ م | ١٩٥٤

- ٣٣ - الاشباء والنفاث من اشعار المقدمين والجالهية والمخضرمين -
الحالديان ، ابو بكر محمد بن هشام ٣٨٠ م ، وابو عثمان سعيد
بن هشام ٣٩٠ م ٣٩١ ج تحقيق الدكتور السيد محمد يوسف ،
القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٨ م .
- ٣٤ - الاشتقاد - ابن دريد ، ابو بكر محمد بن الحسن ٣٨١ م ،
تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون . نشر مؤسسة الحانجبي
١٣٧٨ م ١٩٥٨ م .
- ٣٥ - الاشتقاد - الاصمعي ، ابو سعيد عبد الملك بن قریب ٢١٦ م ،
تحقيق سليمان ظاهر . نشر مجلة الجمع العلمي العربي بدمشق .
م ٢٨ ج ٤ ، ٣ م ١٩٥٣ م ٢٩ ج ٢١ م ١٩٥٤ سنة ٢٠١ م .
- ٣٦ - الاصابة في تمييز الصحابة - ابن حجر العسقلاني ، احمد بن علي
ابن محمد ٨٥٢ م المكتبة التجارية الكبرى ١٣٥٨ م ١٩٣٩ م .
- ٣٧ - الاصمعيات - الاصمعي ، ابو سعيد عبد الملك بن قریب - ٢١٦ م ،
تحقيق احمد محمد شاكر ، عبد السلام هارون . دار المعارف
١٣٧٥ م ١٩٥٥ م .
- ٣٨ - الاصنام - ابن الكلبي ، ابو المنذر هشام بن السائب ، ٢٠٤ م ،
تحقيق احمد زكي . القاهرة المطبعة الاميرية ٩١٤ م .
- ٣٩ - اعجم العجب في شرح لامية العرب - الزخنثري ، ابو القاسم
محمد بن عمر ٥٣٨ م قسطنطينية . مطبعة الجواب ١٣٠٠ م .
- ٤٠ - الاعلاق النفيسة - ابن رسته ، ابو علي احمد بن عمر (كان حياً
عام ٢٩٠ م) باعتماد ديفويه . ليدن مطبعة بريل ١٨٩١ م .
- ٤١ - اغاثة الأمة بكشف الغمة - المقرizi ، احمد بن علي بن عبد

- ٤٢ - القادر - ٨٤٥ هـ لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٧ م
- ٤٣ - الاناني - الاصفهاني : ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشي
 ٩٦٢ هـ مطبعة التقدم ١٣٢٣ هـ ٣٥٦
- ٤٤ - الافعال - ابن القوطية ، ابو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز -
 ٣٦٧ هـ ، تحقيق علي فودة مطبعة مصر ١٩٥٢ م
- ٤٥ - الامالي - الزجاجي ، ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق -
 ٣٤٠ هـ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون بالقاهرة م المؤسسة
 العربية الحديثة ١٣٨٢ هـ ١٩٦٣ م
- ٤٦ - الامالي - ابو علي القالي ، اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي -
 ٣٥٦ هـ ط ٢ مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٦ م
- ٤٧ - امالي المرتضى - الشريف المرتضى ، علي بن الحسين الموسوي
 العلوي - ٤٣٦ هـ ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم دار احياء
 الكتب العربية ١٣٧٣ هـ ١٩٥٤ م
- ٤٨ - امالي اليزيدي - اليزيدي ، ابو عبد الله محمد بن العباس - ٣١٠ هـ
 مطبعة دائرة المعارف العثمانية بميدن آباد الدكن ١٣٦٧ هـ
- ٤٩ - انباء الرواية على انباء النحوة - الققطني ، جمال الدين ابو الحسن
 علي بن يوسف ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم القاهرة دار
 الكتب المصرية ١٣٦٩ - ١٣٧٤ هـ ١٩٥٠ - ١٩٥٥ م
- ٥٠ - انساب الاشراف - البلاذري ، احمد بن يحيى ٢٧٦ هـ تحقيق
 محمد حيدر الله دار المعارف مصر ١٩٥٩

- ٥١ - انيس الجلساء في شرح ديوان الحنساء ، تحقيق لويس شيخو
اليسوعي . بيروت المطبعة الكاثوليكية ١٨٩٦ م
- ٥٢ - ایمان العرب في الجاهلية - النجيری ، ابو اسحاق ابراهیم بن عبد الله
الكاتب : تحقيق حب الدین الخطیب ط ٢ . المطبعة السلفیة بمصر
١٣٨٢ هـ
- ٥٣ - بغية الوماۃ في طبقات اللغويین والنعماۃ - السیوطی ، جلال الدین
عبد الرحمن ابن ابی بکر - ٩١١ هـ القاهرة ١٣٢٦ هـ
- ٥٤ - البلدان - الیعقوبی ، احمد بن ابی یعقوب - ٢٨٤ هـ نشر دیغوب
لیدن مطبعة بربل ١٨٩١ م
- ٥٥ - بلوغ الأرب في معرفة احوال العرب - الالوسي ، محمود شكري ، تحقيق
محمد بهجة الازري ط ٣٠ دار الكتاب العربي بمصر ١٣٤٢ هـ
- ٥٦ - البيان والتبيین - الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر - ٢٥٥ هـ
تحقيق عبد السلام هارون . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
- ٥٧ - تاج العروس من جواهر القاموس - الزیدی ، محب الدین ابو
الفيض السيد محمد مرتضی الحسینی الواسطی - ١٢٠٥ هـ المطبعة
الخيرية المنشأة بمھالیہ مصر ٣٠٦ هـ
- ٥٨ - تاريخ بغداد او مدينة السلام - الخطیب البغدادی ، احمد بن
ابی بکر - ٤٦٣ هـ ، تصحیح محمد حامد الفقی . القاهرة مطبعة
السعادة ١٣٤٩ هـ ١٩٣١ م
- ٥٩ - التاريخ الجغرافي في القرآن الكريم - السيد مظفر الدین نادف .
القاهرة .

- ٦٠ - تاريخ العرب قبل الاسلام - الاصمعي ، عبد الملك بن قريب
٢١٦ هـ تحقيق محمد حسن آل ياسين . بغداد مطبعة المعارف ١٣٧٩ هـ
- ١٩٥٩ م ٠
- ٦١ - تاريخ العرب قبل الاسلام - جواد علي . مطبعة الجمع العلمي
العربي ١٩٥٣ | ١٩٥٩ م ٠
- ٦٢ - تاريخ الموسيقى العربية - فارص ، هـ ج ، ترجمة حسين نصار
ومراجعة عبد العزيز الاهوازي . مكتبة مصر بالفجالة ٠
- ٦٣ - تاريخ اليعقوبي - اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب - ٢٨٤ . امدين
مطبعة بريل ١٨٨٣ م ٠
- ٦٤ - تأويل مشكل القرآن - ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم -
٢٧٦ هـ ، تحقيق احمد صقر . القاهرة ، دار احياء الكتب العربية
١٣٧٣ | ١٩٥٤ م ٠
- ٦٥ - التبيان في تفسير القرآن - الطوسي ، ابو جعفر محمد بن الحسن
٤٦٠ هـ . تحقيق اغا بزرگ الطهراني النجفي . المطبعة العلمية
١٣٧١ | ١٩٥٧ م ٠
- ٦٦ - تطور الخطريات في الشعر العربي - جليل سعيد . القاهرة ١٩٤٥ م ٠
- ٦٧ - التفسير البياني للقرآن الكريم - بنت الشاطيء ، هائنة عبد الرحمن .
دار المعارف بمصر ١٩٦٢ م ٠
- ٦٨ - تفسير فرات الكوفي - الكوفي ، فرات بن ابراهيم (ماش في القرن
الثالث) . التجفف المطبعة الخيدرية .
- ٦٩ - تفسير القرآن الكريم - التستري ، ابو محمد سهل بن عبد الله -
٢٨٣ هـ . تصحيح لجنة ، دار الكتب العربية الكبرى بمصر ١٣٢٩ هـ

- ٧٠ - تلخيص البيان في مجازات القرآن - الشريف الرضي نحو ٤٠٦ هـ
تحقيق محمد عبد الغني حسن . القاهرة دار احياء الكتب العربية
١٩٥٥ م
- ٧١ - تهذيب التهذيب - ابن حجر العسقلاني ، ابو الفضل احمد بن
علي - ٨٥٢ هـ حيدر آباد الدكـن : مطبعة دائرة المعارف العثمانية
١٣٢٧ هـ - ١٣٢٥ هـ
- ٧٢ - التنبيه والرد - الملطي ، ابو الحسين محمد بن احمد بن عبد الرحمن
القاهرة ١٩٤٩ م
- ٧٣ - تنزيه القرآن عن المطاعن - عياد الدين ابو الحسن عبد الجبار
ابن احمد ٤١٠ هـ المطبعة البخارية بعصر ١٣٢٩ هـ
- ٧٤ - تنویر المقیاس من تفسیر ابن عباس - الفیروزابادی : ابو طاهر
محمد بن یعقوب ٨١٧ هـ القاهرة ، مطبعة الاستقامه ١٩٦٠ م
- ٧٥ - نوار القلوب في المضاف والمنسوب - النعالي ، ابو منصور عبد
الملك بن محمد ٤٢٩ هـ القاهرة ١٩٠٨ م
- ٧٦ - جامع البيان عن تأویل القرآن - الطبری ، ابو جعفر محمد بن
جزیر ٣١٠ هـ مطبعة مصطفی البابی الحلی ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م
- ٧٧ - الجامع الصحيح او سنن الترمذی - الترمذی ، ابو عیینی محمد بن
عیینی ٢٧٦ هـ ، تحقيق احمد محمد شاکر . القاهرة : مطبعة مصطفی
البابی الحلی ١٩٣٧ م
- ٧٨ - الجبال والأمكنة والمياه - الزمخشري ، ابو القاسم محمود بن عمر
٥٣٨ هـ تحقيق محمد صادق آل بحر العلوم . النجف ، المطبعة
الحیدریة .

- ٧٩ - جزيرة العرب - بيري ، جان جاك ، ترجمة نجدة هاجر ، وسعيد الغز . بيروت ، المكتب التجاري ١٩٦٠ .
- ٨٠ - جزيرة العرب في القرن العشرين - حافظ وهبة ، ط٤ ، القاهرة مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦١ م .
- ٨١ - جغرافية العالم ج ١ - الدكتورة دولت احمد صادق ، الدكتور محمد السيد غلاب ، الدكتور جمال الدين الدناصورى ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٥٩ م .
- ٨٢ - جهرة اشعار العرب - القرشي ، ابو زيد محمد بن ابي الخطاب المكتبة التجارية الكبرى ١٣٤٥ھ - ١٩٢٦ م .
- ٨٣ - جهرة اللغة - ابن دريد ، ابو بكر محمد بن الحسن الاذدي - ١٣٢١ھ . مطبعة دائرة المعارف العثمانية بميدن آباد الدكن ١٣٥١ھ .
- ٨٤ - الحاوي في الطب ج ٢ - الرازي ، ابو بكر محمد بن زكريا - ٣١٣ھ ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بميدن آباد الدكن .
- ٨٥ - حقائق التأويل - الشريفي الرضي . النجف ١٩٣٦ .
- ٨٦ - الحماسة - البحتري ، ابو عبادة ، تحقيق كمال مصطفى . المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٩٢٩ م .
- ٨٧ - حلية الفرسان وشعار الشجعان - ابن هذيل الاندلسي ، علي بن عبد الرحمن ، تحقيق عبد الغني حسن . دار المعارف بمصر ١٣٦٩ھ ١٩٤٩ م .
- ٨٨ - الحيوان - الجاحظ ، ابو عنان عمرو بن سحر - ٢٥٥ھ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ١٩٣٨ م - ١٩٤٥ م .

- ٨٩ - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية -
البغدادي عبد القادر بن عمر ١٠٩٣ م ، بولاق المطبعة الأميرية
١٣٩٩ م
- ٩٠ - الخصائص - ابن جنی ابو الفتح عثمان بن جنی - ٣٩٢ م ، تحقيق
علي التجار - القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية - ١٣٧١ -
١٣٧٦ م ١٩٥٢ م - ١٩٥٦ م
- ٩١ - الخيل - ابو عبيدة ، معمر بن المقى نحو - ٢١٠ م . مطبعة
دائرة المعارف العثمانية . حیدر اباد الدکن ١٣٥٨ م
- ٩٢ - دائرة المعارف الاسلامية - (المترجمة) . مادة جهنم ، وحرة . ترجمة
احمد الشنطاوي وآخرون .
- ٩٣ - درة التنزيل وغرة النأویل - الخطيب الاسکافی ، ابو عبد الله
محمد بن عبد الله - ٤٢١ م ، تحقيق عبد المعطي السقا . مطبعة
السعادة بمصر ١٣٢٦ م ١٩٠٨ م
- ٩٤ - دروس في البلاغة وتطورها - جليل سعيد - بغداد ، مطبعة المعارف
١٣٧٠ م ١٩٥١ م
- ٩٥ - الدلائل والاعتبار على الخلق والتديير - الجاحظ ، ابو عثمان حمرو بن
بحر - ٢٥٥ م ، تصحيح محمد راغب الطباخ . مطبعة حلب
١٣٤٦ م ١٩٢٨ م
- ٩٦ - ديوان ابن الدمينة ، عبد الله بن عبيد الله ، تحقيق احمد راتب
النفاخ . القاهرة مطبعة المدى ١٣٧٨ م ١٩٥٩ م
- ٩٧ - ديوان ابن مقبل - ابن مقبل تحقيق الدكتور عزة حسن . دمشق ،
وزارة الثقافة والارشاد القومي ١٣٨١ م ١٩٦٢ م

- ٩٨ - ديوان أبي محجن الثقفي وشرحه - العسكري ، أبو هلال الحسن
ابن عبد الله بن سهل ، تحقيق عمر السويدي ، ليدن ، مطبعة
بريل ١٣٠٣ | هـ ١٩١٦ م .
- ٩٩ - ديوان الاعشى الكبير - الاعشى الكبير ، ميمون بن قيس ، شرح
وتعليق محمد محمد حسين ، المطبعة الموزجية .
- ١٠٠ - ديوان امرئ القيس - إمرؤ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل
إبراهيم . دار المعارف بمصر ١٩٥٨ م .
- ١٠١ - ديوان بشار بن برد - بشار بن برد تحقيق محمد الطاهر بن ماشور .
القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٩ - ١٣٧٦ | هـ ١٩٥٠ | هـ ١٩٥٧ م .
- ١٠٢ - ديوان بشر بن أبي خازم - بشر بن أبي خازم ، تحقيق الدكتور
عزة حسن . دمشق ١٣٧٩ | هـ ١٩٦٠ .
- ١٠٣ - ديوان جران العود الميري - القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية
١٣٥١ | هـ ١٩٣١ م .
- ١٠٤ - ديوان جرير . تحقيق كرم البستاني ، دار صادر ، دار بيروت
١٩٦٠ م .
- ١٠٥ - ديوان حاتم الطائي - دار صادر ، دار بيروت ١٣٨٣ | هـ ١٩٦٣ م .
- ١٠٦ - ديوان حسان بن ثابت الانصاري - دار صادر . دار بيروت
١٣٨١ | هـ ١٩٦١ م .
- ١٠٧ - ديوان الخطيبية - شرح ابن السكينة والسكري والسبطاني ،
تحقيق نعمن أمين طه . القاهرة . مصطفى البابي الحلبي وأولاده
١٣٧٨ | هـ ١٩٥٨ م .

- ١٠٨ - ديوان حيد بن ثور الهمالي - تحقيق عبد العزيز الميمني القاهرة
مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧١ هـ ١٩٥١ م .
- ١٠٩ - ديوان سحيم عبد بن الحسحاس - تحقيق عبد العزيز الميمني .
القاهرة . دار الكتب المصرية ١٣٦٩ هـ ١٩٥٠ م .
- ١١٠ - ديوان سلامة بن جندل - تحقيق الأب لويس شيخو اليسوعي .
المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت ١٩١٠ .
- ١١١ - ديوان المسؤول (مع ديوان عروة بن الورد) - دار صادر ،
دار بيروت . بيروت ١٣٨٤ هـ ١٩٦٤ م .
- ١١٢ - ديوان شعر ذو الرمة - ذو الرمة ، غيلان بن عقبة العدوبي ،
عني بتصحيحه وتقديره كارليل هنري هيس مكارني ، مطبعة كلية
كمبرج ١٣٣٧ هـ ١٩١٩ م .
- ١١٣ - ديوان الشماخ - الشماخ بن ضرار الصحابي الغطائى ، تحقيق
أحمد الشنقيطي - مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٧ هـ .
- ١١٤ - ديوان طرفة بن العبد - تحقيق الدكتور علي الجندي ، مكتبة
الأنجلو المصرية ١٣٧٨ هـ ١٩٥٨ م .
- ١١٥ - ديوان الطرامح - الطرامح ، بن حكيم بن نفر الطائى (طبع
مع شعر طفيف الغنووى) تحقيق كرنتوك : لندن ١٩٤٧ م .
- ١١٦ - ديوان حامس بن العفيف - تحقيق كرم البستانى ، دار صادر .
دار بيروت . بيروت ١٣٨٣ هـ ١٩٦٣ م .
- ١١٧ - ديوان عبيد بن البرص - تحقيق كرم البستانى . دار صادر .
دار بيروت ١٣٧٧ هـ ١٩٥٨ م .
- ١١٨ - ديوان عدي بن زيد العبادى - تحقيق محمد جبار المعيد . بغداد

- وزارة الثقافة والارشاد ١٣٨٥ | هـ ١٩٦٥ م ٠
- ١١٩ - ديوان عروة بن الورد - تصحیح الشیخ ابن ابی شنب ٠ طبع بالجزائر ١٩٢٦ م ٠
- ١٢٠ - ديوان الفرزدق - تحقيق کرم البستانی ٠ دار صادر ، دار بيروت ١٣٨٠ | هـ ١٩٦٠ م ٠
- ١٢١ - ديوان القطامي - تحقيق إبراهيم السامرائي ، واحد مطلوب بيروت دار الثقافة ١٩٦٠ م ٠
- ١٢٢ - ديوان قيس بن الخطيم - تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد ٠ القاهرة مطبعة المدى ١٣٨١ | هـ ١٩٦٢ م ٠
- ١٢٣ - ديوان المزرد بن ضرار الغطفاني . تحقيق خليل إبراهيم العطية بغداد ، مطبعة اسعد ١٩٦٢ م ٠
- ١٢٤ - ديوان المفضليات - الانباري ، ابو محمد القاسم بن محمد بن بشار ٣٠٤ ٠ ، تحقيق کارلوس يعقوب لایل ٠ بيروت : مطبعة الآباء اليسوعيين ١٩٢٠ م ٠
- ١٢٥ - ديوان النابغة الذبياني - تحقيق وشرح البستانی ٠ دار صادر ، دار بيروت ٠ بيروت ١٣٧٩ | هـ ١٩٦٠ م ٠
- ١٢٦ - ذیل الأمالی والنواذر - البغدادی ، ابو علي اسماعیل بن القاسم - ٣٥٦ ٠ القاهرة ، دار الكتب المصرية ١٣٤٢ | هـ ١٩٢٦ م ٠
- ١٢٧ - رسالة في بيان اعجاز القرآن - الخطابي ، ابو سليمان احمد بن محمد بن ابراهيم ٣٨٨ ٠ ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن - تحقيق محمد خلف الله ، محمد زغلول سلام . دار المعارف بصرى ٠
- ١٢٨ - رسالة في المعاد - ضمن رسائل الجاحظ ج ١ ، تحقيق وشرح

عبد السلام محمد هارون . القاهرة . مكتبة الحانجى ١٣٨٤ هـ
١٩٦٤ م .

١٢٩ - زهر الآداب ونهر الالباب - الحصري القيرواني ، ابو اسحاق
ابراهيم بن علي ٤٥٣ هـ . تحقيق محمد حمبي الدين عبد الحميد .
وشرح زكي مبارك . مطبعة السعادة بمصر ١٣٧٢ هـ ١٩٠٣ م .
١٣٠ - الزينة في الكلمات الاسلامية العربية - الرازي ، ابو حاتم احمد
ابن حдан ٣٢٢ هـ . تحقيق حسين بن فيض الله المهداني .
القاهرة ١٩٥٧ م .

١٣١ - سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون - ابن نباتة ، جمال الدين
محمد بن محمد - ٧٦٨ هـ . المطبعة الاميرية المصرية ١٢٧٨ هـ .
١٣٢ - سنن ابن ماجة - ابو عبد الله محمد بن يزيد الفزويي - ٢٧٥ هـ .
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . دار احياء الكتب العربية ١٩٥٢ م .
١٣٣ - سنن ابي داود - ابو داود سليمان بن الاشعش بن اسحاق الاذدي -
٢٧٥ هـ ، تحقيق احمد سعد علي . مطبعة البابي الحلبي واولاده
بمصر ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م .

١٣٤ - سنن الدارمي - الدارمي ، ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن
ابن الفضل بن بهرام ٢٥٥ هـ عن بطبعه محمد احمد الدهان .
دمشق . مطبعة الاعتدال ١٣٤٩ هـ .

١٣٥ - سنن النسائي - ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب بن علي - ٣٠٣ هـ .
المطبعة العصرية بالأزهر .

١٣٦ - سيرة النبي - ابن هشام ، ابو محمد عبد الملك ٢١٣ او ٢١٨ هـ .
تحقيق محمد حمبي الدين عبد الحميد . مطبعة حجازي .

- ١٣٧ - شجر الدر في تداخل الكلام بالمعانٰي المختلفة - ابو الطيب عبد الواحد بن علي الفوري ٣٥١ هـ . تحقيق محمد عبد الجواد دار المعارف بمصر ١٩٥٧ م .
- ١٣٨ - شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك - تحقيق محبي الدين عبد الحميد . القاهرة المكتبة التجارية الكبرى ١٩٦١ م .
- ١٣٩ - شرح اشعار المذليين - تحقيق عبد الستار احمد فراج . القاهرة مطبعة المدى .
- ١٤٠ - شرح ديوان الحسنة - المرزوقي ، ابو علي احمد بن الحسن ٤٢١ هـ باعتماء احمد امين وعبد السلام هارون . القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧٣ - ١٩٥٣ م .
- ١٤١ - شرح ديوان زهير بن ابي سلمى - شرح نعلب : ابي العباس احمد بن محبي بن يزيد الشيباني ٢٩١ هـ . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٤ م .
- ١٤٢ - شرح ديوان علقة الفحل تحقيق احمد صقر . القاهرة ، المطبعة الحمودية ١٣٥٣ | ١٩٣٥ م .
- ١٤٣ - شرح ديوان عنترة بن شداد - تحقيق عبد المنعم عبد الرووف شابي . القاهرة المكتبة التجارية الكبرى .
- ١٤٤ - شرح ديوان كعب بن زهير - القاهرة . الدار القومية للطباعة والنشر ١٣٨٥ | ١٩٦٥ م .
- ١٤٥ - شرح ديوان ليبد بن ربيعة العاصري - تحقيق احسان عباس . الكويت ١٩٦٢ م .
- ١٤٦ - شرح الفصائد السبع الطوال الجاهليات - ابن الأباري ، ابو بكر

محمد بن القاسم ٣٢٨ هـ ، تحقيق وتعليق عبد السلام هارون بدار
المعارف ١٩٦٣ م .

١٤٧ - شعر طفيل بن عوف الغنوبي - تحقيق ف. كرنتو ، لندن ١٩٢٧ م

١٤٨ - شعر المنقب العبدى - تحقيق محمد حسن آل ياسين . مطبعة المعرف
١٩٥٦ م .

١٤٩ - شعر النابغة الجعدي . تحقيق عبد العزيز رباح . دمشق ، المكتب
الإسلامي ١٩٦٤ م - ١٣٨٤ هـ .

١٥٠ - الشعر والشعراء - ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بيروت
دار الثقافة ١٩٦٤ م .

١٥١ - شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل - الحفاجي ، شهاب
الدين احمد بن محمد ١٠٦٩ هـ . القاهرة ، مطبعة السعادة ١٣٢٥ هـ .

١٥٢ - الصاحبي في فقه اللغة و السنن العرب في كلامها - ابن فارس ،
ابو الحسين احمد - ٣٩٥ . القاهرة ، مطبعة المؤيد ١٣٢٨ هـ / ١٩٠٠ م .

١٥٣ - الصحاح (تاج اللغة و صحاح العربية) - الجوهرى : اسماعيل بن
حداد ٣٩٣ هـ ، تحقيق احمد عبد الغفور عطار . دار الكتاب العربي
بصرى ١٣٧٦ - ١٣٧٧ / ١٩٥٦ - ١٩٥٧ م .

١٥٤ - صحيح مسلم - مسلم ، ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ٢٦١ هـ
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . دار احياء الكتب العربية -
١٣٧٤ - ١٣٧٥ هـ ١٩٥٥ - ١٩٥٦ م .

١٥٥ - صفة بلاد اليمن ، وملكة وبعض الحججاز (او تاريخ المستنصر) -
ابن الجاور تحقيق اوسلكر لوفرين . ليدن مطبعة بريل ١٩٥٤ .

- ١٥٦ - صفة جزيرة العرب - المدائى ، ابو محمد الحسن بن احمد بن
يعقوب - ٣٣٤ هـ ، تحقيق محمد بن عبد الله بن بليهد النجدي .
مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٣ م .
- ١٥٧ - الصناعتين - العسكري ، ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل -
٣٩٦ هـ ، تحقيق علي محمد البعاوي ، محمد ابو الفضل ابراهيم
دار احياء الكتب العربية ١٣٧١ / ١٩٥٢ م .
- ١٥٨ - صورة الارض - ابن حوقل ، ابو القاسم ابن حوقل التصيبي -
٣٦٧ هـ . ط ٢ ليدن ، مطبعة برييل ١٩٣٨ م .
- ١٥٩ - طبقات خول الشعراة - ابن سلام ، ابو عبد الله محمد الجحبي
البصرى . دار المعارف للطباعة والنشر .
- ١٦٠ - الطبقات الكبرى - ابن سعد ، محمد - ٢٣٠ هـ . تحقيق ادوارد
سخو ليدن ، مطبعة برييل ١٣٢١ هـ .
- ١٦١ - الطب النبوى - النهوى ، ابو عبد الله محمد بن احمد - ٧٤٨ هـ
القاهرة ، مطبعة مصطفى البانى الحلبي ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م .
- ١٦٢ - الطرائف الادية (مجموعة من الشعر تشمل على ديوان الأفو
الأودي وديوان الشنفرى وقصائد ودواوين اخرى) - نشر
عبد العزيز الميمنى . القاهرة . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٩٣٧ .
- ١٦٣ - العشر مقالات في العين - منسوب لحنين بن اسحاق - ٢٦٤ هـ
تحقيق ماكس مايرهوف ، القاهرة ، المطبعة الاميرية ١٩٢٨ م
- ١٦٤ - العمدة - ابن رشيق القمياني ، ابو علي الحسن - ٤٦٣ هـ ، تحقيق
محمد محى الدين عبد الحميد . مطبعة حجازي ١٣٥٧ / ١٩٣٤ م .

- ١٦٥ - العين - الخليل بن احمد الفراهيدي ١٧٥ هـ . وتنسب الى الایت
ابن المظفر بن نصر بن سبار الحراساني . تحقيق الأب انسناس
ماري الكرملي . بغداد ، مطبعة دار الأيام ١٩١٤ م .
- ١٦٦ - عيون الأثر في فنون المغازي والشهائد والسير - ابن سيد الناس -
٧٣٤ هـ القاهرة مكتبة القديسي ١٣٥٦ .
- ١٦٧ - عيون الأخبار - ابن قنية ، ابو محمد عبد الله بن مسلم
الدينوري ٢٧٦ هـ القاهرة ، دار الكتب المصرية ١٣٤٣ - ١٣٤٩ هـ .
١٩٢٥ - ١٩٣٠ م .
- ١٦٨ - غريب الحديث - ابو عبد القاسم بن سلام - ٢٢٤ هـ تحقيق
محمد عبد المعبد خان . دائرة المعارف العثمانية بحیدر آباد الدکن
١٣٨٤ / ١٩٦٤ م .
- ١٦٩ - غريب القرآن المعنى بتزهه القلوب - السجستاني ، ابو بكر محمد
ابن عزيز ٣٣٠ هـ . مطبعة محمد علي صبيح مصر ١٣٧٢ هـ /
١٩٥٢ م .
- ١٧٠ - الفاخر - ابو طالب المفضل بن سلمة بن عاصم ٢٧١ هـ . تحقيق
عبد العليم الطحاوي . القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد
١٣٨٠ / ١٩٦٠ م .
- ١٧١ - الفاضل - المبرد ، ابو العباس محمد بن يزيد - ٢٨٥ هـ تحقيق
عبد العزيز الميمي . القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧٥ هـ .
١٩٥٦ م .
- ١٧٢ - خر السودان - الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر ٢٥٥ هـ .
نشر ضمن رسائل الجاحظ . تحقيق عبد السلام هارون مكتبة

- الخانجي ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤ م .
- ١٧٣ - فقه اللغة وسر العربية - الشاعري ، ابو منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري ٤٢٩ هـ . تحقيق مصطفى السقا . وإبراهيم الأياري ، وعبد الحفيظ شابي . مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٥٧ هـ ١٩٣٨ م .
- ١٧٤ - الفهرست : ابن النديم ، محمد بن اسحاق - نحو ٣٨٧ هـ . القاهرة مطبعة الاستقامة .
- ١٧٥ - في طريق الميثولوجيا عند العرب - الحوت ، محمود سليم - بيروت ١٩٥٥ .
- ١٧٦ - قاموس الكتاب المقدس - ترجمة وتأليف الدكتور جورج بوست بروت المطبعة الأمريكية . ١٩٠١ .
- ١٧٧ - القرآن الكريم .
- ١٧٨ - قشرة الأرض - محمد صفي الدين . مصر ، دار الطباعة ١٩٥٧ .
- ١٧٩ - الكامل في التاريخ - ابن الأثير ، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني - ٦٣٠ هـ القاهرة ، دار الطباعة ١٢٩٠ هـ .
- ١٨٠ - الكامل في اللغة والأدب - المبرد ، ابو العباس محمد بن يزيد - ٢٨٥ هـ ، تحقيق احمد محمد شاكر بمصر . مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٣٧ .
- ١٨١ - الكتاب المقدس .
- ١٨٢ - الكشاف - الزمخشري ، ابو القاسم جار الله محمود بن عمر ٥٣٨ هـ القاهرة مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٦٧ هـ - ١٣٧١ هـ .
- ١٨٣ - لباب الأدب - اسامه بن منقذ - ٥٨٤ هـ ، تحقيق احمد محمد

- شاكر ٠ مصر المطبعة الرحمانية ١٩٣٥ م - ١٣٥٤ ه
- ١٨٤ - لسان العرب - ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم - ٧١١ ه ، بولاق ، المطبعة الأميرية ١٣٠٠ ه
- ١٨٥ - لسان الميزان - ابن حجر احمد بن علي المتوفى سنة ٨٥٢ ه
- حيدر اباد الدكّن ٠ مطبعة دائرة المعارف العثمانية ١٣٣٠ - ١٣٣١ ه
- ١٨٦ - اللغات في القرآن - ابن عباس ، عبد الله ، تحقيق صلاح الدين التجند ٠ مطبعة الرسالة ١٩٤٦ م
- ١٨٧ - متشابهات القرآن - ابن شهر اشوب ، محمد بن علي المازندراني ٠^٠
ایران مطبعة شركة سامي ١٣٢٨ ه
- ١٨٨ - محاذ القرآن - ابو عبيدة : معمر بن المثنى التميمي سنة ٢١٠ ه
تحقيق محمد فؤاد سرکین ٠ مصر ٠ محمد امين الحنجي ١٣٧٤ ه - ١٩٥٥ م
- ١٨٩ - مجالس ثعلب : ثعلب ، ابو العباس احمد بن يحيى - ٢٩١ ه
تحقيق عبد السلام محمد هارون ٠ القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٠
- ١٩٠ - مجالس العلماء - الزجاجي ، ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق -
٣٤٠ ه ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ٠ الكويت ، وزارة
الارشاد والأنباء ١٩٦٢
- ١٩١ - مجمع الأمثال - الميداني ، ابو الفضل محمد ٥١٨ ه ١٣٥٣ -
- ١٩٢ - المحسن - البرقي ، ابو جعفر احمد بن خالد ٠ نشر محمد كاظم
الكتبي ٠ النجف الأشرف ٠ المطبعة الحيدرية ١٣٨٤ ه
- ١٩٣ - المحسن والأضداد - الجاحظ ، ابو عنان عمرو بن بحر -

- ٢٥٥ - تصحيح محمد امين الحانجبي . المطبعة الجمالية .
 ١٩٤ - محاضرات في تاريخ العرب - العلي ، صالح احمد . بغداد مطبعة
 المعارف ١٩٥٩ .
- ١٩٥ - الخبر - ابن حبيب ، ابو جعفر محمد بن حبيب بن امية البغدادي -
 ٤٥ - تحقيق الدكتورة ايلزه ليختن ستير بحيدر آباد الدكن . مطبعة
 جمعية دائرة المعارف العثمانية ١٣٦١ هـ - ١٩٤٢ م .
- ١٩٦ - الحكم - ابن سيدة ، علي بن اسماعيل ٤٥٨ هـ ج ١ ، تحقيق
 مصطفى السقا ، حسين نصار . مصر ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي
 ١٩٥٨ م ١٣٧٧ هـ ج ٢ ، تحقيق عبد الستار احمد فراج -
 ١٣٧٧ مصر ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي .
- ١٩٧ - مختصر البلدان - ابن الفقيه ، ابو بكر . احمد بن ابراهيم ٣٦٥ هـ
 ليدن . مطبعة بريل ١٣٠٢ .
- ١٩٨ - المخصوص - ابن سيدة . علي بن اسماعيل ٤٥٨ هـ . بولاق .
 المطبعة الاميرية سنة ١٣١٦ هـ .
- ١٩٩ - المدخلات او المدخل - غلام ثعلب ، ابو عمر . محمد بن
 عبد الواحد الزاهد المطرز - ٣٤٤ هـ ٣٤٥ هـ تحقيق عبد العزيز
 الميمي الراجلوني . نشر في مجلة المجمع العلمي العربي . دمشق
 المجد ٢٩١ ج ٨ ، ج ٩ . ١٩٢٩ م ١٣٤٨ .
- ٢٠٠ - من اصد الاطلاع على اسماء الاممكنة والبقاع - عبد المؤمن بن
 عبد الحق البغدادي ٧٣٩ تحقيق علي البحاوي . مصر ، دار
 الكتب العربية ١٩٥٤ .
- ٢٠١ - المزهر في علوم اللغة العربية - السيوطي ، عبد الرحمن جلال الدين

- ٩١١ - تحقيق محمد احمد جاد المولى وآخرون . مصر دار احياء الكتب العربية ١٩٥٨ م - ١٣٧٨ ه
- ٢٠٢ - المسالك والمالك - ابن حزداذة ، ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله .
٣٠٠ ه . ليدن ، مطبعة برييل ١٨٨٩ م
- ٣٠٢ - المستقهي في امثال العرب - الزمخشري : جار الله محمود بن عمر .
٥٣٨ ه ، تحقيق محمد عبد الرحمن خان . حيدر آباد الدكن ،
مطبعة دائرة المعارف العثمانية ١٩٦٢ - ١٣٨١ ه
- ٢٠٤ - المسلسل في غريب لغة العرب - التيمي ، ابو الطاهر محمد بن يوسف بن عبد الله . ٦٣٨ ه . تحقيق محمد عبد الجواد . مصر
وزارة الثقافة والارشاد القومي .
- ٢٠٥ - مسند الامام احمد بن محمد بن حنبل - ٢٤١ ه
- ٢٠٦ - مشاهد القيامة في القرآن الكريم - سيد قطب . القاهرة ١٩٦٠
- ٢٠٧ - المفضليات : المفضل الضبي ، تحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام
محمد هارون ط ٣ . القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٤ م
- ٢٠٨ - المعارف - ابن قتيبة ابو محمد عبد الله بن مسلم - ٢٧٦ ه .
تحقيق ثروت عكاشه ، مصر . وزارة الثقافة والارشاد القومي
١٩٦٠ م
- ٢٠٩ - معاني الشعر - الاشناذاني ، ابو عثمان سعيد بن هارون سنة
٣٢١ ه ، تحقيق صلاح الدين المنجد . بيروت . دار الكتاب
الجديد ١٩٦٤ م
- ٢١٠ - معاني القرآن - الفراء ابو زكريا يحيى بن زياد سنة ٢٠٢ ه ،
تحقيق احمد يوسف نجاشي ، ومحمد علي النجار . القاهرة دار

الكتب المصرية ١٩٥٥ م

- ٢١١ - المعاني الكبير : ابن قبية ، ابو محمد عبد الله بن مسلم -
٢٧٦ حيدر آباد الذهن . مطبعة دائرة المعارف العثمانية ١٣٦٩ هـ
- ٢١٢ - معجم البلدان - الحموي ، ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله ٦٢٦ هـ .
ليراج ١٨٦٨ .
- ٢١٣ - معجم الشعراء - المرزباني ، ابو عبد الله محمد بن عمران بن
موسى . تحقيق ف . كرنيو . القاهرة . مكتبة القديسي ١٣٥٤ هـ .
- ٢١٤ - معجم ما استعجم : البكري ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز
ابن أبي مصعب - ٤٨٧ هـ . المغرب ، المعلم الحليفي للباحث
المغربي ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م .
- ٢١٥ - المعجم المفهرس للفاظ القرآن - محمد فؤاد عبد الباقي . مطابع
الشعب ١٣٧٨ هـ .
- ٢١٦ - معجم مقاييس اللغة - ابن فارس ، ابو الحسين احمد بن فارس
ابن زكريا - ٣٩٥ هـ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون . القاهرة
دار احياء الكتب العربية ١٣٦٩ هـ .
- ٢١٧ - المغرب عن الكلام الأعمجي - الجوابي ، ابو منصور ، موهوب
ابن احمد بن محمد - ٥٤٠ هـ ، تحقيق احمد محمد شاكر . القاهرة .
مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦١ هـ .
- ٢١٨ - المعمرون - السجستاني ، ابو حاتم سهل بن عثمان - ٢٥٠ هـ ،
تحقيق عبد المنعم عاص . مصر ، دار احياء الكتب العربية ١٩٦١ .
- ٢١٩ - مغنى الليب عن كتب الأطهار - ابن هشام ، ابو محمد عبد الله
جمال الدين بن يوسف - ٧٦١ هـ . تحقيق محمد محی الدين

عبد الحميد .

- ٢٢٠ - المفردات في غريب القرآن - الراغب الأصفهاني : محمد بن الفضل -
٥٠٢ هـ كراجي ١٩٦١ .
- ٢٢١ - المقدمة - ابن خلدون عبد الرحمن بن خلدون - ٨٠٨ هـ تحقيق
نصر الموريني ١٣٧٤ هـ .
- ٢٢٢ - الملاهي واسهاوها - المفضل بن سلمة - ٢٩٠ هـ . تحقيق عباس
العاوی . مع كتاب الموسيقى العراقية . بغداد شركة التجارة
والطباعة المحدودة ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ .
- ٢٢٣ - من حديث الماء في الأدب العربي - جليل سعيد (مستل من مجلة
المجمع العلمي العراقي) . بغداد مطبعة المجمع العلمي العراقي
١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .
- ٢٢٤ - المنازل والديار - اسامة بن منقذ بن مرشد بن مقلد . نشر انس
ابن خالدوف . موسكو ، دار النشر للاداب الشرقية ١٩٦١ .
- ٢٢٥ - المنق في اخبار قريش - ابن حبيب : محمد ابو جعفر البغدادي
٢٤٥ هـ . حيدر آباد الدكن . دائرة المعارف العثمانية - ١٣٨٤ .
١٩٦٤ م .
- ٢٢٦ - المؤتلف والمخالف - الامدي : ابو القاسم الحسن بن بشير بن
سمعي ٣٧٠ هـ تحقيق عبد الستار احمد فراج القاهرة . دار احياء
الكتب العربية ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .
- ٢٢٧ - الموطأ - مالك بن انس . بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . القاهرة
دار احياء الكتب العربية .
- ٢٢٨ - النبات - (قطعة من الجزء الخامس) ابو حنيفة . احمد بن

- داود الدينوري ٥٢٨٢ . نشر بـ . لورن ، ليدن . مطبعة بريل ١٩٥٣ .
- ٢٢٩ - نخبة عقد الجياد في الصاقات الجياد - الجزائري ، محمد . بيروت
المطبعة الأهلية ١٣٢٦ .
- ٢٣٠ - ترجمة الأباء في طبقات الأدباء - ابن الأباري ، أبو البركات
كامل الدين عبد الرحمن بن محمد . تحقيق إبراهيم السامي بغداد
مطبعة المعارف ١٩٥٩ م .
- ٢٣١ - نزهة العمر في التفضيل بين البيض والسود والسمور - السيوطي ،
عبد الرحمن جلال الدين - ٩١١ هـ . دمشق المكتبة العربية .
- ٢٣٢ - نسب قريش - الزيري ، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن
مصعب - ٢٣٦ هـ تحقيق ليفي بروفيسال . القاهرة . دار المعارف
١٩٥٣ م .
- ٢٣٣ - نظام الغريب - الربعي ، عيسى بن إبراهيم ٤٨٠ هـ . تصحيح
بولس برونة . مصر . مطبعة هندية .
- ٢٣٤ - النقاصل - (نقاصل جرير والفرزدق) - أبو عبيدة ، معمر
ابن المثنى ٢١٠ هـ ليدن . مطبعة بريل ١٩٠٥ م .
- ٢٣٥ - النهاية في غريب الحديث - المبارك بن محمد الجزري . تصحيح
عبد العزيز بن اسماعيل الطهطاوي . مصر . المطبعة العثمانية ١٣١١ م .
- ٢٣٦ - التوادر - أبو مسحول الاعرابي ، عبد الوهاب بن حريش .
تحقيق الدكتور عزة حسن . دمشق . مطبوعات مجمع اللغة العربية
١٣٨٠ - ١٩٦١ م .
- ٢٣٧ - هذا العالم - الشرقاوي ، محمد عبد المنعم ، محمد محمود الصياد .
القاهرة دار المعارف . ١٩٥٩ م .

- ٢٣٨ - همع الموامع في شرح جمع الجواجم في علم العربية - السيوطي ،
جلال الدين عبد الرحمن ابو بكر - ٩١١ هـ . تحقيق محمد
بدر الدين النعساني ، مصر ، مطبعة السعادة ١٣٢٧ هـ .
- ٢٣٩ - الوحشيات (وهو الحمامة الصغرى) - ابو تمام ، حبيب بن
اووس . تحقيق عبد العزيز الميعنی الراجحکوی ، القاهرة ، دار
المعارف ١٩٦٣ .
- ٢٤٠ - الوصف في شعر العراق في القرنين الثالث وللرابع الهجريين -
جبل سعيد ، بغداد ، مطبعة الملال ١٩٤٨ .
- ٢٤١ - وفاء الوفا باختبار دار المصطفى - السمهودي : علي بن احمد
المصري - ٩١١ هـ تحقيق محمد عبي الدين عبد الحميد .
- ٢٤٢ - البنایع - السجستاني ، ابو يعقوب اسحاق ٣٣١ هـ تحقيق مصطفى
غالب ، بيروت ، المكتب التجاري للطباعة والنشر ١٩٦٥ .

ج - المقالات

- ٢٤٣ - احساس الشعراء العرب بالألوان والأصوات - جبل سعيد ، مجلة
كلية الآداب العدد الأول لسنة ١٩٥٦ بغداد مطبعه وزارة المعارف ١٩٥٦ .
- ٢٤٤ - الألفاظ السريانية في المعاجم العربية - مار اغناطیوس افرام الأول
برصوم مجلة الجمع العلمي العربي بدمشق مجلد ٢٣ ج ٢ ، ج ٣ ،
ج ٤ لسنة ١٩٤٨ .
- ٢٤٥ - الأنسجة في القرنين الأول والثاني - صالح احمد العلي مجلة الابحاث
ج ٤ كانون الأول السنة ١٤ لسنة ١٩٦١ .
- ٢٤٦ - البيئة العربية في القرآن الكريم - ابراهيم السامرائي ، مجلة البنية

- السنة الأولى العدد العاشر ١٩٦٣ م - ١٣٨٢ م
- ٢٤٧ - الدخيل في اللغة العربية - فؤاد حسين علي . مجلة كلية الآداب
- المجلد ١١ ج ١ . مايو سنة ١٩٤٩ م . مطبعة جامعة فؤاد الأول
- ١٩٤٩ م
- ٢٤٨ - ذيل الالفاظ السريانية في المعاجم العربية - مار اغناطيوس :
- افرام الأول بوصوم . مجلة المجمع العلمي العربي م ٢٦ ج ٤
- لسنة ١٩٥١ .

الكتب الأجنبية :

- 249 - Arabic English Lexicon - Edward william Lane . Edinburgh ,
England , 1956 .
- 250 - Encyclopaedia of Islam , vol . I . Eb . Leiden , Brill 1960 .
- 251 - Encyclopaedia of Religion and Ethics , Art : Religion of the
Semitec . Smith Vol . I .
- 252 - Travels in Arabia Desert , Charles , M . Doughty . London ,
1936 .

Dear Uncle

XJW

الفَكَارَسُ

- ١ - الاحاديث النبوية .
- ٢ - الاشعار .
- ٣ - الاعلام .
- ٤ - التعبير القرآنية .
- ٥ - المحتوى .

نذر شفاف

١ - شفاف
٢ - شفاف
٣ - شفاف
٤ - شفاف
٥ - شفاف

فهرس الاحاديث النبوية

٢٩٦	اذا اكل احدكم طعاماً
٣٠	دع داعي اللبن
٢٠٦	شدة الحر
٣٠٥	عليكم بالشفائين
٥٥	عيادة المريض
٣٠٩	من اراد
٢٠٦	من صبر على حر
٥٥	من قائل في سبيل الله

فهرس الاشعار

الصدر	العجز	الشاعر	الصفحة
(الالف)			
أسدٌ	غباءُ	الحارث بن حازة	١٣٧
بارزة	خلاءُ	زهير بن أبي سلمى	١٢٠
بشيبٍ	اللقاءُ	بشر بن أبي خازم	٤١
فلماً	الظباءُ	زهير بن أبي سلمى	١٩٥
لئن أك	دواءٌ	عنترة بن شداد	١٤٤
فلحا الله	بالدهاءِ	ابو زيد	٧٣
(الباء)			
وانا الاخضر	العربُ	اللهي	٢٧٧
ولا تنقرني	المغيَّبُ	عامر بن عمرو	٢٢
كأن بها	متعبُ	غير منسوب	٢١٥
فباتوا	متحدِّبُ	طفيل الغنوبي	٤٢
يطيف	تشيَّبُ	المثقب العبدى	١٠٩
فللمساق	منعِّبُ	امرأة القيس	٤٨
زرق	كذبوا	ذو الرمة	١٥٥
فلا تعدي	تصوَّب	علقمة الفحل	١٨١
اذ غبته	شاربها	عدي بن زيد	٣٠٣
لا تذكرني	الاجرب	عنترة بن شداد	٢٩٦

الصفحة	الشاعر	العجز	الصلدر
٢٧٤	امرأة القيس	شعبب	تبصر
١٨١	غير منسوب	التراب	لما غدوت
١٢٧	انيف بن جبلة	مشذب	بعهطع
	(الجيم)		
٦٦	النابغة الجعدي	تهمج	بارعن
٢٩٣	الحارث بن حلاة	الناتج	لاتكسع
	(الحاء)		
٦٨	غير منسوب	يطلحوا	ومهمه
٢٦١	عنترة بن شداد	النواح	تركنا
٤٥	النابغة الذبياني	صباحا	كأن على
١٥٨	بشار بن برد	القباح	تراخت
	(الدال)		
١٤٢	الاعشى	سود	فأجشمت
٢٤٧	قيس بن خويلد	حرود	وحبسن
١٥٨	بشار بن برد	سود	وللخييل
١٠٩	الطرماح	جدده	طوف
١٥٥	الاعشى	اسادها	تنخلها
٢٣٤	غير منسوب	المبردا	وانى
١٥٨	مسلم بن الوليد	سودا	اذاسيل
١٤٣	الكميت بن زيد	سودا	رمى
١٤٣	ابو زيد	بسود	بدائل
٢٦١	عنترة بن شداد	بالصفاد	وعدنا

الصفحة	الشاعر	العجز	الصدر
١٩	دريد بن الصمة	المدد	فجئت
٢٣٣	القطامي	الصادي	فهنّ
١٥٥	الاعشى	المعمد	ويروي
٨٧	طرفة	اليد	صهابية
٢٩٨	طرفة	تصطد	وان تبغنى
١٤٤	عنترة بن شداد	جلدي	يعيبون
١٧٦	طرفة	غدي	فلو كان

(الراء)

١٢٢	طرفة	فقر	واذا تلستني
٢٤	ابن ماوية	زمر	انا ابن
٣٢	طرفة	الذعر	حين نادى
٢٩	طرفة	منقعر	واذا قامت
٨٦	الخطيبة	المورُ	لمن الديار
٢٨١	حاتم الطائي	صرَّ	اوقد
٢٣	عمرو بن الأهم	عورُ	وقوم
١٤٥	عنترة بن شداد	الفجرُ	يعيبون
٢٧٧	ذو الرمة	اخضر	اتراب
٢٩٤	عنترة بن شداد	تuar	فن يلك
٢٩٣	الخطيبة	مشافره	قرروا
٣٠٣	ابو ذؤيب	سوارها	ترى
٢٦٢	يريد بن عمرو بن الصعق	اسيرا	وضر جدا

الصفحة	الشاعر	العجز	الصدر
٢٧٥	امرأة القيس	فُقَيْرَا	ف شبّهُتُهُمْ
١٦٢	غير منسوب	نَصْرا	اَنَا ملوك
٢٩١	الاعشى	مُشَوْرَا	كَانَ الْقَرْنَفِلْ
١٦٣	الاعشى	السَّتَارَة	و سبتك
١٢١	الاعشى	الْفَقَارَا	وَرَأَيَا
٢٥٢	طرفة بن العبد	قَفْرِ	تَلَاعِبْ
٢٤٣	زيان بن صبار الفزارى	حَادِرِ	كَانَكْ
١٧٥	عوف بن عطية	أَيْصَرِ	و مكبلْ
١٦٣	ظالم بن البراء	النَّضَرِ	فِي امَانْ
٤٥	التابعة الذبياني	الْأَنْفَارِ	قَوْمِ
٢٧	طرفة بن العبد	أَصْفَرِي	يَا لَكْ
١٦٢	الاعشى	النَّاضِرِ	و الشافعون
٤٨	الخرنق بنت هفان	الزَّجْرِ	قَوْمِ
٢١٤	قيس بن الخطيم	جَرِ	و نصدق
٨٦	زهير بن أبي سلمى	القَطْرِ	لَعْبِ
٩٣	غير منسوب	كَدِرِ	لَوْ كَنْتَ
٣٠٦	التابعة الذبياني	مُشَتَّارِ	كَانَ
(السين)			
١١٧	العجاج	ابلاس	و جمعتْ
٢٣	المرقش الاكبر	حَادِسُ	و جيفْ
١٣٦	ابو زيد	هَمُوسِ	فباتوا
٧٥	غير منسوب	نَفْسَا	عنْسِ

الصفحة	الشاعر	العجز	الصدر
٢٢٣	النابغة الجعدي	نحاسا	تفضيكم
٧٢	غير منسوب	بسا	لا تخبرنا
١١٥	غير منسوب	ابلسا	يا صاح
١٣٨	امرأة القيس	الهمس	أجد
		(الفضاد)	
٢٤	امرأة القيس	غضيض	اخفظه
		(الطاء)	
٤٩	غير منسوب	منحط	لما سمعت
		(الظاء)	
٢٢٢	أمية بن خلف	عكاظ	الآمن
٢٢٢	حسان بن ثابت	عكاظ	فتائيه
		(الغين)	
١٢٩	غير منسوب	مهطم	تعبدني
١٢١	غير منسوب	لاتضيع	ان الصلاة
٢٩٥	متمم بن نويرة	لا يخلع	فله ضريب
٢٩٦	الاعرج المعنى	توجع	اري
١٣٣	رؤبة	مقنعا	اشرف
٤١	الكلحابة العربي	اجها	ونادي
٣٠	متمم بن نويرة	افزعها	وقد كان
٥٤	الاعشى	رضعا	حتى اذا
١٧٢	غير منسوب	مجمع	جزى
١٢٨	غير منسوب	منع	بمستهبط

الصفحة	الشاعر	العجز	الصدر
١٢٨	يزيد بن مفرغ	السماع	بدجلة
٢٤٩	مالك بن عمود الغامدي	بالضربيع	الامنعت
٢٤٤	الحدارة	الاذرع	اودى
١٣٢	الشماخ	الواقع	يياكرن
	(الفاء)		
٢٥٣	غير منسوب	أعرف	عيز
٢٩٥	مالك بن فويرة	هاتف	اعل
١٤٣	غير منسوب	كلف	يزماون
	(القاف)		
١٦٢	غير منسوب	طوالق	يرشح
١٥٧	سويد بن أبي كاهل	ازرق	لقد زرقت
١٥٧	الاعشى	تزرق	كذلك
١٥٥	المزرد بن ضرار	مطرق	وما كنت
٢٩	زهير بن أبي سلمى	فانخرقا	يمري
٢٩٤	غير منسوب	اورقا	وينشربه
٢٦٢	المهلهل بن ربيعة	الوثاق	واليلك
٢٤٧	امرؤ القيس	شعرق	فانبتعهم
١٦٣	امرؤ القيس	يحرق	فقمنا
	(الكاف)		
١٩٨	ابن الدمية	شماليك	أبني
	(اللام)		
١٠٤	التابعة الجعدي	فمسنل	عسلان

الصفحة	الشاعر	العجز	الصدر
٣٢	التابعة الجعدي	يستخفون	ـ نـزـلـ
٢٩١	امرأة القيس	ـ كـأنـ	ـ غـلـلـ
٧٤	عبدة بن الطيب	ـ بـراـطـيلـ	ـ اـذـاـ أـبـسـنـ
٢٥٩	الشنفرى	ـ فـاذـهـلـ	ـ اـدـمـ
٢٤٤	غير منسوب	ـ يـتـصـلـصـلـ	ـ فـاـ وـجـدـ
٨٦	الاعشى	ـ عـجلـ	ـ كـأنـ
٣٠٢	طفيل الغنوبي	ـ غـولـ	ـ وـلـاـ أـخـالـفـ
٦٤	غير منسوب	ـ تـنـهـلـ	ـ لـمـ زـحـلـوـقـةـ
٦٤	الخنساء	ـ تـقـاتـهاـ	ـ قـانـ تـكـ
١٨١	امرأة القيس	ـ الـجـبـالـ	ـ تـقـلتـ
١٨٦	الربيع بن زياد	ـ طـوـلاـ	ـ لـثـنـ رـحـلـتـ
٢٥٤	امرأة القيس	ـ اـغـواـلـ	ـ اـيـقـتـانـيـ
١٤١	امرأة القيس	ـ الـخـلـلـ	ـ كـبـكـرـ
٢٩٩	طرفة بن العبد	ـ خـلـدـيـ	ـ الـاـ اـيـهـذـاـ
١٤١	ـ مـهـفـهـفـةـ	ـ اـمـرـأـةـ الـقـيـسـ	ـ كـالـسـجـنـجـلـ
١١٣	عل	ـ الـاسـلـعـ بـنـ سـالـمـ	ـ كـأـنـ
٤١	دريد بن الصمة	ـ اـتـغـفـلـ	ـ اـنـيـ اـذـاـ
٣٠١	غير منسوب	ـ بـالـاـوـلـ	ـ وـمـاـ زـالـتـ
١١٤	جرير	ـ الـمـصـطـلـيـ	ـ اـنـ الـفـرـزـدقـ
١١٢	غير منسوب	ـ الـمـصـطـلـيـ	ـ اوـدـيـ
	(الميم)		
٦٧	الاعشى	ـ يـطـمـ	ـ فـطـارـ

الصفحة	الشاعر	العجز	الصدر
٢١٤	الاعشى	جامح	بمشعلة
٢٦٧	علقمة الفحل	ترسم	قد أذر
٢٤٤	لبيد	هيم	اجزت
٢٢٤	غير منسوب	السلام	لا ينخلة
٣٧	بشر بن أبي خازم	فثام	وما يندوهم
٢٤٥	لبيد	هياتها	تجاف
٢٤٣	غير منسوب	هيماها	كانك
٦٨	لبيد	اكامها	فتلك
٢٥٣	التابعة الذهبياني	الحزما	تحيد
٢٩	التابعة الذهبياني	فانهدما	تخفي
٢٥٩	ابو خراش المذلي	جرمي	وانى
٣٠٣	عنترة بن شداد	يكلم	فاذاسكرت
٧٧	زهير بن ابي سلمى	يحيط	كان
٣٢	غير منسوب	صيام	متى
٢٩٩	عنترة بن شداد	المعلم	ولقد شربت
٥٤	اجسامها	الطرماح	تخور

(النون)

١٩	غير منسوب	لقد نطحناهم الصورين
١٤٣	القتال الكلابي	الرجوان اراك
١٥٦	غير منسوب	ودينها يقولون

الصفحة	الشاعر	العجز	الصلدر
١٤١	عمرو بن كلثوم	تهونا	على آثارنا
٢٩٨	عمرو بن كلثوم	الاندرينا	الاهي
٩٣	عمرو بن كلثوم	طينا	وانا الشاربون
٣٨	ذو الاصبع العدواني	العون	عف
٢٤٦	لبيد	الكتبان	يزع
١٤٥	عنترة بن شداد	العيون	وما وجد
	(الياء)		
١٥٤	سليم	عاريا	رأت قبأ
٢٣٤	امرؤ القيس	ريا	لعمرك
١٤٥	بسواديا	سليم	فلو كنت
٢٣٢	أنبي	غير منسوب	تبشرى

فهرس الاعلام

(١)	
ابراهيم السامرائي (الدكتور) .	٢٠٦١٢، ٨
ابن الاعرابي .	١٦١، ١٢٥، ٩٣، ٢٢
ابن حبان .	١٨٠، ١٦٢
ابن الأثير .	١٩٥، ٢٠
ابن بري .	١٢٧
ابن جنفي .	٤٠
ابن خلدون .	١٧١، ٦
ابن دارة .	١٧٢
ابن دريد .	٦٣، ٦٢، ٢٩٢
ابن الدمشقية .	١٩٧
ابن رستة .	٦
ابن السكريت .	١٦١، ٧٢
ابن سيدة .	٤٧، ١٤٩
ابن عباس .	٧٨٦٩، ٦٦، ٦٣، ٤٤، ١١
ابن النديم .	٩١، ٨٩، ٨٥، ٨٣، ٨٢، ٨٠، ٧٩
ابن هشام .	٢٧
ابو تمام .	١٧٢
ابو جهل .	٢٥٢، ٢٥١
ابو حاتم الرمازي .	٢١٢
ابن قتيبة .	١٨٠، ١٥٦، ١٥٥، ١٥٠، ٧
ابن الكلبي .	١٠٨
ابن ماوية .	٢٥، ٢٤
ابن الجاور .	٣٠٤
ابن مسعود .	٨٣، ٨٧
ابن منظور .	٣٠، ٢٩، ١٠٤، ١٢٨
ابن النديم .	١٤٢، ١٥٠، ١٢٩
ابن هشام .	١٩٤
ابو تمام .	١٧٢
ابو جهل .	٢٥٢، ٢٥١
ابو حاتم الرمازي .	٢١٢
ابن فارس .	١٣٤، ١٢٩، ١١٦، ٩٤، ٩١، ٨٩
ابن القمي .	١٦٤
ابن ربيعة .	٣٠١، ٢٤٧، ٢٤٢، ٢٢٧، ٢٢٢، ٢١٢

- | | |
|---|--|
| الاشعث بن قيس . ١٧٥
الاعرج المعنى . ٢٩٦
الاعشى ٥٤ ، ١٢١ ، ٨٦ ، ٦٧ ، ١٢١ ، ١٤٢
، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٥٤
. ٢٩١
الاصمي ٧٨ ، ٨٠ ، ١٣٣ ، ٩٦ ، ١٧٩
. ٢٥٣ ، ٢٤٥ ، ٢٣٢ ، ١٩٨
أكثم بن صيفي . ١٧٠
امرؤ القيس ٢٤ ، ٤٧ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ١٦٣ ، ٤٧ ، ٢٥
٢٥٤ ، ٢٤٧ ، ٢٣٣ ، ١٨١ ، ١٤١ ، ١٣٧
. ٢٩١ ، ٢٧٥ ، ٢٧٤
امية بن خلف . ٢٢٢
انيف بن جهلة . ١٢٧
(ب)
بحير بن عبد الله العامري . ٢٦٢
البخاري ١٥٤ .
البوسوس ١٥٣ .
بشار بن برد ١٥٧ ، ١٥٨ ، ١٥٨
بشر بن أبي خازم ٤١ ، ٣٧ .
بشر بن عمرو بن مرثد ٤٨ .
بلال الحبشي ٢٢٢ .
بنت الشاطئ ٨٠ ، ٩٠ .
بنو بكر بن وائل ١٨٢ . | ابو حنيفة الدینوری ٨٩ ، ١٦١ ، ٢٦٢
ابو ذؤوب ٣٠٣ .
ابو زيد الطائی ٧٣ ، ١٣٦ ، ١٤٣ .
ابو زيد الانصاری ٣٥ ، ٣٧ .
ابو عبد الرحمن بن سهل (احمد بن سهل) ١٢٤ .
ابو عبيدة القاسم بن سلام ٣٥ ، ١٢٤ ، ١٢٥ .
ابو عبيدة ٦ ، ١٨ ، ٤٥ ، ٥٣ ، ٤٥
، ٧٢ ، ٦٢ ، ٨٣ ، ٨١ ، ٧٩ ، ١٠٤ ، ٨٦
، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٦ ، ١٢٧ ، ١٣٢ ، ١٣٧
، ٢١٥ ، ٢٣٨ ، ٢٥٤ ، ٣٠١ ، ١٤٦
ابو عثمان المازني ٤٨ .
ابو محيجن الثقفي . ٢٦٢
ابو مسحل (عبد الوهاب بن حریش) ١٢٤ .
ابو الحثيم ١٨ ، ٣٧ ، ١٣٧ .
ابلیس ١١٦ .
الاخوص ٢٣٤ .
الاخفشن ٨٦ .
الازھری ٣٠ ، ٢٧ ، ٢٣ ، ٨٥ ، ٧٤ ، ١٤٢
، ١٧٩ ، ٢٦٤ .
الاسلام بن سالم الصبی ١١٣ . |
|---|--|

جراد علي (الدكتور) .	٣٠٤ .	بنو تغلب . ١٨٢ .
الجواليقي .	٢١ .	بنو خلف . ٢٧٨ .
الجوهري ١٩ ، ١١٦ ، ٨٦ ، ١٣٣ ، ١٣٣ ،	٣٠٤ ، ١٩١ ، ١٨٨ ، ١٧٩ ، ١٣٥ .	بنو سلامان . ١٧٦ .
(ح)		بنو سليم . ٩٧ .
حاتم الطائي .	٢٨١ .	بنو لؤي . ٢٢٢ .
الخادرة .	٢٤٣ .	بنو مازن . ١٧١ .
الحارث بن حلزة .	٢٩٣ ، ١٣٧ .	بنو مخزوم . ٩٧ .
حام (ابن النبي نوح) .	١٤٧ .	بيري . ٩٦ .
حسان بن ثابت .	٢٢٢ .	(ت) تأبط شرآ . ٢٤٨ .
الحسن البصري .	٢٤٧ ، ١٨ ، ١٦ .	التسيري . ٧ .
الحسن المؤدب .	١٦١ ، ١٦٠ .	(ث) ثعلب . ٨٧ ، ١٩٠ ، ١٤٩ ، ١٢٩ ، ١٢٢ .
حسين نصار .	١٢ .	. ٢٣٤ .
الخطيبة .	٢٩٣ ، ٨٦ .	ثود . ٣٤ .
حنين بن اسحاق الطيب .	١٥٠ .	(ج) الجاحظ . ٦ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ٩٨ ، ٩٧ ، ١٢٦ .
(خ)		١٤٢ ، ١٤٦ ، ١٥٣ ، ١٨٩ ، ٢٠٤ ، ٢٠٥ .
خالد القسري .	١٥٦ .	٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٧٩ .
خالد بن سنان .	٩٨ ، ٩٧ .	جبريل . ١٥٤ .
الخرنق بنت هفان .	٤٨ .	جريبر . ١١٤ .
الخطابي .	٢٠٣ .	جساس . ١٨٢ .
الخطيب البغدادي .	١٦٠ .	جميل سعيد (الدكتور) . ٨ ، ١٢ ، ٢٥٧ .
الخلفاجي .	٢١ .	٤٤ ، ٤٠ ، ٢٤ ، ٢٣ .
الخليل بن احمد .		- ٣٦٣ -

- | | |
|---|---|
| الزمخشري ١١ ، ٤٢ ، ٤٦ ، ٥٣ ، ٥١ ، ٤٩ ، ٤٦ ، ٤٢
١١٦ ، ١١٣ ، ١٠٤ ، ٨٧ ، ٧٣ ، ٦٣
١٦٣ ، ١٥٤ ، ١٥٢ ، ١٤٠ ، ١٣٥ ، ١٢٨
٢١٨ ، ٢١٥ ، ١٩٤ ، ١٨٩ ، ١٨٥ ، ١٧٩
. ٣٠١ ، ٢٨٩ ، ٢٦٧ ، ٢٦٤ ، ٢٣١
زهير بن أبي سلمى ٢٩ ، ٨٦ ، ٧٧ ، ٢٩
. ١٩٥ ، ١٢٠
(س) | ، ١٨٦ ، ١٤٩ ، ١٣٠ ، ١٢٩ ، ١٢٨ ، ٤٦
. ٢١٦
الحنساء ، ٦٤ ،
(د)
الدجال ١٦ .
دريد بن الصمة ٤١ ، ١٨
(ذ)
ذو الاصبع العدواني ٣٨ .
ذو الرمة ١٥٥ ، ٢٧٧ .
ذهل بن مالك ١١٣ .
(ر)
الرازي ٧ .
الراغب الاصفهانى ٨٠ ، ٤٧ .
الريبع بن زياد العبيسي ١٨٦ .
الريبع بن سليمان ٧٤ .
ربيعة بن مقروم ٢٤٤ .
رؤبة ١٣٣ .
رؤبة بن رومانس ٢٦٢ .
(ز)
زيان بن صبار الفزارى ٢٤٣ .
الزجاج ٤٩ ، ٨٥ ، ٨١ ، ٧٢ ، ١١٢ .
. ١٥٠ ، ١٨٣ .
زرادشت ٢٠٤ . |
| سعيم عبد بنى الحسحاس ١٤٥ .
السمهودي ٩٦ ، ٩٨ .
سمويل ١٨٦ .
سويد بن أبي كاهل ١٥٧ .
سيبويه ٣٥ .
السيد الخميري ١٢٨ .
سيد قطب ٩ .
السيوطي ٢١ .
(ش) | شداد بن معاوية العبيسي ٢٩٤ .
الشرقاوى ٩٦ .
الشريف المرتضى ٧ ، ١٢٣ ، ١٢٤ .
شليفر ٩٦ . |

عباس بن شراحيل العبدلي .	١٥٣ .	الشماخ ١٣٢ ، ١٥٥ .
عبد الجبار بن احمد (القاضي المعزنى)	٢٥٨ .	الشنفرى ١٧٦ .
٢٥١ ، ١٨٥ .		(ص)
عبد الرحمن بن عوف .	٢٢٢ .	صحاب العبدلي . ١٥٣ .
عبد السلام هارون .	٢٤ ، ٢٠ .	(ط)
عبد الملك بن مروان .	٢٧٧ .	الطبرى ٧ ، ١١ ، ٥١ ، ٥٣ ، ٥١ ، ٦٢ ، ٦٦ .
عبدة بن الطبيب .	٧٣ .	١٥٠ ، ١٢٨ ، ١٠٨ ، ١٠٧ ، ٧٨ ، ٦٩ ، ٦٧ .
عيسى .	٩٧ .	٢٤٥ ، ٢٠٢ ، ١٨٤ ، ١٦٠ .
عتبة بن أبي سفيان .	١٢١ .	طرفة بن العبد ٢٦ ، ٢٩ ، ٣٢ ، ٤٨ .
العجاج .	١١٧ ، ١١٥ .	١٢٢ ، ١٧٦ ، ٢٥٣ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ .
عدي بن زيد .	٣٠٣ .	٨٧ .
عرام .	٢٤٣ .	الطرماح ١٠٩ ، ٥٤ .
عزرايل .	١١٦ .	طفيل الغنوى ٣٠٢ ، ٤٢ .
علقمة الفحل .	٢٦٦ ، ١٨١ ، ٤٧ .	الطوسي ٢٧ ، ٥١ ، ٦٦ ، ١٦٠ ، ١٨٤ .
علي بن أبي طالب .	٢٣٤ ، ١٢٣ .	٢٩١ .
عمر بن الخطاب .	١٥٥ ، ١٢٣ ، ٥ .	طي ١٧٢ .
عمرو بن الاهم .	٢٣ .	(ظ)
عمرو بن كلثوم .	٩٣ ، ١٤١ ، ٢٩٨ .	ظالم بن البراء ١٦٣ .
عمرو بن هند .	١٠٩ .	(ع)
عنترة بن شداد .	١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٦ .	عamar بن ياسر ٢٩٧ .
: ٣٠٣ ، ٢٩٩ ، ٢٩٥ ، ٢٩٤ ، ٢٦١		عائشة ٣٤ ، ١٨٩ .
عوف بن عطية .	١٧٥ ، ١٨٠ .	عامر بن صعصعة ٢٦٢ .
عبيد الله بن زياد .	١٢٨ .	عامر بن الضرب العدواني ١٧٠ .
		عامر بن الطفيلي ٢٣٣ .

- | | |
|---|--|
| الكحيت بن زيد . ١٤٣
ليد . ٦٨ ، ٢٤٢ ، ٢٤٥ .
اللهي (الفضل بن عباس بن عتبة) ٢٧٧
الليث بن المظفر ٢٣ ، ١١٢ ، ١١٤ ، ١١٢ ، ٢٩٢ .
(م)
ماجوج . ١٠٣
مار اغناطيوس ٧٦ ، ٢٢٩ .
مالك بن عمود الغامدي . ٢٤٩
مالك بن نويرة ٣١ ، ٢٩٥ .
المبارك بن الاثير . ١٧
البرد ٨١ ، ٢٤ ، ٢٧٨ .
متجم بن نويرة ٣١ ، ٢٩٥ .
المثقب العبدى . ١٠٩
المثنى بن حارثة . ٧٣
مجاهد . ١٨٤ ، ١٨٥ .
محمد (النبي وقد ترد الرسول) ٥ ، ١٦ ، ١٧
١٦٠ ، ١٥٤ ، ١٤٨ ، ٩٨ ، ٣٦ ، ٣٠ ، ١٧
٢٣٤ ، ٢٢٤ ، ٢١١ ، ٢٠٦ ، ٢٠٥ ، ١٧٥
٣١٠ ، ٣٠٩ ، ٢٩٧ ، ٢٩٦ ، ٢٥٢ ، ٢٤٧
محمد بن مروان ٣١ ، ٢٦٣ .
المخلب السعدي . ٢٥
المرقش الاكبر . ٢٣
المز رد بن ضرار . ١٥٥ | غطفان . ١٧٢ ، ٧٢
غيلان بن سامة . ١٧٠
الفارسي (ابو علي) ٨١ ، ٢١٥ .
الفراء ١٧ ، ١١٥ ، ١١٢ ، ٥٣ ، ١٣٧ .
٢٧٧ ، ٢٧٤ ، ٢١٥ ، ١٨٣ ، ١٨٢ ، ١٦٠
فرات الكوفي . ٧
الفرزدق . ١٥٧
الفضل بن الريبع . ٢٥٤
فرعون ٣٤ ، ١١١ .
فواد حسين . ٢٩١
قتادة . ١٣٢ ، ٨٥
القتال الكلابي (الحسن بن علي) ١٤٣ .
قريط بن انيف . ١٧١
الفزويني . ٦
القسطلاني . ١٥٤
القطامي . ٢٢٣
قعنبر بن عتاب الرياحي . ٢٦٢
قيس بن الخطيم . ٢١٤
قيس بن زهير . ١٥٣
(ك)
كارادي فو . ٢١١ ، ٢١٠
الكلحبة العربية . ٤١
كلبي . ١٨٢ |
|---|--|

- | | | | |
|-----------------------|-------------------|------------------|-----------------------|
| النعمان بن المنذر | ١٠٩ ، ١٥٤ ، ١٨٦ . | مسلم بن الوليد | ١٥٨ . |
| نقطويه | ٧٤ . | مصطففي جواد | ١٢٥ ، ٢١ . |
| نوح (النبي) | ٣٤ ، ١٤٧ . | معاوية | ١٢١ ، ١٥٣ . |
| نوف البكالي | ٢٦٣ . | المفضل بن سلمة | ٥٥ . |
| (ه) | | مقاتل بن سليمان | ٧ . |
| عام | ١٨٢ . | المقدسي | ٢٨١ . |
| (ي) | | موسى (النبي) | ١٩٧ . |
| ياجوج | ١٠٣ . | المهاهل بن ربيعة | ٢٦٢ . |
| ياقوت | ١٠٨ . | (ن) | |
| يزيد بن عمرو بن الصعق | ٢٦٢ . | النابغة الجعدي | ٣١ ، ٦٦ ، ١٠٤ ، ٢٢٣ . |
| يزيد بن مفرغ الحميري | ١٢٨ . | النابغة الذبياني | ٢٩ ، ٤٥ ، ٧٠ ، ٢٢٣ . |
| اليعقوبي | ١٦٩ . | | ٣٠٦ ، ٢٥٣ . |
| يونس بن حبيب | ٢١٠ . | نافع بن الأزرق | ١١ ، ٢٢١ . |

فهرس التغاير

(الباء)

برداً ٢٤١ (إن جهنم كانت مرصاداً ، للطاغين مآباً لا يثنى فيهَا أحقاداً ،
لَا يذوقون فيها برداً ولا شراباً) سورة النبأ ٧٨ : ٢١ - ٢٥ .

برق البصر ١١٨

(فإذا برق البصر ، وخفق القمر ، وجمجم الشمس والقمر ،
يقول الإنسان يومئذ أين المفر) سورة القيامة ٧٥ : ٥ - ١ .

بإسرة ١١٩

(وجوه يومئذ بإسرة ، تظن أن يُفعَل بها فاقرة) سورة القيامة
٧٥ : ٢٤ - ٢٥ .

بُسْتَ الجبال ٧١ - ٧٥

(اذا رجت الارض رجا ، وبست الجبال بسما ، فكانت هباءً
منبهاً) سورة الواقعة ٥٦ : ٥ - ٢ .

يُلْسِن ١١٥ - ١١٨ .

(ويوم تقوم الساعة يُلْسِن المحرمون) سورة الروم ٣٠ : ١٢ .
تَبَيَّضُ وجوه ١٣٩ - ١٤٨

(يوم تَبَيَّضُ وجوه ، وتسود وجوه ، فاما الذين اسودت
وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون .
واما الذين ابْيَضُت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون)
سورة آل عمران ٣ : ١٠٦ - ١٠٧ .

(الشاء)

مثقال ذرة ١٨٧ - ١٩٠

(وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ، ولا في السماء ، ولا أصغر من ذلك ، ولا أكبر إلا في كتاب مبين)

سورة يونس ١٠ : ٦١ .

(الجيم)

الجيم ٢١٣ - ٢١٥

(والذين كفروا بآياتنا أولئك أصحاب الجيم) سورة المائدة ٥ : ١١ .

جراد منتشر ١١٠ - ١١١

(فتول عنهم يوم يدع الداعي إلى شيء نكر ، خشعاً بأصواتهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر) سورة القمر ٥٤ : ٦ - ٨ .

جلالات صفر ٢٢٨ - ٢٣٠

(إنها ترمي بشر ركالقصر ، كأنه جلالات صفر) سورة المرسلات ٣٢ : ٧٧ .

الجنة ٢٧٣ - ٢٨٠

جهنم ٢٠٩ - ٢١١

(الحاء)

حبة خردل ١٩٠ - ١٩١

(ونضع الموازين القسط ليوم القيمة ، فلا تظلم نفس شيئاً وإن كان مثقال حبة من خردل اتينا بها ، وكفى بنا حاسبين) سورة الانبياء ٢٠ : ٤٧ .

الحشر ٣٧

(يوم نُحْشِرُ الْمُتَقِّنِينَ إِلَى الرَّحْنِ وَفِدَا) سورة مريم ١٩ : ٨٥ .

الحيم ٢٣٥ - ٢٣٩

(ان شجرة الزقوم طعام الايثيم ، كالمهمل يغلي في (البطون
كغلي الحيم . . .) سورة الدخان ٤٤ : ٤٣ - ٤٩ .

اليحوم ٢٢٣ - ٢٢٤

(واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وحيم ، وظل من
يحموم ، لا بارد ولا كريم) سورة الواقعة ٥٦ : ٤١ - ٤٤ .
(الخاء)

خشعا ابصارهم ١٣٥ - ١٣٦

(فَوْلَ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِي إِلَى شَيْءٍ نُكَرُ ، خَشَعَا
أَصْوَاتُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُتَشَّرٌ) سورة
القمر ٥٤ : ٦ - ٧ .

خشعت الاصوات ١٣٤ - ١٣٦

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجَبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّ نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفَصَفَا
لَا تَرَى فِيهَا عَوْجًا وَلَا أَمْتَانًا ، يَوْمَئِذٍ يَتَبَعَّونَ الدَّاعِي لَا عَوْجٌ لَهُ
وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هُمْ) سورة طه ٢٠ : ٢٠ - ١٠٨ .

حضر ٢٧٦ - ٢٨٠

(متکثین على رفف حضر) سورة الرحمن ٥٥ : ٧٦ .
(الدال)

الداعي ٢٨ - ٣٤

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجَبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّ نَسْفًا ، فَيَذَرُهَا قَاعًا
صَفَصَفَا ، لَا تَرَى فِيهَا عَوْجًا وَلَا أَمْتَانًا ، يَوْمَئِذٍ يَتَبَعَّونَ الدَّاعِي

لاعوج له ، وخشت الاصوات للرحن فلا تسمع الا همسا)
سورة طه ٢٠ : ١٠٥ - ١٠٧ .

دكت الجبال ٧٦

(فاذا نفح في الصور نفحة واحدة ، وحملت الارض والجبال
فلا كنا دكة واحدة) سورة الحاقة ٦٩ : ١٣ - ١٦ .

مدحامتان ٢٧٨

(ومن دونها جنتان ، فبأي آلاء ربكم تكذبان ، مدحامتان)
سورة الرحمن ٥٥ : ٦٢ .

الدهان ٧٩ - ٨٢

(فاذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) سورة الرحمن
٥٥ : ٣٧ .

(الذال)

ذرة ١٨٩ - ١٩٠

(فن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً
يره) سورة الزلزلة ٩٩ : ٨ .

(الراء)

رؤوس الشياطين ٢٥٢ - ٢٥٦

(أذلك خير " زُرْلَا " ام شجرة الزقوم ، اذا جعلناها فتنة للظالمين
انها شجرة تخرب في اصل الجحيم ، طلعها كأنه رؤوس الشياطين)
سورة الصافات ٣٧ : ٦٢ - ٦٧ .

رجت الارض ٦١ - ٦٥

(اذا وقعت الواقعه ، ليس لوقعتها كاذبة ، خافضة رافعة اذا
رجت الارض رجا ، وبُسَّت الجبال بسَا) سورة الواقعه ٥٦:٥١ .

- ٣٧١ -

(الزاء)

الزجرة ٤٥ - ٥٠

(يوم ترجمف الراجهفة ، تتبعها الرادفة ، قلوب يومئذ واجفة
ابصارها خاشعة ، يقولون إلنا ملدودون في الحافرة . ألم اذا كنا
عظاماً نحرة ؟ قالوا تلك اذا كرحة خاسرة فانما هي زجرة واحدة
فاذا هم في الساهرة) سورة النازعات ٧٩ : ٦ - ١٤ .

الزاجرات : ٤٧

(والصفات صفا ، والزاجرات زجرا) سورة الصافات ٣٧ : ٢ - ١

مزدجر : ٤٩

(ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر) سورة القمر ٤٥ : ٤ .

زرقا ١٤٨ - ١٥٩

(يوم ينفح في الصور ، ونخسر الخبرمين يومئذ زرقا) سورة
طه ٢٠ : ١٠١ - ١٠٢ .

الزقوم ٢ - ٢٥٢

(ان شجرة الزقوم طعام الايثيم ، كالمهل يغلي في البطون كغلي
الحميم) سورة الدخان ٤٤ : ٤٣ .

زلات الارض ٦٣

(اذا زللت الارض زلاتها ، واحرجت الارض اثقادها . وقال
الانسان مالها ؟ يومئذ تحدث اخبارها . . .) سورة الزلزلة
٩٩ : ٤ - ١ .

الزنجبيل ٢٩٠ - ٢٩١

(ويطاف عليهم بآنية من فضة ، واكواب كانت قواريرا ،
قوارير من فضة قدروها تقديرها ويسقون فيها كأساً كان مزاجها
زنجبيلا ، عينا فيها تسمى سلسيليا) سورة الانسان ٧٦ : ١٤ .

(السين)

سبعون ٢٦٢ - ٢٦٤

(خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً
فاسلكوه انه كان لا يؤمن بالله العظيم) سورة الحاقة ٦٩ : ٣٠ - ٣٤.

سجرت ٩٤

(اذا البخار سجرت) سورة التكوير ٨١ : ٦ ،

السراب ٦٥ - ٦٦

(اعمالهم كسراب بقعة يحسبه الظمان ماء) سورة النور ٢٤ : ٣٩ .

السعير ٢١٥ - ٢١٩

(كتب عليه انه من تولاه فانه يضلها ويهدىه الى عذاب السعير)

سورة الحج ٢٢ : ٤ .

سقر ٢١٩ - ٢٢١

(أسأصليه سقر ، وما أدرك ما سقر ، لا تبقي ولا تذر لواحة

للبشر) سورة المدثر ٧٤ : ٢٦ - ٢٩ .

سلال ٢٦٠

(انا اعدنا للكافرين سلاسل واغلالاً وسعيراً) سورة الانسان

. ٤ : ٧٦

تسود وجوه ١٤٠ - ١٤٨

(يوم تبيض وجوه ، وتسود وجوه ، فاما الذين اسودت وجوههم

اكرم بعد ايامكم فذوقوا العذاب بما كنتم تکفرون . واما الذين

ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون) سورة آل

عمران ٣ : ١٠٦ - ١٠٧ .

أساور ٣٠٩ - ٣١٠

(يحalon فيها من اساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراء)

- ٣٧٣ -

سورة الكهف ١٨ : ٣١ .

الساهرة ٤٥

(فانما هي زجرة واحدة ، فإذا هم بالساهرة) سورة النازعات
٧٩ : ١٤ .

نسير الجبال ٦٥

(يوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة ، وحشرناهم فلم نغادر
منهم احدا) سورة الكهف ١٨ : ٤٦ .

(الشين)

شاذصة ١١٩

(واقرب الوعد الحق فإذا هي شاذصة ابصار الذين كفروا)
سورة الانبياء ٢١ : ٩٧ .

شفاعة ١٧١ - ١٧٤

(واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا تقبل منها
شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون) سورة البقرة : ٤٨ .

انشققت السماء ٨٨

(وانشققت السماء فهي يومئذ واهية) سورة الحاقة ٦٩ : ١٦ .
الشمال ١٩٣ - ١٩٩

(واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وحميم ، وظل من
يسمون) سورة الواقعة ٥٦ : ٤٤ .

الشواظ ٢٢١ - ٢٢٢

(يرسل عليكما شواط من نار ونخاس فلا تنتصران) سورة
الرحمن ٥٥ : ٣٥ - ٣٦ .

(الصاد)

صديد ٢٣٩ - ٢٤٠

(واستفتحوا و خاب كل جبار عنيد ، من و رائه جهنم و يسقى من

ماءِ صديد) سورة ابراهيم ١٤ : ١٥ - ١٦ .

الصور ١٥ - ٢١

(ويوم ينفح في الصور ففرع من في السموات والارض الامن

شاء الله وكل أتوه داخرين) سورة النمل ٢٧ : ٨٧ .

الصيحة ٤٣ - ٤٥

(ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ، ما ينظرون الا

صيحة واحدة تأخذهم وهم يخضعون) سورة يس ٣٦ : ٤٨ .

(الصاد)

ضرير ٢٤٦ - ٢٥٠

(وجوه يومئذ خاشعة ، عاملة ناصبة ، تصلى ناراً حامية تسقى

من عين آنية ليس لهم طعام الا من ضرير ، لا يسمن ولا

يغنى من جوع) سورة الغاشية ٨٨ : ٦٢ .

(الطاء)

طمس ٩١ - ٩٢

(فإذا النجوم طمست وإذا السماء فرجت ...) سورة المارسلات

. ٧٧ - ٨ : ١٢

(العين)

العدل : ١٧٨ - ١٨٣

(واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها

شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون) سورة البقرة ٤٨:٢ .

- ٣٧٥ -

اعمى ١٥١ - ١٥٢

(ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكها ونحشره يوم القيمة اعمى قال ربى لم حشرتني اعمى ؟ وقد كنت بصيراً .)
سورة طه ٢٠ : ١٢٤ - ١٢٦ .

العهن ٧٦ - ٧٧

(يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ، ولا يسأل حيم حميا) سورة المعارج ٧٠ : ٨ - ٩ .
(الغين)

الغساق : ٢٤١ ، ٢٠٧

(إن جهنم كانت مرصادا ، للطاغيين مأبا ، لا يثن فيها احقادا ،
لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميا وغضافا) سورة النبأ
. ٢٥ - ٢١ : ٧٨

الغسلين ٢٥٧ - ٢٥٨

(فليس له اليوم هننا حيم الاطعام من غسلين) سورة الحاقة
. ٣٠٦ : ٦٩

الغول ٣٠١ - ٣٠٢

(يطاف عليهم بكأس من معين ، بيضاء لذة للشاربين ، لا فيها
غول ، ولا هم عنها ينزفون) سورة الصافات ٣٧ : ٤٧ .

الاغلال ٢٦٠

(انا أعتذنا للكافرين سلاسلـ واغلالـ وسعيرـ) سورة الانسان
. ٧٦ : ٤ .

(الفاء)

تفجيرـ ٢٩٠

- ٣٧٦ -

(عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا) سورة الانسان
٦ : ٧٦ .

النداء ١٧٤ - ١٧٨

(إن الذين كفروا وما ترا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء
الارض ذهبا ، ولو افتدى به اولئك لهم عذاب ايم) سورة
آل عمران ٣ : ٩١ .

الفردوس ٢٧٤

الفراش المبثوث ١١٠ - ١١٤

(يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ، وتكون الجبال كالعهن
المتفوش) سورة القارعة ١٠٢ : ٢ - ٥ ،

منظر به ٨٨ - ٩٠

(فكيف تتقو ان كفرتم يوما يجعل الولدان شيئا السماء منظر
به ، كان وعده مفعولا) سورة المزمل ٧٣ : ١٧ - ١٨ :

الفقرة ١٢٦ - ١٢٩

(وجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة) سورة القيامة
٧٥ : ٢٤ - ٢٥ .

فوق ٥٣ - ٥٦

(وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة ما لها من فوق) سورة
ص ٣٨ : ١٥ .

(القاف)

قترة ١٤٠

(وجوه يومئذ عليها غبرة ، ترهقها قترة ، اولئك هم الكفارة

- ٣٧٧ -

الفجرة) سورة عبس : ٤٣ .

القصر ٢٢٦ - ٢٢٨

(انطلقوا الى ما كنتم به تكذبون ، انطلقوا الى ظل ذي ثلاث
شعب لا ظليل ولا يغنى من الاهب ، انها ترمي بشرر كالقصر
كأنه جحالت صفر) سورة المرسلات ٧٧ : ٢٩ - ٣١ .

قطران ٢٦٥ - ٢٦٨

(وترى الجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد ، سراويلهم من
قطران وتغشى وجوههم النار) سورة ابراهيم ١٤ : ٤٨ .

مقنعي ١٣٤ - ١٣١

(ولا تخسِّن الله غافلاً عما يعمَّل الظالمون أَنَّا يُؤخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ
تشخص فِيهِ الْأَبْصَارُ مَهْطُونٌ مَقْنَعٌ رُؤُوسُهُمْ لَا يُرْتَدُّ إِلَيْهِمْ
طَرْفُهُمْ وَافْتَدُوهُمْ هَوَاءٌ) سورة ابراهيم ٤٢ : ٤٣ - ٤٢ .
(الكاف)

كثيب مهيل ٧٨ : ٧٩

(يوم ترجمف الارض والجبال وكانت الجبال كثيباً مهيلاً)
سورة المزمل ٧٣ : ١١ - ١٤ .

انكدرت ٩٢ - ٩٤

(اذا الشمس كورت ، واذا النجوم انكدرت . . .) سورة
التكوير ٨١ : ١ - ٢ .

كافور ٢٩١ - ٢٩٢

(انا اعتدنا للكافرين سلاسلًا واغلالا وسعيرا ، ان الابرار
يشربون من كأس كان مزاجها كافورا) سورة الانسان ٧٦:٦-٤ .

كورت ٩٥

(اذا الشمس كورت) سورة التكوير ٨١ : ١ .
(الام)

لباسهم ٣٠٨

(يخلون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ، ولباسهم فيها حرب)
سورة الحج ٢٢ : ١٤ - ٢٣ .

لبن ٢٩٢ - ٢٩٨

(مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن ،
وانهار من لبن لم يتغير طعمه) سورة محمد ٤٧ : ١٤ .
(الميم)

مسك ٣٠٤

(ان الابرار لفي نعيم ، على الارائك ينظرون ، تعرف في
وجوههم نمرة النعيم يسقون من رحيق مختوم ، ختامه مسك وفي
ذلك فلينتفاض المنافقون) سورة المطففين ٨٣ : ٢٢ - ٢٦ .

تمور ٨٥ - ٨٨

(يوم تمور السماء موراً ، وتسير الجبال سيراً ، فويل يومئذ
للمكذبين) سورة الطور ٥٢ : ٩ - ١١ .

المهل ٨٢ - ٨٥

(انهم يرونها بعيدا ونراها قريبا ، يوم تكون السماء كالمهل وتكون
الجبال كالعهن ولا يسأل حيم حيما) سورة المعارج ٧٠:٧٠ - ١١

المهل ٢٤٠

(وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه ، بشس الشراب
وسامت مرتفقا) سورة الكهف ١٨ : ٢٩ .

- ٣٧٩ -

(الواو)

واحدة ٥٢

(وما ينظر هؤلاء الاصيحة واحدة ماها من فوق) سورة صن

. ٣٨ - ١٢ : ١٥

وردا : ٢٣٠

(يوم نخسر المقربين الى الرحمن وفدا ، ونسوق المقربين الى جهنم

وردا) سورة مريم ١٩ : ٨٦ .

وردة كالدهان ٧٩ - ٨٢

(فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) سورة الرحمن

. ٣٧ : ٥٥

الموازين ١٨٣ - ١٨٧

(فن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازينه

فاولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون) سورة المؤمنون ١٠٣:٢٣

يوفضون ١١٠

(كأنهم الى ذُصِبْ يوفضون) سورة المعارج ٧٠ : ٤٣ .

(النون)

انتشرت ٩٤

(اذا السماء انفطرت ، واذا الكواكب انتشرت) سورة الانفطار

. ٨٢ - ١ : ٣

المنادي ٣٤ - ٤٣

(واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب ، يوم يسمعون

الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج) سورة ق ٥٠ : ٤١ - ٤٢ .

- ٣٨٠ -

يُنْزَقُونَ ٣٠٢ - ٣٠٤

(لا فيها غول ، ولا هم عنها يُنْزَقُونَ) سورة الصافات ٤٧:٣٧
يُنْسِفُهَا ٦٩ - ٧١

(وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجَبَالِ فَقُلْ يُنْسِفُهَا رَبِّ نَسْفًا ، فَيُنْذِرُهَا قَاعَةً
صَفَصَفًا . . .) سورة طه ٢٠ : ١٠٥ - ١٠٦ .
يُنْسِلُونَ ١٠٣ - ١٠٦

(وَنَفَخْتُ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يُنْسِلُونَ)
سورة يس ٣٦ : ٥٢ .
نَصْبٌ ١٠٦

(يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سَرَّاعًا كَانُوهُمْ إِلَى نَصْبٍ يَوْفَضُونَ)
سورة المعارج ٧٠ : ٤٣ .
نَاضِرَةٌ ١٥٩ - ١٦٤

(وَجْهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرٌ) سورة القيامة ٧٥ :
٢٢ - ٢٣ .

النَّعِيمٌ ٢٢٢

(كَلَا لَوْ تَعْلَمُوْنَ عِلْمَ الْيَقِينِ ، لَتَرَوْنَ الْجَحِيْمَ ، ثُمَّ لَتَرَوْنَهَا عَيْنَ
الْيَقِينِ ، ثُمَّ لَتَسْتَانِنَّ عَنِ النَّعِيمِ) سورة التكاثر ١٠٢ : ٨ - ٥ .
النَّاقُورٌ ٢١ - ٢٨

(فَإِذَا نَفَرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ، عَلَى الْكَافِرِينَ
غَيْرِ يَسِيرٍ) سورة المدثر ٧٤ : ٧ - ٨ .
اَنْهَارٌ مِنْ خَرٍ ٢٩٨ - ٣٠٤

(مِثْلُ جَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَقْوِينَ فِيهَا اَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَانْهَارٌ
مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيِّرْ طَعْمَهُ ، وَانْهَارٌ مِنْ خَرٍ لَذَّةً لِلشَّارِبِينَ)

سورة محمد ٤٧ : ١٥ .

انهار من عسل ٣٠٤ - ٣٠٨

(مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن ،
وانهار من لبن لم يتغير طعمه ، وانهار من خمر لذة للشاربين ،
وانهار من عسل مصفي) سورة محمد ٤٧ : ١٤ - ١٥ .
(الآية)

مهطعين ١٢٧ - ١٣١

فتولَّ عنهم يوم يدع الداعي الى شيء نكر خشعوا ببصرهم
مهطعين الى الداعي يقول الكافرون هذا يوم عسر) سورة القمر
٥٤ : ٦ - ٨ .

الخمس ١٣٦ - ١٣٨

(وخشعت الاصوات للرجن فلا تسمع الا همسا) سورة طه
٢٠ : ١٠٨

الهاوية ٢١١ - ٢١٣

(فاما من خفت موازينه فامه هاوية ، وما ادراك ما هي نار)
حامية) سورة القارعة ١٠١ : ٨ - ١١ .

الحيم ٢٤٦ - ٢٤٢

(ثم انكم ايها الضالون المكذبون ، لا كلون من شجر من
زقوم فالثون منها البطون فشاربون عليه من الحميم ، فشاربون
شرب الحميم . .) سورة الواقعة ٥٦ : ٥١ - ٥٦ .
(الآية)

اليمن ١٩٢ - ١٩٩

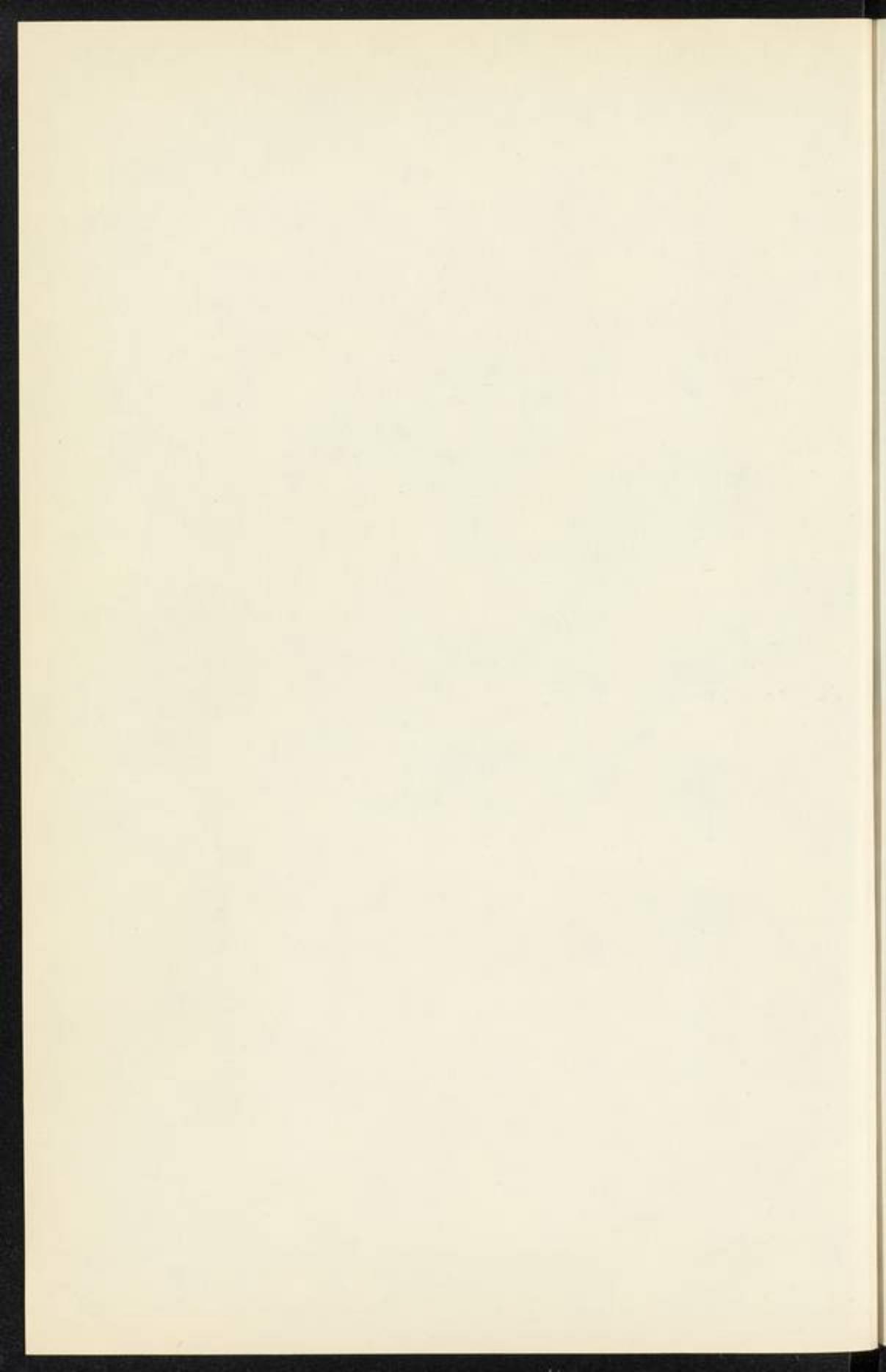
(يوم ندعو كل اناس بامائهم ، فمن اوتى كتابه بيمينه فاولئك
يقرأون كتابهم ، ولا يظلمون فتيلا) سورة الاسراء ١٧ : ٧١ .

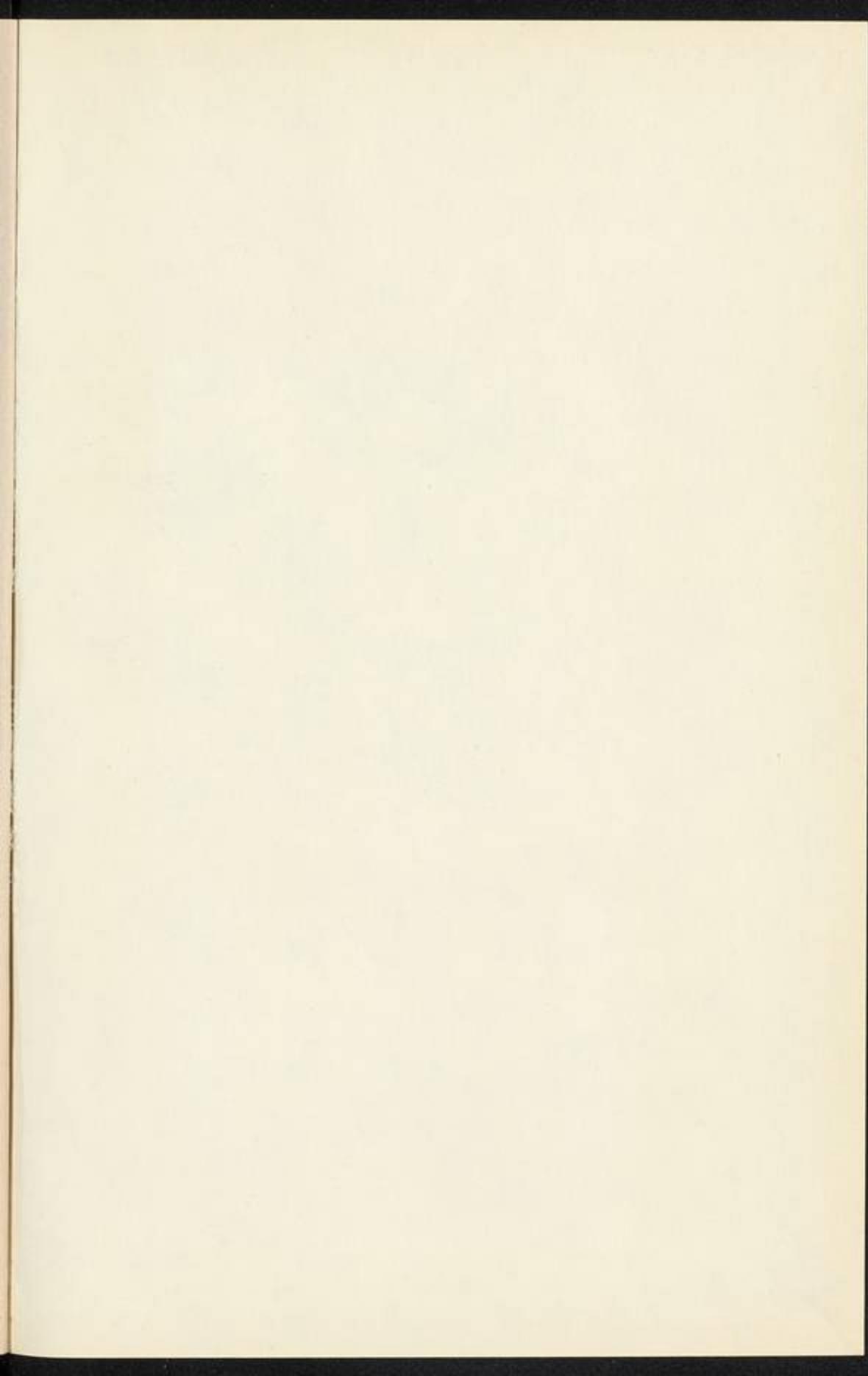
المحتوى

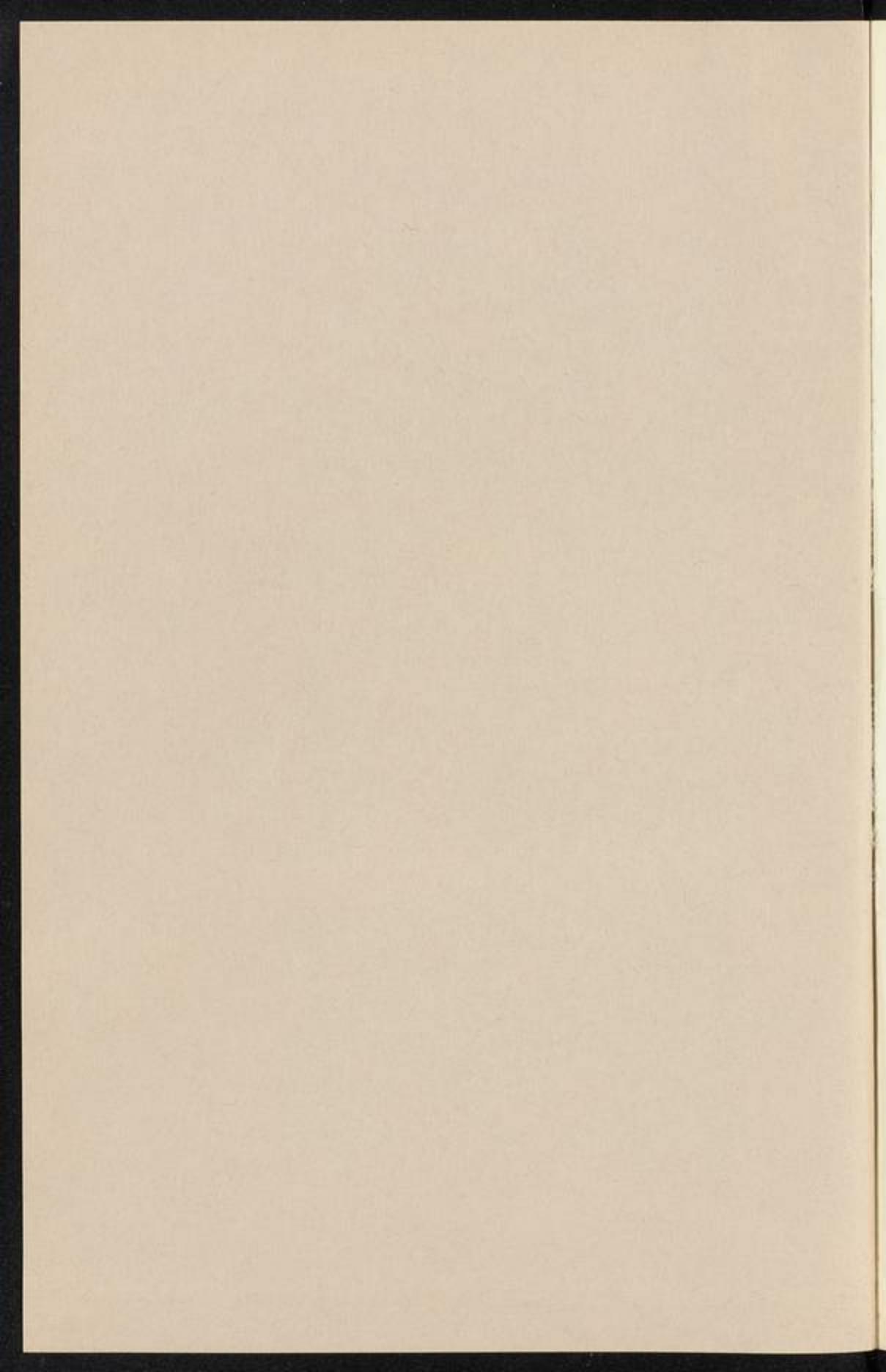
- | | |
|-----------|--|
| ١٢ - ٥ | ١ - المقدمة |
| ٥٧ - ١٥ | ٢ - الفصل الاول : النغير (بعث الناس من القبور) |
| ٩٩ - ٦١ | ٣ - الفصل الثاني : اضطراب السماوات والارض |
| ١٦٥ - ١٠٣ | ٤ - الفصل الثالث : صفة الناس يوم القيمة |
| ١٩٩ - ١٦٩ | ٥ - الفصل الرابع : القضاء بين الناس |
| ٢٦٩ - ٢٠٣ | ٦ - الفصل الخامس : العقاب بالنار |
| ٣١٠ - ٢٤١ | ٧ - الفصل السادس : التواب بالجنة |
| ٣١٥ - ٣١١ | ٨ - الخاتمة |
| ٣٤٧ - ٣١٦ | ٩ - المراجع والمصادر |
| ٣٨٢ - ٣٥٠ | ١٠ - فهارس الكتاب |

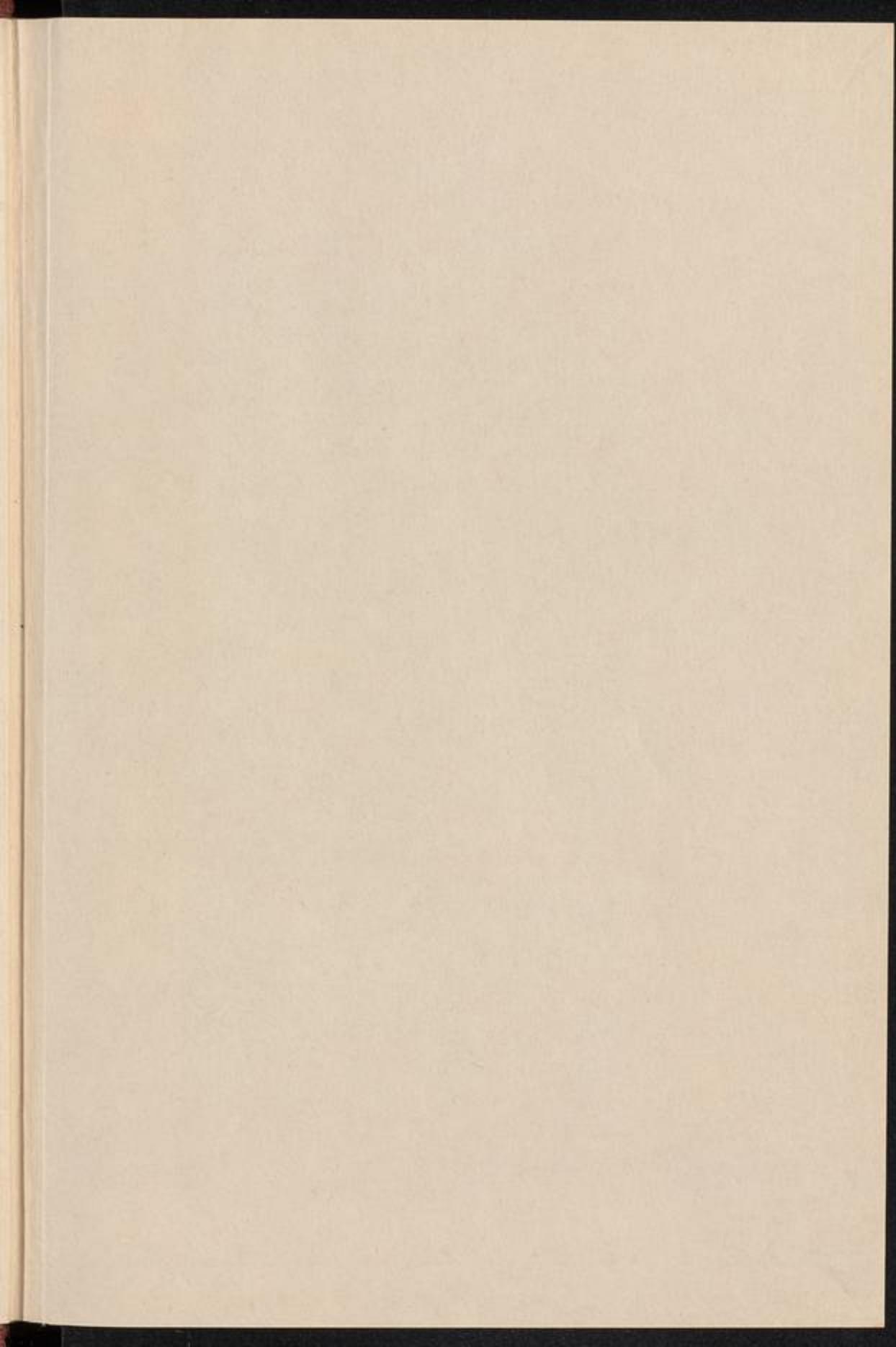
التصوييات

الصفحة السطر الخطأ	الصواب	الصفحة السطر الخطأ	الصواب	الصفحة السطر الخطأ	الصواب
٢٤	أثابي	٢٣	أثابي	٢٤	أثاباً
٣١	إن	١٣	نأ	٣١	إن
٦٦	٢٧	١٣	٢٦٧	٦٦	٢٧
٦٧	المبهه	٥	البيهه	٦٧	المبيهه
٧٠	الطلبلية	٥	الطلبلية	٧٠	الطلبلية
٧٠	بروضة	٧	بروضة	٧٠	بروضة
٧٠	مُلَثٌ	٨	مُلَثٌ	٧٠	مُلَثٌ
٧٥	وتكون	١٢	وتكون	٧٥	ويكون
٨٣	العلا	١٧	العلا	٨٣	العلا
٨٩	ويعكسه	١٢	ويعكسه	٨٩	سيـ
١٠٥	سـ	٤	سـ	١٠٥	سـ
١٢٥	مشـ	٦	مشـ	١٢٥	مشـ
١٣٦	ـتسـ	٩	ـتسـ	١٣٦	ـتسـ
١٣٨	ـأـجـ	٢	ـأـجـ	١٣٨	ـأـجـ
١٤٩	ـزـرـقـ	٧	ـزـرـقـ	١٤٩	ـزـرـقـ
١٥٣	ـيـأـحـمـراـ	٧	ـيـأـحـمـراـ	١٥٣	ـيـأـحـمـراـ
١٥٥	ـزـرـقـ	١٥	ـزـرـقـ	١٥٥	ـزـرـقـ
١٥٥	ـجاـورـتـهـمـ	١٥	ـجاـورـتـهـمـ	١٥٥	ـجاـورـتـهـمـ









BP
166.87
.S2

BP 166.87 02790220
.S2

1969

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU55319564

BP166.87 .S2

al-Taabir al-Quraniy